

إلى والديّ العزيزين ومن لهما الفضل بعد الله
أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتهما..
إنكم المحب إبراهيم..

تَدَبُّرٌ
مركز تدبر القرآن الكريم

لَيْسَ بِكَ وَالْآيَاتِ

حَصَادُ سَبْعِ سِنَوَاتٍ مِنَ التَّدَبُّرِ

إعداد اللجنة العامية في مركز تدبر



إبراهيم بن محمد
حصاد سبع سنوات من التدبر

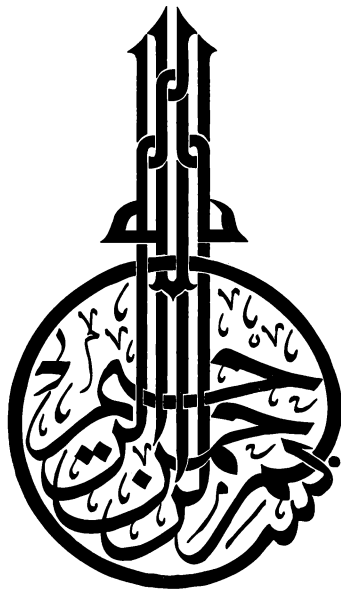


تَذَكُّرٌ
مَرَكَزْتَدْبُرُ الدَّجَنَةِ الْعَلَمِيَّةِ فِي مَرَكَزْتَدْبُرِ

لِيَسِّرَ وَيُتَمِّمَ

حَصَادُ سَبْعِ سَنَوَاتٍ مِّنَ التَّدْبِيرِ

إِعْدَادُ الدَّجَنَةِ الْعَلَمِيَّةِ فِي مَرَكَزْتَدْبُرِ



لِيَاكْفُرُوا بِالْأَيْتَانِ
حصاد سبع سنوات من التدبُّر

تَدَبَّرْ

مِنْ تَدَبُّرِ الدَّلَائِلِ السَّامِيَةِ لِاسْتِثْبَاتِهَا

لِبَيْتِ اللَّهِ وَرَأْسِ الْكَتَلِ

حَصَادُ ٧ سَنَوَاتٍ مِنَ التَّدَبُّرِ

إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الرياض - الدائري الشرقي - مخرج ١٥

هاتف: ٠١١ ٢٥٤٩٩٩٣ - تحويلة: ٣٣٣

ناسوخ: ٠١١ ٢٥٤٩٩٩٦

ص.ب: ٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

www.tadabbor.com @tadabbor



© دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية

ليدبروا آياته (حصاد سبع سنوات من التدبر) / مركز تدبر

للاستشارات التربوية والتعليمية - ط ٢ - الرياض، ١٤٣٨هـ

٨٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٦-٤٠١-٩

١- القرآن - التفسير الحديث ٢- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

١٤٣٨/ ٦٠٠

٢٧٧,٦ ديوي

رقم الإيداع: ١٤٣٨/ ٦٠٠

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٦-٤٠١-٩

مَقَدِّمَةٌ



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالآيات، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ما دامت الأرض والسموات، أما بعد:

فيسرنا في «مركز تدبر» أن نقدّم لأهل القرآن هذا الإصدار الذي يجمع حصيلة سبع سنوات من التدبر، شارك في زرعه وسقيه أئمة أكابر، وعلماء وطلبة علم، ومحبون لكتاب الله تعالى في الغابر والحاضر.

والمؤمل أن يحقق هذا الإصدار أهدافاً أخرى من إصدار هذه السلسلة، حيث يجتمع للقارئ جميع ما سبق من تدبرات في السنوات الماضية للسورة الواحدة في موضع واحد، وهو ما يضاعف من فائدة هذا الجمع.

نسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الكتاب، وأن ينفع به كما نفع بأجزائه السابقة، وأن يضاعف المثوبة لإخواني في الفريق العلمي الذين أسهموا في جمعه ومراجعته وتصنيفه موضوعياً، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ. د. عمر بن عبدالله المقبل

أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

رجب ١٤٣٦ هـ



كلماتٌ في التدبُّر



أهمية التدبُّر وفضله

(١) محاسبة أهل القرآن لأنفسهم، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أَخَوْفُ مَا أَخَافُ أَنْ يَقَالَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا عُويمِرُ! أَعَلِمْتَ أَمْ جَهَلْتَ؟ فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمْتُ، لَا تَبْقَى آيَةُ أَمْرَةٍ أَوْ زَاجِرَةٍ إِلَّا أَخَذْتُ بِفَرِيضَتِهَا.. الأَمْرَةُ هَلْ ائْتَمَرْتَ؟ وَالزَاجِرَةُ هَلْ ازْدَجَرْتَ؟ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٢١٣/١

(٢) قال الحسن البصري رضي الله عنه: إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصَبِيَانٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَمَا تَدَبَّرَ آيَاتِهِ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ، وَمَا هُوَ بِمَحْفَظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ لِيَقُولَ: لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا وَقَدْ - وَاللَّهِ - أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَى الْقُرْآنَ لَهُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ.

فهم القرآن للمحاسبي ٢٧٦

(٣) قال الحسن البصري رضي الله عنه أَيْضًا: تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثٍ: فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الْقُرْآنِ، وَفِي الذِّكْرِ.. فَإِنْ وَجَدْتُمُوهَا؛ فَاْمَضُوا وَأَبْشَرُوا، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوها؛ فَاَعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مَغْلَقٌ.

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣١٨/٤

(٤) مَنْ هُوَ الْأُتِّي فِي نَظَرِ الْإِمَامِ مِقَاتِلِ بْنِ سَلِيمَانَ (ت: ١٥٠)؟

قال رضي الله عنه في مقدمة تفسيره: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ، فَهُوَ أُتِّي».

تفسير مقاتل ٢٧

٥) قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: إنما آيات القرآن خزائن؛ فإذا دخلت خزنةً فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها.

زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٠/٢

٦) حين تقرأ وردك من القرآن يحسن تذكر هذه الكلمة من الإمام الرباني سفيان بن عيينة رضي الله عنه: «من قرأ القرآن سئل عما يسأل عنه الأنبياء رضي الله عنهم إلا تبليغ الرسالة».

حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٨١/٧

٧) إذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها؛ فالله أعلم العلماء وأرحم الرحماء؛ فكلامه أولى كلام بالاستماع، والتدبر، والفهم. الحارث المحاسبي، فهم القرآن/٢٤٧

٨) قال أبو زرعة الرازي -وسئل عن كتب فيها بدع وضلالات-: «إياك وهذه الكتب.. عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك، ومن لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة». الآداب الشرعية لابن مفلح ١٥٧/٢

٩) القليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره، أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبرٍ ولا تفكيرٍ فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين.

الآجري، أخلاق أهل القرآن/١٦٩

١٠) إذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك؛ فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية؛ فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك.

١١) لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم.

ابن الجوزي، زاد المسير - ٣/١

١٢) ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيته فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحاً، ومن الجرائم فضوحاً؛ كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه، قال رضي الله عنه: «القرآن حجة لك أو عليك»^(١).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - ٢/١

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، وأحمد (٢٢٩٠٨).

١٣) ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبر، والخضوع؛ فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة، يتدبرها عند القراءة.

النوري، الأذكار - ١٠٧

١٤) قد عُلم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب أو غيرهما، فإنه لا بد أن يكون راغبًا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن يقرأ كتاب الله تعالى الذي به هداة، وبه يعرف الحق والباطل، والخير والشر؟ فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا يحصل معها المقصود؛ إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ١٥٧/٥

١٥) دخل في قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) تعليم حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول من تعلم حروفه، وذلك الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: «تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وأنتم تعلمتم القرآن، ثم تتعلمون الإيمان»^(٢)؛ ولهذا كانوا يبغون مدة في حفظ السورة.

ابن تيمية، الفتاوى - ٣٠٤/١٣

١٦) فما أشدها من حسرة وما أعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسرارَه ومعانيه، فالله المستعان.

ابن القيم، بدائع الفوائد - ٣٢٤/٢

١٧) فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة، وانعقاد الصلاة عليه؛ بل أنزل ليتدبر، ويُعقل، ويُهدى به علمًا وعملاً، ويبصر من العمى، ويرشد من الغي، ويعلم من الجهل، ويشفي من الغي، ويهدي إلى صراط مستقيم.

ابن القيم، الصواعق المرسله - ٣١٦/١

١٨) من مشاعر الأئمة تجاه القرآن: هو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، من اتخذه سميره وأنيسه، وجعله جليسه على مرّ الأيام والليالي، نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويمجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول.

الشاطبي، الموافقات - ١٩٥/٨

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٠).

١٩) ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئاً.

الزركشي، البرهان في علوم القرآن - ١٥٥/٢

٢٠) من النصح لكتاب الله: شدة حبه، وتعظيم قدره، والرغبة في فهمه، والعناية بتدبره؛ لفهم ما أحبّ مولاة أن يفهمه عنه، وكذلك الناصح من الناس يفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عُني بفهمه؛ ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه.. فكذلك الناصح لكتاب ربه، يُعنى بفهمه؛ ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدّب بأدابه.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم - ٧٦

٢١) لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالة في معاشهم وأسبابها على سواهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار - ٢٤١/٥

فوائد التدبر

١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيّاً».

المدخل إلى السنن للبيهقي ٣٨/٢

ولا شك في أن ابن عباس رضي الله عنهما إنما يعني بمن قرأ القرآن: من قرأه بتدبر وفقه لمعانيه، إذ كانوا يطلقون القراءة على فهم القرآن وفقهه، والذي لا يُتأتى إلا بالتدبر.

٢) لو تدبر إنسان القرآن كان فيه ما يردُّ على كل مبتدع وبدعته.

أحمد بن حنبل، السنة للخلال/ ٩١٢

٣) من تدبر القرآن طالباً الهدى منه؛ تبيّن له طريق الحق.

ابن تيمية، الواسطية/ ٨

وكلمة هذا الإمام جاءت بعد سنين طويلة من الجهاد في سبيل بيان الحق الذي كان عليه سلف هذه الأمة، والرد على أهل البدع.. فهل من معتبر؟!.

٤) ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم، والحلاوة، والهدى، وشفاء القلوب، والبركة، والمنفعة؛ ما لا يجده في شيء من الكلام: لا نظماً، ولا نثراً.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم - ٣٨٤/١

٥) من أهم فوائد التدبّر: «وإذا تدبرت كتاب الله تبين أنه يفصل النزاع بين من يحسن الرد إليه، وأن من لم يهتدِ إلى ذلك فهو: إما لعدم استطاعته فيُعذر، أو لتفريطه فيلام».

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ٦٣/٣٤

٦) فتدبّر القرآن إن رمت الهدى * فالعلم تحت تدبّر القرآن

ابن القيم، النونية/ ٤٩

٧) سؤال طالما طرحه الشباب على أهل العلم: كيف أتخلص من الذنوب؟.. لذلك أسباب كثيرة، لكن لما تحدث ابن القيم رحمه الله عن تلك الأسباب في كتابه «الجواب الكافي» قال: «ومن أنفع ما في ذلك: تدبّر القرآن؛ فإنه كفيّل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعاً مفصلة مبيّنة».

الجواب الكافي ٢١

٨) فوالله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت - وأنا ذو النفس المملأى بالذنوب والعيوب - أعظم إلانة للقلب، واستدرازا للدمع، وإحضارا للخشية، وأبعث على التوبة؛ من تلاوة القرآن وسماعه.

ابن باديس، تفسير ابن باديس/ ٣٩

٩) تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.

ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن/ ١٨٩

١٠) ومن تدبر كتاب الله وأكثر من تلاوته، عرف صفات الراجحين وصفات الخاسرين على التفصيل.

ابن باز، مجموع فتاوى ابن باز - ٩٥/٥

توجيه الأمة نحو التدبّر

١) قال الشاعر محمد إقبال في آخر عمره وهو يحث المسلمين على تدبر القرآن:

«أقول لكم ما أؤمن به وأدين: إنه ليس بكتاب فحسب، إنه أكثر من ذلك؛ إذا دخل في

القلب تغير الإنسان، وإذا تغير الإنسان تغير العالم.. إنه كتاب حي خالد ناطق، إنه يحتوي على حدود الشعوب، والأمم، ومصير الإنسانية».

روائع إقبال ١١٥-١١٦

٢) وصية عالمٍ مجرّب: «وإنّ من أحكم الوسائل لجذب الأمة إلى القرآن: وصف القرآن، وتشويق الناس إلى الإقبال عليه وتدبره وفهمه، ومعرفة ما ضيعت من خير وما خسرت من هداية بتضييعها للقرآن، وإنما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها من وصفه والإشادة بشأنه والتنويه بجلاله وخطره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظ قليلة».

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي - ٣٢٣/١

٣) الأمة برجعها إلى القرآن تجددُ نفسَهَا، وتستأنفُ في الحياة تاريخَهَا.

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي - ٢٨٤/١

٤) عليك بتدبر القرآن حتى تعرف المعنى، تدبّره من أوله إلى آخره، واقراه بتدبر وتعقل، ورغبة في العمل والفائدة.. لا تقراه بقلب غافل، اقراه بقلب حاضر، واسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن أكثره - بحمد الله - واضح للعامة والخاصة ممن يعرف اللغة العربية.

ابن باز، فتاوى ابن باز - ٢٥/٩

٥) وإني أحثكم أيها الشباب على الحرص التام على تدبر القرآن ومعرفة معانيه؛ لأن القرآن إنما نزل ليدبّر الناس آياته، وليتذكروا به؛ إذ لا فائدة بتلاوة اللفظ دون فهم للمعنى، وإذا أشكل عليكم شيء فاسألوا عنه.

ابن عثيمين، لقاءات الباب المفتوح رقم (١٧١)

٦) اختبر حفظك! إن حفظ القرآن أو بعضه مهم، لكنه لا يمثل بمفرده حقيقة ما نحن فيه، بل هو أحد خطوات السير فيه! إن الحفظ المطلوب هو حفظ الصحابة رضي الله عنهم، الذين كانوا يتلقون القرآن خمس آيات أو عشرًا، فيدخلون في مكابدة حقائقها الإيمانية، فلا ينتقلون إلى غيرها إلا بعد نجاحهم في ابتلاءاتها! ومن ثم يصير حفظ القرآن بهذا المسلك مشروع حياة! وليس مجرد هدف لسنة أو سنتين، أو لبضع سنوات!

د. فريد الأنصاري، مقال: اختبر حفظك

٧) يا صاحب القرآن: إذا أخذت في تلاوة أو استماع حزب المفصل (ق-الناس) فتنبّه، فإنه مسك ختامه، وأفضل أحزابه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فيه: «هو لباب القرآن»^(١)، وسماه ابن عباس رضي الله عنه: «المحكم»^(٢)؛ لندرة متشابهه، ولا يُزهدتك فيه قصر سوره، فالمعوذتان أحب إلى الله من سورتي هود ويوسف بالنصّ الثابت عن رسوله، وقد تواتر أن غالب قراءته رضي الله عنه في الفريضة كانت من المفصل.. فأحضر قلبك وتدبر تجد ﴿عَجَبًا﴾ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (الجن: ١-٢).

د. عصام العويد

(١) أخرجه الدارمي (٣٤٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٥٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٢٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٤/١).

٨) إذا كان القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي نزل على الجيل الأول، وإذا كان الإنسان هو الإنسان؛ فلماذا توقف عن البناء والعطاء المأمول؟ ولماذا توقفت أمة القرآن عن الشهادة والقيادة؟ الإجابة رغم بساطتها إلا أنها معقدة ومتراكبة ومتداخلة: إنه غياب التدبر - الذي يمكن الإنسان من البصيرة والتدبير -، وغياب فقه البيئات والهدى والفرقان.

عمر عبيد حسنة، رسالة القرآن/ ٦٠٢

٩) مجالس مدرسة القرآن من خير ما يوصى به في رمضان، الذي ثبت في الصحيح أن جبريل كان يفعلها مع النبي ﷺ، والمساجد والبيوت ميدان لعقد هذه المجالس، التي حقًا سيكون لها الأثر المبارك.

د. محمد الربيعة

من أساليب التدبّر

١) وصية إمام مجزّب: يقول الشعبي ﷺ: «إذا قرأت القرآن فاقراه فقرأه تُسمع أذنيك، ويفقه قلبك؛ فإن الأذن عدل بين اللسان والقلب».

الزهد لابن المبارك ٤٢٢

٢) إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال؛ ما أوتيته العرب.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن/ ١٧

٣) المؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرضه فكان للمرأة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح، فما خوفه به مولاه من عقابه خافه، وما رغب فيه مولاه رغب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته - أو ما قاربها - فقد تلاه حق تلاوته، وكان له القرآن شاهدًا وشفيعًا، وأنيسًا وحرزًا، ونفع نفسه، وأهله، وعاد على والديه وولده كل خير في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق حملة القرآن/ ٢٧

٤) البكاء مستحب مع القراءة، وطريق ذلك: أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، وذلك بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجه، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء، فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين - ٣٧/٢

٥) فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ٩٤/١٥

٦) قال البقاعي - مبيِّنًا تناسق ما قبل الآية مع ما بعدها -: «ومن تدبر الابتداء عرف الختم، ومن تأمل الختم لاح له الابتداء».

نظم الدرر ٩٧/١

ومعنى كلامه: أن من تدبر بداية الآية التي هو فيها؛ عرف سر ختام الآية التي قبلها، وكذلك من تأمل ختام الآية التي هو فيها؛ ظهر له ارتباطها بالآية التي بعدها. وظهر هذا وخفاؤه يتفاوت بحسب علم الإنسان وقوة تدبره.

٧) نقرأ آيات فلربما نغفل عن تدبر كثير من معانيها ودلالاتها، فتأتي الأحداث والفتن، فيدرك المتدبرون الرابط القرآني بين هذه الدلالات وتلك الفتن، وكأن القرآن يتحدث عن ذات الفتنة الواقعة، والمحنة النازلة، ولكنه حظ من كان القرآن آيات بينات في صدورهم.

أ. د. عبد العزيز العويد

٨) الأحداث الجارية والمتغيرة تحتاج منا عكوفًا على كتاب الله تعالى؛ لاستلهاام المنهج الرباني في الحكم والتعامل. وجرب أن تقرأ القرآن قراءة خاصة لهذا الغرض، فستجد القرآن وكأنه يتنزل على الأحداث، ويكشف لك سنن الله في الأمم والمجتمعات.

د. محمد الربيعة

الأمور المعينة على التدبُّر

١) مقياس آخر للحب: قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله ﷺ.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢/١

٢) من هدي السلف مع القرآن في رمضان: كان ابن مسعود رضي الله عنه يختم في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة للجمعة.

فضائل القرآن للفريابي ٢١٩

قال ابن باز رحمته الله: وهذا هو الموافق للسنة، وهو أدعى للتدبر والتفكير.

٣) إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألد، ولا أحلى من استماع كلام الله ﷻ، وفهم معاني قوله تعظيماً وحباً له، وإجلالاً؛ إذ كان تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله.

الحارث المحاسبي، فقه القرآن/ ٣٠٢

٤) فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بنية صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نوراً.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - ١٧٦/١١

٥) من مفاتيح الانتفاع بالقرآن: «الحضور والفهم، والشعور بأن القرآن رسالة الله إلى كل عبد، وأن هذا دعوة عامة لجميع الخلق، وأن هذا العبد التالي منهم».

ابن شيخ الحزاميين، مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق - ٩٩/٢

٦) وليس في القرآن لفظ إلا وهو مقرون بما يبيّن به المراد، ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ٤٧٤/٢٠

٧) ذكر ابن كثير ﷺ في حوادث سنة ٣٩٤هـ أن قافلة اعترضت إحدى قوافل الحجيج، فتقدم شابان فقرا بقراءة مدهشة مطربة، فأطلق جميع الحجيج تأثراً بهذه القراءة، فلما كان يوم عرفة قرأ هذان الشابان بقراءة عظيمة ضج لها كل من سمعها.

البداية والنهاية ٣٣٣/١١

٨) لمن يشكو عدم تأثره بالقرآن خذها من مجرّب:

القلب محل تلقي الوحي، فإذا أردت الانتفاع بالوحي فلا بد من تفرغ القلب من ضده؛ لأن إصغاء القلب كإصغاء الأذن، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه إصغاء ولا فهم لحديثه، وإذا امتلأ بالشبه والشكوك، والمضحكات، والصور المحرمة، والغناء الذي يصد عن الوحي؛ جاءت حقائق القرآن، فلم تجد فيه فراغاً لها ولا قبولاً، فتعدته وجاوزته إلى محل سواه.

ابن القيم، الفوائد/ ٣١ (بتصرف)

٩) ومن أعظم ما يُتقرب به العبد إلى الله تعالى مِنَ التَّوَافِل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكيرٍ وتدبرٍ وتفهُمٍ، قال خباب بن الأرت رضي الله عنه لرجل: «تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تقرب إليه بشيءٍ هو أحبُّ إليه من كلامه».

ابن رجب، جامع العلوم والحكم/ ٣٦٤

١٠) وقد سمعت من الشيخ الشنقيطي -صاحب أضواء البيان رحمة الله تعالى علينا وعليه- قوله: «لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه وييسر فهمه؛ إلا القيام به من جوف الليل». وقد كان رضي الله عنه لا يترك ورده من الليل صيفاً أو شتاءً.

الشيخ عطية سالم، تنمة أضواء البيان - ٣٥٩/٨

١١) خمس خطوات عملية لتدبر القرآن:

- ١- افتح صفحات القلب مع فتحك أوراق المصحف، وهذا ركن التدبر الأكبر.
- ٢- ليكن بين يديك كتاب مختصر في التفسير كالمصباح المنير.
- ٣- كثير من السور لها فضائل وخصائص ومقاصد، فمثلاً: قبل قراءة سورة الأنعام قف طويلاً في معنى الآثار الواردة في فضلها.
- ٤- اقرأ على مكث، رتل ولا تعجل.
- ٥- بعد القراءة انظر إلى الأثر، فإن وجدت أثراً في قلبك وإلا فعد رتلها ثانية وثالثة.

د. عصام العويد

١٢) من أهم وأول وسائل تدبر الآيات: معرفة معنى الكلمات الغريبة، فهي مفتاح لفهم المراد، ولتحقيق ذلك:

- ١- احرص على القراءة في مصحف وُضع معه تفسير لغريب القرآن.
- ٢- لا تتجاوز آية إلا إذا أدركت مفرداتها.

د. محمد الخضيري

١٣) من الأسباب المعينة على التدبر: استعراض موضوعات السورة قبل قراءتها، وسيكون حسناً لو وضعتها في جدول، أو في شجرة تكون أمامك عند قراءتك؛ هناك ستتعلى فوائد لم تكن بالحسبان.

د. مساعد الطيار

١٤) قال أبو حمزة عليه السلام: قلت لابن عباس عليه السلام: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاثٍ، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها، أحب إليّ أن أقرأها كما تقرأ.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٦٩/٢)

١٥) ومن أبلغ ما يعين على التدبّر: أن يعرض المؤمن نفسه على كتاب ربه، فهو يتصفح القرآن؛ ليؤدب به نفسه وهّمته: متى أكون من المتقين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن الهوى؟

الآجري، أخلاق أهل القرآن/ ٧٩

١٦) من أراد حسن التدبر فليكن له عناية بأسباب النزول وبالسيرة والتاريخ؛ فإن فيها عيشًا مع القرآن. قال الحسن البصري عليه السلام: «والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت، وما يعني بها».

المحرر الوجيز لابن عطية (٣٩/١)

والسؤال: كم أعطينا القرآن من وقتنا لتحقيق هذه الغاية؟

١٧) إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألّقي سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله عليه السلام.

ابن القيم، الفوائد/ ٣

١٨) يقول ابن القيم عليه السلام: فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه، أهي أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم؟ فإنّ من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحبّ شيء إليه.

الجواب الكافي (١٧٠)

دقّتْك في الجواب على السؤال السابق لها أثر بالغ في الانتفاع بهذا المفتاح من مفاتيح التدبّر!

١٩) صفة التدبّر: أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، ويتأمّل الأوامر والنواهي، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى استغفر، وإذا مرّ بآية رحمة سأل واستبشر، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن - ١/ ١٢٧

(٢٠) على متدبر كتاب الله أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثًا لغويًا، وكيف استعملها العرب، وكيف استعملت وقت نزول القرآن، لا وفق ما تطورت إليه الكلمة بعد انقطاع الوحي؛ فإن ذلك من شأنه أن يساعد - بتوفيق الله - على فهم المعنى، وأن يكون تدبره أقرب إلى الصواب. عبدالرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل للقرآن/ ٣١٧ (بتصرف)

(٢١) من طرق التدبر: أن تقرأ القرآن آيةً آيةً، ثم ترجع للآية كلمةً كلمةً، وما يُشكل معناه من الألفاظ تبحث عنه في كتب التفاسير الموثوقة، أو كتب غريب القرآن؛ لأنها أيسر، فتحلل معناها تحليلًا لفظيًا؛ لتفهم المعنى، ثم بعد ذلك تنظر في معاني الآية الكلية. د. عبد الكريم الخضير

(٢٢) التدبر مهارة يمكن التدرب عليها إذا تخيلت نفسك طالبًا والأستاذ يقول لك: استنبط من الآية عشر فوائد بدون الرجوع إلى أحد.

د. عبد الله السكاكر

(٢٣) من طرق التدبر: تدارس القرآن، والتدارس لا يكون إلا بين طرفين فأكثر، فينظرون في آية أو في سورة أو في موضوع، ويتبادلون الحديث، ويرجعون للكتب، ويسألون أهل العلم؛ بحثًا عن النفع، بغير تغالب أو ممارسة.

د. عويض العطوي

(٢٤) من طرق التدبر: التفاعل مع الآيات بالسؤال والتعوذ والاستغفار ونحوه عند مناسبة ذلك؛ فهو دالٌّ على التفاعل الحي، وأن القارئ حاضر القلب مع التلاوة، وهو من أظهر صفات التفاعل الدالة على التدبر، وقد كان هذا هو الهدي النبوي وهدي السلف الصالح.

د. محمد الربيعة

(٢٥) من أول ما يعين على التدبر أن يعلم القارئ أنه المقصود بالتلاوة، فإن من تلاوة القرآن حق تلاوته: التدبر؛ لأنه طريق الإيمان، ألم يقل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: ١٢١).

د. محمد السيد

(٢٦) كرر الآية التي تجد قلبك قد انفتح لها، وخشع معها، فقد قام نبيك ﷺ بأية واحدة حتى أصبح: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تَعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ (المائدة: ١١٨).^(١) وكان أحد العامة يقرأ قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ١٠)، فما زال يُرَدِّدها كثيراً، وكلما قرأها قال: لا والله يا رب ما فيك شك! فبكى وأبكى من كان يسمعه.

(٢٧) مما يعين على التدبر: أن يربط الإنسان الأحداث التي تمر به بكتاب الله، مثال: في الهزات الأرضية، اجمع الآيات التي حوت لفظ (الزلزلة، الرجفة، البأساء، الابتلاء...) ونحوها، وقرأها في ضوء الواقع، تجد لها معاني لم تنكشف لك وقت الأمن.. إنها عظمة القرآن.

(٢٨) من طرق التدبر: أن يجعل لنفسه في كل وقت آية يتأملها بخصوصها، ويمكن أن يعلق في ورقة ليراها طول اليوم، وبجانبا ورقة، فكلما طرأ له معنى كتبه فيها.

(٢٩) الوقوف على أقوال السلف بالذات في تفسير الآية، والتأمل في مضامينها - خاصة إذا تنوعت عباراتهم والمقصود واحد -، ما يعين على التدبر والتفكير في معانٍ أكثر للآية، مثال: تنوع عباراتهم في تفسير (الفتنة) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النور: ٦٣).

موانع التدبر

(١) من موانع فهم القرآن والتلذذ به: «أن يكون التالي مصراً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه؛ فالقلب مثل المرأة، والشهوات مثل الصدا، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرأة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرأة».

ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين / ٥٣-٥٤

(٢) العناية بالتجويد مهمة، ولكن يجب ألا تكون على حساب العناية بالتدبر والفهم لكلام الله، قال ابن تيمية ﷺ: «ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك؛ فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه».

مجموع الفتاوى ٥٠/١٦

(١) النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠)، وأحمد (٢١٣٢٨).

٣) مراجعة الاهتمامات: يقول ابن تيمية رحمه الله: «مَنْ أَكْثَرَ مِنْ سَمَاعِ الْقَصَائِدِ لَطَبِ صِلَاحِ قَلْبِهِ، تَنْقُصَ رَغْبَتُهُ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ.. وَمَنْ أَدْمَنَ أَخَذَ الْحِكْمَةَ وَالْآدَابَ مِنْ كَلَامِ فَارِسَ وَالرُّومِ، لَا يَبْقَى لِحِكْمَةِ الْإِسْلَامِ وَأَدَابِهِ فِي قَلْبِهِ ذَاكَ الْمَوْقِعِ.. وَمَنْ أَدْمَنَ قِصَصَ الْمُلُوكِ وَسِيرَهُمْ لَا يَبْقَى لِقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَسِيرِهِمْ فِي قَلْبِهِ ذَاكَ الْإِهْتِمَامِ.. وَنَظِيرُ هَذَا كَثِيرٌ».

اقتضاء الصراط المستقيم ٤٨٤/١

٤) من موانع التدبُّر: الغناء، فهو «يُلْهِمِي الْقَلْبَ وَيَصُدُّهُ عَنِ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدْبِرِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ؛ فَالْقُرْآنُ وَالْغِنَاءُ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْقَلْبِ أَبَدًا لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّضَادِّ؛ فَالْقُرْآنُ يَنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَيَأْمُرُ بِالْعِفَّةِ وَمُجَانَبَةِ الشَّهَوَاتِ، وَالْغِنَاءُ يَأْمُرُ بِضَدِّ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَيُحَسِّنُهُ، وَيَهْيِجُ النُّفُوسَ إِلَى الشَّهَوَاتِ، فَيُثِيرُ كَامِنَهَا، وَيَجْرِكُهَا إِلَى كُلِّ قَبِيحٍ».

ابن القيم، إغاثة اللهفان / ٤٨

٥) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»^(١).. فَمَا يَعْينُ عَلَى قِرَاءَةِ (التدبُّر) الْمَحْرُكَةَ لِلْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ حِزْبُ الْقَارِئِ (وَقْتُ الْقِرَاءَةِ) لَا (مَقْدَارُ الْقِرَاءَةِ)، فَمَثَلًا: بَدَلًا مِنْ تَحْدِيدِ جِزءٍ يَوْمِيًّا، يَكُونُ نِصْفَ سَاعَةٍ يَوْمِيًّا؛ لِئَلَّا يَكُونَ أَلْهَمَ آخِرِ السُّورَةِ. عبد الكريم البرادي

٦) من الصوارف عن التدبُّر:

تشبيه القرآن بالغناء يورث أن يبقى قلب القارئ مصروفًا إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوت المَلْحَنِ كما يُصْغَى إِلَى الْغِنَاءِ، لَا لِأَجْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِهِ وَتَدْبِرِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.

ابن تيمية، جامع المسائل - ٣٠٥/٣

واقع الأمة مع التدبُّر

١) القرآن لا يأتي بالمعجزات، ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم، أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، والفهم السطحي، والتفسير اللفظي؛ فإنه لا يفيدهم شيئًا.

ابن باديس، تفسير ابن باديس / ١٦

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٧١٦).

٢) لقد نجح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحًا مدهشًا، مع قلة عددهم، وخشونة عيشهم، وندرة المصاحف بأيديهم، وقلة الحقاظ إذا ما قورنوا بأعدادهم اليوم، والسر في ذلك: أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته، أما غالب المسلمين اليوم فاكتفوا بألفاظ يردّدونها، وأنغام يلحّنونها، وبمصاحف يحملونها، ونسوا أو تناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبر آياته وتفهمها والتأدب بها.

الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن - ٧/٢

٣) القرآن يملأ النفوس بعظم الهمة، وهذا العِظْم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، حتى رفعوا لواء العدل، وفجّروا أنهار العلوم تفجيرًا، وإذا رأينا من بعض قرائه همًّا ضئيلة خاملة؛ فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

الخضر حسين، «الهدية» لمحّب الدين الخطيب - ٥٣٤/١

٤) لو عمل المسلمون بأدب قرآنهم، للفتوا الأنظار إلى روعته أكثر من ألف جمعية، وألف خطاب، وألف كتاب.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة/ ٢٥٢

٥) إن تحويل القرآن إلى ألحان منغومة فحسب، يستمع إليه عشاق الطرب؛ هو الذي جعل اليهود والنصارى يذيعون القرآن في الآفاق، وهم واثقون أنه لن يجي موتي!

محمد الغزالي، فقه السيرة/ ٧-٨

٦) إن المسلم لتأخذه الدهشة بلبّه كل مأخذ حين يرى مواقف الكثير من كتاب ربهم أحاط بهم ظلام، وادهمت عليهم خطوب، ثم هم يتخبطون خبط عشواء، أفلست النظم، وتدهورت القوميات، وهشت العولميات، فله العجب! النور بأيدينا، فكيف نلهث خلف ركاب غيرنا؟!

د. سعود الشريم، خطبة: رمضان شهر القرآن

٧) إن أمة الإسلام - في كثير من مواقعها وأحوالها - تحتاج إلى أن تراجع نفسها في موقفها من قرآن ربها؛ فإن كثيرًا منهم يجهلون أن للقرآن العظيم تأثيرًا حقيقيًا في حياتهم المعاشية والمدنية، يتشككون ويترددون في أثره في تحقيق السعادة المنشودة في الدين والدنيا معًا.

د. صالح بن حميد

٨) مع أهمية حفظ القرآن الكريم، إلا أننا نجد أمرًا غريبًا في عالمنا الإسلامي، حيث إن فيه مئات الألوف من المدارس التي تعتني بحفظ القرآن، على حين أننا لا نكاد نجد مدرسة واحدة متخصصة بتدبره وفهمه والتفكير فيه!

أ.د. عبد الكريم بكار

٩) لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابه - وبلا تردد -: نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في (رمضان)! فإنّ حال هذا في الحقيقة هي كمن يعلن استغناؤه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه؛ أحد عشر شهرًا!

د. عمر المقبل

نماذج تدبّرية

١) استقرأ عالم: الصدقة إذا أطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - ٢٤٥/١٠

٢) قصّ الله سبحانه في كتابه نصره لرسله ولعباده المؤمنين على الكفار، في قصة نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وفرعون، وغير ذلك، وحصول النصر - وغيره من أنواع النعيم - لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه، فمن عدّ القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد، كان من أجهل الناس.

ابن تيمية، قاعدة في المحبة/ ١٤٩

٣) قال ابن تيمية رحمه الله: «وصف الله أهل الفواحش - الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم - بخمسة عشر وصفًا: السكر، والعمه، والجهالة، وعدم العقل، وعدم الرشد، والبغض، وطمس الأبصار، والخبث، والفسوق، والعدوان، والإسراف، والسوء، والفحش، والفساد، والإجرام» ١. هـ، ثم ذكر الآيات.

مجموع الفتاوى ٤٠٢/١٥

٤) ومن ظن أن الذنوب لا تضره - لكون الله يحبه - مع إصراره عليها، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه! ولو تدبر الأحمق ما قصّ الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم وتطهير؛ علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقامًا.

ابن تيمية، رسالة العبودية/ ١١٤

٥) القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته؛ فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس؛ وتارة يتجلى بصفات الجلال والكمال، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من صفات جماله وكماله.

ابن القيم، الفوائد/ ٦٩

٦) ينبغي للمفتي - إذا أراد أن يصدر حكمًا قد تستغربه النفوس بسبب إلف ما يخالفه - أن يهيئ قلبه ما يكون مؤدّنًا به؛ فتأمل ذكره سبحانه قصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشيبة وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله في العادة، فذكر قصته مقدمة بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب؛ فإن النفوس لما أنست بولد بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة، سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب بأمر الله.

ابن القيم، إعلام الموقعين - ١٢٥/٤

٧) استقراء إمام: ولم يُقسَم الله تعالى في كتابه بشيءٍ من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة - ١٩٧/١

٨) الفقهاء المصنّفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف؛ اقتداء بالقرآن العظيم، فإنه نَبّه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم، وفي ذلك إرشاد وتنبية على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام، كما ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم - ٥٢٠/١

٩) كل سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أوليائه، فهو السماع الذي تضمن أمورًا ثلاثة: فهمًا وإدراكًا، وتدبيرًا، وإجابةً.

فمن اختار هذا السماع، لم يعدم إرشادًا لحجة، وتبصرة لعبارة، وفكرة في آية، ودلالة على رشد، وردًا على ضلالة، وإرشادًا من غي، وبصيرة من عمى، وحياة لقلب.

ابن القيم، مدارج السالكين - ٤٨٥/١

١٠) الهلاك الذي أصاب قوم شعيب ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنه رجفة، وذكر في سورة هود أنه صيحة، وذكر في سورة الشعراء أنه عذاب يوم الظلة، فكيف كان ذلك؟ قال ابن كثير ﷺ: «وقد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلمت فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح منه».

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم - ٢٨٤/٢

(١١) كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها - وهو الأكثر - رد لها أولاً، فإن وقع رد، فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد، فذلك دليل صحة المحكي وصدقه.. ومن قرأ القرآن وأحضره في ذهنه عرف هذا ببسر.

الشاطبي، الموافقات، ٤/١٥٨-١٦٠

(١٢) يقول الفيروز آبادي: وقد أمر الله بالتوكل في خمسة عشر موضعاً من القرآن، فساقها سياقاً بديعاً، محل بتعليقات مليحة، من المستحسن مراجعتها في كتابه.

بصائر ذوي التمييز ٢/٣١٣

(١٣) فسر الشيخ الشنقيطي ﷺ آية، ثم ذكر أنه لم ينص أحد من المفسرين على ما ذكره مع احتمال الآية له، ثم قال: «لكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائب، وعجائبه متجددة على مرّ الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل».. فأين المتدبرون؟

أضواء البيان ٢/٢٥٨

(١٤) عرّض للعلامة الشنقيطي إشكال في فهم آية، فقال ﷺ: «وقد مكثت زمناً طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم».

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب/ ٤

فانظر - أيها المبارك - بركة التدبر والتأمل، وكلما ازداد علم الإنسان، تفتحت له أنواع وكنوز من علوم هذا الكتاب العظيم.

(١٥) إن من أعظم المهام التي تتولاها المرأة: الأمومة، وقد رعى القرآن حقّ هذه القائدة الأم؛ فكرر ذكرها في سورِها المكية والمدنية، وتدبر جيداً حديثه عن حملها ورضاعها ووهنها وشفقتها، والأمر ببرها ورعايتها، وتأمل كيف جسّد القرآن البرّ الحقيقي بها، من غير ربط لذلك بيوم في العام، فالأم في نفوس أهل القرآن ملء السمع والبصر.

أ.د. إبتسام الجابري

(١٦) من يظهر الغش في ثوب النصيحة والإصلاح يفضحه الله، وهم أربعة أصناف ورد تعيينهم في القرآن، وهم: محرّفو الكتاب (البقرة: ٨٥)، ومانعو الذكر في المساجد (البقرة: ١١٤)، والمفسدون في الأرض (المائدة: ٣٣)، والمجادل الجهول المحادد لله (براءة: ٦٣) - (الحج: ٦).

د. خالد المزيني

(١٧) تدبر مصارع الأمم في كتاب الله، تجد أن الله لم يهلك أمة إلا وهي في حال قوتها وجبروتها! أهلك الله عادًا وهي ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، حتى قالوا: من أشد منّا قوة. وأهلك ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، فنحتوا الجبال وبنوا المصانع. وأهلك فرعون ذا الأوتاد الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وأراد صرحًا يبلغ به السماء؛ وكل هؤلاء دمرهم الله في قمة قوتهم وجبروتهم.

د. سفر الحوالي

(١٨) من أعظم الغبن أن يخبرنا الله في كتابه بأن جنته - التي أعدها لعباده المتقين - عرضها السماوات والأرض، ثم لا يجد أحدنا فيها موضع قدم!

صالح المغامسي

(١٩) عصا موسى كانت سببًا لإسلام السحرة، وسببًا لفلق البحر والنجاة من فرعون، وسببًا لتفجير الماء من الصخرة. وقميص يوسف كان سببًا لكشف كذب إخوة يوسف عند يعقوب، وسببًا لنجاة يوسف من افتراء امرأة العزيز، وسببًا لرد بصر يعقوب. اعتصم بالله تعالى وسيكفيك سبحانه من حيث لا تحتسب.

د. عبد المحسن المطيري

(٢٠) من مواضع العبرة في موضوع (الوقت):

حديث القرآن عن ندم الكفار يوم القيامة، وطلبهم المهلة والرجعة من جديد؛ ليعملوا!

إن (المهلة والرجعة) تعني مزيدًا من الوقت!

فهل نتذكر أمثال هذه المعاني ونحن نستقبل عامًا هجريًا مضى سابقه كأنه أيام؟!

د. عمر المقبل

(٢١) تأمل هذه الآيات: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا﴾ (النمل: ٩٢)، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)، ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ونحوها من الآيات التي تشير إلى ضرورة الدعوة بالقرآن، وأنه أبلغ وأنفع ما توعظ به القلوب وتتأثر به - كما هو مشاهد -، وهي تشير - أيضًا - إلى أن البلاغ والوعظ بكلام الله من أعظم ما يُطلب من الرسول ﷺ وأتباعه.

فهد العيبان

(٢٢) ورد ذكر القلب في القرآن أكثر من (١٣٠ مرة)، وأضيف إليه أكثر من (٣٦ عملًا ووصفًا)، وكل ذلك دال على عظيم محله، وأنه ملك الجوارح، وأعمال القلب هي الأصل، ومع ذلك نرى إهمال العباد لقلوبهم فلا يذكرونها، ولا يتعلمون حق الله فيها، وينشغلون عنها بأعمال الجوارح.

د. محمد الخضير

(٢٣) كثيرًا ما تختتم الآيات بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وفي ذلك دعوة للعلم الذي يبعث على العمل، وهذا يبيّن أهمية العلم بفصائل الأعمال، وأنه أعظم دافع للعمل والامتثال، وهو منبهج قرآني عظيم.
د. محمد الربيعة

(٢٤) تأمل في استسقاء موسى لقومه، ودعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن والرزق، وعلاج عيسى للأكمه والأبرص؛ ألا يدلّك هذا أن على الدعاة وطلبة العلم أن يحرصوا على إصلاح دنيا الناس مع حرصهم على دينهم؟ ففيها معاشهم وقوام عبادتهم، وهذا داغ إلى خلطتهم أيضًا.
د. محمد السيد

(٢٥) تأمل.. جبل عظيم، شاق، لو نزل عليه القرآن لخشع، بل تشقق وتصدع، وقلبك هذا، الذي هو في حجمه كقطعة صغيرة من هذا الجبل، كم سمع القرآن وقرأه؟ ومع ذلك لم يخشع ولم يتأثر! والسرف في ذلك كلمة واحدة: إنه لم يتدبر.

أ.د. ناصر العمر

(٢٦) الأزمت والشدائد من أخصب ميادين تخريج القادة والعظماء والمصلحين. تأمل في المعاناة التي مرّ بها يوسف ﷺ قبل أن يصبح عزيز مصر، والشدائد التي عانى منها موسى ﷺ قبل بعثه لأعظم طاغية من البشر؛ بل تدبر سورة الضحى لتعلم من هو محمد ﷺ.
أ.د. ناصر العمر

(٢٧) خيانة الدين أعظم من خيانة العرض - مع قبحة ونفور الناس منه -؛ لذا جعل الله من امرأتى نوح ولوط ﷺ مثلاً للكافرين إلى يوم القيامة، فما بال بعض نساء المسلمين أصبحن رمزاً ومثلاً في خيانة أمتهم، ومجتمعهم، ووعوناً لأعدائهم؟

أ.د. ناصر العمر

(٢٨) ورد الصوم في القرآن كفارة لعدد من الذنوب العظيمة، وعند التأمل تجد أن من أبرز أسباب وقوعها ضعف الإرادة، والصوم من أعظم وسائل تقويتها وتوجيهها، فهل نستثمر هذه الشعيرة لتهديب هذه الملكة وبنائها ابتداءً قبل أن يكون الصوم كفارة وجزاءً؟

أ.د. ناصر العمر

(٢٩) يتعامل القرآن مع النفس البشرية حسب طبيعتها وميولها لا بما ينتظر منها أن تفعله فيعالج الخلل في ذلك؛ لذا تجد الأمر ببر الوالدين والوصية بهما في مواضع عدة، بينما لم يوص بالأولاد إلا في قسمة الميراث أو عرّضًا - كما في الحديث عن الأيتام -، مع أن فضل الوالدين على الأبناء كان يتوقع أن يكون دافعاً للبر بهما دون وصية، بخلاف الأولاد الذين لا فضل لهم على آبائهم، لكن واقع أكثر الناس بخلاف ذلك.. فتأمل.

أ.د. ناصر العمر

من أخبار المتدبرين

(١) كان عمر رضي الله عنه يمر بالآية في ورده، فتخنقه، فيبكي حتى يلزم بيته، فيعوده الناس يحسبونه مريضاً.

مصنف ابن أبي شيبة ٩٥/٧

(٢) وصفت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حال الصحابة مع القرآن فقالت: «كانوا - كما نعتهم الله تعالى - تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم».

تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٤٩/١٠

(٣) قيل لعيسى بن وردان رضي الله عنه: ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى، ثم قال: أشتهي أن ينفرج لي عن صدري، فأنظر إلى قلبي ماذا صنع القرآن فيه وما نكأ؟

المتمين لابن أبي الدنيا ٤٩

فتأمل - يا مؤمن - كيف كان السلف يعتنون بالتفتيش عن أثر القرآن في قلوبهم، وقارنه بالواقع!

(٤) استقراء إمام: سأل رجل الإمام مالكاً رضي الله عنه: حلفت أن شرَّ ما يدخل جوف الإنسان هو الخمر. فأجابه الإمام بعد يومين: تصفحت كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلم أر شيئاً أشرَّ من الربا.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٦٤/٣

(٥) قيل ليوسف بن أسباط رضي الله عنه: بأي شيء تدعو إذا ختمت القرآن؟ فقال: أستغفر الله؛ لأني إذا ختمته ثم تذكرت ما فيه من الأعمال خشيت المقت، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح.

إحياء علوم الدين للغزالي ٥٥/٢

(٦) ما سر العبرة التي خنقت إمام أهل السنة أحمد ابن حنبل؟

قال المروزي رضي الله عنه: سمعت أبا عبد الله يقول لرجل: اقعد اقرأ. فجننته أنا بالمصحف، فقعد فقرأ عليه، فكان يمر بالآية فيقف أبو عبد الله فيقول له: ما تفسيرها؟ فيقول: لا أدري. فيفسرها لنا، وربما خنقته العبرة فيردها.

بدائع الفوائد لابن القيم ١٦٧/٤

(٧) كان أبو العباس بن عطاء رضي الله عنه يختم القرآن كثيراً، إلا أنه جعل له ختمة يستنبط منها معاني

القرآن، فبقي بضع عشرة سنة، فمات قبل أن يختمها.

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٢/١٠

٨) الاستفادة من منهج القرآن في تربية الناس: لما تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال له ابنه عبد الملك: «ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق». قال له عمر: «لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة».

الشاطبي، الموافقات - ١٤٨/٢

٩) تقول عائشة برجت هوني - امرأة إنجليزية - وهي تصف قصة إسلامها: «لن أستطيع - مهما حاولت - أن أصف الأثر الطيب الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنني من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام». قالوا عن الإسلام للدكتور عماد خليل / ٨٨

(١٠) يقين.. وليس تعطيلاً للأسباب:

أعرف امرأة مسنة آلمتها حصوات في جسمها جعلت الطبيب يقرر إجراء عملية لإزالتها، فرفضت المرأة، وبعد مدة راجعت الطبيب فتبيّن بعد الكشف عليها أن الحصوات زالت، فسألها الطبيب متعجباً؟ فقالت: قرأت عليها القرآن الذي لو قرئ على جبل لصدعه، ألا يصدع حصوات صغيرة في جسي؟!

د. عبد الكريم الخضير

(١١) كانت بداية رحلتي مع القرآن من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ۗ﴾ الآية (البقرة: ٣٠)، فقد رسمت لي منهجاً لا يحتاج إلى تفاصيل كثيرة، وجعلتني لا أكره شيئاً من مخلوقاته أكثر من إبليس، وجعلتني أبحث عن صفات الله تعالى بتمنُّن لأحسن الخلافة في الأرض.

متدبّر

(١٢) ذكرت صيدلية نصرانية أنّ من أسباب إسلامها هو سماعها قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ﴾ (المائدة: ١٧)، وتقول: لا أستطيع وصف شعوري

حينها، فكل حياتي الماضية هُدمت أمامي؛ لأنها حياةٌ كُفِر، وهنا أعلنت إسلامي.

صحيفة اليوم الإلكترونية

(١٣) لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَاوَدُّهَا﴾ (مريم: ٧١)، ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فبكى أهل بيته لبكائه، فلما انقطعت عبرته قال: يا أهلاه! ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري! ولكن رأيناك بكيت فبكينا! قال: لقد أنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبئني فيها ربي أنني وارد النار، ولم ينبئني أنني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني.

الزهد لابن المبارك/ ١٠٤

(١٤) خرج عمر رضي الله عنه يعس المدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يسمع قراءته، فقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (الطور: ١-٧)، قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره، فاستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهراً يعودُه الناس لا يدرون ما مرضه.

الرقعة والبكاء لابن قدامة (١٦٦)

(١٥) ناظر أحد العلماء يهودياً شهراً كاملاً، فأبى أن يُدعن، فجاء اليهودي يوماً وقت الصباح وكان ذلك العالم مشتغلاً بتلاوة القرآن، فلما دخل الباب وسمع القرآن أثر في قلبه تأثيراً بليغاً، فأعلن اليهودي إسلامه، فسأله ذلك العالم عن السبب؟ فقال: لما وصلت إلى الباب سمعت منك القرآن - رغم قبح صوتك -، فأثري تأثيراً بليغاً؛ فعلمتُ أنه وحي.

إظهار الحق (٥٤/٢)

كلمات متفرقة

(١) ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وماتت الخواطر، ومع الحاجة: تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية: يقع العجز والبلادة. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن/ ٥٨

(٢) من أصول التدبر: «أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبيينا محمد ﷺ لمعاني كلام العرب موافقةً، وظاهره لظاهر كلامها ملائماً».

ابن جرير، جامع البيان - ١٢/١

(٣) وقد أعلم الله تعالى خلقه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم؛ فإنه يربحه

الربح الذي لا بعده ربح، ويعرّفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق حملة القرآن/ ٢

٤) من القضايا المسلّمة أنه مهما تأنق الإنسان في تحبير العبارات -وهو يوضح معاني كلام الله-، فما هو إلا كالشرح لشذرة من معانيه الظاهرة، وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة؛ إذ لا قدرة لأحد على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب، وما تضمنه من لب اللباب.

جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل - ٥/١

٥) آفاق زمنية واسعة للمتدبر:

«من معجزات القرآن الكريم: أنه يدّخر في الألفاظ المعروفة في كل زمن حقائق غير معروفة لكل زمن؛ فيجلبها لوقتها».

مصطفى الرافي، وحي القلم - ٦٥/٢

٦) دعوة للتدبُّر من عالم مجرّب:

فالآية من كتاب الله، والأثر من حديث رسول الله ﷺ، تجد فيه من أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة في لفظ بيّن وكلام بيّن؛ ما فيه الكفاية وفوق الكفاية، لمن أوتي العلم ومُنح التوفيق.

ابن باديس، تفسير ابن باديس/ ٦١

٧) تجربة عالم: قلوبنا معرّضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة؛ هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلى تجديد تلاوته، وتدبره، أكيدة جدًّا؛ لتقوية قلوبنا باليقين، وبالعلم، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل.

ابن باديس، آثار ابن باديس - ٤١٧/١

٨) القرآن هو الذي بلغ بصدر هذه الأمة تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع موازين القسط؛ فلزم كل واحد قدره، وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صير به كل فرد مطمئنًا إلى مكانه من المجموع، واقفًا عند حدوده، فلا المرأة تخشى ظلم الرجل، ولا العبد يخاف من جور سيده.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي - ٩٥/٤

٩) القرآن يعطيك بمقدار ما تعطيه، ويتفتح عليك في كل مرة بإشراقات وإيجاعات بقدر ما تفتح له نفسك، ويبدو لك في كل مرة جديدًا كأنك تتلقاه اللحظة.

سيد قطب، في ظلال القرآن - ٢٠٣٩/٤

١٠) إياك - يا أخي - ثم إياك أن يزهديك في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة

المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل الكيس الحكيم لا يكثرث بانتقاد المجانين.
الشنقيطي، أضواء البيان - ٥/١

(١١) ما أحسن وقع القرآن وبّل نداءه على القلوب التي ما تحجّرت ولا غلب عليها الأشر والبطر والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد! هو والله نهر الحياة المتدفق على قلوب القابلين له، والمؤمنين به، يغذيها بالإيمان والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفن والفساد، ويحملها على كل خير وفضيلة.
الشيخ صالح البلبيهي، الهدى والبيان في أسماء القرآن/ ١٢

(١٢) تجد القرآن الكريم عندما يقصُّ أخبار الماضين فإنما ينفخ فيها روح الحياة، فإذا هي حية تسعى، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحققين والمبطلين.. إن قصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن/ ١٠٠

(١٣) تأمل كيف تكون قوة الصلة بالقرآن!

في محاضرة واحدة فقط استدل الشيخ ابن باز رحمته الله فيها بأكثر من مائة آية.

عن تلميذ الشيخ: د. عمر العيد

(١٤) لو رأيتم رجلاً يقرأ جريدة من أولها إلى آخرها ثم لما فرغ سألتموه: ما أخبارها؟ قال: لا أدري! لم أحاول أن أتفهم معناها! فما تقولون فيه؟ أما تنكرون عليه؟ فكيف لا تنكرون على من يعكف على المصحف حتى يتم الختمة وقد خرج منها بمثل ما دخل فيها ما فهم من معانيها شيئاً؟ من أين جاءت هذه المصيبة؟ وكيف حرم المسلمون من قرآنهم وهو بين أيديهم وملء أنظارهم وأسماعهم؟

الشيخ علي الطنطاوي

(١٥) هل يوجد شيء أهم في حياة الأمة من القرآن حتى نقدمه عليه؟ كلا! فيجب أن يصبح القرآن هو الأساس في التعليم وبناء الشخصية، هذه نصيحة لله، وحقيقة نعلنها ونسرّها، هذا عين الحق الذي يجب أن يتبع.. والطريق: هو أن يتجه الجميع نحو قبلة واحدة؛ هي التركيز على القرآن والوحي جملة، فالإدلاج الإدلاج.. وعند الصباح يحمد القوم السرى.

د. الشاهد البوشخي

(١٦) سأقرأ القرآن باحثاً عن دهشة الحياة.. عن الخلوص من وساوس الغواية. سأفهم القرآن للبناء وال عمران، ولن أراه فكرة عديمة، أو تحفة قديمة.. سأقرأ القرآن باليقين.. بالشفوف.. بالتسليم والإذعان. لن أقرأ القرآن للنكوص أو لأجل لقمة حقيرة. لن ألوي الحروف عامداً، لن أقرأه بغية

د. خالد المزيبي. صرف الوجوه، أو لأطعن الخصوم.
 (١٧) أجريت دراسة سلوكية على (١٨٥ سجينًا) ممن حفظ القرآن داخل السجن، واستفادوا من العفو المشروط بالحفظ، على أنه لم يعد منهم أحد إلى سابق عهده، وأن نسبة العودة: (٠٪).

د. سليمان الصغير، كتاب عظمة القرآن

(١٨) ربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة: فقد درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والأنظمة المحكمة، والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات، هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه.

المستشرق الألماني د. شومبس، بالقرآن أسلم هؤلاء لعبدالعزیز الغزاوي

(١٩) كان جدي لأبي أميًّا، لكن توجيهاته لنا كانت بمثابة دروس تربية عظيمة، ففي أحد اجتماعاته بنا قال: إنكم مسؤولون أمام الله ﷻ عن كل حرف تتعلمونه، فخذوا مني هذه النصيحة: «إذا أردتم أن تكونوا أقوياء في مواجهة الحياة ومصاعبها؛ فما عليكم إلا أن تكونوا أصحاب علاقة وثيقة مع القرآن الكريم، وأن تكون علاقتكم بالقرآن علاقة التدبر والتأمل، وليست علاقة التلاوة والحفظ فقط» فكان لهذه النصيحة الأثر الكبير في نجاحي وبناء ذاتي، وبلوغ آمالي وطموحاتي.

د. عبدالرحمن العشماوي

(٢٠) سألت أحد الشباب -الذين منّ الله عليهم بحفظ القرآن، والعيش معه، كما أحسبه- فقلت له: أنت في بيئة عُرف عنها النزاعات والخلافات والتفرق، فكيف نجوت من ذلك؟ فقال: لا أعرف سببًا أعزو الأمر إليه إلا الإقبال على القرآن؛ فقد رباني على حفظ اللسان، والإعراض عما لا ينفعني في الآخرة. فأعجبني هذا منه، فاللهم أكثر من أمثاله.

عبدالرحمن العقل

(٢١) ما أعظم أثر التدبر! أحد العلمانيين وباقتراح من أحد العلماء يقرأ القرآن قراءة تدبرية في ظرف أسبوع؛ فيقرر بعدها التراجع عما كان يحمله من أفكار منحرفة! إنه أسلوب عظيم يمكن سلوكه مع كل من يحمل فكرًا منحرفًا، أليس الله يصفه بأنه هدى وشفاء؟

عبدالله بن منيع، مقالة: (الذهب ذهب وإن علاه الصدأ)، جريدة الرياض عدد ١٥٤١٥ (بتصرف)

٢٢) كم هو مبهج ما يرى من غضب إسلامي تجاه قضية حرق المصحف من قبل بعض النصارى!

إلا أنه من المهم -أيضاً- أن نفتش عن غيرتنا على احتراق بعض مقاصده في قلوبنا:

كم بذلنا من وقت لتعلمه وفهمه!؟

كم تدبرناه!؟

كم طبقنا أوامرهم!؟

كم انتهينا عما نهانا عنه!؟

كم علمناه أهلنا!؟

كم دعونا الناس به وإليه!؟

د.عبدالمحسن الأحمد

٢٣) كلمة عالم عاش مع القرآن:

هذا الكتاب المبارك انتقل بالإنسان من حدود الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة ونعيمها، فجعل من سعي الآخرة براً بالدنيا، ومن العمل الصالح في الدنيا نعيماً في الآخرة؛ فلم يعد الإنسان -بفقه القرآن- حبيس غم وهم على فوات دنياه.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن ٣٣٥

٢٤) فائدة: من تأمل موضوعات القرآن وطريقة عرضها، ثم نظر في نفائس أشعار العرب -كالمعلقات التي لا تعدو أن تكون تجارب شخصية للشاعر، كالفخر بالذات أو القبيلة-؛ تبين له شيء مما أحدثه القرآن من تغيير في نفوس العرب.

د. مساعد الطيار

٢٥) تأمل في هذا النموذج التطبيقي في حياة ابن عباس ؓ حين قال: «إني لأسمع الحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعله لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلدة من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها سائمة ولا راعية، وإني لآتي على آية في كتاب الله، فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم»^(١).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٢٤).

إنه حب الخير للناس، وسلامة الصدر لهم، والنصح كل النصح للخليفة.
 (٢٦) أعظم الرسائل التي تبلغ للحجاج: أقام ابن عباس رضي الله عنه للناس الحج في بعض السنين، فخطب بهم في عرفات خطبة، وفسر فيها سورة البقرة - وفي رواية سورة النور - قال من سمعه: فسر ذلك تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا!

ابن كثير، البداية والنهاية ٢٩٩/٨

(٢٧) لمن قسا قلبه.. إليك دواءً قرآنياً:

تدبر قصص القرآن، فإن ممن خوطب بهذه القصص: قلوب كانت قاسية، غافلة عن تدبره، «فكُوثِرَت بالوعظ والتذكير، وروّجت بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح أذنًا، أو يشق ذهنًا، أو يسهل عقلًا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهمًا قد غطى عليه تراكم الصدأ».

الخطيب الشربيني، السراج المنير ٣٣/٣

تدبرات من المتابعين والمشاركين بجوال تدبر

- ١) من ثمار المجاهدة: حاولت أن أتدبّر فأخذت تفسير السعدي، وبدأت أرتل وأكرّر وأفهم؛ فأحسست بانفتاح وراحة عجيبة، ثم صليت الضحى، وبدأت أتأمل في الآيات والأدعية، ولو أقسمت ما حنثت: أني لا أذكر صلاة صليتها أسكن وألذ منها، فكيف أضعنا تلك الفرص العظيمة؟
- ٢) ما تلذذت بوقت مثلما تلذذت بجلسة الفجر مع القرآن إلى الشروق، يشرق القلب فيها بنور القرآن، وإنها والله لتذهب سريعًا مع تدبر كلام الله، يخرج بعدها القارئ المتدبر بسرور لا يعادله سرور، وهمة جديدة في يوم جديد.
- ٣) كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا يربي فيه نبينا ﷺ أصحابه بالقرآن: تلاوة وتدبرًا، فهل يكون رمضان فرصة لنا لنعمر بيوتنا بأمثال تلك المجالس التي يترى فيها أهل البيت على معاني القرآن وهداياته؟ ولعل هذا المجلس القرآني - إذا استمر - من خير ما يبقى في ذاكرة أهل البيت لوليهم الذي غرس فيهم حب أشرف المجالس.
- ٤) يقول أحد أعضاء أسرة تدبر (أستاذ جامعي): زرت والدي (قراءة ٧٠ سنة) في المستشفى فسألته عن نومه؟ فقال: نمت بحمد الله، وأنا أفرح إذا طار عني النوم! فقلت: لم؟ فقال: لأعيش مع كلام ربي! فقلت: كم تقرأ؟ قال: سبعة أجزاء! يقول هذا الأستاذ: وأنا لا أعرف عن قراءة والدي إلا التدبر والسؤال، والتكرار، والوقوف الطويل عند الآيات.

٥) «إني أحب أن أسمع من غيري»^(١) هكذا قال النبي ﷺ حين سمع قراءة ابن مسعود ؓ، وذرفت عيناه من التأثر، وهذا مفتاح من مفاتيح التدبر، فانظر من ترتاح له في الأشرطة أو في صلاة التراويح، فاسمع له بتدبر؛ فلعلك ترزق دمعات تنجيك من النار.

٦) من مفاتيح التدبر: التأني في القراءة؛ فقد روى الترمذي وصححه أن أم سلمة ؓ نعتت قراءة النبي ﷺ؛ فإذا هي قراءة مفسرة حرفاً حرفاً^(٢)، وهذا كقول أنس - كما في البخاري -: كانت قراءة النبي ﷺ مدّاً^(٣). وقال ابن أبي مليكة: «سافرت مع ابن عباس ؓ، فكان يقوم نصف الليل، فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً، ثم يبكي حتى تسمع له نשיجاً»^(٤).

٧) تجد اقتراحاً لذكر آيات الجهاد مع آيات الحج، تكرر هذا في سورة البقرة والتوبة والحج، ولعل من مناسبة ذلك: أن الحج نوع جهاد، بل هو جهاد كل ضعيف وامرأة.

٨) رأى أحد طلبة العلم رجلاً من الأتراك - لا يحسن العربية - ولكنه إذا قرأ القرآن يبكي، فسأله: كيف تبكي وأنت لا تعرف معنى ما تقرأ؟ فقال له - عن طريق المترجم -: إنه كلام الله، ولكن أنتم عرب، فلماذا لا تبكون؟!

٩) قد يتعجب بعضهم ويتساءل: لماذا لا ينتقم الله لأوليائه الذين يعذبون ويقتلون بأيدي أعدائه في هذه الدنيا؟! والجواب: أن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار جزاء لأوليائه، فقد يدركون انتقام الله لهم، وقد لا يدركه إلا من يأتي بعدهم، والنصر الحقيقي هو انتصار المبادئ، ولو فنيت الأبدان، ومن تدبر قصة تحريق أصحاب الأخدود - الموحدين - تبين له الجواب جلياً.

١٠) تجربة مثمرة: يقول أحد أئمة المساجد: أردت أن أجرب طريقة مع جماعة مسجدي في ربط الناس بكتاب ربهم، فبدأت أقرأ من كتاب «ليدبروا آياته» بعد صلاة العصر، بحيث أقتصر على فائدتين كل يوم. يقول هذا الإمام: وجدت لذلك أثراً عظيماً على جماعة المسجد، فجزاكم الله خيراً.

١١) من بركات رمضان على أهل القرآن:

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٩)، ومسلم ح (٨٠٠)، وأبو داود (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، والنسائي (١٠٢٢).

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٦).

(٤) مختصر قيام الليل للمروزي ١٣١.

١- صنف الحافظ السيوطي النصف الأول من «الجلالين» في ٤٠ يومًا، بدأت في ١ رمضان ٨٧٠هـ، وانتهت في ١٠ شوال ٨٧٠هـ.

٢- وصنف العلامة السعدي كتابه «القواعد الحسان» في ١ رمضان ١٣٦٥هـ وختمه في ٦ شوال من العام نفسه.

فكم هو حسن أن ندون ما يمر بنا من تأملات، ثم نعرضها بعد ذلك على من نثق به في علمه قبل نشره.

١٢) نشر أحد المواقع الإلكترونية خبرًا مفاده: أن فليينياً أشهر إسلامه بعد أن (تدبر معاني القرآن) في أحد كتب الترجمة، عثر عليه مصادفة داخل سكن أحد أصدقائه في مدينة الرياض. تعليق: اهتدى هذا الأخ بسبب تدبر المعاني، فكيف بمن يمن الله عليه بذوق معاني الألفاظ؟ ومعرفة المعاني بدون ترجمة!؟

١٣) بعد رحلة طويلة مع العلمانية، قال عن نفسه في «تويتر»: (صاحب تجربة لا دينية، عاد إلى الإسلام عن قناعة حقيقية)، ثم قال في أحد تغريداته: «كل سؤال أو شبهة في بالي وجدت الإجابة عليها في القرآن، وكأن كل آية تعيني، وكل حجة عندي إلا رد القرآن عليها بحجة أقوى وأبين» (انتهى).

تعليق: هذا الأخ استعمل مفتاحاً مهمًا (وكان كل آية تعيني) + التدبر العميق.. (كل حجة عندي إلخ) فاللهم ثبته واهد ضال المسلمين.

١٤) الله يخاطبك! فما دمت تتلو القرآن بهذا الشعور، وأن كل آية فيه إنما هي رسالة من الله إليك، فسيكون شعورك مختلفًا تمامًا. قال الحسن البصري رضي الله عنه: «إن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»^(١).

وإذا كانت الرسالة من الله، أليست جديرة بالتعظيم والإجلال؟

١٥) استعن على فهم ما يشكل عليك بقراءة بعض الكتب المعينة في هذا، ومنها: التفسير الميسر (ط. مجمع الملك فهد)، أو كتاب د. الأشقر (زبدة التفسير)، أو ما تيسر من التفاسير الموثوقة كتفسير السعدي، رحمهم الله جميعًا.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٣٩).

١٦) تجنب ذنوب النظر، والكلام، والسماع، وذنوب القلب؛ فإن لهذه تأثيراً في عدم اكتمال التأثير بالقرآن، فالذنوب من الحجب عن التدبر، وتزداد كلما عظمت الذنوب. وقبل هذا وبعده: عليك بالدعاء والانطراح بين يدي مولاك بأن يفتح الله قلبك لفهم كتابه والعيش معه.

١٧) كنت متأثراً ببعض الذين سلكوا منهج ما يسمى بـ(التنوير)؛ لأني كنت أرى فيهم استقلالاً فكرياً وشرعياً! فلما تدبرت كتاب الله بتجرد، وتأمّلت في واقعهم وتفكيرهم، استبان لي ميلهم عن المنهج الصحيح، رأيت فيهم تميّعاً لأحكام الدين، وتنازلاً بسبب ضغط الواقع، فرجعت للمنهج الحق، هدانا الله وإياهم للحق.







١) يؤخذ من سورة الفاتحة إيجاز المقدمة مع بلاغتها؛ لثلاث تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود، وهذا سنة للخطباء ألا يطيلوا المقدمة فينسبوا إلى العي؛ فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥٣/١

٢) ما أحسنها من تربية يربينا بها ربنا، لما أثبت في سورة الفاتحة أن الحمد كله له؛ علل ذلك بأنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾! وبهذا تطمئن القلوب، وتنقاد النفوس، ويزداد إقبالها على ما أمرت به.

د. محمد الخضيري

٣) مبنى الفاتحة على العبودية؛ فإن العبودية إما محبة، أو رجاء، أو خوف، و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ محبة، و ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رجاء، و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ خوف، وهذه هي أصول العبادة، فرحم الله عبداً استشعرها، وأثرت في قلبه، وحياته.

٤) كثيراً ما يستعجل الإمام أو يغفل المأموم عن تدبر سورة الفاتحة، خاصة مع تكررها في مثل التراويح، طلباً لتدبر ما بعدها من تلاوة وربما لتدبر قنوت مع أنّ الفاتحة أولى السور بالتدبر؛ لأنها أعظم سورة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر)، والفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم.

باسل الرشود

٥) من أحسن ما يفتح لك باب فهم الفاتحة قوله تعالى - في الحديث القدسي -: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ قال الله تعالى: ﴿قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ ﴿٣﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ قال: حمدني عبدي - وقال مرة فوض إلي عبدي- فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل»^(١). فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله، ووصف للعبد، وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه ضمن إجابة هذا الدعاء - إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب-؛ تبين له ما أضاع أكثر الناس.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة ص ٨

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾

١) الحمد هو المدح المقرون بالمحبة التامة والتعظيم التام، وهذا مناسب جداً للوصف الذي جاء بعد الحمد: (رب العالمين = الربوبية)، فإذا كان الله هو من ربّي العبد وجب عليه أن يحبّه، وإذا كان هو القادر على ذلك وجب عليه تعظيمه.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١٣٢/٣ (بتصرف)

٢) لو لم يكن لهذا القرآن من وظيفة إلا أنه أتاح لنا أن نشكر الله ونحمده بكمال حمده وشكرانه؛ لكفى به نعمة عظمى على العالمين، ف﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

٣) وصف الله تعالى نفسه بعد قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأنه ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾؛ لأنه لما كان في اتصافه ب﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ترهيب؛ قرنه ب﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ لما تضمنه من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١

(١) مسلم ح (٣٩٥).

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢)

قال أهل العلم: هذان الاسمان يفتحان - لمن عقل - أوسع أبواب المحبة لله، والرجاء فيه، وتنوع الاسمين - مع أن المصدر واحد وهو الرحمة - دليل سعتها، وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي»^(١).

صالح آل الشيخ

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤)

(١) تأمل كيف تضمّنت هذه الآية:

- ١- إثبات المعاد.
- ٢- جزاء العباد بأعمالهم - حسنها وسيئها.
- ٣- تفرّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق.
- ٤- كون حكمه تعالى بالعدل.

ابن القيم، مدارج السالكين ٧/١

(٢) إنما قال ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ ولم يقل مالك الدين؛ لتعريفنا بأن للدين يوماً ممتازاً عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يلقي فيه كل عامل عمله ويوفي جزاءه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٤/٦١

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)

(١) تدبر عملي: يقول مزاحم بن زفر رضي الله عنه: «صلى بنا سفيان الثوري رضي الله عنه المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فبكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾».

حلية الأولياء ١٧/٧

كم في الفاتحة ما يبكي، ولكن إلى الله المشتكى من قسوة القلوب!

(٢) قال محمد بن عوف الحمصي: «رأيت أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه قام يصلي العشاء، فاستفتح بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يرددّها إلى الصبح».

سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٧

(١) البخاري ح (٧٤٠٥).

٣) قال ابن تيمية رحمه الله: «تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته تعالى، ثم رأيت في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

مدارج السالكين ٧٣/١

٤) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الغاية، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الوسيلة، فلن تستطيع أن تعبد الله إلا بالله، فالبداية من الله والنهاية إلى الله، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

العبودية لابن تيمية، ص ٩٧ (بتصرف)

٥) ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك، فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا.

ابن تيمية، الزهد والورع، ٨٣

٦) وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعُجب؛ فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٧

٧) قدم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لأن العبادة قسم الرب، وحقه، والاستعانة مراد العبد، ومن الطبيعي أن يقدم العبد ما يستوجب رضا الرب ويستدعي إجابته قبل أن يطلب منه شيئاً، وهو هنا التذلل لله والخضوع بين يديه بالعبادة؛ فكان القيام بالعبادة مظنة استجابة طلب الاستعانة.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/٧٦ (بتصرف)

٨) قال ابن القيم رحمه الله في «المدارج»: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاذه، وعلى تكميله وتيسير أسبابه. وقد ذكر في موضع آخر أن قوله رحمه الله: «اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١) من أجمع الدعاء.

مدارج السالكين ١/١٠٠

(١) رواه أبو داود ح (١٥٢٢).

٩) القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد، وهما: الرياء، والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودواء الكبر بـ ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله، ونقل عن شيخه ابن تيمية رحمه الله أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء.

يقول ابن القيم رحمه الله: «إذا عوفي من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبر والعجب بـ ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه ورفل في أبواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم أهل فساد القلب، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، و﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، وحُق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض»:

مدارج السالكين ١/٥٤ (بتصرف)

١٠) العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدرات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله تعالى، فمن حَقَّق الاستعانة عليه في ذلك كلّه، أعانه.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/٧٣

١١) قد يسأل بعضنا عن وجه ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؟

والجواب: أن ذلك لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى؛ فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريد من فعل الأوامر واجتناب النواهي:

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩ (بتصرف)

١٢) كل نقض لصفاء الإخلاص؛ إنما هو نقض لعهد الله، وخيانة له جل علاه، كيف لا؟ وها أنت ذا تقطعه شهادة على نفسك صباح مساء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، ثم تنصرف خلفها إلى سواه! فمن يقيقك بعد ذلك من عذاب الله؟

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، ص ١٣٨

١٣) صليت خلف الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله كثيراً، فما أذكر أنه استقامت له قراءة الفاتحة بدون بكاء، خصوصاً عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

د. عبدالعزیز العويد

١٤) لن يبلغ العبد مراتب التوفيق والفضل بمجرد الرغبة، بل لا بد من الاستعانة به، والافتقار إليه، وسؤاله الفتح على القلب واللسان بألوان العبودية القلبية والبدنية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

متدبر

١٥) الاستعانة فرع عن العبادة، ولكن لأهميتها أفردت لذاتها؛ فكانت مسلماً خاصاً إلى توحيد الله وإفراده رغباً ورهباً، فلا استقامة على العبادة -ابتداء- إلا بالاستعانة بالله، ولا ثبات على العبادة -انتهاء- إلا بالله.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

١) من أدب الدعاء أن يكون ذلك بعد الشناء، وفي قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ ثناء، وهذا مناسب أن يكون قبل الدعاء: ﴿أَهْدِنَا﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٣٦/١

٢) أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته، وترك معصيته، فلم يصبه شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ابن تيمية، الحسنة والسيئة ص ٨٣

٣) الصراط المستقيم: هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب، وغير ذلك.. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة؛ فإنما يقوم في القلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم في الظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١

٤) قد يسأل المسلم عن وجه هذا الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، مع أن الله قد هدانا إلى الإسلام، فيقال: بأن الهداية هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف؛ ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب، وتحبيبه إليه وتزينه في قلبه، وجعله مؤثراً له، راضياً به، راغباً فيه، وهي هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لا نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً وإلهامنا له، وجعلنا مرادين لاتباعه ظاهراً وباطناً، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة؛ ومن هنا يعلم اضطراب العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه، أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملمته ولا نهتدي إلى تفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام.

وللهداية مرتبة أخرى، وهي آخر مراتبها، وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط الموصل إليها، فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه؛ هدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار؛ يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط؛ يكون سيره على ذاك الصراط: فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة، جزاءً وفاقاً، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل)، ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلايب التي يجنبتي ذاك الصراط تحطفه وتعوقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦)، فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر.

ابن القيم، مدارج السالكين ١٠/١

٥) هدايات متجددة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من علم حقيقة الهداية وحاجة العبد إليها؛ أدرك أن الذي لم يحصل له منها أضعاف ما حصل له، وأنه كل وقت محتاج إلى هداية متجددة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٣٢/١

٦) دعاء الهدى هو الغاية التي تنتهي إليها سورة الفاتحة، فإذا كانت آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي خلاصتها وروحها، فإن دعاء ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ هو ثمرة تلك الخلاصة، وبشارتها المنزلة على العبد، هدية تملأ قلبه بالأمن والسلام، تحية من الله السلام، وإذناً منه سبحانه بدخول جنات القرآن، فكانت هذه الآيات هي مصب روافد سورة الفاتحة، ومجمع بحورها، وخزائن أسرارها.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ص ١٤٥ وما بعدها

٧) فالصراط المستقيم: إنما هو طريق أهل اليقين وكمال الإيمان، ودونه مفاوز من المجاهدة والمكابدة، فمن تحقق به فقد نال تاج النعم، وكمال الهدى، فأكرم به وأنعم؛ ولذلك وجب السعي إليه في كل صلاة؛ دعاء أبدياً يستغرق العمر كله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، ١٤٣

٨) تأمل كم من الأسرار العظيمة في سورة الفاتحة، وخاصة تحت قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إنها دعوة جماعية للهداية، تُكْرَسُ التفوق على الـ(أنا) التي تحاصر الآخرين بالخطأ وتختص نفسها بالصواب، فهو هتاف جماعي ينشد الهداية، ويتضرع إلى الله بتحصيلها.

د. سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم. مقال: نقطة توازن

٩) حقيقة الصراط المستقيم هو: معرفة الحق والعمل به؛ لأنَّ الله لما ذكره في الفاتحة بيّن من انحرفوا عنه وهم اليهود المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، والنصارى الذين ضلُّوا عن الحق وعملوا بغيره.

د. محمد الخضير

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾

١) وقد يسأل بعضنا عن إضافة الصراط هنا إلى المنعم عليه، ولم يكتف بقوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ قال ابن القيم في الجواب عن ذلك: لما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريداً لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأندس بالرفيق؛ نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦١﴾ (النساء)، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم فلا يكثر بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرًا، وإن كانوا

الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلّة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين».

ابن القيم، مدارج السالكين ٤٥/١-٤٦

٢) وقد يسأل بعضنا عن وجه إضافة النعمة إليه ﴿أَنْمَتَ﴾، وحذف فاعل الغضب ﴿الْمَعْضُوبِ﴾ لم يقل (غضبت)؟

والجواب عن ذلك -والله تعالى أعلم-: يمكن أن يكون باعتبار أن النعمة هي الخير والفضل، كما أن الغضب من باب الانتقام والعدل، ومعلوم أن الرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما، وهذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ، فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يُبنى الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة، حُذف الفاعل وبُني الفعل معها للمفعول، أدبًا في الخطاب، وإضافةً إلى الله أشرف قسَمي أفعاله فمنه هذه الآية.

فإنه ذكر النعمة وأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حَذَفَ الفاعل وبَنِيَ الفعل للمفعول، فقال: ﴿الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال في الإحسان، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين، (١٢/١) بدائع الفوائد: (٢٩/٣، ٣٠٩) (بتصرف)

٣) ﴿صِرَطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فيها إشارة وبشارة للمهتدي أنه ليس وحده على هذا الطريق، وأنه وإن كان غريبًا بين العابثين من البشر؛ فإن طريقه مليء بالصالحين، الذين حازوا أعلى نعمة؛ فليأنس بذلك.

٤) كثير من الناس إذا رأى في التفسير أنّ اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون؛ ظن أنّ ذلك مخصوص بهم، مع أن الله أمر بقراءة الفاتحة كل صلاة، فيا سبحان الله! كيف يأمره الله أن يستعيز من شيء لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله؟ بل يدخل في المغضوب عليهم من لم يعمل بعلمه، وفي الضالين العاملون بلا علم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة ص ٩

٥) في لفظة: ﴿أَنْمَتَ﴾ فوائد:

- ١- أنّ الهداية إلى الصراط المستقيم نعمة من أعظم النعم.
- ٢- أنّ الهداية ليست بعمل العبد؛ بل نعمة من غيره أسديت إليه.
- ٣- أنّ المنعم بالهداية هو الله وحده.
- ٤- وفيه أدب النعمة أن تنسب لمسديها خاصة حال مخاطبته بها.

باسل الرشود

٦) أسباب الخروج عن الصراط المستقيم إما الجهل أو العناد، فالذين خرجوا عنه لعنادهم: المغضوب عليهم، وعلى رأسهم اليهود، والذين خرجوا لجهلهم: كل من لا يعلم الحق وعلى رأسهم النصارى، وهذا بالنسبة لحالم قبل البعثة -أي النصارى- أما بعد البعثة فقد علموا الحق، وخالفوه؛ فصاروا هم واليهود سواء، كلهم مغضوب عليهم.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم ص ٢٣

٧) ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ دال على أن المسلم غير المتحقق بصراط أهل اليقين، وغير المتأسي بهديهم، لا يأمن على نفسه أن تزيع به الشهوات والأهواء؛ فيتردى في جحيم العذاب؛ بما يقع عليه من غضب الله، أو يضيع في متاهات الضلال؛ بما يعبد من هواه! تمامًا كما وقع لليهود من قبل، وكما وقع للنصارى بعدهم.

٨) نمذ الأيدي في كل يوم لتعاهد الله ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهذا يعني أن تكون حياتنا كلها تمتد بين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحتى (أمين)، لا بد للوفاء بالعهد من قلب يطرب أنسًا بسماع ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ويقف إجلالاً مع ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وينكسر راجياً ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ويرتعد خوفاً من سبيل ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، إنه أعظم عهد في أعظم سورة، فهل وعت قلوبنا لوازم ذلك العهد؟

د. عصام العويد

٩) من أعظم ما يذكر به الذين يتساهلون بالتشبه بالكفار: تدبر سورة الفاتحة؛ فإنها تقتلع أصول التشبه من جذوره، لكن المؤسف: أن يسأل المصلي ربه -في كل ركعة- أن يجنبه صراط المغضوب عليهم والضالين، ثم يتشبه بهم! إنه ليعز على الإنسان أن يصعب على هؤلاء التشبه بالنبي ﷺ وصحابته، ويسهل عليهم التشبه بأعداء الله!

د. عمر المقبل

١٠) كثيراً ما ترد في سورة قضية مجملة، ثم تفصل في التي تليها، فذكر في الفاتحة المغضوب عليهم والضالون، وجاء التفصيل في البقرة وآل عمران، وذكرت القرون المكذبة إجمالاً في الأنعام والفرقان ويس، وجاء التفصيل فيما يليهن الأعراف والشعراء والصفات.

د. محمد الخضير

سورة البقرة

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾

(١) لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾﴾، قيل له: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو مطلوبك، وفيه أربك وحاجتك، وهو الصراط المستقيم: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ القائلين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾﴾، والخائفين من حال: المغضوب عليهم والضالين.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن ٨٤

(٢) لما كان القرآن هو أصفى الكلام وأعلاه وأحسنه، احتاج إلى محل صاف وخالص - وهو قلوب المتقين-؛ ولهذا قال الله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ثم ذكر الدليل على تحققه، وهو أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (الآيات)؛ فإن هذه الأعمال ناتجة عن تفاعل القلب بهداية القرآن مع تقوى الإنسان.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٢

(٣) إنما يهتدي من يقبل الاهتداء، وهم المتقون لا كل أحد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٨٨/١٦

(٤) إذا عمر القلب بالتقوى انتفع العبد بالقرآن، مثله كمطر نزل من السماء، فإن وجد أرضاً طيبة، كان الربيع الذي يدهش العقول ويخلب الأبصار، ألم تقرأ في أول القرآن هذه الحقيقة؟ تأمل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ وبهذا يعرف سر عدم انتفاع كثير من الناس بالقرآن!

د. محمد الخضير

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾﴾

اهتم القرآن الكريم بمدح المنفقين والحث على الإنفاق؛ إذ كان من أعظم الوسائل إلى رقي الأمم وسلامتها من كوارث شتى: كالفقر، والجهل، والأمراض المتفشية، فببذل المال تسد حاجات الفقراء، وتشد معاهد التعليم، وتقام وسائل حفظ الصحة، إلى ما يشكل هذا من جلائل الأعمال.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ١٨/١

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

قال ابن القيم رحمه الله: «الله تعالى إذا ذكر (الفلاح) في القرآن، علقه بفعل المفلح».

التبيان في أقسام القرآن ١٥

وليتضح كلامه ﷺ تأمل أوائل سورة البقرة؛ فإن الله تعالى بين أن سبب فلاح أولئك المتقين هو إيمانهم بالغيب، وإقامتهم للصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله... إلى آخر صفاتهم، وعلى هذا فقس، زادك الله فهماً.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

كرر حرف الجر (الباء) مع العطف، وهذا لا يكون إلا للتأكيد، وهذه الآية حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة؛ فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ، فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ٦٧

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

نفى عنهم الشعور - وهو أول مبادئ الإدراك -؛ فبنفي أول مبادئ الإدراك ينتفي كل الإدراك من باب أخرى.

ابن عرفة، تفسيره ١٣٩/١

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، المريض يجد طعم الطعام على خلاف ما هو عليه، فيرى الحامض حلواً، والحلو مرّاً، وكذلك هؤلاء المنافقون يرون الحق باطلاً، والباطل حقاً.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٤٣/١

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

ليس كل من ادعى شيئاً يصدق في دعواه؛ لأن المنافقين قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾؛ وليس كل ما زينته النفس يكون حسناً؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زِين لَّهُ سَوْءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِن لِّلَّهِ يَظُنُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨).

ابن عثيمين، تفسير سورة الفاتحة والبقرة ٤٨/١

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾
 من مظاهر التكبر العقلي: عدم الرضا بما يرضى به بسطاء الناس، ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾،
 ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١٣﴾﴾ (الشعراء)، ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرّأْيِ ﴿١٧﴾﴾ (هود) ثم تبدأ
 صورة أشد من هذه حين يجعل المتكبر انقياده للأمر دليلاً على أنه صحيح، وعدم انقياده للأمر
 دليلاً على أنه خاطئ! ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
 فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (الأحقاف)!

ناصر المدلج

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾
 تأمل كيف قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك؛ لأن
 المؤمنين يشكون في إيمان المنافقين، وقومهم لا يشكون في بقائهم على دينهم؛ لأنه لما بدا من
 إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر، وتطرق به
 التهمة أبواب قلوبهم: احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون على دينهم!

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٨٧/١

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾
 (١) الأمثال المضروبة في القرآن قسمان: قسم يصرح فيه بتسميته مثلاً، كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
 الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقسم لا يصرح فيه باسم المثل: كقوله تعالى: ﴿كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ في ثلاثة
 مواضع من القرآن، وكقول يوسف: ﴿ءَأَرْيَاكَ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٦﴾﴾ (يوسف).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦٥/١٤

(٢) تأمل في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ كيف قال:
 ﴿بِنُورِهِمْ﴾ فجعله واحداً، ولما ذكر ﴿ظُلْمَةٍ﴾ جمعها؛ لأن الحق واحد - وهو الصراط المستقيم -
 بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة؛ ولهذا يفرد الله الحق ويجمع الباطل كقوله: ﴿اللَّهُ وَرِئُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

ابن القيم، الفوائد ١٢٧

٣ قال: ﴿يُؤْرِهِمْ﴾ ولم يقل: (بنارهم)؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق، وكذلك حال المنافقين! ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم.

ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب ٥٤

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْوَعًا إِذْ يَأْتِيهِم مِّنَ السَّمَاءِ حَذَرًا الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ جمع الظلمات، وأفرد الرعد والبرق! إن المقتضى للرعد والبرق واحد وهو: السحاب، والمقتضى للظلمة متعدد وهو: الليل والسحاب والمطر؛ فجمع لذلك.

ابن جماعة، كشف المعاني ٩٠

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾

من لطائف اسم الربوبية (رب): أن أول أمر في القرآن معلل بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، فكان أول علة للأمر بالعبادة أنه ربكم.

د. مساعد الطيار

﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

ذكر سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته: فقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾، وفي مقام الإسراء: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ﴾ (الإسراء: ١)، وفي مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (الجن: ١٩)، فأشرف صفات العبد صفة العبودية، وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٣٢

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلٰن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

من أشد أنواع العقوبات أن تكون نفس الإنسان وجسده مصدرًا لعقوبته، وهذا مما توعد الله به أهل النار؛ زيادة في إيلاهم: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

أ.د. عبدالعزيز العويد

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۙ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

في القرآن بضعة وأربعون مثلاً، والله تعالى - بحكمته - يجعل ضرب المثل سبباً لهداية قوم فهموه، وسبباً لضلال قوم لم يفهموا حكمته، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾.

الشنقيطي، أضواء البيان ٩٧/٣

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

يمكن أن أسيع من عبود الكون وربّه، ولكني لا أسيع أبداً من أتباع القرآن أن يعيشوا عَجَزَةً محجوبين بين أسرار الكون وقواه، وما أودع الله فيه من مرافق ومنافع! كيف وفي الصفحات الأولى من كتابهم: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة، ٥٥

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

(١) قال ابن عباس ؓ: إذا كانت خطيئة الرجل في كِبَرٍ فلا تُرْجى، وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه؛ فإن خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كبره.

جامع البيان للطبري ٢٨٨/١٥

(٢) من لطائف اللغة العربية: أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجيء منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التفعل)؛ إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلباً الكبر، أو متكلفاً له، وما هو بكبير حقاً.

ابن عاشور، التحرير والتنوير/١٠١

﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

(١) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَيَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (١٩) الحكمة في التعبير بلفظ ﴿اسْكُنْ﴾ في الآيتين دون غيره من الألفاظ التي تؤدي نفس المعنى إشارة إلى قصر وقت الإقامة في الجنة حينذاك؛ لأن الله تعالى إنما خلق آدم لخلافة الأرض.

الرازي، مفاتيح الغيب ٤٥١/٣

(٢) قال سهل بن عبدالله رضي الله عنه: ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي؛ لأن آدم نهى عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب الله عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه.

الفوائد لابن القيم ١٧١

﴿فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

إن الله رحيم ودود، يلهم عبده المخطئ كيف يعتذر عن خطئه، فإذا أقبل عليه معتذراً هش للقائه، وكان إليه بكل خير أسرع؛ لذلك لم يترك آدم يواجه عاقبة عصيانه، بل علمه كيف يرجع إلى ربه ويتخلص من ذنبه: ﴿فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٩٨

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾
﴿فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ لا تسأل الهدى إلا من الله عز وجل؛ لأنه هو الذي يأتي به.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١٣٩/١

﴿يَنْبِئُ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِمَهْدِيكُمْ وَإِنِّي فَارْهُبُونَ ﴿٤٠﴾﴾
من وسائل الدعوة إلى الله: تذكير العبد بنعمة الله عليه؛ وذلك أدعى لقبوله الحق، وأقوم للحجة عليه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١٤٤/١

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾﴾

إنما قال ﴿أُولَٰ كَافِرِينَ﴾ مع أنه تقدمهم إلى الكفر به كفار قريش؛ لأن المراد أول كافر به من أهل الكتاب، لأنهم العارفون بما يجب للأنبياء، وما يلزم من التصديق.

الشوكاني، فتح القدير ٨٨ / ١

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾

(١) حالتان: من عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، فهو من دعاة جهنم؛ لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٠

(٢) لدعاة الضلالة في إغواء الناس طريقتان: طريقة لبس الحق بالباطل، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾، وطريقة جحد الحق وإخفائه، وهي المشار إليها بقوله: ﴿ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ ﴾

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٨٣/١

(٣) الحريصون على ضبابية المصطلحات يريدون بقاء الحق ملتبساً، يُسوّقون لرفض الحق بمزجه بالباطل. د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾

الناس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله؛ فاقتدأؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٠/١

﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

(١) ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ فهما أعظم عون للعبد؛ ولذلك احتقفاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾، وتلك العبادات الثلاث مجتمعات هن ﴿ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧).

د. عبد الله الغفيلي

(٢) الصبر زاد، لكنه قد ينفد؛ لذا أمرنا أن نستعين بالصلاة الخاشعة؛ لتمد الصبر وتقويه.

د. محمد الحضيري

٣) معالم قرآنية في الاختبارات:

- أمان نفسي: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.
 قوة في التحصيل: ﴿يَنحَىٰ خُدَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢).
 صبر فعاقبة حسنة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩).
 مقدمة ونتيجة: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩).
 فخذ بهذه المعالم، تنجح وتفلاح في الدارين.

د. محمد الربيعة

٤) من أعظم أسباب المحافظة على الصلاة والصبر عليها أمران:

- ١- تذوق لذة الخشوع فيها.
 ٢- تذكر ملاقاته الله والجزاء العظيم عنده، تدبر قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

د. محمد الربيعة

٥) تدبر عملي: كان عالم القصيم في وقته الشيخ عمر بن سليم رحمته إذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد يترك التدريس بين العشائين ويفزع إلى صلاته من المغرب إلى العشاء.

تذكرة أولي النهى والعرفان ١٥٦/٤

٦) خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرّة عين المحب في طاعة المحبوب، وفي الحديث: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(١)؛ لما فيها من المحاضرة والمؤانسة، ولذة القرب، وأنس المناجاة.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٧٤

٧) ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، المعنى: أن الصلاة صعبة إلا على الخاضعين الذين أسلموا وجوههم لله، والصلاة من حيث إنها قيام وركوع وسجود وجلوس ليس فيها صعوبة، والصعوبة من جهة أن الصلاة بحق هي التي يدخلها المصلي بقلب حاضر، فيؤديها مبتغيًا رضا الله، تاليًا القرآن بتدبر، ناطقًا بالدعوات والأذكار التي تشتمل عليها عن قصد إلى كل معنى، دون أن تجري على لسانه، وهو في غفلة عن معانيها التي هي روح العبادة.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٨٩/١

(١) النسائي ح (٣٩٤٠).

٨) وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته؛ لأن من كان غير موقن بمعاد، ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب، فالصلاة عنده عناء وضلال؛ لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضرر، وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة، وإقامتها عليه ثقيلة، وله فادحة.

ابن جرير، جامع البيان ٢٢/١

٩) تذكّر لقاء الله تعالى وعظيم ثوابه للمطيعين، من أعظم ما يخفف العبادات، ويصبر عن المعاصي، ويسلي عند المصائب، تأمل قوله تعالى -بعد أن ذكر خفة الصلاة على الخاشعين-: ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥١

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْمَعْنَكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾

١) لما كان الغرق من أعسر الموتات وأعظمها شدة، جعله الله تعالى نكالا لمن ادعى الربوبية، وعلى قدر الذنب يكون العقاب، ويناسب دعوى الربوبية والاعتلاء؛ انحطاط المدعي وتغييبه في قعر الماء.

الألوسي، روح المعاني ٣١٠/١

٢) إغراق العدو أو إهلاكه نعمة، وكونه ينظر إلى عدوه -وهو يغرق- نعمة أخرى؛ لأنه يشفي صدره؛ وعند عجز الناس لا يبقى إلا فعل الله ﷻ؛ ولهذا في غزوة الأحزاب نُصروا بالريح التي أرسلها الله تعالى.

ابن عثيمين، تفسير القرآن ١٧٩/١-١٨٠

٣) في يوم عاشوراء تذكر أنّ البحر الذي حفظ الله تعالى موسى ﷺ فيه صبياً هو من جنس البحر الذي أغرق فيه فرعون، وأنّ الأنهار التي افتخر فرعون أنها تجري من تحته هي من جنس الأنهار التي أصبحت تجري من فوقه.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

إذا قال أحدٌ قولاً ولم ينكره من عنده، فإنه يعزى للجميع؛ لأنه دليلٌ رضاهم به، وهذه قاعدة فيما ذكر الله تعالى عن بني إسرائيل الذين كانوا في العهد النبوي، حيث وبَّجهم الله على أفعال أسلافهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ وغيرها من الآيات، ومعلوم أن اليهود في عصر النبوة ليسوا هم الذين قالوا ذلك.

ابن عثيمين

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۗ قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَابِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

١) يجوز للإنسان أن يعتذر عن الوساطة إذا لم يكن لها داع؛ لأن موسى ﷺ عندما قال له بنو إسرائيل: ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴾، قال لهم: ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾، وكأنه قال: لا حاجة أن أدعو الله أن يخرج لكم مما تنبت الأرض.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢١٨/١ - ٢١٩

٢) ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ لا تلازم بين عطاء الله وجوده بمتاع الدنيا، وبين رضاه!

د. عبدالله السكاكر

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ فالذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئاً صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح؛ فصورة القرد شبيهة بالأدي، ولكنه ليس بأدي؛ وهذا لأن الجزء من جنس العمل.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢٣١/١

﴿فَجَعَلْنَهَا نَكِيلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦)

التحليل على النصوص: قال تعالى عن أصحاب السبت من بني إسرائيل ﴿فَجَعَلْنَهَا نَكِيلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، إذا كان الله نكّل بعقوبة هؤلاء سائر من بعدهم، ووعظ بها المتقين، فحقيق بالمؤمن أن يحدّر استحلال محارم الله تعالى بأدنى الحيل؛ فذلك من أشد أسباب العقوبة.

ابن تيمية، بيان الدليل ٤٧

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ

فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٨)

كان الحسين بن الفضل معروفاً بإخراج أمثال العرب والعجم من القرآن، ف قيل له: هل تجد في كتاب الله «خير الأمور أوساطها»؟ قال: نعم، في أربعة مواضع!

١- ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

٢- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)

٣- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء: ٢٩)

٤- ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠)

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/٨٤

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَنْ نَبْرَأَ لَكَ شَيْئًا إِنْ كُنَّا مُعْتَدِلِينَ﴾ (٦٩)

﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧١)

﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لم يعد لامتثالهم قيمة، بل هو إلى الذم أقرب. كم يستفزك الذين

لا يمثلون إلا بعد عناء وتردد!

د. محمد الفحطاني

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤)

(١) فائدة تشبيه قسوة القلب بالحجارة مع أن في الموجودات ما هو أشد صلابة منها؛ هي أن الحديد

والرصاص إذا أذيب في النار ذاب، بخلاف الحجارة.

٢) كما ترى الأحجار تتهاوى، تستبدُّ بالمؤمن أيضاً رغبةً قويةً في الهبوط من خشية الله، وتشتدُّ رياح الشوق على غصنه الضعيف؛ فيحنى راکعاً لله.

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٣٨

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

خص الله اليهود بتحريف كلامه في مواضع كثيرة، وها هم اليوم يجددون هذا المسلك بما أعلنت عنه وزارة خارجية الكيان الصهيوني من إطلاق مشروع عالمي لتفسير القرآن بعنوان: «قرآنت» ليكون -بزعمها- وسيلة تربوية؛ فعلى المسلمين أن يحذروا من الوقوع في هذا الفخ، وليتأملوا جيداً قول الذي خلقهم وكشف أستارهم: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَايَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

فمن جعل أهل القرآن كذلك، وأمرهم أن يكونوا فيه أميين، لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، فقد أمرهم بنظير ما ذم الله عليه أهل الكتاب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/٤١٥

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٦﴾﴾

١) ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الكتابة لا تكون إلا بالأيدي، وذكر الأيدي، مع أن كلمة: ﴿يَكْتُوبُونَ﴾ تعني عنها، فائدته تحقيق مباشرتهم ما حرفوه بأنفسهم؛ زيادة في تقبيح فعلهم. زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٣٢

٢) فذكر ﴿يَكْسِبُونَ﴾ بلفظ المستقبل، و﴿كَتَبَتْ﴾ بلفظ الماضي؛ تنبيهاً على ما دل عليه حديث: «من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١)، وعبر بالكتابة دون القول؛ لأنها متضمنة له وزيادة، فهي كذب باللسان واليد، وكلام اليد يبقى رسمه، أما القول فقد يضمحل أثره.

الراغب، تفسيره ١/٤١٦

١) مسلم ح (١٠١٧) ولفظه: «من سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٢)

١) إذا تكلم المرء فليقل خيرًا، وليعود لسانه الجميل من القول؛ فإن التعبير الحسن عما يجول في
النفس أدب عال، أخذ الله به أهل الديانات جميعًا ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٦٩

٢) ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾، تأمل ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ دون تفريق بين جنس ولون ودين، فالعبرة بنوع
الخطاب لا المخاطب.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقِنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا نَّقْلُونَ
﴾ (٨٧)

لما أراد الله إكرام نبيه بالشهادة، ظهر أثر سم اليهودية، وظهر سر قوله تعالى لأعدائه من
اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقِنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا نَّقْلُونَ ﴾؛
فجاء بلفظ: ﴿ كَذِبْتُمْ ﴾ بالماضي الذي قد وقع وتحقق، وجاء بلفظ: ﴿ نَّقْلُونَ ﴾ بالمستقبل
الذي يتوقعونه وينتظرونه.

ابن القيم، زاد المعاد ١١١/٤

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِسْمَايَا مُّرْكُم بِهِ
إِيْمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)

قال تعالى في حق عباد العجل: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ أي: أشربوا حبه، فإذا كان
المخلوق قد يحبه القلب حبًا يجعل ذلك شرابًا للقلب، فحب الرب تعالى حتى يكون شرابًا
تشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى.

ابن تيمية، جامع المسائل ١٣٣/١

﴿وَلَنْ يَمْتَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

دل على أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب.

ابن رجب، لطائف المعارف ٣٢١

﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، كذا أخبرنا ربنا عن أماني بعض اليهود، فما سرُّ ذلك؟ لعلَّ من أسرار ذلك ما نبه عليه مجاهد رضي الله عنه بقوله: «حَبَّبت إليهم الخطيئة طول العمر».

تفسير ابن أبي حاتم ٢٥٠/١

﴿بَدَأَ فِرْقَانِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴿الآية﴾

(١) من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٠

(٢) إذا عرض الإنسان عن الوحي الذي تلاه الله على رسوله ﷺ؛ ابتلي باتِّباع وحي الشياطين؛ فتأمل قوله ﷻ عن اليهود لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ وهي سنة ماضية في كل معرض ومستبدل: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

د. عمر المقبل

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

(١) البديل الشرعي: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا﴾ جرت العادة أن الله ﷻ في كتابه إذا نهى عن شيء؛ بيّن وجهاً آخر غير منهي عنه؛ فلا ينبغي للإنسان إذا تصدّى لتعليم أحكام الشريعة أن ينهاهم عن شيء، حتى يبين لهم باب الحلال.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٢٤-٢٥

٢) هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان - في ترتيب المصحف - وقد اشتمل على الآتي:

١- أصل عقدي: النهي عن التشبه بالكفار، وخاصة اليهود.

٢- قاعدة شرعية: قاعدة سد الذرائع.

٣- أدب شريف: انتقاء أنسب الألفاظ والعبارات.

٤- طريقة تربوية: وهي إيجاد البدائل لما نهى عنه قدر الإمكان.

د. محمد القحطاني

﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥)

١) ولم يقل: (ما يودُّ أهل الكتاب)، ففيه تنبيه إلى أنهم قد كفروا بكتبهم؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بها لصدّقوا محمداً ﷺ الذي أمرتهم بكتبهم بتصديقه واتباعه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٣٥/١

٢) حتى الخير لا يودون أن يأتينا من ربنا، فكيف يودون أن يأتينا منهم أو يفعلون؟! ولكن ﴿فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

أ.د. ناصر العمر

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا آوَمْتُمْ عَلَيْهَا أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٦)

إذا منع الله عباده المؤمنين شيئاً تتعلق به إرادتهم، فتح لهم باباً أنفع لهم منه وأسهل وأولى، كقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا آوَمْتُمْ عَلَيْهَا أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ (النساء: ١٣٠)، وفي هذا المعنى آيات كثيرة.

السعدي، القواعد الحسان في تفسير القرآن ١٠٣

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُتِنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾ ﴾

(١) تدبر قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُتِنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾، تجده دليلاً واضحاً على أن حرمان التوفيق أقعدهم عن الإيمان؛ فإنهم لم يحسدوا غيرهم عليه، إلا بعد أن تبينت لهم حقيقته إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطل عندهم، وفي أيديهم ما يزعمون أنه خير منه.

القصاب، نكت القرآن ١٣٢/١

(٢) ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾ الحسد قد يهجم على الإنسان، ولا يكون في وسعه دفعه؛ وإنما يؤاخذ الإنسان على رضاه به وإظهار القدر في المحسود، والقصد إلى إزالة النعمة عنه.

محمد الحضر حسين، الأعمال الكاملة ١٩٩/١

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

(١) دليل على أن كل مدعي دعوى، محتاج إلى تثبيتها وإقامة البرهان عليها، ثم لا يقبل ذلك البرهان، إلا أن يكون مأخوذاً عن الله - جل وتعالى - لقوله في الآية التي قبل هذه حيث ادعى القوم أن لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة: ﴿ قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٠)، فلم يصحح لهم دعواهم إلا بعهد لهم يكون عنده، أو ضمان يسبق منه لهم، ليكون الارتياح زاياً عن صحتها ومحققاً لها.

القصاب، نكت القرآن ١٣٦/١

(٢) شريعتنا مبرهنة، ففي كل جزئية من جزئياتها تتبعها الحجة، ودليل من كتاب أو سنة، لا نقول: اعتقد وأنت أعمى، لما قال اليهود والنصارى كما حكى الله عنهم في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾، قال الله: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

د. عمر العيد

﴿ وَمَنْ أَنْظَمَ مَنْ مَنَّ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

(١) اللَّهُمَّ إنك تعلم أنهم ارتكبوا الجريمتين: فمنعوا من ذكرك في مساجدك وخرَّبوها، وقتلوا عبادك وأذوهم، فاللَّهُمَّ عجل بجزئهم وعذابهم^(١).

(٢) قلما تجر متجبر في الأرض إلا أهانه الله قبل موته، فسخر به الصغير والكبير، وأضحى حديث مجالس، قال ابن كثير رحمته: "لما استكبروا، لقاهم الله المذلة في الدنيا قبل الآخرة".

تفسير القرآن العظيم ٣٩٩/٥

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

هناك علاقة سببية بين الأقوال اللسانية والأحوال القلبية، فإذا تشابهت القلوب تشابهت الأقوال. أ.د. جعفر شيخ إدريس

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

إذا ذكر أهل الكتاب - في القرآن - بصيغة: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾، فهذا لا يذكر الله إلا في معرض المدح، وإذا ذكروا بصيغة: ﴿ أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ (آل عمران: ٢٣)، فلا تكون إلا في معرض الذم، وإن قيل فيهم: (أوتوا الكتاب) فقد يتناول الفريقين؛ لكنه لا يفرد به الممدوحون فقط، وإذا جاءت (أهل الكتاب) عمت الفريقين كليهما.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٠٤ / ١

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ

عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

(١) لما قال الله تعالى لإبراهيم رحمته: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾، قال: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾؛ فأراد الخير لذريته وهو قوله: ﴿ وَأَجْبَنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥)، فصلاح الولد صلاح للوالد: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولي صالح يدعو له»^(١).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٤٢/١ (تصرف)

(١) أرسلت إبان حرب غزة مطلع عام ١٤٣٠ هـ.

(٢) مسلم ح (١٦٣١).

٢) وإنما قال إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ولم يقل: (وذريتي)؛ لأنه يعلم أن حكمة الله لم تجر بأن يكون جميع نسل الإنسان ممن يصلحون لأن يُقتدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة؛ لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٨٦/١

٣) تأمل كيف نصب: ﴿الظَّالِمِينَ﴾؛ حيث إنَّ عهدَ الله اصطفاً من الله لمن هو أهلٌ له.
أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

١) ذكرُ التَّطْهِيرِ لا يدلُّ على أنَّ البيت نجسٌ، بل المقصود تطهير التَّعْبُدِ لا إزالة النجاسة، كما أنَّ الجنب يؤمر بالتطهُّر وليس بنجس بمجرد حدوث الجنابة.

القصاب، نكت القرآن ٨١/١

٢) من أسرار الترتيب في القرآن الترقى من الأخص إلى ما هو أعم منه، إلى ما هو أعم: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف الذي لا يجوز إلا بالبيت، ثم ذكر الاعتكاف - وهو أعم من الطواف؛ - لأنه لا يكون إلا في المساجد فقط، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائر بقاع الأرض سوى ما استثني شرعاً.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١٤٢/١

٣) عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام للمعتكفين أسوة بالطائفين والمصلين، وبين بعض أحكامه في آيات الصيام؛ مما يدل على مكانة الاعتكاف ومنزلة المعتكفين، فحريُّ بنا أن نحیی هذه الشعيرة العظيمة في العشر الأواخر من رمضان، متحرِّين فيها ليلة القدر.

أ.د. ناصر العمر

٤) انظر كيف أمر الله أفضل رجلين في ذلك الزمان - وهما نبيَّان رسولان - بإعانة العاكفين؛ فعلى أهل الإحسان إعانة المعتكفين من القيام بطعامهم وحاجتهم من أمتعةٍ ولباسٍ وغيرها.

متدبر

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

١) قال في هذه السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أي: اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم: ٣٥) وناسب هذا هناك لأنه - والله أعلم - كأنه وقع دعاء ثانيًا بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة؛ ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ (إبراهيم: ٣٩).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/١؛

٢) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ وقال في إبراهيم: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فجاءت آية البقرة بدون تعريف، وآية إبراهيم معرفة، والسر في ذلك: أن آية (البقرة) دعا به الخليل ﷺ قبل أن يكون بلدًا، بل قاله عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد، فدعا بأن يصير بلدًا، أما آية (إبراهيم) فإنه دعا به بعد عودته، وسكنى جرهم به، وبعد أن صار بلدًا، فدعا بأمنه. السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن ٣/٣٩٤

٣) تأمل التلازم الوثيق بين الأمن والرزق، وبين الخوف والجوع تجده مطردًا في القرآن كله، مما يؤكد أهمية ووجوب المحافظة على الأمن؛ لما يترتب على ذلك من آثار كبرى في حياة الناس وعباداتهم واستقرارهم البدني والنفسي، وأي طعم للحياة والعبادة إذا حل الخوف؟ بل تتعثر مشاريع الدين والدنيا، وتدبر سورة قريش تجد ذلك جليًا.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

كثيرًا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات. عن وهيب بن الورد أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، ثم بكى، وقال: يا خليل الرحمن! ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مُشْفِقٌ أن لا يُتَقَبَّلَ منك؟^(١)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ح (١٢٤٠).

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٨﴾

يفرغان من بناء أعظم بيوت الله في الأرض ويسألان ربهما التوبة! ما أجمل الأدب مع الله!

د. عبدالله بلقاسم

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ

أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٩﴾

(١) حفظ القرآن وفهمه والعمل به جاء في آية واحدة:

﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، لفظًا وحفظًا وتحفيظًا ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ معنى

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة، والتبرؤ من الأعمال الرديئة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٦/١

(٢) لقد كان نبي الله إبراهيم ﷺ يحمل هم هداية الأجيال القادمة، ولم يقصر نظره على جيله، أو

على بيته، أو على أهله؛ فقال: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، فبالله من هم ما

أكمله، وبالله من نفس ما أزكاها!

د. محمد الخضير

(٣) قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، ثم قال في آخر الآية: ﴿ إِنَّكَ

أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴾؛ فما وجه المناسبة؟ قال الشيخ ابن عثيمين: «مناسبة العزة والحكمة لبعث

الرسول ظاهرة جدًا؛ لأن ما يجيء به الرسول كله حكمة، وفيه العزة: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، للمؤمنين عربًا وعجمًا، فمن كان مؤمنًا فله العزة؛ ومن لم يكن كذلك فاته

من العزة بقدر ما أخلَّ به من الإيمان».

تفسير الفاتحة والبقرة ٦٨/٢

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

(١) أدرج العم ضمن الآباء؛ تغليباً، يقول ابن كثير رحمه الله: «وهذا من باب التغليب؛ لأن إسماعيل عم يعقوب».

تفسير القرآن العظيم ٤٤٧/١

(٢) ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ (يوسف: ٣٨)، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣) قوة التأثير والالتزام بما عليه الآباء والأجداد حقيقة غالبية وأمر لا ينكر، فالهداية تتوارث فطرة، والضلال يورثه التعصب؛ لذا لا بد أن يعي الآباء ذلك، فكيفما تحب أن يكون أبنائك وأحفادك فكن ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

قال إبراهيم بن آزر: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين عليٍّ ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجلٌ من بني هاشم، فأقبل عليه، فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد ٢٢١

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

استقرأ إمام: (الحنيف) تكرر في القرآن، وهو في جميع مواضع القرآن يدل على أن الحنيفية ملة إبراهيم، وتشمل أمرين:

١- أفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك.

٢- سلامة الدين من الابتداع.

فكل من بدّل في دين الأنبياء فليس بحنيف؛ ولذا أمر الله أهل الكتاب وغيرهم بالحنيفية، لكنهم بدلوا وتصرفوا من بعدما جاءتهم البينة، وكلام السلف وأهل اللغة يدل على هذا وإن تنوعت عباراتهم.

ابن تيمية، جامع المسائل ١٧٩/٥-١٨٠

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٦)

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وفي آل عمران: ﴿ النَّبِيُّونَ ﴾ بدون ذكر الإيتاء، والحكمة من هذا: أن آل عمران تقدم فيها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (آل عمران: ٨١)؛ فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيًا، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح فيه بإيتائهم ذلك.

ابن جماعة، كشف المعاني ١٠٨

﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَوَلُوا فإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧)

الشقاق بين أهل الكتاب والمسلمين أمرٌ قدرتي، فلا يمكن أن يتفق المسلمون وأهل الكتاب، فتبطل دعوة أهل الضلال الداعين إلى توحيد الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَوَلُوا فإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾، فلما لم يؤمنوا صاروا معنا في شقاق، وهذا الشقاق لا بد أن يؤدي إلى عداوة وبغضاء، وبالتالي إلى مدافعة، وهكذا وقع.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٩٤/٢

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١٣٨)

فسمي الدين صبغة استعارة ومجازًا؛ حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/٢

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٢)

(١) دليل على شرف هذه الأمة من وجوه، منها: وصف الأمة بالعدل والخيرية، ومنها: أن المزيكي يجب أن يكون أفضل وأعدل من المزيكي، ومنها: أن المزيكي لا يحتاج للتركية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/٢

٢) التقدم حقيقة بالإسلام، والرجعية حقيقة بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾، فإن هذا حقيقة الرجوع على غير هدى؛ لأن الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ١١٩/٢

﴿قَدْ زَرَىٰ تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤)

قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، دون قوله: تحبها أو تهواها فيه دلالة على أن ميل الرسول إلى الكعبة ميل لقصد الخير لا لهوى النفس؛ وذلك أن الكعبة أجدر بيوت الله بأن يكون قبلة، فهو أول بيت وضع للناس بالتوحيد، وفي استقبال بيت المقدس أولاً ثم التحول إلى الكعبة إشارة إلى استقلال هذا الدين عن دين أهل الكتاب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٨/٢

﴿وَلَيْنَ اتَّيَّتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥)

١) ﴿وَلَيْنَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إنما قال: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهاً على أن لكل واحد منهم هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد منهم لا يتناهى.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٠٦/١

٢) إنما قال: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: دينهم؛ لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين؛ اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ آلِهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجنائفة: ٢٣).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧٢

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦١)

إنما قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ولم يقل (أنفسهم)؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ما ليس في ذكر النفس؛ فإن ابن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٣٨/١

﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ آيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨)

(١) ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، إشارة إلى تنوع الناس في أعمالهم وعباداتهم، ما بين صلوات وتعليم ودعوة وإغاثة، وكل ميسر لما خلق له، لكن المهم أن يكون المرء سابقًا في المجال الذي يذهب إليه مع مراعاة أنه محاسب، وهنا يُرَبِّينَا القرآن لتكون الأوائل دائمًا.

د. محمد السيد

(٢) ﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ الأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧٣

(٣) تجارة رابحة، وسباق إلى الجنة تفتح أبوابه ليلة القدر، ونداء القرآن يعلو: ﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ومن الحرمان البين أن تكون أوقات التجارة مع الله، ومواسم الآخرة كغيرها من الأوقات عند أكثر الناس!

د. عمر المقبل

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢)

(١) من حفظ معاملته عن المخادعة في البيع وخلف الوعد؛ فقد وفق لأمر عظيم، وأفضل ما يستعين به من له عناية بدينه: القناعة، وحسن الظن بالله، والثقة بما ضمن له من الرزق، وخوف الحساب، ومراقبة الجليل، فإنه قال وقوله الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

ابن تيمية، شرح حديث النزول (٦١٠)

(٢) ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يقول خالد الربيعي: قف عند هذه الآية ولا تعجل، فلو استقر يقينها في قلبك، ما جفت شفتاك.

الدر المنثور ٢/٦٥

(٣) ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال ثابت البناني رضي الله عنه: «إني أعلم متى يذكرني ربي ﷻ، ففزعوا منه! وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال إذا ذكرته ذكرني».

الإحياء للغزالي ٢/٧١

(٤) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ العجب ممن يعلم أن كل ما به من النعم من الله، ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه!

ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/١٣٠

(٥) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ قال جمع من السلف: الشكر ترك المعصية.

وسئل بعضهم: ما الشكر؟ فقال: الشكر أن لا يستعان على المعاصي بشيء من نعمه.

الدر المنثور للسيوطي ١/٣٧١

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣)

(١) لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٦

(٢) ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، توجيه رباني وجدت بركته أخت لنا فجعنا بفقد والديها وأخيها وأختها جميعاً في حادث؛ إذ لما اشتدت عليها المصيبة تذكرت هذه الآية ففزعت للصلاة، موقنة بكلام ربها، فتقسم أنه نزل على قلبها سكينه عظيمة خففت عليها مصيبتها. وذلك تأكيد عملي على أثر تدبر القرآن والعمل به في حياة العبد في ظروفه كلها.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤)

لا نقول: رجحنا أو خسرنا؛ فالريح والخسارة من مفردات قاموس التجار، أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود، فلغته سماوية لا تحمل معنى التراب، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب، فهي أرباح مستمرة.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٤/٢٧٦

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾
١) الرضا بالأقدار المكروهة فضلٌ مندوبٌ إليه، ولكنَّ الصبرَ واجبٌ.. قال الحسن البصري رضي الله عنه:
«الرضا عزيز، ولكنَّ الصبرَ معوَّلُ المؤمن».

تفسير ابن رجب ١٣١/١

٢) ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ﴾، تأمل كيف قال: ﴿بِشَيْءٍ﴾ فهو شيء يسير؛ لأنه ابتلاء تمحيص لا ابتلاء إهلاك.

د. عبدالمحسن المطيري

٣) عندما تجعل القرآن منطلق تفسيرك لكل حدث يواجهك في الحياة؛ ستكتشف أن المصائب تتحول بعد لحظات من وقوعها إلى منح دافعة للتفاؤل والعطاء المثمر والصبر الجميل، تدبر هذه الآية وما بعدها؛ لتدرك هذا المنهج الفريد الذي خص الله به المؤمن دون غيره: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾
١) إنما قال: ﴿صَلَوَاتٌ﴾ على الجمع؛ تنبيهاً على كثرتها منه، وأنها حاصلة في الدنيا توفيقاً وإرشاداً، وفي الآخرة ثواباً ومغفرة.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٥٤/١

٢) ما أحوج الناس - في ظل غلاء الأسعار - أن يقفوا مع هذه الآيات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، فتأمل ما فيها من العبر في تفسير السعدي رضي الله عنه.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾
﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في قوله: ﴿خَيْرًا﴾ إعلام بفضيلة النفقة في الحج والعمرة بالهدي ووجوه المرافق للرفقاء، بما يفهمه لفظ الخير؛ لأن هذا اللفظ عرف استعماله في خير الرزق والنفقة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨).
الحراي، تراثه ٢٩١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ أَجْرُهُمْ عِندَ اللَّهِ شَرٌّ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٥٩﴾

لكتمان المنتمين إلى علوم الدين عللٌ كثيرة، ومدارها على عدم الرسوخ في الإيمان، وإيثار رضا المخلوق على رضا الخالق.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٢٨٥/١

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَأُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٦٠﴾

تأمل ﴿ وَبَيَّنَّا ﴾ شرطًا لقبول التوبة؛ إذ إنَّ كثيرًا ممن يضل الناس ثم يتوب بعد ذلك يتهمب أن يعلن رجوعه للحق خوفًا من الناس، فيبقى كثير منهم على ضلاله، فيتحمل أوزارهم لحفاء توبته، مع أن إعلان الرجوع إلى الحق شجاعةٌ وليس ضعفًا!

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ۖ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾

والسر في التعبير بلعن الملائكة والناس -مع أن لعن الله يكفي-؛ للدلالة على أن جميع من يعلم أحواله من العوالم العلوية والسفلية يراه أهلاً للعن الله ومقتنه، فلا يشفع له شافع ولا يرحمه راحم، فهو قد استحق اللعن لدى جميع من يعقل ويعلم، ومن استحق النكال من الرب الرؤوف الرحيم؛ فماذا يرجو من سواه من عباده؟

المراخي، تفسير المراخي ٣٢/٢

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١٦٥﴾

(١) قيل لسفيان بن عيينة رضي الله عنه: إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حبًا شديدًا! فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (البقرة: ٩٣)!

قاعدة في المحبة لابن تيمية ٨٨

(٢) من جعل ما لم يأمر الله بمحبته محبوبًا لله، فقد شرع دينًا لم يأذن الله به، وهو مبدأ الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾.

ابن تيمية، الاستقامة ٣٤٨/١

٣) من أنصف نفسه وعرف أعماله، استحي من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس؛ لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئاً إلا فعله، فاسمع صفة المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

ابن القيم، طريق المهجرتين ٣٣٣

٤) هل جرب الراكضون خلف سراب (عيد الحب) أن يملأ أحدهم قلبه بحب الله؟ ماذا لو جرب أن يناديه بأسمائه الحسنى كما يتقرب الحبيب إلى حبيبه بمنادته بأحب أسمائه؟ وكيف سيكون حبه لله لو حاول أن يفكر في معاني صفات الله العلى كما يفكر المحبوب بصفات حبيبه؟

إذن لأخذت عليه كل تفكيره، ولغمرتة سعادة لا يمكن وصفها إلا بسعيه بالمزيد في إرضاء مولاه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

د. محمد السيد

٥) تأمل تلك المظاهر المترفة تعبيراً عما يسمى بـ (عيد الحب)، وتذكر قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؛ فسترى أن سكرة الحب عند بعضهم فاقت مظهر حبه لله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، فتفقد قلبك قبل أن تبلى السرائر. أ.د. ناصر العمر

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُ لَمَا كُنَّا يُبْدُونَ لَكَ إِيمَانَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُونَكَ مِن دُونِ اللَّهِ قَوْلًا هُوَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنصَبُ عَلَيْهِمْ قِسْمُ الْغُلَامِ﴾ (١٧)

من جعل عقله صدى لعقل غيره، دون قناعة أو برهان، سيكون ذلك أشد خصومة يوماً من الدهر! تدبر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُ لَمَا كُنَّا يُبْدُونَ لَكَ إِيمَانَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُونَكَ مِن دُونِ اللَّهِ قَوْلًا هُوَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنصَبُ عَلَيْهِمْ قِسْمُ الْغُلَامِ﴾ (الأعراف: ٣٨)!

أ.د. ناصر العمر

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٣٨)

١) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، إشارة إلى دور الشيطان في صرف الناس عن إطابة المطعم، مع الإشارة إلى أن إطابة المطعم سبب في إجابة الدعاء، فكم هي جناية الشيطان علينا حين يغرينا بأكل الحرام؟

د. محمد السيد

٢) الخطوات الأولى! ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، مبدأ كل عمل هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكرار تعطي العادة، فصلاح كل هذا بصلاح الخطوة الأولى وهي الخواطر الأفكار، وفساده بفسادها.

ابن القيم، الفوائد ٢٥٢-٢٥٣

٣) تدبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، فتسمية استدراج الشيطان «خطوات» فيه إشارتان: ١- الخطوة مسافة يسيرة، وهكذا الشيطان يبدأ بالشيء اليسير من البدعة أو المعصية؛ حتى تألفها النفس.

٢- قوله: ﴿خُطُوَاتٍ﴾ دليل على أن الشيطان لن يقف عند أول خطوة في المعصية.

فهد العبيان

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

قيل في سبب تقديم الغفور على الرحيم: أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة. د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٥٧

﴿يَسَّ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

قال القرطبي: قال علماؤنا: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته - وقد أتينا عليها في (الكتاب الأسنى) - والنشر والحشر والميزان والصراف والحوض والشفاعة والجنة والنار - وقد أتينا عليها في كتاب (التذكرة) - والملائكة والكتب المنزلة وأنها حق من عند الله والنبين وإنفاق المال فيما يعين من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل - قيل المنقطع به، وقيل: الضيف - والسؤال وفك الرقاب، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد. وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب.

الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأِنْبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

(١) الحكمة في تصدير الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تقوية لداعية إيفاد حكم القصاص، فكأنه يقول: إن معكم من الإيمان ما يمنعكم من التهاون بإقامة هذا الواجب؛ فإن المؤمن الصادق يحرص على أن يسد الأبواب، في وجه كل فتنة تحل عرى الألفة والمودة بين الأفراد والجماعات، وتلقي بحبل الأمن في اضطراب واختلال.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣١٩

(٢) ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، إطلاق وصف الأخ على المائل في الإسلام أصل جاء به القرآن، وجعل به التوافق في العقيدة كالتوافق في نسب الإخوة بل أشد، وحقاً فإن التوافق في الدين رابطة نفسانية، والتوافق في النسب رابطة جسدية، والروح أشرف من الجسد!

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤١/٢

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

(١) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، معناه كثير، ولفظه قليل؛ لأن معناه: أنَّ الإنسان إذا علم أنه متى قتل اقتصوا منه كان داعياً ألا يقدم على القتل، فارتفع كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياة لهم.

السيوطي، الإتيان في علوم القرآن ١٨٥/٣

(٢) والتنكير في ﴿حَيَوةٌ﴾ للتعظيم، وتلك الحياة العظيمة هي ما فيه من ارتداع الناس عن قتل النفوس؛ لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفاً بالعقوبات، ولو ترك الأمر للثأر كما في الجاهلية لأفراطوا في القتل، وتسلسل الأمر، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤٥/٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

(١) من لطف الله تعالى بعباده أنه لا يواجههم بأعظم المشاق، ومن هذا المعنى قال بعض العلماء: إن الله تعالى قال في المكروهات: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، وإن كان قد علم أنه هو الكاتب، فلما جاء إلى ما يوجب الراحة قال: ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ (الأنعام: ١٢).

ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٦٣-١٦٤

(٢) إذا تأملت في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وكيف تلقى المسلمون هذه الفريضة بالقبول التام، وقارنته بتردد وتباطؤ بني إسرائيل في ذبح بقرة فقط! علمت شرف هذه الأمة على سائر الأمم.

د. سلمان العودة

(٣) استنبط منها بعض العلماء:

- ١- أن صيام أهل الكتاب كان بالرؤية لا بالحساب، بدليل قوله: ﴿كَمَا﴾ ولكن أهل الكتاب غيروا وبدلوا بعد ذلك.
- ٢- محبة الله لهذه الفريضة، وإلا لما شرعها في جميع الأمم.

اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٦)

(٤) الصيام كان في الأمم السابقة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، والاعتكاف والقيام كذلك: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)؛ وفي هذا إلهاب لعزائم هذه الأمة ألا تقصّر عن قبلها في تلك العبادات، فإننا الآخرون السابقون.

د. عبدالمحسن العسكر

(٥) الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى.

ابن القيم، زاد المعاد ٢/٢٨

(٦) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعل -هنا- للتعليل، أي: كي تتقوا، وهنا قاعدة مفيدة، وهي: أن (لعل) إذا جاءت بعد الأمر فهي للتعليل، كقوله تعالى -بعد ذلك-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨١).

د. عبدالمحسن العسكر

(٧) رمضان مدرسة التقوى: تأمل كيف ذكرت التقوى في أول آية وآخر آية من آيات الصيام؛ ذلك أن الصيام من أعظم ما يعزز التقوى في النفوس، فلنفتش عن أثر الصيام على تقوانا لربنا في أسمعنا وأبصارنا وكلامنا؛ لنحقق الغاية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

د. محمد الربيعة

٨) بالأمس أقبل رمضان وكان أمر الخالق بصيامه معللاً ب: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ واليوم حين شارفت أيامه على الانقضاء بدأت الأنفس تتشوف إلى قبول صيامه وقيامه؛ فلنفتش عن نصيبنا من قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

أ.د. إبتسام الجابري

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤)

١) ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ وإنما عبر عن رمضان بأيام -وهي جمع قلة- ووصف بمعدودات -وهي جمع قلة أيضًا-؛ تهويناً لأمره على المكلفين؛ لأن الشيء القليل يعد عدداً؛ والكثير لا يعد.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥٩/٢

٢) وصف سبحانه رمضان، فقال: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾، كناية عن قلة أيامه ويسرها، فالمغبون من فرط في تلك الأيام دون جد أو تحصيل، وسيدرك غبته حين يقول: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنَبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦)، و﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْغَابِ﴾ (التغابن: ٩).

أ.د. ناصر العمر

٣) تأمل كم في آية الصيام من ترغيب في الصوم، بدأها بالنداء المحبب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وبين أنه فريضة لا مندوحة في تركه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، وأنه ليس خاصاً بنا بل هو للأمة كلها ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، وبين ثمرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وقلته: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: ١٨٣-١٨٤).

د. عبدالمحسن المطيري

٤) ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان كاملاً كان أو ناقصاً، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياماً قصيرة باردة عن أيام طويلة حارة كالعكس.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٦٣

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥)

(١) الصيام سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية إلى الاتصال والتعلق بالعلائق السماوية التي نزل منها القرآن؛ ففيه اتصال مباشر بجهة نزول القرآن. وبهذا يلتقيان من هذا الوجه. الألويسي، روح المعاني ٦٢٧/١

(٢) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، نزول القرآن في هذا الشهر سابق على فرض الصيام فيه، فهو شهر قرآن قبل أن يكون شهر صيام، فاجتمعت ميزتان، وقد فقه السلف هذا، فصاموه، وعمّروا ليله ونهاره بالقرآن تلاوةً وتدبراً؛ تحقيقاً للاسم والمسمى، وتركوا ما سواه. أ.د. ناصر العمر

(٣) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، الصيام له ارتباط بالقرآن، من جهة أنه سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية إلى التعلق بالله تعالى، كما أن الصيام سبب لصفاء الفكر ورقة القلب التي هي سبب الانتفاع بالقرآن. د. محمد الربيعة

(٤) وصف الله شهر رمضان بأنه: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾؛ لتؤكد العناية به فيه، فلنشغل بالقرآن: نقرأه وحدنا ومع أهلنا، ونملأ به وقتنا، منتفعين بالتقنية الحديثة من إذاعات وقنوات وعبر ملفات حاسوب وجوال، ويتهادى المسلم مع إخوانه المقاطع المؤثرة والتلاوات المرفقة؛ ليكون شهر القرآن.

متدبر

(٥) أنزل القرآن ليكون هدى؛ ولذلك ذكرت الهداية في «الفاحة» وفي أول البقرة ﴿هُدًى يَنْتَهِينَ﴾ وتلاوة القرآن إذا خلت من هذا المعنى فقدت أعظم مقاصدها؛ فعلى التالي للقرآن أن يستحضر قصد الاهتمام بكتاب الله والاستضاءة بنوره، والاستشفاء من أدوائه بكلام ربه، ولا يقتصر على مجرد تلاوة الحروف: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

د. محمد الخضير

(٦) من فضائل شهر الصيام أن الله تعالى مدحه من بين سائر الشهور، بأن اختاره لإنزال القرآن العظيم فيه، واختصه بذلك، ثم مدح هذا القرآن الذي أنزله الله فقال: ﴿هُدًى﴾ لقلوب من آمن به ﴿وَيَبِّنَتْ﴾ لمن تدبرها على صحة ما جاء به، ومفرقاً بين الحق والباطل والحلال والحرام. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦٦٩/١

(٧) تجتاز الأمة مرحلة من أصعب مراحل تاريخها، حيث تلاحقت الفتن، وتنوعت الشبه، والتبس الحق بالباطل، فمن وفق للفرقان بان له طريق الهدى فنجا، وسبيل ذلك هو القرآن لا سواه؛ فتدبر:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(٨) لما شرع الله الصوم بغير بدل -مع ما فيه من المشقة المعروفة- قال بعدها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، فاليسر هو ما جاء عن الله تعالى، لا أن يكون التيسير شماعة تغير بها شرائع الصوم والحج والأعياد.

(٩) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى هَلَالِ شَوَّالٍ أَنْ يَكْبُرُوا اللَّهَ حَتَّى يَفْرغُوا مِنْ عِيدِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ يَقُولُ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾﴾.

جامع البيان للطبري ٤٧٩/٣

(١٠) تكبير الله على هدايته جاء في ثنايا آيات الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾ وفي ثنايا آيات الحج: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾ (الحج: ٣٧) فإذا أردت أن تعرف موقع هاتين الآيتين الكريمتين، فيكفي أن تتذكر أن هناك (٥ مليارات) من البشر محرومون من هذه الهداية! فلمن المنة؟ ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧).

د. عمر المقبل

(١١) ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كم يفوت علينا من الخير العظيم عندما نقصرها على بعض معانيها، دون أن نقف متدبرين للوازم تحققها؛ حيث إن من إكمال العدة إتمامها عددًا وكيفًا، ويستلزم ذلك الاستمرار في أداء كل العبادات التي لها مزيد مزية وفضل في رمضان، بهمة وفرح ونشاط كأول الشهر والعشر. فلا يفوت عليك خير عظيم لفوات معنى دقيق.

أ.د. ناصر العمر

(١٢) ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الهداية تشمل: هداية العلم، وهداية العمل، فمن صام رمضان وأكمله، فقد من الله عليه بهاتين الهدايتين، وشكره سبحانه على أربعة أمور: إرادة الله بنا اليسر، وعدم إرادته العسر، وإكمال العدة، والتكبير على ما هदानا، فهذه كلها نعم تحتاج منا أن نشكر الله بفعل أو امره، واجتناب نواهيه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٣٣٦/٢

(١٣) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فتأمل ﴿عَلٰى مَا هَدٰنٰكُمْ﴾ إنها تقطع أوصال العجب.. فما منك شيء أيها الصائم القائم المنفق، بل هي هداية الله وحده؛ ولذا ذكرك ربك بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

متدبر

(١٤) ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنٰكُمْ﴾ وإذا كان التكليف شاقاً ناسب أن يعقب بترجي التقوى، وإذا كان تيسيراً ورحمة ناسب أن يعقب بترجي الشكر؛ فلذلك ختمت هذه الآية بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لأن قبله ترخيص للمريض والمسافر بالفطر.

أبو حيان، البحر المحيط ١٦/٢

(١٥) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قد يقول قائل: في الصوم مشقة وتعب، فكيف يؤمر العبد بالشكر؟ فيقال: من نظر في الثمرات العظيمة التي ترتبت على هذه الفريضة: من حلاوة المناجاة، وتلاوة القرآن، وأنواع الإحسان التي وفق لها العبد، ومواهب الرحمن، والعتق من النار، عرف أن الله وحده يستحق الشكر على واسع فضله، وعظيم نعمائه.

الشعراوي، تفسيره ١٩٠/١

(١٦) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (لعل) هنا للتعليل؛ و﴿تَشْكُرُونَ﴾ على أمور أربعة: إرادة الله بنا اليسر، عدم إرادته العسر، إكمال العدة، التكبير على ما هداانا، هذه الأمور كلها نَعَمٌ تحتاج منا أن نشكر الله ﷻ عليها.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢/٣٣٦

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦)

(١) مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء.

الحسن البصري، الدر المنثور ٤٧٠/١

(٢) قرب الله المذكور في القرآن والسنة قرب خاص من عابديه، وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢

٣) تدبر هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ففيها من الكنوز ما لا يمكن حصره:
 ١- فهي في وسط آيات الصيام، مشعرة بأهمية الدعاء في رمضان وأثره.
 ٢- تأمل هذا الشرف الذي ألبسك الله إياه، إذ نسبك إلى نفسه سبحانه ﴿عِبَادِي﴾ فأى كرم سيناله العبد من سيده؟
 ٣- فيها عدة جمل عظيمة، وأعظمها قرب الله منك، فما ظنك بعبء أعظم قريب؟ فازدد غوصًا، تجدد لؤلؤًا.

أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ﴿فَأَسْتَعْفِرُهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١)، ما أقرب الله! ليس بيننا وبينه أحدٌ، لا مواعيد تلاحق، ولا طوابير تنتظر، ولا سلك تقطع.

٥) كان خالد الربيعي يقول: عجبت لهذه الأمة! أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط! فسئل عن هذا؟ فقال: مثل قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥) فها هنا شرط -أي: البشارة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح-، وقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر) فها هنا شرط، وأما قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) ليس فيه شرط.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٠٩/٢

٦) قال بعض السلف: متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك؛ وذلك لصدق الوعد بإجابة من دعاه، ألم يقل الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
 شرح الحكم العطائية (٨٥)

٧) ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضًا: إما إسعافًا بطلبته التي لأجلها دعا؛ وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء، فإنه يعطى سكينته في نفسه، وانشراحًا في صدره، وصبرًا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة، وهو نوع من الاستجابة.

الرازي، مفاتيح الغيب ٢٦٥/٥

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

﴿١٨٧﴾

(١) ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ في الآية معنيان لطيفان:

١- التكنية عما لا يحسن التصريح به.

٢- عدي الرفث بـ(إلى) مع أنه لا يقال: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولاً على الإفضاء الذي يراد به الملابس.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣١٦/٢

(٢) تأمل قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾، وما فيها من تربية الذوق والأدب في الكلام، إضافة إلى ما في اللباس من دلالة (الستر، والحماية، والجمال، والقرب).. وهل أحد الزوجين للآخر إلا كذلك؟ وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثراً كما يشير إلى ذلك البدء بضميرها ﴿هُنَّ﴾.

د. عويض العطوي

(٣) ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِيَاسًا﴾ (النبا)، ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤَزِّرِي سَوَاءَ يَكُمُ وَرَيْسًا﴾ (الأعراف: ٢٦) تأمل هذه الآيات، تجد الرابط بينها (الستر) والمشارك بين الشياح حسن سترها، فهل يدرك الزوجان أنه عندما يتحدث أحدهما بعيوب شريك حياته ويكشف أسراره قد أصبح كالشوب المخرق قبيح المنظر، فاضح المخبر؟

أ.د. ناصر العمر

(٤) ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ هل يستغني أحد عن اللباس؟ فكيف يستغني أحد عن الزواج ويؤخره بلا سبب معتبر؟

اللباس يستر العورات، فلم يفضح البعض شريك عمره وقد خلق لستره؟

اللباس شعار وديار، فكيف تصفو الحياة الزوجية مع النفور والجفاء؟

اللباس من أجمل ما نترين به، فمتى يكون الزوجان أحدهما جمالاً للآخر؟

اللباس وقاية من البرد والحر، فهل كل منا يشعر أنه وقاية وحماية وأمان لشريك حياته؟ فما

أ.د. ناصر العمر أعظمه من كتاب!

﴿ ٥ ﴾ فَأَلْتَنَ بَشَرُهُنَّ وَابْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٥﴾ أي: اقصدوا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله بذلك، وابتغوا أيضًا ليلة القدر، فإياكم أن تشتغلوا بهذه اللذة وتوابعها وتضيعوا ليلة القدر - وهي مما كتبه الله لهذه الأمة - وفيها من الخير العظيم ما يعد تفويته من أعظم الخسران، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك، ولم يعوض عنها شيء.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٦٩

﴿ ٦ ﴾ فَأَلْتَنَ بَشَرُهُنَّ وَابْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٦﴾ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴿٦﴾ في تجويز المباشرة إلى الصبح، الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه، وصحة صوم المصباح جنبًا.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٤٧٠/١

﴿ ٧ ﴾ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴿٧﴾ في إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب، ولهذا وردت السنة الثابتة بالحث عليه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٧٦/١

﴿ ٨ ﴾ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴿٨﴾ هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكًا في طلوع الفجر، فلا بأس عليه، وفيه دليل على استحباب السحور، وأنه يستحب تأخير؛ أخذًا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٧

﴿ ٩ ﴾ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُ فِي الْمَسْجِدِ ﴿٩﴾ وليس المراد النهي عن مباشرتهن في المساجد؛ فذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف، وإنما نزلت في أقوام يخرجون لحاجتهم في بيوتهم، فربما جامع أحدهم أهله، فنهوا عن ذلك؛ فتأمل كيف أفادت الآية حكمين بجملة مختصرة: اشتراط المسجد في الاعتكاف، والنهي عن المباشرة أثنائه.

البعوي، معالم التنزيل ٢٠٩/١ (بتصرف)

﴿ ١٠ ﴾ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُ فِي الْمَسْجِدِ ﴿١٠﴾ على أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، ووجه الدلالة: كأن الأمر مستقر ومفروع منه، أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، وقد حكي الإجماع على ذلك.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٢/٢ (بتصرف)

(١١) ﴿وَأَنْتُمْ عَنْكُمُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ لقد جعل الإسلام هذه العزلة في إطار المسجد، فلم يسمح بانقطاع في غار أو في غابة؛ وذلك حتى لا ننهي صلة المسلم بالجماعة.

محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ١٧٠

(١٢) للمعتكف التنقل في أنحاء المسجد؛ لعموم: ﴿وَأَنْتُمْ عَنْكُمُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾، وأما الخروج منه فهو أقسام:

- ١- لأمر مناف للاعتكاف كالوطء والبيع، فإنه يبطل.
- ٢- لأمر معتاد لا بد منه كالخلاء، وأكل لا يأتي به أحد، واغتسال لإزالة الرائحة، فجائز.
- ٣- لأمر لا ينافي الاعتكاف، لكن ليس لازماً، كتشيع جنازة وزيارة قريب، فلا يفعل، وبعضهم يجيز ذلك باشرطه.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٢٠/ ١٧٤-١٧٧) (بتصرف)

(١٣) ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ وقال بعد ذلك في (آية ٢٢٩): ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ سر الفرق بين الآيتين: أن الآية الأولى قيل فيها: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾؛ لأنها وردت بعد عدة نواهي، فناسب النهي عن قربانها، أما الآية الثانية فقد جاءت بعد أوامر؛ فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها، بأن يوقف عندها.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٩٤

(١٤) حقيقة الإيمان: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، قال سفيان بن عيينة ؓ: «لا يصيب العبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه».

تفسير ابن رجب ١/١٤٤-١٤٥

(١٥) لما ذكر الله تعالى المنهيات في الصيام والاعتكاف، أعقبها بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، و ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أبلغ من: (فلا تفعلوها)؛ لأنَّ القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٧

(١٦) ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إن العلم الصحيح سبب للتقوى؛ لأنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا بان لهم الباطل اجتنبوه، ومن علم الحق فتركه، والباطل فاتبعه، كان أعظم لجرمه وأشد لإثمه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٧١

(١٧) العبادات التي كان نبينا ﷺ يحرص عليها في رمضان كلها مذكورة في آيات الصيام في سورة البقرة (١٨٣-١٨٧): الصدقة ﴿فَذِيَّةٌ طَعَامٌ مَسْكِينٍ﴾، تلاوة القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، الدعاء ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، والاعتكاف ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾، والتكبير للعيد ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمْ﴾.

د. محمد الحضيبي

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوهُا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨)

(١) لما انقضت آيات الصيام أعقبتها الله بالنهي عن أكل أموال الناس بالباطل؛ لأنه محرم في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب فكأنه يقال للصائم: يا من أطعت ربك وتركت الطعام والشراب الذي حرم عليك في النهار فقط، فامثل أمر ربك في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنه محرم بكل حال، ولا يباح في وقت من الأوقات.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٩٢

(٢) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ والمراد من الأكل ما يعم الأخذ والاستيلاء، وعبر به؛ لأنه أهم الحوائج وبه يحصل إتلاف المال غالباً، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، فهو كقوله تعالى: ﴿تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١).

الألوسي، روح المعاني ٢/١٤٠

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩)

(١) قال قتادة ﷺ: سألوا نبي الله ﷺ: لِمَ جُعِلَتْ هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء، والله أعلم بما يصلح خلقه.

جامع البيان للطبري ٣/٣٣٥

(٢) وفي قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى كون الرؤية ميقاتاً للناس كلهم، فما كان رؤية في عهد النبوة فهو المعتمر بعده.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٤٤) (بتصرف)

٣) هل يدرك الذين يسعون لربط أمتهم بغير الأشهر القمرية والتاريخ الهجري أنهم يخالفون سنة ربانية أزلية، وينتهكون حرمان الله بإضاعة الأشهر الحرم، أو خفاء توقيتها بسبب غلبة التاريخ بالميلادي، فيرتكبون فيها ما حرم الله؟ قف، وتدبر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، مع ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة: ٣٦)، تدرك أبعاد جريمة أولئك، مع ما في ذلك من تشبهه وتبعية وخضوع.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَّنُوهُمْ وَخَرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفْتَلُوهُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١١١﴾﴾

كتب أحد رموز الضلال مدافعاً عن من قال كفرةً: (لماذا كل هذا الشبق إلى الدم)؟ ووصف من نطق زندقة وإلحاداً بكلام بارد: (بأنه خانه التعبير)!

وهجر هذا الضال للقرآن الكريم هو الذي أوصله إلى هذا المستوى من فساد التفكير، والدفاع عن الإلحاد والكفر البواح، تدبر ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧). ولا علاج لهؤلاء إلا بالنص المحكم: ﴿لَنْ يَنْتَهِ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦٠).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

١) الإحسان يفرح القلب، ويشرح الصدر، ويجلب النعم، ويدفع النقم، وتركه يوجب الضيم والضييق، ويمنع وصول النعم إليه، فالجن ترك الإحسان بالبدن، والبخل ترك الإحسان بالمال، والله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٩

٢) إذا بذل المسلمون وسعهم ولم يفرطوا في شيء، ثم ارتبكوا في أمر بعد ذلك فالله ناصرهم ومؤيدهم فيما لا قبل لهم بتحصيله، ولقد نصرهم الله ببدر وهم أذلة، لكنهم يومئذ لم يقصروا في شيء، فأما أقوام يتلفون أموال المسلمين في شهواتهم، ويفوتون الفرص وقت الأمن فلا يستعدون لشيء، ثم يطلبون بعد ذلك من الله النصر والظفر فأولئك قوم مغرورون؛ ولذلك يسلط الله عليهم أعداءهم بتفريطهم.

﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ ۚ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٦﴾

(١) ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ المراد بإتمام الحج والعمرة الإتيان بهما تامين؛ ظاهراً: بأداء المناسك على وجهها، وباطناً: بالإخلاص لله تعالى وحده.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ١٧٥/٢

(٢) ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، ففي قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تنصيص على أهميّة الإخلاص في هاتين العبادتين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٠

(٣) ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، بدأ بالتذكير بالتوحيد والإخلاص قبل ذكر الأحكام التفصيلية، فلا رياء ولا ثناء ولا تكاثر في الحج من الناس.

د. عبدالله السكاكر

(٤) ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ لا تفكر في تصميم حج مختصر.

د. عبد الله بن بلقاسم

(٥) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ ولم يقل: ولا تقصروا، ففيه دلالة على أن الحلق أفضل وهو مقتضى دعاء الرسول ﷺ للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة^(١).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨١/٢

(٦) جاء لفظ القرآن في بيان الرخصة بالأسهل فالأسهل: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، ولما أمر النبي ﷺ كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل، فقال: «انسك شاة، أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام»^(٢)، فكل شيء حسن في مقامه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٣٦/١

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٠٣) ولفظه: عن يحيى بن الحصين، عن جدته، أنها سمعت النبي ﷺ في حجة الوداع «دعا للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة».

(٢) أبو داود ح (١٨٦٠)، النسائي ح (٢٨٥١)، الموطأ (٥٠٤) ولفظه: «صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين فرقاً من زبيب أو انسك شاة» موافقاً للفظ الآية لا كما ذكر الحافظ رحمه الله وغفر له.

(٧) ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (الحج: ٣٦)، ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨) يلحظ المتدبر عناية الشرع بمسألة إطعام المساكين في المناسك، فهنيئاً لمن وفقه الله فأطعم مسكيناً، وسد جوعته، وكفاه هم السؤال.

د. محمد الربيعة

(٨) ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ عطف السبعة على الثلاثة يحتمل معنيين: ١- أن تكون سبعة خارجة عن الثلاثة. ٢- أن تكون سبعة بالثلاثة التي قبلها، فلما قال: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ علمنا أن السبعة مستقلة لا تدخل فيها الثلاثة المتقدمة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٧

(٩) من بلاغة القرآن في قوله تعالى - عن الهدي - ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أنه لم يحدد ما الذي لم يوجد؛ ليشمل من لم يجد الهدي، ومن لم يجد ثمنه، فاستفدنا زيادة المعنى، مع اختصار اللفظ.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٤٠٩/٢

(١٠) بعدما ذكر الله تعالى أحكاماً كثيرة للحج قال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وختم الله الآية بقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، وهو معنى عظيم يغفل عنه الكثير من الحجاج، فالحج المقصود منه تحقيق تقوى الله؛ لذلك أكد هذا المعنى بالآية التي تليها فقال: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

د. عبد المحسن المطيري

(١١) آية البقرة: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، هي أطول آيات الحج في التيسير، ختمها بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ مما يؤكد أنَّ التيسير حُكْمٌ شرعي كالأمر، لا يجوز أن يُسلك إلا بدليل صحيح، فحكم الفعل كحكم الترك؛ لذا جمع فيها بين الأمر الجازم وبين التخفيف، فمن تجاوز حدود الله تشديداً أو تساهلاً، فقد عرَّض نفسه لشديد عقاب الله.

أ. د. ناصر العمر

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٧)

(١) كيف قيل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾، وهو شهران وبعض الثالث؟ يجيب ابن جرير الطبري ﷺ فيقول: «إنَّ العرب لا تمتنع خاصةً في الأوقات من استعمال مثل ذلك، فتقول له: اليوم يومان منذ لم أره. وإنما تعني بذلك يوماً وبعض آخر، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٢٠٣)، وإنما يتعجل في يوم ونصف».

جامع البيان ٤٥٢/٣

(٢) وقفت متأملاً لقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ فتساءلت: لماذا تميز وقت الحج بـ ﴿أَشْهُرٌ﴾ دون سائر الأركان؟ فكأنه لعدم وجوبه في العمر إلا مرة واحدة، ولبعد مسافة قاصده غالباً ﴿مِنْ كُلِّ فَيْجٍ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧؛ أطال أمده ليقضي المسلم نهمته من العبادة في الحرم، ويتيحاً قبل فترة المناسك وبعدها، إذ يقدم مبكراً وينصرف متأخراً إن رغب، توسعة ورحمة، وحثاً على المبادرة والتزود؛ لما لذلك من أثر إيجابي في حياته.

أ.د. ناصر العمر

(٣) عند التأمل في آيتي: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾، ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦) مع أن الحج قد يكون تطوعاً، لكنه أوجبه على نفسه بمجرد دخوله فيه؛ ففي هذا درس في تعظيم شأن الالتزام بإتمام أي عمل إيجابي يشرع فيه المسلم، وعدم الخروج منه إلا بمسوغ معتبر عقلاً وشرعاً، وفي الصحيح: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»^(١).

أ.د. ناصر العمر

(٤) ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فليحفظ الحاج جوارحه، ومما يعينه على ذلك: أن يستشعر أنه ضيف على الله ﷻ، والضيف يرضى حرمة مضيفه، وأن يتقي الله، ومن تقواه له سبحانه: أن يحفظ جوارحه وأركانه، فلا يرسل عينه بالنظرات إلى عورات المؤمنين والمؤمنات.

محمد المختار الشنقيطي، محاضرة (زاد الحجيج إلى البيت العتيق)

(٥) ينبغي البعد حال الإحرام عن كل ما يشوش الفكر، ويشغل النفس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾؛ ومن ثم يتبين خطأ أولئك الذين يزاخمون على الحجر عند الطواف؛ لأنه يشوش الفكر، ويشغل النفس عما هو أهم من ذلك.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٤١٨/٢، ٤١٩

(١) مسلم ح (٢٨١٨).

(٦) ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ لو كان في الملاحظة خير لما كانت سبباً لنسيان ليلة القدر! ولأن الله تعالى صان الإحرام عن الجدال فقال: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/٣٧٧

(٧) لما نهى الله عباده عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، حثهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٤٧

(٨) الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه؛ كان أحرص على العمل وأكثر التذاذاً به، وأقل نفرة عنه، وكان اجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن المحظورات أشد؛ فلهذه الوجوه أتبع الله تعالى الأمر بالحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله: ﴿وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣/١٨٥

(٩) في سياق آيات الحج: ﴿وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ وكان المتوقع أن يقال: وما تفعلوا من شيء؛ ليتناول كل ما تقدم من الخير والشر، إلا أنه خص الخير بأنه يعلمه لفوائده، منها: إذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته، وإذا علمت منك الشر سترته وأخفيته؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا، فكيف في العقبى؟

الرازي، مفاتيح الغيب ٥/٣٢٠

(١٠) تأمل هذه الآية العجيبة في آيات الحج: ﴿وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ مع أنه سبحانه يعلم كل شيء؛ ففيها تنويه بمراعاة أعمال القلوب أثناء النسك، فالحاج قد يغفل عن قلبه، فيتركز اهتمامه غالباً على إتمام الشعيرة ظاهراً، فإذا أحس بمراقبة الله لعمله كان أكثر إتقاناً وسكينة وتقوى؛ لذا ختمت الآية بقوله: ﴿فَاتَّخَذَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَتَّقُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(١١) مجمل عبادات الحج من طواف وسعي ورمي ظاهرة، لكن ثمة مجال لأسرار العبد مع ربه: من نوافل وأذكار وتلاوة، وتعليم جاهل، وتأمين خائف، وإغاثة محتاج، وهذا كله داخل تحت قوله: ﴿وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ وهو تعبير يفيد العموم الذي لا حصر له، وهو مجال للركض في الطاعات، والتسابق في الخيرات.

د. محمد السيد

(١٢) ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، أمر الحجاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة وهو التقوى فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين، فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٥٨/١

(١٣) ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، الجملة تتضمن غرضين:

الغرض الأول: الأمر بالتزود للحج؛ إبطالاً لما كانوا يفعلونه من ترك التزود للحج، وقطعاً لتعلق القلب بالخلق عن الخالق، ويؤيد هذا سبب النزول من قول ابن عباس ؓ: «كان أهل اليمن يحججون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألو الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾»^(١).

السيوطي، الدر المنثور ٥٣١/١ (بتصرف)

والغرض الثاني لقوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾: الحث على التزود من الطاعات للآخرة، وهو إشارة إلى استغلال موسم الحج بالطاعة فيه، ويؤيد هذا الغرض: تعقيب الجملة بقوله تعالى: ﴿فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(١٤) ﴿فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ قال رجل -يريد الحج- ليونس بن عبيد: أوصني! فقال له: اتق الله؛ فمن اتقى الله فلا وحشة عليه.

جامع العلوم والحكم لابن رجب ١٦١/١

(١٥) ﴿فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ التزود المادي في الحج مشروع؛ ليقطع الإنسان حاجته للخلق ويتفرغ للتعلق بالخالق، وهذا من أعظم مقاصد الحج؛ ولهذا فإن تفرغ الحاج لعبادته وتوكيل من يخدمه من حملة أو فرد؛ أدعى لتحقيق هذا المقصد.

د. محمد الربيعة

(١) البخاري ح (١٥٢٣).

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ (١١٨)

(١) ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب، إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوباً إلى فضل الله، لا منسوباً إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١/٩٢

(٢) تأمل كيف يربط الله تعالى الحاج بذكره سبحانه بعد كل منسك: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ (البقرة: ١٩٩)، ﴿ فَإِذَا أَقَضَيْتُمْ مَنْسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ (البقرة: ٢٠٠)، ثم قال: ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة: ٢٠٣)، ثم انظر لحالنا، كم نغفل عن الذكر في الحج؟!.

د. عبد المحسن المطيري

(٣) ﴿ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ ﴾ أي: وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر؛ كما هداكم الله لدين الإسلام، فكانه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة.

الرازي، مفاتيح الغيب ٥/٣٢٩

(٤) المتأمل في شعائر الحج يلحظ تربيةً عجيبةً على كثرة الذكر؛ فنجد النص عليه في القرآن في مواضع: عند المشعر الحرام، وفي أيام التشريق، وعند الفراغ من المناسك، وعند الذبح، والذكر على عموم نعمة التوحيد، والتوفيق لهذه المناسك؛ فلنفتش عن أثر هذه العبادة في مناسكنا.

أ.د. محمد العواجي

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٩٩)

(١) التميز عن الناس في الحج على وجه الاختصاص والكبر من أمور الجاهلية، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾، لا كما كان يفعل الخمس من قريش.

(٢) ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فيختم به الصلاة، والحج، وقيام الليل، ويختم به المجالس؛ فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها، وإن كانت لغواً كان كفارة لها.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٣٢

(٣) تأمل قوله تعالى بعد أن ذكر أهم أعمال الحج: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ ذلك أن الحاج يغشاه فرح وسرور بعد أداء تلك المناسك، وقد يصاحب ذلك إعجاب بعمله، إذ أنجز تلك الأعمال في فترة وجيزة، مع مشقة ظاهرة، فجاء الأمر بالاستغفار؛ ليستصحب التقصير الذي لا ينفك منه عمل وقربة، فيتلاشى الإعجاب والزهو، ولا يعارض ذلك الفرح والسرور ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس: ٥٨).

أ.د. ناصر العمر

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾

(١) ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ﴾ -أي: بعد التحلل من النسك- ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾ قال عطاء: هو كقول الصبي: «أبه، أمه» أي: فكما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم، فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/١

(٢) ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾ فيها: أن الناس ليسوا في الطاعة سواء، وأن من طلب الدنيا لا يفرق بين هوى يرديه، وصالح يقيمه!

محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير ٦٢٧

(٣) في آيات الحج عالج القرآن خصائص الجاهلية وكيفية تنقية المجتمع المسلم منها بأسلوب يستثمر المناسبة ويقتنصها، ومن ذلك التكبر على الناس والتميز عنهم، والفخر بالآباء والتعصب لهم، تدبر: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩)، و ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، فما أحوج الدعوة والأمة جميعاً لمثل هذا الأسلوب، ولذلك النقاء.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢١) قال ثابت لأنس ؓ: إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فأعاد عليه! فقال: تريدون أن أشقق لكم الأمور؟! إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار؛ فقد آتاكم الخير كله.

الدر المنثور للسيوطي ٥٥٩/١

﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا

إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٢)

(١) لب الحج هو الذكر، فمن وفق له فهو الموفق، واسمع برهان ذلك: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠)، ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨)، وفي الحديث: «أفضل الحج: الحج والتَّجُّج»^(١)، والعجج: رفع الصوت بالتلبية.

د. محمد الخضيري

(٢) ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ من حكمة الله تعالى في توقيت المشاعر بالأشهر الهجرية المعروفة ما ذكره الشافعي ؓ بقوله: «قد يتأخر الزمان ويتقدم، وليس تتأخر الأهلة أبدًا أكثر من يوم».

تفسير الإمام الشافعي ١/٣٢٣

(٣) ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم: بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم: بالذكر والشكر؛ وبذلك تتم النعم، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة، كان شكرهم نعمة أخرى، تحتاج إلى شكر آخر، ولا ينتهي الشكر أبدًا.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٩١

(٤) ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ تقليل لعددتها؛ لتأكيد الحرص على استثمارها.

د. عبدالمحسن المطيري

(٥) حضور الآخرة في قلب الحاج.. تأمل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾: فإنه لما ذكر الله تعالى النفر الأول والثاني، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والأفاق، بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجتمعون يوم القيامة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٥٦٢

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ح (٣٣٠).

(٦) ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ ليست العبرة بطول الزمن الذي يبقاه الحاج في منى فقط، بل العبرة باستحضار نية التعبد؛ لذلك قال سبحانه: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾، فإياك أن تقارن الأفعال بزمنها؛ فإنما هي بإخلاص النية، والتقوى فيها.

الشعراوي، تفسيره ٢٠٧/١

(٧) وقفت متأملاً لقوله سبحانه: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ حيث ذكرها في التعجل والتأخر في الحج، وتساءلت: إذا كان رفع الإثم ظاهراً في التعجل، فلم جاء في التأخر مع أنه هو الأفضل: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾؟ فبدا لي أن ذلك إيماء إلى أن العبادات توقيفية سواء أكانت رخصة أو عزيمة.

وهذا يوجب على الحاج أن يتحرى من مشروعية أي عمل في الحج؛ حتى لا يحدث فيه ما ليس منه - كما يفعل كثير من الحجاج - احترازاً من أن يرد عليه حجه لبدعة استحسناها.

أ.د. ناصر العمر

(٨) الأعمال المخير فيها إنما ينتفي الإثم عنها؛ إذا فعلها الإنسان على سبيل التقوى لله تعالى؛ دون التهاون بأوامره؛ لقوله: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾، فمن فعل ما يخير فيه، على سبيل التقوى لله، والأخذ بتيسيره، فلا إثم عليه، ومن فعلها على سبيل التهاون وعدم المبالاة، فإن عليه الإثم بترك التقوى، وتهاونه بأوامر الله.

تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة ٤٤٠/٢

(٩) ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾، التعجل أو التأخر يدور في حكم الأفضل لا الواجب، ومع ذلك تنزل فيه آية عظيمة؛ لبيان أن الأحكام التعبدية على التوقيف، كما أن التشريع من عند الله وحده لا يشاركه فيه أحد، ولو كان في الفضائل، فماذا يقول المشرعون من دون الله في الدماء والأموال والحقوق؟ نذكرهم بأخر الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

أ.د. ناصر العمر

(١٠) بعد أن أباح الله التعجل لمن اتقاه قال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله؛ فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٣

(١١) لما كان الحج حشرًا في الدنيا، والانصراف منه يشبه انصراف أهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا - فريقيًا إلى الجنة وفريقيًا إلى السعير -؛ ذكرهم بذلك بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فاعملوا لما يكون سببًا في انصرافكم منه إلى دار كرامته لا إلى دار إهانته.

البقاعي، نظم الدرر ٣٠٧/١ (بتصرف)

١٢) ختمت آيات الحج في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فتأمل كلمة: ﴿تُحْشَرُونَ﴾ ومناسبتها لزحمة الحج؛ فمن حشركم هذا الحشر باختياركم، فهو قادر سبحانه على أن يحشركم بغير اختياركم.

الشعراوي، تفسيره ٢٠٧/١

١٣) في آيات الحج الاثنتي عشرة في سورة البقرة اثنا عشر أمرًا بالتقوى وأسبابها من الذكر والاستغفار ومجانبة ما يناقضها من فسوق وجدال؛ وذلك كله تأكيد على أن حج القلب قبل حج البدن.
د. عبدالله الغفيلي

١٤) رغم اختلاف سياق الآيات في سورة البقرة عن سورة الحج إلا أن الذي لم يختلف أبدًا هو إبراز الأصلين الكبيرين - اللذين هما من أعظم مقاصد نسك الحج -:
١- تحقيق التقوى.

٢- كثرة ذكر الله ﷻ. فحري بالحاج أن يجعل هذين الأصلين نصب عينيه، وليفتش عن أثرهما في قلبه.

د. محمد الربيعة

١٥) ركزت آيات الحج في سورة (البقرة) على إظهار كمال الشريعة؛ بتضمنها للتخفيف والتيسير وإبطال ما أحدثه المشركون وأهل الكتاب في الحج من تحريف وتغيير بعد ملة إبراهيم ﷺ، بينما ركزت سورة الحج على مقاصد الحج الكبرى؛ بربطه بالتوحيد، وتأكيد الإخلاص، وتعظيم الشعائر والحرمات.
د. محمد الربيعة

١٦) ختمت آيات الحج في البقرة بذكر الحشر، وبدأت سورة الحج بذكر زلزلة الساعة؛ وهذا يدل على ما في الحج من مشاهد وأعمال تذكر بالحشر والنشور: فابتداء الحج بالإحرام يذكر بالكفن، والموت أول خطوة نحو القيامة، ثم تتوالى المشاهد والقرائن، فهل من معتبر؟

أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

والفساد له مظاهر شتى، أولها: الخروج على سنن الله الكونية والاجتماعية ومعالجة الشئون الخاصة والعامة بالهوس والقصور، وقد يبدأ ذلك بأمور تافهة، كترك صنوبر الماء مفتوحًا دون سبب، أو مكسورًا دون إصلاح، أو ترك خلل طارئ؛ ليصبح عاهة مستديمة!

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم ١٥٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٢١٦)

عزة النفس والمكابرة جبلٌ عظيم يحول بين إنسان قل توفيقه وبين قبول الحق: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾

د. عبدالله السكاكر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٠٨)

الذين ذهبوا إلى كسرى لم يذهبوا إليه باسطوانات المصحف المرتل، ولا بطبعة جديدة من المصحف، إنما ذهبوا بدرجة كبيرة من الوعي والطهر والعدل! وقف ربعي بن عامر يعرض الإسلام خلقًا وسلوكًا، ويعرضه نظام حياة وأمل جماهير.. إن القرآن قد بدأ بسورة العلق، وختم بسورة المائدة وسورة النصر؛ ليقال لنا: هذا هو الخط السماوي الذي يجب أن يعيش الناس به! الغزالي، خطب الشيخ الغزالي ١٦٠

﴿ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢١٩)

حكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾، فاعلموا أن الله غفور رحيم، ولم يكن الأعرابي من القراء، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، ومرَّ بهما رجلٌ، فقال: كيف تقرأ هذه الآية، فقال الرجل: ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

السيوطي، الإتقان ٣/٣٠٣

﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْعُرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٤)

قال السيلوكي: إن جميع ما في الكافرين والمنافقين من صفات ذميمة فإنما هو بسبب تهالكهم على الدنيا، وإعراضهم عن غيرها؛ لأنها قد زُينت لهم، حتى صار ذلك التزيين مركزاً في طبيعتهم، فتدبر كلمة (زين) في قوله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْعُرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

محاسن التأويل للقاسمي (٩٢/٢) بتصرف

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤)

(١) طريق الجنة إنما هو الصبر على البلاء، اقرأ إن شئت: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

ابن الجوزي، زاد المسير ٢٣٢/١

(٢) من كان يحب الراحة ولا يريد أن ينزعج ولا أن يخالف نفسه ولا أن يتحمل مشقة، فهذا لا يستطيع سلوك طريق الجنة. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

(٣) إن الإيمان مستقر في أعماق كل قلب، ولكنه يحتاج إلى هزة شديدة تبديه وتظهره؛ ولذلك كانت المصائب والأزمات سبباً لظهور الإيمان.

علي الطنطاوي، نور وهداية ١٨

(٤) ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ﴿ اللَّهُ ﴾ إنما يفرح عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواه؛ ليمتحن قلوبهم للتقوى، فتتقدس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتتعلق ضمائرهم بالله تعالى وحده.

البقاعي، نظم الدرر ٣٩٧/١

(٥) تدبر هذه الآية إذا اشتد بالأمة البلاء: ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ حيث ما زال البلاء بهم حتى بلغ إلى شدته وغايته، عندها يقولون: ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ أي: يستفتحون على أعدائهم، ويدعون الله بقرب الفرج، وليس فيه استعجال النصر أو اليأس من نصر الله، كما بين الشوكاني^(١) وغيره.

أ.د. ناصر العمر

(١) ينظر: فتح القدير (٢٤٧/١).

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١١٦)

(١) قال ابن عقيل: تستبطئ الإجابة من الله لأدعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفسد في دينك وديناك، وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع بأنه سبحانه لا يمنعك شحاً ولا بخلاً ولا نسياناً، وإنما أخر رحمة لك وحكمة ومصالحة، وقد تقدم إليك بذلك مقدمة؛ فقال سبحانه: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٨٨/٢

(٢) ما يصيب الإنسان إن كان يسره، فهو نعمة بينة. وإن كان يسوؤه، فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياهم، ويثاب بالصبر عليه. ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٤

(٣) رغم هول الكارثة التي أصيبت بها جده في الأيام الماضية، إلا أن المؤمن لا يغفل النظر إلى ما في هذه المحنة من منح: فكم اصطفى الله فيها من الشهداء؟ وكم كانت سبباً في توبة أناس مفرطين؟ وكم رفع الله بها من درجات المصابين بذويهم وكفر بها من ذنوبهم؟ وكم ازداد بهذه المحنة من إيمان، وظهر فيها أثر الفساد المالي والإداري؟ إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة، وصدق الله: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١).

(٤) ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، في هذه الآية عدة حكيم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحسوب، والمحسوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

ابن القيم، الفوائد ١٤٦

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٨)

(١) من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، وسعيه في تحصيله بحسب الإمكان. وأما رجاؤه لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمان، والرجاء شيء والأمان شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

ابن القيم، الجواب الكافي ٢٤

(١) أرسلت إبان السيول التي اجتاحت (جدة) يوم الأربعاء ٨ (ذي الحجة) ١٤٣٠هـ.

٢) تأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات! فالرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب المشروعة، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها.

ابن القيم، الجواب الكافي ٣٩

٣) بعد أن وصف الله عباده بتلك الأوصاف العالية قال: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ﴾! وإنما قال: ﴿يَرْجُونَ﴾ بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها؛ لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ.

الشوكاني، فتح القدير ٢٥١/١

٤) لو قال قائل في هذه الآية العظيمة: أنا أرجو رحمة الله وأخاف عذابه. ننظر: هل هو من المتصفين بهذه الصفات؟ فإن كان كذلك فهو صادق، وإلا فهو ممن تمنى على الله الأمان؛ لأن الذي يرجو رحمة الله حقيقة لا بد أن يسعى لها.

ابن عثيمين، التعليق على القواعد الحسان ٥٨

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٣٣)

١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ إذا أحب مولاك المتطهرين من الأحداث الأنجاس، فما الظن بمن تطهر من الذنوب والأدناس!

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٦١

٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ليس هناك نظام أرضي أو سماوي اهتم كل هذا الاهتمام بجمال الجسم وطهارته! وإن نقاء المسلمين البدني شارة تميزوا بها بين الشعوب الأخرى.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٩٥

﴿نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حُرَّتْكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

هذه الآية من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها، ويتكفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم.

الزمخشري، الكشاف ٢٩٤/١

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحُ بِاِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوْا مِمَّا اَتَيْتُمُوْهَنْ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَاْ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فَاِذَا اَفْدَتَ بِهٖ تِلْكَ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ ﴿٢٣٩﴾﴾

(١) ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ إنما قال سبحانه: ﴿مَرَّتَانٍ﴾ ولم يقل طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة، كذا قال جماعة من المفسرين.

الشوكاني، فتح القدير ٢٧٣/١

(٢) ﴿اَوْ تَسْرِيحُ بِاِحْسَنِ﴾ هذه الآية في شأن النساء، وإمساكهن بالمعروف، أو تسريحهن بإحسان، ولا يبعد أن يشمل المعنى كل من يتعامل معه من الناس، كموظف أو مدرس، فقد يمكث أحدهم مدة، ثم تقتضي المصلحة أن ينتقل إلى ميدان آخر، فهل ينقطع حبل المودة؟ أو يفسر انتقاله بقلة المروءة ونكران الجميل؟ الجواب: لا. فأهل الكرم يناون بأنفسهم عن ذلك، ويحسون التسريح والتوديع، فيبقى الود، وتحفظ الذكريات الجميلة، وإن تفرقت الأجساد.

د. محمد الحمد، خواطر ١٢٦

﴿فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا نَحِلُّ لَهٗ مِنْ بَعْدِ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهٗ فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اَنْ يَّرْجَعَا اِنْ ظَنَّا اَنْ يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ وَتِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴿٢٤٠﴾﴾

(١) ﴿فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اَنْ يَّرْجَعَا اِنْ ظَنَّا اَنْ يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ﴾ وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور - خصوصاً الولايات الصغار والكبار - نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها أقدم، وإلا أحجم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٠٢/١

(٢) وإنما قال: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ لأن الجاهل إذا كثر له أمره ونهيته، فإنه لا يحفظه ولا يتعاهده، والعالم يحفظ ويتعاهد؛ فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/٣

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّعُنْدِوْا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْخُذُوا أَيْتِ اللّٰهِ هُزُوًّا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهٖ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا اَنْ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤١﴾﴾

﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِعَعْدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، إنها تربية قرآنية تؤكد على أن الاعتداء على الآخرين هو ظلم للنفس أولاً؛ بتعريضها لسخط الله وغضبه.

أ.د. عبد العزيز العويد

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٣٦)

١) نذكر الآباء بأنه يجب عليهم مراعاة أولادهم وأهلهم عند ابتداء الدراسة، في تهيئة ما يحتاجون إليه من أدوات مكتبيّة أو غيرها؛ لأنّ ذلك من الإنفاق عليهم: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ثم قال: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، ويعطي كلّ واحد منهم ما يحتاج إليه، سواء كان بقدر ما أعطى الآخر، أو أقل، أو أكثر، فمن دراسته في الثانوي يحتاج من الأدوات المدرسيّة أكثر مما يحتاجه من هو دونهم.

ابن عثيمين، اللقاء الشهري (رقم: ٤٨، ص: ١)

٢) تأمل في هذا المنهج الرباني: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فإذا كان يلزم التشاور والاتفاق، عن تراض من أجل رضيع في المهدي؛ حتى لا يظلم هذا الصبي، فكيف يستبد البعض برأيه في شأن أسرة كاملة راشدة، دون مراعاة لأحوال أهله وعشيرته؟!

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٣٧)

١) ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عقيل: تمام المروءة أن تراعي ورثة من كنت تراعيه، وتحلفه بزيادة على ما كنت تراعيهم حال حياته؛ لتكون الزيادة بإزاء إرعائه، ولا توهمهم أن المنزلة سقطت بموت كاسبهم، ووفر الإكرام على الأيتام؛ لتشوب مرارة يتمهم حلاوة التحنن.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٢٠/٣

٢) المسلم - وإن كان يجب النفع للناس كافة - فهو لنفع أصدقائه أحب، ولما يصلهم من خير أفرح، ولا بأس إن وجد فضلاً أن يذكر منه أصحابه ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٧٧

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨)

١) مجيء هذه الآية بين آيات الطلاق؛ لتصور لنا ما يجب أن يكون عليه المؤمن إذا سمع نداء الله - وهو منهمك في معركة الحياة - فكأنه بهذا الأسلوب يتنادينا: إنه ليس شأن المؤمن أن يحتاج إلى كبير معالجة للتسامي بروحه فوق مشاعر الأهل والولد، وإنما شأنه أن ينتشل نفسه من غمرتها انتشالاً فورياً؛ ليسرع إلى تلبية ذلك النداء الأقدس قائلاً للدنيا كلها: «ذريني أتعبد لربي»^(١).

محمد دراز، النبأ العظيم (هامش ٣ ص: ٢٧٧)

٢) أجيال من الأمم قبل هذه الأمة كانت تقيم الصلاة، أغواها الشيطان فأغفت لدى بارقة العصر؛ فضلت قوافلها الطريق!

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٧٩

٣) اصطبري يا أبدأن على إدامة التطهر بنهر النور، فإن غُضْنَا يَنْبِت في جوار الغدير لا يجفُّ أبداً! إن لم ينل من فيضه نال من طلّه، وإن لم يرِدْ من ربيعه ورد من نداءه!

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٢٠

٤) عناية الأئمة بالتدبر في فهم آيات الأحكام: قال الإمام أحمد رحمته الله - في مسألة الطلاق -: تدبرت القرآن؛ فإذا كل طلاق فيه؛ فهو الرجعي.

جامع المسائل لابن تيمية ٢٥٥/١

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥)

في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ إشارة إلى أن الصدقة ترجع لصاحبها حقيقة، ناهيك عن الأجر؛ حيث سماها ﴿قَرْضًا﴾ القرض حقه السداد، والمقترض هو الله سبحانه، ومن أوفى من الله؟ فكان رجوعها مقطوعاً به.

د. عبدالمحسن المطيري

(١) الحديث أخرجه ابن حبان ح (٦٢٠) ولفظه: «ذريني أتعبد الليلة لربي».

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤٧)

لا يسلم الناس قيادتهم إلا لمن يتميز (بقوة) معتبرة، تكون عاملاً مؤثراً في تجاوبهم له، تدبر: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢٤٨)

(١) تأمل: ﴿ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ حيث جعل عدم القدرة على منع النفس عن رغباتها في الأمور اليسيرة دليلاً على عدم الثبات في المواقف الكبرى، وبخاصة أنه تعامل مع هذه النفس باعتدال وواقعية، إذ أتاح لها أن تأخذ ما يكسر حدة عطشها، فما زاد عن ذلك فهو استسلام للشهوة وضعف في الإرادة.

ومن هنا ندرك أن كثيراً من الجزئيات قد تكون دليلاً على الكليات.

أ. د. ناصر العمر

(٢) متى تنتهي لغة: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾؟ تنتهي إذا رفعنا شعار: ﴿ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

أ. د. ناصر العمر

(٣) الاستغراق في الجانب السلبي لحدث ما؛ يعنى عن طريق الخلاص، ويحدث الفشل، بينما نقل التفكير خارج الحدث يفتح أبواباً للخروج من الأزمة. قف متأملاً لمنهج كل طائفة في قصة أصحاب طالوت، وكيف كانت النتيجة: ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ حيث

استغرقهم مشهد كثرة جنود جالوت فضعفوا وفروا، بينما نظر الصادقون إلى عظمة الله، فقويت عزيمتهم وثبتوا فانتصروا: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآيات.

أ.د. ناصر العمر

٤) اليقين بقاء الله ومعيته زادان ضروريان، حين يبدو للعيان انتصار الأعداء وغلبتهم؛ لئلا تحصل الهزيمة النفسية، فيحدث اليأس والخذلان: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

أ.د. ابتسام الجابري

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

الصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة؛ فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

محمد الغزالي، خلق المسلم ١١٩

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ
اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

(١) ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إنما قال: ﴿تِلْكَ﴾ ولم يقل: (أولئك الرسل)؛ لأنه ذهب إلى الجماعة، كأنه قيل: تلك الجماعة الرسل.

الرازي، مفاتيح الغيب ٥٢١/٦

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢﴾ إن قتال الحوثيين^(١) محنة في باطنها منح وحكم، منها:

- رفع راية الجهاد الحقيقي.
- ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿آل عمران﴾.
- ما أورثته من تلاحم بين الراعي والرعية.
- رأى الناس من بعض أهل العلم -الذين ذهبوا للجبهة لتثبيت الجنود، وتبشيرهم- ما ذكرهم بسير العلماء الذين كانوا يعيشون هموم أمتهم واقعاً عملياً^(٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾
﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٥٤﴾

وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٣٦/٢

(١) الحوثيون: حركة شيعية تأسست في (صعدة) شمال اليمن، أسسها حسين بدر الدين الحوثي بعد أن حصل انشقاق بينه وبين علماء الزيدية؛ بسبب آرائه المخالفة لهم؛ ومنها: دفاعه المستميت وميوله الواضح لمذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية وتصحيحه لبعض معتقداتهم، فأصدر حينها علماء الزيدية بياناً تبرأوا فيه من الحوثي وآرائه. عندها اضطرَّ الحوثي للهجرة إلى إيران، وعاش هناك عدَّة سنوات تغدَّى فيها من المعتقد الصفوي وازدادت قناعته بالمذهب الإمامي الإثني عشري، وفي عام ٢٠٠٢م ميلادية عاد الحوثي إلى بلاده، لتدريس أفكاره الجديدة، والتي منها: لعن الصحابة وتكفيرهم، وأخذ الخمس، وغيرها.. وقام بتأسيس التنظيم الذي عرف باسم (الشباب المؤمن)، ثم غيروا تسميتهم مؤخراً إلى (أنصار الله)، وترابطهم علاقات سياسية ومذهبية بـ(حزب الله) الشيعي اللبناني، و(الحرس الثوري) الإيراني، ومن أبرز معتقداتهم: أنَّ كل حكومة غير ولاية الفقيه النائية عن الإمام المنتظر هي حكومة غير شرعية ولا معترف بها، ولهذا كان للحركة الحوثية النفس الثوري الناقد على الحكومة اليمنية؛ فاندلعت حروب خمسة بين الفريقين كلَّفت بلاد اليمن آلاف الأرواح وخسائر مالية كبرى.. وفي الحرب السادسة قام الحوثيون بالتسلل إلى الأراضي السعودية، وشتوا هجوماً ضد مواقع حدودية وقتلوا من جرائه جندياً سعودياً وأصابوا ١١ آخرين، فقامت القوات السعودية بالتصدي لهم ودك معاقلمهم حتى أعلنوا الانسحاب من الأراضي السعودية، بعد أن استمر القتال بين الجانبين نحو ثلاثة أشهر..

(٢) أرسلت في تاريخ ١ (المحرم) ١٤٣١هـ، أثناء تصدي القوات السعودية لهجوم شذمة الحوثيين على بعض مناطق الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥)

(١) آية الكرسي أعظم آية، وتدبرها أولى ما يكون، وقد شرعت قراءتها في مواضع كثيرة، ويحق لمن قرأها متدبراً متفهماً، أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون بذلك محفوظاً من شرور الشيطان.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٨

(٢) لما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال بعدها: الحي القيوم، فبعد أن ذكر استحقاقه للعبودية ذكر سبب ذلك وهو كماله في نفسه ولغيره، فلا تصلح العبادة إلا لمن هذه شأنه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨)، «ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت»^(١).

د. عبدالمحسن المطيري

(٣) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيها نفي وإثبات؛ نفي الألوهية وإثباتها لله وحده، وهذا من التخلية قبل التحلية، وقد فصل هذا أيضاً في الآية التي تليها ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ينظر: تفسير أضواء البيان

(٤) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم فإن السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس. ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/٣)

(٥) ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ذكر النوم بعد السنة ترقق من نفي الأضعف إلى نفي الأقوى.

المراغي، تفسيره (١٢/٣)

(٦) من مناسبة قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بعد التوحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن قوله: ﴿مَا﴾ عام، فكل ما في السموات والأرض لله، مملوك من مملكته وعبد من عبيده، فكيف يعبد العبد عبداً ولا يعبد مالكة؟!

السعدي، تيسير اللطيف المنان (١٨)

(١) البخاري ح (١٢٤١)، ابن حبان ح (٦٦٢٠).

(٧) لما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال بعدها: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ومن مناسبة هذا: أن القلوب متعلقة بمن يرزقها كما في قول إبراهيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ (العنكبوت: ١٧)، فدلهم على العبودية من الباب الذي يرغبونه.

ينظر: أيسر التفاسير للجزائري

(٨) ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تأمل في أعظم مساحة يملكها تاجر أو حاكم؛ إنها ذرة في هذا الكون الفسيح، وهي تشير -أيضاً- إلى أن ما في أيدي الخلق فماله إليه، فتبارك من وسع ملكه وسلطانه السماوات والأرض والدنيا والآخرة.

د. عمر المقبل

(٩) ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ لم يقل: بعلمه، فهم لا يحيطون بعلمه، ولا بشيء من علمه، بل هم إن علموه، فإنما يعلمونه من وجه دون وجه بغير إحاطة.

ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل

(١٠) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب؛ فلماذا قال: ﴿وَلَا يَتُودُّهُ حَفْظُهُمَا﴾

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٠

(١١) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ مثل هذه الجملة التي طرفاها معرفتان تفيد الحصر، فهو وحده العلي؛ أي: ذو العلو المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء، و﴿الْعَظِيمُ﴾؛ أي: ذو العظمة في ذاته، وسلطانه، وصفاته.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٥٦

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُّ تُؤْمِنُ قَال بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

قال تعالى في قصة الطير مع الخليل ﴿:﴾: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ والحكمة من كونها تأتي سعيًا دون أن تأتي طيرانًا؛ كونه أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم.

البعوي، معالم التنزيل ١ / ٣٢٤

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

تأمل هذا المثل؛ فالأرض إذا أعطيتها حبة أعطتك سبع مائة حبة، هذا عطاء مخلوق، فكيف بعطاء الخالق؟!

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٧١

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

(١) إن القلب المقفر من الإخلاص، لا ينبت قبولًا كالحجر المكسب بالتراب لا يخرج زرعًا: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾

محمد الغزالي، خلق المسلم: (٦٢)

(٢) قال تعالى هنا: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ وفي سورة إبراهيم: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (١٨) وسر هذا التباين: أن المثل هنا للعامل، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب، أما آية (إبراهيم) فالمثل للعمل؛ لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ تقديره: مثل أعمال الذين كفروا.

ابن جماعة، كشف المعاني ١٢٠

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦٨)

١) فهذا وعد الله، وذاك وعد الشيطان؛ فليُنظر البخيل والمنفق: أي الوعدين هو أوثق، وإلى أيهما يطمئن قلبه، وتسكن نفسه، والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، وهو الواسع العليم.

ابن القيم، طريق المهجرتين ٣٧٥

٢) حينما تهتم بالصدقة، ثم تغلُّ يدك خشية الفقر، فاعلم أنَّ الشيطان قد نفذ المهمة: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾.

إبراهيم السكران

٣) تأمل هذا التقابل العجيب: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ ثم التفت إلى قلبك حين تهتم بالنفقة، فإن وجدت ميلاً لوعد الشيطان، فانظر كيف تضمن الله لهؤلاء الذين أطلقوا أيديهم في إنفاق أموالهم دون التفات لتخويف الشيطان: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالْأَيْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٤)، فإن لم تؤثر فيك هذه الضمانات الربانية، فابك على إيمانك وموت قلبك.

أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾، يقول أحدهم -وهو من أغنياء الرياض-: لا زلت أذكر ضعفاء الناس منذ أكثر من ثلاثين سنة يقولون: التعليم الديني ليس له مستقبل ولا وظائف، يتألون على الله، وقد تخرَّجت من كلية شرعية، وترقيت بحمد الله، وما زلنا نرى الناس كذلك، ومن لم يجد وظيفة، فكم ممن له تخصص دينوي لم يجد كذلك، فالرزق بيد الله، وكلَّ يدخل ما هو أنسب له.

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١٧)

ومفهوم الآية: أن الله أخذ بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر، فيجد له نصيراً ولا يجد الظالم -بوضع القهر موضع البر- ناصرًا.

الحوالي، تراثه ٤٧٠

﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١)

البذل الواسع عن إخلاص ورحمة، يغسل الذنوب ويمسح الخطايا.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٠٨

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥)

أكل الربا ينسلخ عقله في طلب المكاسب الربوية ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، وحين يُبعث يتخبط من هول العقاب.

د. محمد الربيعة

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦)

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ تأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين وتسليط المتلفات عليها، كما فعلوا بأموال الناس ومحقوها عليهم وأتلفوها بالربا؛ فجوزوا إتلافًا ياتلاف! فقل أن ترى مرابيًا إلا وأخرته إلى محق وقلة وحاجة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢٥٣/١)

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ وهذا عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق، أن الإنفاق ينقص المال، وأن الربا يزيده؛ فإن مادة الرزق وحصول ثمراته من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وامتنال أمره، فالمتجرب على الربا، يعاقبه الله بنقيض مقصوده، وهذا مشاهد بالتجربة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٥٩

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ وهو كذلك يمحق الكافرين ﴿وَلِيَمْحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١)، فكيف إذا اجتمع كفر وتعامل بالربا؟! ومن العجيب أنه لم يرد في القرآن كلة لفظة: ﴿يَمْحَقُ﴾ إلا في هذين الموضعين.

متدبر

﴿ ٤ ﴾ ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ يظهر من كلمة كفار أن الموصوف بها اجتاز عدة مراحل من نسيان الله، واعتداء حدوده، حتى أمسى الكفر في نفسه ظلمات بعضها فوق بعض.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٩٩

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُجُجٌ مِّمَّا كَفَرْتُمْ ۗ وَلَا تَطْلُمُونَ وَلَا تَظْلُمُونَ﴾ (٢٧٩)

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه، ولم يجيء هذا الوعيد في كبيرة سوى: الربا وقطع الطريق والسعي في الأرض بالفساد؛ فاحذر هذه الصفات.

ابن القيم، طريق المهجرتين ٣٧٨

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۗ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠)

تأمل كلمة: ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ فإنها تشعرك بما يلي:

- توافر المال دون مشقة - كاستدائه مع الحرج - أو إراقة ماء الوجه عند الآخرين.
- أن يفرض عن حاجته، مما لا يوقعه في الضنك والشدة، وإلا ما انتقل العسر إلى يسر.
- أن أي أذى حسي أو معنوي لا يتفق مع دلالة: (نظرة).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

(١) قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة.

الزهد لابن حنبل ٣٧٠

فما أعظمها من آية.. وما أجدرها بالتدبر والتكرار والتأمل!

(٢) أعظم آية يوعظ بها آكلو الربا، وأصحاب الأموال -الذين أشغلتهم أموالهم عن طاعة الله- ما ختم الله به آيات الربا، وهي آخر ما أنزله من وحيه، وهي قوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

د. محمد الربيعة

(٣) الصغير يكتب له الشواب؛ وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٤٠١/٣

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

(١) قال بعض العلماء: أرجى آية في القرآن آية الدين؛ فقد أوضح الله فيها الطرق الكفيلة بصيانة الدين من الضياع، ولو كان الدين حقيراً، قالوا: وهذا من صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه ولو قليلاً يدل على العناية التامة بمصالح المسلم؛ وذلك يدل على أن اللطيف الخبير لا يضيعه يوم القيامة عند اشتداد الهول، وشدة حاجته إلى ربه.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤٨١/٥

(٢) ﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ إنما قال: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ولم يقل: (أحدكم)؛ لأنه لما كان الذي له الدين يتهم في الكتابة الذي عليه الدين، وكذلك بالعكس؛ شرع الله سبحانه كاتباً غيرهما يكتب بالعدل لا يكون في قلبه ولا قلمه محبة لأحدهما على الآخر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٣/٣

(٣) ﴿وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ من خصه الله بنعمة من النعم يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجاتهم؛ لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾، ومع هذا فـ «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^{(١)(٢)}.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٨

(١) علق د. عبد الوهاب الطريري على هذه الرسالة فقال: أولاً: عندما يكون المرء متشبعاً بمعنى من المعاني؛ فإنه يستنطقه من الدلالات الجلية والدقيقة، ولتشبع الشيخ السعدي رحمته الله بمعاني بذل الخير لم يتجاوز هذه الآية حتى جلاها هذا الجلاء الرائع. ثانياً: كانت حياة الشيخ تطبيقاً لهذا المعنى؛ فقد عاش يكتب كما علمه الله، ويعلم كما علمه الله، في تناغم جميل بين فقهه وحياته، فرحمه الله، وأثابكم على إبراز ذخائره.

(٢) البخاري ح(٢٤٤٢)، مسلم ح(٢٥٨٠)، أبو داود ح(٤٨٩٣)، الترمذي ح(١٤٢٦).

﴿۴﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴿﴾ أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ لمعنى أثر التزكية والتقوى في تحصيل العلم، وهو معنى قرآني يغفل عنه الكثيرون، فقال: «التزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم».

درء التعارض ٤٣٠/٥

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْزِبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٤﴾﴾

١) لما نزلت: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ اشتد ذلك على الصحابة، فقالوا: قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا»، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، (فنسخها الله)، وأنزل الله في إثرها: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾. فتأمل أثر التدبر في وجل الصحابة، وتأمل بركة تسليمهم لأمر الله، حين نسخ الله الآية الأولى بالثانية.

﴿۲﴾ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿﴾ إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠١/١٤

﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كَيْبَهُ وَكُتِبَ لَهُ رُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾﴾

١) قال الزجاج: لما ذكر الله في سورة البقرة أحكامًا كثيرة وقصصًا، ختمها بقوله: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ تعظيمًا لنبيه ﷺ وأتباعه، وتأكيدها لجميع ذلك المذكور من قبل، وأنهم آمنوا بأخباره وعملوا بأحكامه.

التحرير والتنوير (١٣١/٣)

﴿۲﴾ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿﴾ ثم قال: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ دل أن الإيمان الصحيح يقود إلى العمل، فهو ليس مجرد معرفة قلبية، وتصورات ذهنية.

(١) رواه مسلم (ح ١٢٥).

﴿٣﴾ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿﴾ هذه الأمة أمة أتباع، فإذا آتاه الله العقل الدال على صدق رسوله ﴿﴾ وصحة كتابه، فإنها لا تعارض أفراد الأدلة بعقولها، بل هي تسمع لها وتطيع.

ابن باز، فتاوى ابن باز ١٠٤/١

﴿٤﴾ عَفْرَانَا رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿﴾ لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد، سألوه غفرانه الذي هو غاية سعادتهم ونهاية كمالهم؛ فإن غاية كل مؤمن المغفرة من الله تعالى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣٦/١٤

٥) من ارتباط أول سورة البقرة بآخرها مدح الله تعالى في أولها للمتقين الذي يؤمنون بالغيب، ثم فصل صفتهم في آخرها بأنهم الرسول ومن معه إذ آمنوا بالغيب من مثل أركان الإيمان، وسمعوا وأطاعوا، وذكر في أولها أنهم بالآخرة هم يوقنون، وفي آخرها قالوا: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٤/٥٢٢ (بتصرف)

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿١﴾ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿﴾ فلولا أن في وسعكم الفهم لأحكام القرآن، ما أمركم بتدبره.

ابن حزم، الإحكام ٦/٢٨٢

﴿٢﴾ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿﴾ يستدل بها بعضهم على الترخُّص، مع أنها تدل على العزيمة أيضاً، فيقال: إن الله تعالى لم يكلف نفساً فوق وسعها، فمعناه: أن كل ما كان في وسعه، فهو داخل في التكليف.

ابن عثيمين

﴿٣﴾ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿﴾ جاءت العبارة بـ ﴿لَهَا﴾ ﴿﴾ في الحسنات؛ لأنها مما ينتفع العبد به، وجاءت بـ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ ﴿﴾ في السيئات؛ لأنها مما يضر العبد.

ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٧/١

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿٤﴾ فرق بين (الكسب) و(الاكتساب)، فالكسب هو ما حصله الإنسان من عمله المباشر وغيره، فالعبد يعمل الحسنة الواحدة ويجزي عليها عشراً، وأما الاكتساب؛ فهو ما باشره فحسب، فلو عمل سيئة لم تكتب عليه إلا واحدة، وذلك من فضل الله ورحمته.

القاسمي، محاسن التأويل ٢٤٣/٢

٥) وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل؛ فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطؤوا كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء وأمرنا أن لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فنقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: ١٠) الآية.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٣٩/٣٢)

٦) ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ﴿٦﴾ جمع الله في هذه الآية بين ترك الأمر وارتكاب النهي؛ لأنَّ المراد بالنسيان هنا: الترك، فالنسيان أن يترك الفعل لتأويل فاسد، والمراد بالخطأ: أن يفعل الفعل لتأويل فاسد، فدعوا الله أن يعفو عنهم هذا وهذا.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٥٣٧/٤

٧) ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ﴿٧﴾ في الحديث القدسي: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ»^(١)، وانظر إلى ترتبها: فالعفو طلب إسقاط العقوبة، ثم تدرج منه إلى المغفرة، وهي طلب الستر (وقد تسقط العقوبة ولا يستر الذنب)، ثم تدرج منه إلى الرحمة، وهي كلمة جامعة لأنواع من الخير والإحسان، فالحمد لله الذي لا أعظم من رحمته.

٨) ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨﴾ يا لها من كلمة تبعث في نفس المؤمن القوة والسعي في الأخذ بالأسباب في دفاع الكفار الذين ما فتئوا يحاربون المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم وأموالهم وديارهم، فمهما عظمت جنودهم فالله مولانا ولا مولى لهم^(٢).

(١) مسلم ح (١٢٦).

(٢) أرسلت إبان حرب غزة مطلع ١٤٣٠ هـ.

(٩) «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم.. هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة...»^(١).

إنهما نوران لم يؤتهما أحد قبل هذه الأمة قط -بنصّ كلام المعصوم ﷺ-، فهل يستشعر قارئ هاتين الآيتين هذا، وهل فتش من أثر هذين النورين في قلبه، وهو يقرأ هاتين الآيتين يوميًا؟

(١٠) ذكر الله في آخر البقرة أحكام الأموال وهي ثلاثة أصناف: عدل، وفضل، وظلم؛ فالعدل: البيع والظلم: الربا. والفضل: الصدقة. فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم، وذم المرايين وبين عقابهم، وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠/٥٥٤

(١١) استخرج العلامة العثيمين ﷺ من سورة البقرة فقط من الفوائد العقديّة والفقهية والأصولية والتربوية أكثر من ٢٥٠٠ فائدة! أي بمعدل (٩ فوائد) لكل آية! إنها بركة التدبّر.

(١٢) إن المستظهر لسورة البقرة، إذا لم يسلم وجهه لله في كل شيء، ولم يسلك بها إلى ربه متحققًا بأركان الإسلام وأصول الإيمان، متخلقًا بمقام الجهاد في سبيل الله، صابرًا في البأساء والضراء وحين البأس، متنزهًا عن المحرمات في المطاعم والمشروبات.. إلخ، واضعًا عنقه تحت ربق أحكام الشريعة، في دينه ونفسه وماله، متحققًا بخلق السمع والطاعة لله على كل حال، من غير تردد ولا استدراك؛ لا يكون حافظًا حقًا لسورة البقرة!

د. فريد الأنصاري. من مقالة: هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها

(١٣) الإحاطة بمقصود سورة البقرة كنز، وهو مضمن في الكنزين العظيمين في آخرها، فالسورة كلها في (الوحي وموقف الناس منه)، وأول الآيتين الأخيرتين: في الأصول الخمسة التي تتابع عليها وحي السماء، وموقف أهل الإيمان منها، وأما آخرهما: فهي في الوحي المحمدي وما خصنا الكريم به.

د. عصام العويد

(١) رواه مسلم (ح ٨٠٦).

سورة آل عمران

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهائهم إيمانه، ولا من فاسق يبني فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله!

جامع بيان العلم وفضله ١٢٠٠/٢

﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينِ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾

أمر الله عباده أن يهتموا بالأعمال الصالحة بالاستغفار، فكان رضي الله عنه إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثاً^(١)، وقد قال تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة (المزمل) وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المزمل).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦٨٩/١١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ وَمَا اختلفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

عبارة: (الديانات السماوية) غلط، والصواب: (الشرائع السماوية)؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ ﴾

د. محمد الراوي، تعليق على سورة هود (شريط صوتي)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦١﴾ ﴾

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٥)، الترمذي ح (٣٠٠)، النسائي (١٣٣٧)، ابن ماجه (٩٢٨).

هذه الآية من أظهر الأدلة على بيان منزلة العلماء الأمرين بالمعروف، حيث قرن الله قتلهم بقتل الأنبياء؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء.

ابن رجب، مجموعة رسائل ابن رجب (٣٢/١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إنما قال: ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾؛ لأن هذا الوصف ليس عاما لكل فرد منهم، بل كان منهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٢١٩/٣

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّمُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾
 ﴿وَغَرَّمُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ تحكي حال كثير من أهل الباطل يفترون الباطل من عند أنفسهم، ثم يصدقونه.

د. عبد الله السكاكر

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

انظر كيف عبر بصيغة النفي لا النهي مبالغة في التقرير؛ لأن اتخاذهم أولياء - بعد أن سفه الآخرون دينهم، وسفهاوا أحلامهم في اتباعه - يعد ضعفاً في الدين، وتصويبا للمعتدين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١٥/٣

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

١) من أحبَّ الله ورسوله ﷺ محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك أن يحبَّ بقلبه ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ﷺ، فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، دلَّ على نقص محبته الواجبة؛ فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل محبته الواجبة.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٢٠١/١

٢) تأمل هذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، إنها آية واضحة في بيان معيار المحبة والاتباع الحقيقي للنبي ﷺ، فلا يصح لأحد أن يزايد على هذه المحبة بفعل ما لم يشرعه، فضلاً عن الابتداع في دينه بدعوى المحبة، وأشد من ذلك أن يقلب الأمر فيوصف من لم يوافق المبتدع على بدعته، بأن محبته للنبي ﷺ ناقصة.

٣) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾، عبر بلفظ الاتباع دلالة على التقرب؛ لأن من آثار المحبة تطلب القرب من المحبوب، وعلق محبة الله تعالى على لزوم اتباع الرسول؛ لأنه رسوله الداعي لما يحبه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٨١/٣ (بتصرف)

٤) لا نقدرس جبلاً ولا نعبد حجراً، حتى الحجر الأسود نقبله امتثالاً لأمر الشرع، ونعلم أنه حجر، والجمرات في منى نرميها امتثالاً لأمر الشرع، ونعلم أنها حجر، وما عظمتنا الأول لذاته، ولا حقرنا الثاني لذاته؛ إننا نفعل ذلك ونحن نتذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ١٤٨/٣

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾
١) جاء في التفسير: أن امرأة عمران نذرت أن يكون ولدها عابداً في بيت المقدس؛ إذا حقيقة الحرية أن تكون عبداً لله.

د. عبدالمحسن المطيري

٢) كانوا يعدون أبناءهم لحملهم هذا الدين قبل ولادتهم، ويسألون ربهم أن يتقبل منهم ذلك، فما عذر من يمضي عمره دون أن يحدد مشروعه في الحياة؟

أ.د. ناصر العمر

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾﴾
١) ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ وما تخطئ المرأة في شيء خطأها في محاولة تبديل طبيعتها؛ فإن هذا لن يتم للمرأة ولن يكون منه إلا أن تعتبر هذه المرأة نقائص أخلاقها من أخلاقها.

مصطفى الرفاعي، وحى القلم، ١٩٧/١

(٢) يخطئ كثير من المسلمين في قولهم: «الإسلام دين المساواة»؛ وذلك لرد تهمة التغريبيين تجاه المرأة، وهذا مخالف لمحكم التنزيل: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ والصواب أن يقال: الإسلام دين العدل، أعطى كل ذي حق حقه وما يناسبه: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وفرق بين العدل والمساواة؛ فتدبر.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمَتِّمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾﴾

(١) ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ هذا من فضائل مريم، ومن جملة ما يزيد فضلها؛ لأن المترقي يكتسب خلقه وصلاحه ممن يريه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٨/٣

(٢) انفتاح خزائن الرزق والرحمة، والمنح الربانية، من أعظم أسبابه؛ لزوم المحارِبِ ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾... ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى﴾

د. محمد المصري

(٣) فتأمل كيف أن زكريا ﷺ لم يكتف بطلب الولد، بل قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، وقال: ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٦).

(٤) ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ والولد إذا كان بهذه الصفة نفع أبويه في الدنيا والآخرة، وخرج من حدِّ العداوة والفتنة إلى حدِّ المسرَّة والتَّعْمَةِ.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١١

(٥) كل غني إذا طمعت فيه مقتك وحرمتك وأقصاك إلا الله، فإنك إذا طمعت فيه ظفرت منه بالقرب والرضا والعطاء، فزكريا حين رأى لطف الله بمريم طمع فيما عنده، فقربه ربه وأثنى عليه، وأعطاه عطاء لا يليق إلا به سبحانه.

د. عبد الله السكاكر

﴿ ٦ ﴾ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٦﴾ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٦﴾ (إبراهيم) هكذا ختم الخليل وزكريا دعواتهما! إن استشعار العبد قرب ربه منه حال دعائه؛ من أعظم ما يعين على إظهار الافتقار بين يدي الغني، والذل بين يدي العزيز سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة، وتلك -والله- سمة العبودية، وما أحرى من هذه حاله بإجابة دعائه!

د. عمر المقبل

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾

تخيّرت الملائكة أشرف حالاته، وهو يؤدي صلاته؛ فبشرته ببشارة الله التي كان ينتظرها.. الصلاة وقت رحمة وبشارة.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ ﴿٤١﴾

عندما بُشِّرَ زكريا بالولد، قال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾، فأمسك عليه لسانه، فلم يتكلم بشيء من كلام الناس، ثم قال له: (واذكر ربك كثيرا)، فلو أذن لأحد بترك الذكر؛ لأذن لزكريا.

د. محمد الخضيري

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾

كلما منَّ الله ﷻ على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر؛ لأن الملائكة لما قالت: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾، أمرتها بالقنوت والسجود والركوع، فدلَّ هذا على أنه ينبغي للإنسان كلما ازدادت عليه نعم الله أن يزداد على ذلك شكراً بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران ٢٦٠/١

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ في المجتمع الصالح يزدحم الناس على التطوع، حتى يحتاجوا للقرعة.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾

لم يقل: عيسى ابنك إنما قال ﴿ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ مع كون الخطاب لها؛ تنبيهاً على أنه يولد من غير أب، فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت على نساء العالمين.

القاسمي، محاسن التأويل ٣١٨/٢

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤٦﴾

قال تعالى في قصة مريم: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ولم يقل: يفعل كما في قصة زكريا، بل نص ههنا على أنه يخلق؛ لئلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٤/٢

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾

إنما قال: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ ﴾ دون (علم) وغيرها؛ تنبيهاً أنه ظهر منهم الكفر ظهوراً بادياً لذي الحاسة، فضلاً لذي العقل.

الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني ٥٨٢/٢

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿وَمُطَهَّرِكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيها إشارة إلى نجاسة الكفار معنويًا، وأن من يعايشهم ويتبع أثرهم ويتشبه بهم؛ فسيعلق به أثر من نجاستهم.

أ.د. سيد ساداتي الشنقيطي

﴿هَاتَمْتُمْ هَتُؤُلَاءِ حَنَجِبْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

ذم الله في القرآن أربعة أنواع من الجدل:

- ١- الجدل بغير علم: ﴿هَاتَمْتُمْ هَتُؤُلَاءِ حَنَجِبْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.
- ٢- الجدل في الحق بعد ظهوره: ﴿يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ (الأففال: ٦).
- ٣- الجدل بالباطل: ﴿وَجَدَلُوا بِأَلْبَطِلٍ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (غافر: ٥).
- ٤- الجدل في آياته: ﴿مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (غافر: ٤).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٣٠٩

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨)

إنما قال: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: وليهم؛ تنبيهًا أن مولاة الله تعالى تُستحق بالإيمان، وأنها ليست بمقصورة على من تقدم ذكرهم، بل ذلك لكل مؤمن في كل وقت.

الأصفهاني، تفسيره ٢/٦٢٤

﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢)

التخطيط لإفساد الدين عادة اليهود وأتباعهم في كل زمان.

د. نايف الزهراني

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ شَيْءٍ فَلَنْ يُوَفَّىٰكَ اللَّهُ أَحْسَنَ مِمَّا أُوْتِيتُمْ أَوْ يَحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ (٧٣)

(١) ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ شَيْءٍ﴾ ونحوها من الآيات، تدل على أن من طلب الهدى والرشد من غير الكتاب والسنة ضل؛ لأن الهدى محصور في هدى الله الذي أرسل به رسوله ﷺ.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٧١

٢) لماذا يشمخ الإنسان بأفنه وهو لولا إعزاز الله ذليل؟ ولولا ستره مفضوح؟ وإذا كان لدى البعض فضل ذكاء أو ثراء فمن أين جاءه؟ ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، ولو قطع الوهاب إمداده لانتقل العبقري إلى مستشفى المجانين! ولمد القوارين - جمع قارون - أيديهم متسولين: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْفُكُوا أَنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (الملك: ٢١).

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن ١٧٠

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَسِنَّتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨)

إتقان الوقف والابتداء يعين على التدبر:

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَسِنَّتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ هنا يحسن الوقف، ثم تبتدئ فتقول: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ رد لقوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾.. ثم تقرأ: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ هنا يحسن الوقف أيضاً، ثم تبتدئ فتقول: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، (شريط ٥)

﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩)

١) دلّت الآية على أنّ العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً؛ فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه، وخاب عمله.

الرازي، مفاتيح الغيب ٢٧٢/٨

٢) قف عند هذه الآية متدبراً، حيث حددت أبرز معالم العالم الذي يعتد بدعوته وفتواه، فإن لم ترفي علمه ودعوته التجرد والدعوة لـ (الربانية)، وهي (الخشية) فاحذره؛ فإنه يدعو إلى نفسه علم أو جهل.

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُبْعَلَكُم مِّنْ أَحَدِهِمْ مِّلٌ مِّنْ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدَىٰ بِهِ ۗ
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ ﴾

فلو أن كافرًا تقرب بسبيكة ذهبية بحجم الكرة الأرضية؛ لينجو من النار ما قبل منه، بينما لو جاء أفقر مسلم مر على الدنيا كلها، فإن ماله إلى الجنة، فهل ندرك عظيم نعمة الله علينا بالهداية للإسلام؟!؛

د. عبدالرحمن المحمود

﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

(١) التدبر يسهل العمل الصالح:

قال ابن عمر: خطرت على قلبي هذه الآية: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، ففكرت فيما أعطاني الله، فلم يكن شيء أحب إلي من (رميثة) -مولاة له-؛ فهي حرة لوجه الله تعالى.

الزهدي لأبي داود ٢٧٠/١

(٢) ينبغي للإنسان أن يعمل بهذه الآية ولو مرة واحدة، إذا أعجبه شيء من ماله، فليصدق به؛ لعله ينال هذا البر.

ابن عثيمين

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾، ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ لقمان: ١٥، ﴿ فِيهِدْتُهُمْ أَقْتَدَةَ ﴾ الأنعام: ٩٠، تأمل الرابط بينها، تجد أنه أمر باتباع السبيل والملة والهدى مع أن هؤلاء أئمة معصومون؛ وذلك لتوجيه الأمة بالأقصد بالأنفراد لذواتهم مهما علا شأنهم وارتفعت مكانتهم وإنما تقتدي بهداهم، فإن زل أحد عن المنهج بقيت هي على الطريق، وهذا درس عظيم لو وعاه كثير من المسلمين، لسلموا من التعصب الذي أضل الأمة.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّنَّتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

(١) تأمل أوصاف المسجد الحرام: أول بيت وضع للناس (عتيق)، مبارك وهدى للعالمين، فيه آيات بينات، من دخله كان آمناً، لله على الناس حجه، حرم، حرام، محرم، من يرد فيه بإلحاد بظلم أذيق من عذاب أليم، قيام للناس، فلك أن تتصور حاجاً يستشعر هذه الفضائل والمزايا لبيت الله الحرام، ألا يجد لنسكه طعمًا آخر؟

د. محمد الربيعة

(٢) هذا من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، وإنما ذكر الله سبحانه الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب؛ تأكيداً لحقه، وتعظيمًا لحرمة، وتقوية لفرضه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥٣/٢

(٣) من روائع الاستنباط:

دل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ على فرض الحج من عشرة أوجه، منها:
- تقديم اسمه تعالى، وأدخل عليه لام الاستحقاق ﴿وَلِلَّهِ﴾ ودخول ﴿عَلَى﴾ ثم مجيء ﴿سَبِيلًا﴾ نكرة في سياق الشرط، والمعنى: أي سبيل تيسرت، فالحج معها واجب، ثم إتباعه الأمر بأعظم الوعيد ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾.

- ختمها بإخباره باستغنائه عن العالمين، إعلماً بمقت التارك مع قدرته.

ابن القيم، بدائع الفوائد ٤٦٠/٢

(٤) لما كانت العرب تشرك في حجها وتلبيتها، جاءت آيات الحج مؤكدة شأن الإخلاص في بداية الكلام؛ فقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾، وقال في البقرة: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال في سورة الحج: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ (الحج: ٢٦).

د. محمد الخضير

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ. وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

في الآية دلالة على عظم قدر الصحابة، وأن لهم وازعين عن مواجهة الضلال: سماع القرآن، ومشاهدة الرسول ﷺ، فإن وجوده عصمة من ضلالهم. قال قتادة ؓ: «أما الرسول فقد مضى إلى رحمة الله، وأما الكتاب فباق على وجه الدهر».

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧٢/٣

﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾﴾

قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، ثم قال في آية بعدها: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، أي: كما عرفتم النعيم والكمال بعد الشقاء والشناعة، فالأحرى بكم أن تسعوا بكل عزم إلى انتشال غيركم من سوء ما هو فيه إلى حسنى ما أنتم عليه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٦/٤ (بتصرف)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

(١) النهي عن التفرُّق بعد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدلُّ على أنَّ تركه هو سبب للتفرُّق لا أنه هو سبب التفرُّق.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤٩٨/٤

(٢) مجيء هذه الآية عقيب قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فيه إشارة إلى أن من أعظم الدعوة إلى الخير: تأليف القلوب، وأن من أعظم الأمر بالمعروف: الأمر بالاعتصام بجبل الله، وأن من أعظم النهي عن المنكر: النهي عن التفرُّق، فهلا احتسب بعض العقلاء على فضلاء المختلفين؛ لتحقيق هذا القصد الشريف: الاعتصام بجبل الله ونبذ الفرقة.

إبراهيم الأزرق

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُمْ يَأْتِهِمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكُمْ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

(١) اليهود من حين: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على العرب ولا غيرهم، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام، والذلة ضربت عليهم من حين بعث المسيح ﷺ فكذبوه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٠١/١)

٢) قد يمتلك اليهود المال والسلاح والمرزقة والصوص، لكنهم لن يمتلكوا الشجاعة، تدبر ﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا﴾. ولن يملكو العقل والرشاد، فاستراتيجياتهم الفتن والحروب والفساد، والله لهم بالمرصاد، فتأمل: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة: ٦٤.

أ.د. ناصر العمر

﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣)

ينبغي لقارئ القرآن أن يعتني بقراءة الليل أكثر، قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات.

النووي، التبيان في آداب حملة القرآن ٢٨

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤)

الداعية الصادق لا يتأخر في طريق دعوته، ولا يتوانى عن إجابة داعي الخير كلما دعا، بل يبادر إليه ويسارع، ويجعل تلبية ندائه أول همه ومسعاه، فتلك صفة الصالحين حقاً، التي بها نالوا القبول عند الكريم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٣٠٦

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١١٥)

إنما قال: ﴿عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ مع أنه عالم بالكل؛ بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٣٥/٨

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧)

٢) يدل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ﴾، على أن الاستثمار الأساسي في مواجهة عدوان الخارج يجب أن يكون بتحسين الداخل من خلال الاستقامة على أمر الله، ومن خلال النجاح في مواكبة معطيات العصر.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾﴾

فيه: فضل البكور والمبادرة بالعمل من أول النهار، وفيه: العناية بتوديع أهل عند الخروج لسفر، وفيه: إثارة حق الله على حق من سواه؛ فإن العبد يخرج من أحب الناس إليه، إلى شيء تكرهه النفوس؛ تقديمًا لما يحبه الله على ما تحبه نفوسهم.

د. محمد الحضيري

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

١) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، أي: ضعفاء؛ لقلة عدديكم وعدتكم، وحال المسلمين اليوم لا تقارن بأعدائهم من الأمم التي تداعت عليهم من أقطار الأرض، مدعومة بالعدد والعدة. وسبيل النصر عليهم والوقاية من كيدهم بينه الله للرسول ﷺ وللصحابه ﷺ. قبيل آية بدر فقال: ﴿وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠)، فلما التزموا الصبر والتقوى، تحقّق لهم النصر العظيم.

أ. د. ناصر العمر

٢) الانتصار في بدر كان هزيمة للكفار وانتصارًا على النفوس المهزومة التي تبني إيمانها على الماديات المشاهدة دون الإيمان بقوة من أودع فيها قوتها؛ فتدبر هذه الآية تنكشف لك حقائق ربانية تقضي على أوهام المنهزمين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، فلنأخذ بالأسباب المشروعة؛ لنرى ما رأى سلفنا.

أ. د. ناصر العمر

٣) قال بعض السلف: الشكر تقوى الله تعالى، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فالمتقي - في هذه الآية - هو الشاكر لنعمة الله، ومن لم يكن متقيًا لم يكن شاكرًا.

شعب الإيمان ٣٠٩/٦

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٢)

(١) لما رغب الله تعالى في الجنة قال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ ﴿ سَابِقُوا ﴾، ولما أباح طلب الدنيا قال: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾، فلا يصلح أن يكون العكس؛ فيكون الإسراع والمسابقة للدنيا، ومشى الهوينى للآخرة! والحزم كله في قوله تعالى: ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (الذاريات: ٥٠)، وهذا الشهر فأين المشمرون؟

أ.د. ناصر العمر

(٢) في (آل عمران): ﴿ وَسَارِعُوا ﴾ وفي (الحديد: ٢١): ﴿ سَابِقُوا ﴾ فأين الذين يسارعون إلى الخيرات؟ وأين الذين إذا دخلوا الميدان لا يرضون بأن يكونوا في الأخير؟ بل هم حريصون على السبق، وبهذا يتحقق التدبر العملي للآيتين.

﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤)

(١) الحج ميدان التقوى الواسع: ففيه الإنفاق، وضبط النفس، والعفو عن الناس، والإحسان لهم، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(٢) في بيان صفات المتقين -الذين وعدهم الله بجنة عرضها السماوات والأرض-، ابتدأت بـ ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ والمتوقع أن يكون البدء بترك الفواحش المذكورة في نفس الآية، أو بذكر أجل الأعمال وهي الصلاة، والسري في ذلك أنه لما نهى عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة في الآية التي قبل هذه الصفات: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَانْقَرُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠) بدأ بذكر ضده -ضد أكل الربا- وهو الإنفاق: ﴿ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران ١٧٠/٢

(٣) كان عند ميمون بن مهران ضيف، فاستعجل جاريته بالعشاء، فجاءت مسرعةً ومعها إناء، فعثرت وأراقته على رأس سيدها، فقال: يا جارية أحرقتني، قالت: يا معلم الخير ارجع إلى ما قال

الله تعالى، قال: وما قال؟ قالت: قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، قال: كظمت غيظي، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: عفوت عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: اذهبي فأنت حرة.

إحياء علوم الدين ٢/٢٢٠

٤ ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، وليس عن المسلمين فحسب، ومن عاجل جزاء العفو ما يجده العافي من سعادة ولذة وسلامة قلب، فأبونا إبراهيم ﷺ لم يدع على أحد، وشهد الله له: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصفات: ٨٤)، ونبينا ﷺ لم ينتقم لنفسه أبداً، وزكاه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥)

إشارة إلى أن المذنبين ليس لهم من يلجأون إليه، ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٢/٤٥

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٨)

بعد أن ذكر الله تعالى شيئاً من تفاصيل غزوة أحد في سورة آل عمران، قال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأن الكلمة الهادية لا يستشرفها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى، والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التقي الذي يخفق لها ويتحرك بها.

سيد قطب، في ظلال القرآن ١/٤٨٠

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٧)

(١) للعبد من العلوّ بحسب ما معه من الإيمان.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/٨١

(٢) الأعلون فيما تدافعون عنه: فإنكم على الحق، وهم على الباطل، الأعلون لمن تدافعون عنه: فقتالكم لله، وقاتلهم للشيطان، الأعلون فيما لكم: فقتالكم في الجنة، وقتلهم في النار.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١/٤١٢ (بتصرف).

٣) قيل للمؤمنين بعد خسارتهم في معركة أحد: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فمهما كانت انكساراتنا السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية، فنحن الأعلون بالإيمان.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٠)

١) إن هذه الدنيا: ارتفاع وانخفاض، امتلاء وفراغ، فقر بعده غنى، وغنى قد يأتي بعده الفقر، لا العالي يبقى فوق ولا الواطي تحت، ولا يدوم في الدنيا حال، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ١/٣٩٩

٢) تمضي الأعوام ويقع فيها ما يقع من الأحداث العظام، يتذكر معها المؤمن قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، فتدبر ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهي لا تستقر عند أحد، وتأمل في بقية الآية ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وخاتمتها ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

د. عمر المقبل

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٤٢)

١) العقلاء يستحيون أن يطلبوا السلعة الغالية بالثمن التافه - وهم يبدون استعدادهم للتضحية بأنفسهم في سبيل ما ينشدون- إلا أن الاستعداد أيام الأمن يجب ألا يزول أيام الروع.

محمد الغزالي، فقه السيرة ٢٧٠

٢) إن من يريد أن يسلك طريق الجنة عليه أن يعد نفسه للمتاعب والمشقات، وأن يصبر عن المعاصي اللذيذة فلا يقربها، وأن يصبر على الطاعات الصعبة فلا يقصر فيها. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

١) لقد جمع النبي ﷺ الناس حوله على أنه عبد الله ورسوله، والذين ارتبطوا به عرفوه كذلك، فإذا مات عبد الله، بقيت الصلة الكبرى بالحي الذي لا يموت؛ فأصحاب العقائد الحققة أتباع مبادئ لا أتباع أشخاص.

محمد الغزالي، فقه السيرة ٢٧١

٢) هنيئًا لك وبشرى أيها الحاج، فقد ولدت بحجك هذا ميلادًا جديدًا، وتركت وراءك ركام الذنوب، وعدت كيوم ولدتك أمك، فاجعل من حجك بداية حياة جديدة، ومعاملة صادقة مع الله، واستأنف عملك، فقد كفيت ما مضى، ولكن الشأن فيما بقي، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾.

د. عبد الوهاب الطريري، مقال: أيها الحاج استأنف عملك

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

يقاتلون مع الأنبياء، ويبدلون مهجهم في سبيل الله، إلا أنهم لم يغتروا بأعمالهم، بل يستشعرون تقصيرهم في حق الله مهما بذلوا، وهذا من أعلى مقامات العبودية، ومن كان شأنه دوام النظر إلى التقصير أكثر من النظر إلى الطاعة؛ فحري به أن يرتقي في درجات العبودية والتقوى.

فهد العيبان

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب، والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٥٧/١٠

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

حين تتذكر أن هذا يوم نجى الله فيه نبيه موسى ﷺ، وقتل فيه سبط نبينا ﷺ (الحسين) كما أنه اليوم ذاته الذي أغرق فيه فرعون، وتسلب فيه الشقي قاتل الحسين، أيقنت أن ﴿الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، وأنه ليس للخلق من الأمر شيء؛ فلم يبق إلا الشكر على نجاة أنبيائه وهلاك أعدائه، والصبر على مصائبنا في أوليائه.

د. عمر المقبل

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

إذا قارف العبد الذنب، ولم يبادر إلى التوبة؛ فلا يأمن أن يسلب الله عليه الشيطان؛ فيستزله ويغويه. د. عبدالله السكاكر

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

(١) سمعته يلوم المقاومة، ويتهكم بها بأنهم لو كانوا عقلاء وسمعوا نصيحتنا والتزموا الصمت لما وقع عليهم القتل والذبح، فظننت أن مثل هذه المواقف إنما هي من الانتكاسات المعاصرة التي لا سابق لها، حتى قرأت قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾.

إبراهيم السكران

(٢) من عمل الشيطان: تشييع الماضي بالنحيب والإعوال، وما يلقيه في النفوس من أسى وقنوط على ما فات ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٨٩

(٣) ذم الله قومًا تسخطوا القدر، واعترضوا على قضاء الله في حق المجاهدين، وخذلوا بكلامهم، فقالوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾، وها نحن نسمع من يقول مثل هذا القول في حق إخوتنا في غزاة^(١).

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

(١) ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾، دلت الآية على أن لينه ﷺ لمن خالفوا أمره وتولوا عن موقع القتال؛ إنما كان برحمة من الله، فالله حقيق بجمد نبيه ﷺ إذ وفقه بفضيلة الرفق لأولئك المؤمنين، وحقيق بجمد أولئك المؤمنين، إذ كان لين رسوله ﷺ إنما هو أثر من آثار رحمة الله. محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣٩٠/١

(٢) قال ابن عقيل: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ هذا رسول الله ﷺ، شهد الحق له لولا تخلقه للخلق الجميل لانفضوا عنك، ولم يقنع بالمعجز في تحصيلهم، لا تقنع أنت بالعلوم وتظن أنها كافية في حوش الناس إلى الدين، بل حسن ذلك وجله بالأخلاق الجميلة.

الأداب الشرعية لابن مفلح ١٩٠/٢-١٩١

(٣) ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ليعتبر في هذه الآية من يتولى أمرًا يستدعي أن يكون بجانبه أصحاب يظاهرونه عليه؛ فليعلم أن الذكاء وجزارة العلم وعظم الثروة لا تكسبه أنصارًا مخلصين، إلا أن يكون صاحب خلق كريم.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٣٩١/١

(٤) فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والافتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعة؟!.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٩٨

(٥) قال الحسن البصري ﷺ: أمر الله نبيّه بالتشاور، فوالله ما تشاور قوم بينهم إلا هدهم الله لأفضل ما بحضرتهم.

المحرر الوجيز ٥٦٥/١

(١) أرسلت هذه الرسالة في إحدى الحروب على غزاة.

﴿ وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾، أمر الله نبيه ﷺ - وهو أكمل الناس عقلاً- أن يشاور، إذ الحقيقة أن الإنسان - وإن بلغ عقله الغاية- لا يستغني عن الاستعانة في مشكلات الأمور بآراء الرجال؛ إذ العقول قد تكون نافذة في ناحية من الأمر، واقفة عند الظاهر في ناحية أخرى.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ١/٣٩٣

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُومِهِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٣)

(١) التسابق للحصول على أعلى الدرجات في الامتحانات، واستغلال الأوقات، وحفز الهمم لبلوغ أعلى المناصب والمراتب، لا بد أن يدفعنا لتنافس أكبر لنيل درجات أعظم ثمرتها ليست شهادة على ورق، بل جنة عرضها السماوات والأرض، بل لا ينبغي أن تقف آمالنا إلا عند الفردوس الأعلى، تأمل ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

أ.د. إبتسام الجابري

(٢) سئلت أخت أسلمت قريباً عن أعظم آية تستوقفها بعد هدايتها للإسلام؟ فقالت: هي الآية (١٦٣) من سورة آل عمران: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُومِهِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ نسأل الله لنا ولها الثبات على دينه.

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١١٤)

إنما السعيد من أكرمه الله بالاشتغال بالقرآن الكريم، تلاوة وتزكية وتعلماً وتعلماً؛ إذ هو مجمل وظائف الأنبياء ﷺ، وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٩٨

﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مَّصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١١٥)

(١) يخطئ كثير من الناس في فهم الإيمان بالقضاء والقدر، فكلما أصابتهم مصيبة قالوا: (قضاء وقدر) فيغفلون عن الأسباب البشرية، وما يجب تجاه ذلك، ومنهج القرآن يربي على النظر في الأسباب؛ لمعالجتها، مع الإيمان بقضاء الله وقدره. تدبر: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مَّصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فبدأ بالسبب قبل بيان قدر الله.

أ.د. ناصر العمر

(٢) إنا إذا نظرنا إلى تسليط اليهود على العرب، وجدناه من عند أنفسهم كما أوجب المصابون يوم أحد: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، ولو تصورنا حال العرب اليوم، لوجدنا فيهم ما هو من أكبر أسباب الخذلان والهزيمة! ففيهم من يدعو غير الله، وفيهم من لا يقيم الصلاة ولا يؤدي الزكاة، وفيهم من يعطل الشريعة، فإذا كانت معصية واحدة من أسباب الهزيمة، فما بالكم بهذه الفظائع التي توجد في بعض البلاد العربية اليوم؟

ابن عثيمين، الضياء اللامع ٢/٣٣٥

(٣) ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ نقضت هذه الآية - في وقت مبكر - المبالغة في نظرية المؤامرة.

د. حمد الماجد

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَنْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: ٥) وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّسِنَتِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/١١٨

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ فَنَاقَلْبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوٌّ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

(١) منهج القرآن في بناء التفاؤل الذاتي في نفوس المؤمنين - مهما كانت الظروف والأحوال المحيطة به - يؤسس حصانة متينة دون التردي في الهزيمة النفسية، وآثارها السلبية على الفرد والأمة، والآيات في ذلك متعددة متواترة، تدبر - مثلاً - : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ الآيات، ثم انظر كيف كانت النتيجة!

أ.د. ناصر العمر

(٢) من صفات خيار المؤمنين: إحسان الظن بربهم؛ لذا فهم ينظرون إلى الأحداث نظرة تفاؤل مهما بدا من ظاهرها من شدة، مع مبادرتهم في الأخذ بالأسباب المشروعة في التعامل معها بحكمة وتعقل.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ

عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

إن مجرد طول العمر ليس خيراً للإنسان إلا إذا أحسن عمله؛ لأن طول العمر أحياناً يكون شراً للإنسان وضراً عليه، فهؤلاء الكفار يملئ الله لهم أي يمددهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات لا لخير لهم، ولكنه لشر لهم؛ لأنهم سوف يزدادون بذلك إثماً.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٢/ ١٠٧

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَإِن تَوَمَّنُوا

وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

تمر بالأمة أحداث عظيمة ينتظر فيها الأختيار قول الحق من بعض المتبوعين، فإذا هم من المعوقين!! فيزداد الناس حزناً وقنوطاً، ولو تدبروا هذه الآية؛ لأدركوا كم في ذلك من منح تفوق تلك المحن. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَآءِ أَنفُسِهِمُ أَنَّهُمْ مِنَ فَضْلِهِ ۗ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

بَخَلُوا بِهِ ۗ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

كثيرون يقصرون معنى هذه الآية على البخل بالمال، والمعنى أشمل وأعم كما ورد عن ابن عباس ؓ واختاره ابن كثير^(١)؛ ولهذا لم يدرك أولئك خطورة ما يبخلون به من علم أو جاه أو نعمة خصهم الله بها، ويحسبون أنهم يصنعون خيراً لأنفسهم، وما صنعوا إلا شراً، والجزاء العاجل سلب هذه النعم من العبد وغداً، ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

أ.د. ناصر العمر

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٧٥).

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

(١) ما الفرق بين إثبات السمع في هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)؟
السمع في الآية الأولى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ خرج مخرج التهديد لقائله، بخلاف الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فهي لإثبات كمال سمعه.

العزبن عبدالسلام، قواعد الأحكام ٢٣٥/١

(٢) تأمل حلم الله ﷻ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، فمع هذا الفحش في القول والشطط في الاعتقاد لم يعاقبهم الله بالفقر، بل إن اليهود من أغنى أثرياء الأمم، وأجل الله عذابهم إلى الآخرة، فما أحلم الله مع تمام ملكه وكمال قدرته وعزته!

أ.د. ناصر العمر

(٣) هل سمعت بطفل يتدبر القرآن؟ قال أحدهم: كنت مع ابنتي (٧ سنوات)، فسمعت قارئاً عبر الإذاعة يتلو: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، فسألت ببراءة: إذا كان الله فقيراً وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟!

متدبر

(٤) انظر كيف قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ حين وصفوا الله تعالى بالنقص، قبل أن يقول: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾؛ مما يدل على أن وصف الله بالنقص أعظم من قتل الأنبياء.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات ١٤

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ قَلِمًا قَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

إنما قال: ﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾؛ لأن أكل النار للذي قربه أحدهم لله في ذلك الزمان، كان دليلاً على قبول الله منه ما قرب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال.

الطبري، جامع البيان ٤٤٨/٧

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

(١) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ كلهم سيدوقونه: المحسن والمسيء، الغني والفقير، المتواضع والمتكبر.. فإذا كانت هذه نهاية الجميع، فطوبى لمن لقي ربه وقد أمضى حياته فيما يستطيعه من تعبد، ودعوة إلى الله، ونفع للخلق.

(٢) الحكمة من التعبير بـ(زحزح) -والله أعلم-؛ لأن النار أعادنا الله منها، محفوفة بالشهوات، والشهوات تميل إليها النفوس، فلا يكاد ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة؛ لأنه يقبل عليها بقوة.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران ٥١٢/٢

(٣) من أعظم نفحات رمضان: مصادفة ساعة إجابية، يسأل العبد فيها الجنة والنجاة من النار، فيجاب سؤاله، فيفوز بسعادة الأبد، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢١٦

(٤) طريق الجنة أوله صعب، ولكن إن صبرت على صعوبته، وصلت إلى اللذة الدائمة. وطريق النار أوله سهل جميل، ولكن إذا غرك جماله، أبلغك الشقاء الدائم ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

﴿ لَتَجَلَّوْا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

(١) ما نسمعه من النصارى وأضرابهم من سب حبيبنا ﷺ والإساءة إليه، قد جاء الخبر عنه في القرآن: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً ﴾، ثم بين المخرج فقال: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ فإذا صبرنا على ديننا، ولم نتعد حدود الله بعواطفنا، واتقينا ربنا، فإن العقاب لنا.

د. محمد الخضير

(٢) إن أي اهتزاز أمام الحملات الإعلامية المريبة من أعداء الملة، ضعف في الإيمان وخور في العزيمة؛ لأن الحقيقة الراسخة: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠).
أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ﴾ (١٧)

(١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، إن وظيفة علماء المسلمين أن يقفوا أنفسهم لصد المعاني العدو المغيرة على الإسلام وعقائده وأحكامه، وهي أفتك من الجنود؛ لأنها خفية المسارب، غرارة الظواهر، سهلة المداخل إلى النفوس، تأتي في صورة الضيف فلا تلبث أن تطرد رب الدار.

محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد الإبراهيمي ١١٨/٤

(٢) قال ابن عقيل: فالله الله! لا تنس الأدب فيما وجب عليك فيه حسن الأدب، ما أخوفني أن يكون المصحف في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحق سبحانه فيه فتدخل تحت قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٤٣٠

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠)

(١) في إيجاد السموات والأرض آيات، وفي اختلاف الليل والنهار: طولاً وقصرًا، وحرارة وبرودة، وخوفًا وأمنًا، وشدة ورخاء، وعزًا وذلاً، وملغًا وخلعًا، وغير ذلك من أنواع الاختلاف، كل ذلك فيه آيات تدل على عظمة الرب ﷻ، وأن له الملك المطلق والتدبير المطلق.

ابن عثيمين

(٢) والله لن تنور هذه القلوب إلا بالتفكير، عبادة الأنبياء والأولياء في كل زمن، يقول عامر بن عبد قيس: سمعت غير واحد من الصحابة يقولون: «إن نور الإيمان في التفكير»^(١)، ومع أنها وسيلتنا الأعظم لمعرفة الرب، إلا أن إعراضنا عنها عجب، وهذا مصداق خبر الله حين خص فقال: ﴿لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

د. عصام العويد

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٨٥.

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١١١)

(١) قارن: كيف ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥)، ومدح عباده المؤمنين: ﴿لَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٨/٢

(٢) فيه الذكر على كل حال، فيستفاد منه جواز قراءة القرآن للحائض، وهو مذهب مالك، وقول لأحمد والشافعي، وكثير من المحققين، وأما حديث: «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن»^(١)، فمعلول باتفاق أهل الشأن، وفي منعها من القرآن وتدبره فوات خير كثير، خاصة وأنَّ حيضتها ليست بيدها.

ابن القيم، إعلام الموقعين ٢٣/٣

(٣) ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ وإذا كان هذا في الذكر الذي هو مقصودٌ في التعظيم؛ فالفتوى جالساً أو مضجعاً لحاجة الناس من باب أولى.

د. عبدالكريم الحضير

(٤) ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ تأمل كيف جاء الثناء عليهم بصيغة الفعل المضارع (يتفكرون) التي تدل على الاستمرار، فالتفكر ديدنهم، وليس أمراً عارضاً.. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «فكرة ساعة خير من قيام ليلة»^(٢). وكلام السلف في تعظيم عبادة التفكر كثير، فكم هو نصيبنا منها؟

(٥) ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، وهذا دليل على أنَّ التوسل بأفعال الله تعالى وربوبيته من أسباب إجابة الدعاء؛ فإنه قال بعد ذلك: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾.

ابن عثيمين

(٦) الفكر هو مبدأ أي عمل؛ فالإنسان إنما يعمل -عادة- بعد أن يجيل فكره، وبعد أن ينظر، ثم بعد ذلك يقدم على العمل: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، فبعد أن تفكروا عملوا؛ فسألوا الله الجنة، واستعاذوا به من النار.

د. خالد السبت

(١) أخرجه الترمذي ح (١٣١)، ابن ماجه ح (٥٩٦).

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٥٥٥.

(٧) وإنما قال: ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾، ولم يقل: ما خلقت (هذه، ولا هؤلاء)؛ لأنه أراد بهذا الخلق الذي في السماوات والأرض، يدل على ذلك قوله: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١١١﴾.

ابن جرير، جامع البيان ٣١١/٦

(٨) قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فيه تعليم العباد كيفية الدعاء وآدابه، وذلك أنَّ من أراد الدعاء فليقدم الشناء، ثم يذكر بعده الدعاء، كهذه الآية.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ١١٥/٦

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿١١٢﴾

ليس الخزي أن تدعو وتأمّر بمعروف وتنهى عن منكر، فلا يستجاب لك، أو ترد دعوتك، أو تهان أمام عشرة أو مائة، بل الخزي هو الغضب من أعظم عظيم، والعذاب الأليم، أمام جميع العالمين من الأولين والآخرين.

متدبر

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ﴿١١٣﴾

(١) فيها فوائد:

- ١- الإيمان بالمرسل، وبصدق الرسول.
- ٢- تزكية الرسل بأنهم بلغوا عن الله.
- ٣- ربوبية الله سبب عقلي موجب للإيمان به.
- ٤- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، وأعظمها: الإيمان به، وذلك من أدب الدعاء.
- ٥- أن من أعظم ما يطلب: مغفرة الذنوب.

ابن القيم، حادي الأرواح ٦٢

(٢) لقد سمعنا ﴿مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ فهل هناك صوت أندى من هذا الصوت، أو سبيل أجدى من هذا السبيل؟

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٢٩

(٣) من فضائل القرآن أنه المنادي للإيمان، قال محمد بن كعب: «ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي القرآن».

جامع البيان للطبري ٧ / ٤٨٠

٤) سئل الحسن البصري رضي الله عنه: من هم الأبرار؟ قال: هم الذين لا يؤذون الذر!

الدر المنثور ٤١٥/٢

﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾﴾

١) جاءت هذه الآية بعد أن دعوا ربهم بخمس دعوات عظيمة، قال الحسن رضي الله عنه: «ما زالوا يقولون ربنا ربنا؛ حتى استجاب لهم»^(١)، فكم يخسر المقصرون في عبادة الدعاء، والمتعجلون في رؤية ثمرته؟! وكم يربح ويسعد من فتح له باب الدعاء، ومناجاة مولاه الذي يحب الملحين في الدعاء.

٢) تدبر: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الله أكبر! كل هذه الأعمال العظيمة: هجرة، وإخراج من الديار، وجهاد، بل وقتل، ومع ذلك يقول الله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾! وأحدنا اليوم يجر نفسه لصلاة الفرض جرأ، ويرى أنه بلغ مرتبة الصديقين!

عبدالعزیز المديش

٣) ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٩١/٢

﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوتِيتُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْأَهَادُ ﴿١١٧﴾﴾

١) ذكر الله حال الكفار في الدنيا: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾، ومصيرهم في الآخرة: ﴿ثُمَّ مَا أُوتِيتُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْأَهَادُ﴾، ثم عقبه بقوله: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوَّا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾؛ لتختار أي الفريقين.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٩٢/٢ (بتصرف)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٨/٤.

(٢) حين ترى غرور الكفار باقتصادهم بالأمس وهلعهم من أزمته اليوم تذكر قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ فِي الْبَلَدِ ۗ مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾، قال السعدي ؒ: هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر. تيسير الكريم الرحمن ١٦٢

(٣) إذا أحزنتك أن أعداء الإسلام لا يزالون أشدَّ قوة، وأكثر عدداً، وأجمع لوسائل النصر، فتذكر: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ فِي الْبَلَدِ ۗ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ إِلَهُآءُ﴾، إنهم في مثل ضياء الأصيل، يملأ الدنيا ولكنه إلى زوال.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٧١

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ﴾ (١١٨)

قال أبو الدرداء ؒ: ما من مؤمن إلا الموت خير له، وما من كافر إلا الموت خير له، فمن لم يصدقني؛ فإن الله يقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ﴾ ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

الدر المنثور ٣٩٢/٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠)

(١) ما أروع القرآن حين يكون مؤثراً في حياتنا كلها، ومفرغاً حل مشاكلنا، شكى مسؤول للشيخ ابن باز ؒ عقبات يجدها في عمله، فأخذ الشيخ بيده، وعقد أصابعه واحداً واحداً عند كل أمر من هذه الأوامر التي ختمت بها السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٢) في الحديث أنه ؒ بكى حتى بلَّ لحيته وبلَّ الأرض، وقال: «لقد أنزلت عليَّ الليلة آية، وبل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيات من آخر آل عمران (١).

(١) ابن حبان ح (٦٢٠).

سورة النساء

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَأُنْقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

١) في سورة النساء لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى؛ لقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم، ﴿وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦)، وهذان الوصفان -العلم والقدرة- بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعاً للأوامر والنواهي، منقاداً للتكاليف.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٧١٥٨

٢) طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هي علاقة تكاملية لا تنافسية، فحواء لم تخلق كما خلق آدم، بل خلقت منه ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فإن ظلمها؛ فإنما يظلم قلبه، وإن نشزت واسترجلت، فما أبشعه من منظر!!

د. عصام العويد

٣) في أول سورة (النساء) قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وفسرها الحديث الصحيح: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ»^(١)، وهو ضلع الصدر، وهذا فيه إشارة ظاهرة إلى طبيعة التكامل بين الرجل والمرأة، فالمرأة خلقت من الرجل ومن ضلعه تحديداً لا ليخنتها؛ بل ليعطف عليها بجناحه حباً وحماية لها كما يفعل بأضلاع صدره، وهي كذلك لتبقى في محلها؛ فإن نشوز عظم الصدر مؤلم، بل ترق وتلين له كما الضلع في رقتة ولينه.

د. عصام العويد

٤) ﴿وَأُنْقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قرن الله الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها؛ ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بمقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٣

(١) أخرجه البخاري ح (٣٣٣١)، ومسلم ح (١٤٦٨).

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَاكْلُوهُ هَيْنًا مَّيِّتًا ﴿٤﴾﴾

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَاكْلُوهُ هَيْنًا مَّيِّتًا﴾ لو تدبر هذه الآية أولئك الذين يأخذون أموال الضعفة من تحت أيديهم، وبدون طيبة أنفس منهم - وإن أذنوا ظاهراً؛؛ لعلموا أنهم ربما أكلوه غصة فأعقبهم وبالألأ.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرُوفًا ﴿٥﴾﴾

﴿١﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴿٥﴾ إذا كان هذا أمراً بحفظ المال؛ فحفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق.

أبو حامد الغزالي، الإحياء ١٥٨

﴿٢﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴿٥﴾ إِنَّ أُمَّةً تَنْفِقُ مِثَالَ الْمَلَائِكَةِ فِي الشَّهْرِ عَلَى اللَّهْوِ وَالِدُخَانِ، وَتَنْفِقُ مِثْلَهَا عَلَى الْمَحْرَمَاتِ، وَتَنْفِقُ مِثْلَهَا عَلَى الْبِدْعِ الضَّارَّةِ، وَتَنْفِقُ مِثْلًا ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى الْكَمَالِيَّاتِ الَّتِي تَنْقُصُ الْحَيَاةَ، وَلَا تَزِيدُ فِيهَا، ثُمَّ تَدْعِي الْفَقْرَ إِذَا دَعَاهَا الدَّاعِي لِمَا يَجْبِيهَا، لِأُمَّةٍ كَاذِبَةٍ عَلَى اللَّهِ، سَفِيهَةٍ فِي تَصَرُّفَاتِهَا.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٣/٤٥٥

﴿٣﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴿٥﴾ ولم يقل: (أموالهم) مع أنها أموال السفهاء؛ لقوله بعده: ﴿فَإِنَّ أَسْتَمُّ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فأضافها إليهم حين صاروا رشداً.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤/٦٥

﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا ﴿٥﴾ إنما قال: ﴿وَارزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ولم يقل: (منها)؛ لأن ﴿فِيهَا﴾ يقتضي بقاءها بالتنمية والتجارة حتى تكون محلاً للرزق والكسوة.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١/٤٦٥

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ اسْتَمُّ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿٧﴾ إنما قال: ﴿حَسِيبًا﴾ ولم يقل: شهيداً مع مناسبته؛ تهديداً للأوصياء لئلا يكتبوا شيئاً من مال اليتامى، فإذا علموا أن الله يحاسبهم على النقيير والقطمير، ويعاقبهم عليه؛ انزجروا عن الكتمان.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٤٦٦/١

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ﴿٧﴾

الحكمة من قوله ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ لعل أحداً يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾، فتبارك الله أحسن الحاكمين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٨﴾

يؤخذ من هذا المعنى، أن كل من تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١١﴾

(١) استنبط بعض الأذكىاء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾، أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح.

تفسير القرآن العظيم ٢٢٥/٢

(٢) ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ إنما قال: ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ولم يقل: (في أبنائكم)؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاة، وعلى ابن البنت، وعلى الابن المتبنى، وليسوا من الورثة.
ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٤٧١/١

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِئَلًا أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُوسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَاعَرٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ تأمل تعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة؛ إيداناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين.
ابن القيم، جلاء الأفهام (٢٦٢)

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

من أقبح الخلال: تعنيف المذنبين والمخطئين بعد اعترافهم وتوبتهم، وقد يدعوهم ذلك إلى معاودة الذنب أو الخطأ ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.
د. محمد الخضير

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

(١) ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾، فكل من يعمل السوء لا بد أن يكون جاهلاً؛ فيما أن يجهل ما فيه من القبح والضرر، وإما أن يجهل سوء عاقبته وقبح تأثيره في نفسه، وما يترتب على ذلك من سخط ربه وعقابه؛ ذهاباً مع الأمانى واغتراراً بتأول النصوص.

رشيد رضا، تفسير المنار ٣٧٥ / ٧

(٢) وقت التوبة: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾، قال ابن عباس ؓ: «قبل المرض والموت». علق ابن رجب ؓ: «هذه إشارة إلى أن أفضل أوقات التوبة، هو أن يبادر الإنسان بها حال صحته قبل نزول المرض به؛ حتى يتمكن حينئذٍ من العمل الصالح».

تفسير ابن رجب ٢٩٩/١

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١١)

(١) لا يُقر الخطأ، سواء في جاهلية أو إسلام، وانظر كيف جمع بين ذكر خطأين في سياق واحد: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾، وهذا من أفعال الجاهلية: كانوا يرثون المرأة كالماتع، ثم قال: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي: لا تمنعهن التزويج، وهذا يقع من أهل الجاهلية، وأهل الإسلام.

د. محمد الحضيري

(٢) إنَّ من أعظم المعروف كلمة حلوة تنفذ إلى قلب المرأة؛ فتروي عطشه، ولكن المحروم منا -معاشر الأزواج- من يصاب بجفاف الريق بسبب هبوط نسبة (السكر) لديه، فما يلفظ إلا قوالب الثلج.

د. عصام العويد

(٣) ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾؛ أي: ينبغي -أيُّها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم ولو مع الكراهة؛ فإن في ذلك خيراً كثيراً، من ذلك:

- ١- امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.
- ٢- أن إجباره نفسه -مع عدم محبته لها- فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة.
- ٣- وربما أنَّ الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك.
- ٤- وربما رُزق منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٧٢

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾

(١) قوله: ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرّم ولو لم تكن في حجره ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت؛ فمن المستقبح إباحتها.

والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة، وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٧٤

(٢) قال تعالى في المحرمات من النساء: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ من المعلوم أن الابن لا يكون إلا من الصلب، وإنما قال: ﴿مِّنْ أَصْلَابِكُمْ﴾؛ لأن معناه: وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم، دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم.

الطبري، جامع البيان ١٤٩/٨

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاذْكُرُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفُوحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَن حَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

من علوم التفسير المعينة على التدبر: علم الوجوه والنظائر، وهو: معرفة معاني الكلمة في سياقات مختلفة، انظر إلى قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ ﴿ف﴾ ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ بمعنى: الحرائر، و﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ بمعنى: عفيفات، و﴿أَحْصِنَّ﴾ بمعنى: تزوجن.

د. محمد الخضير

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (١٧)

(١) ما رأيت تاريخًا صنعتته الشهوات والملذات! ولكن دعاة الشهوات والملذات عندنا يزعمون أنهم يصنعون تاريخنا الحديث، فهل هم جاهلون؟ أم متآمرون؟ أم جمعوا بين الجهل والتآمر؟

د. مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ١٠٢

(٢) السفور والحسور والتكشيف والموضات، وكشف النساء العورات، وسلوك الشباب سبيل الفساد، كل ذلك قنابل للعدو تتساقط علينا، وتهدم كياننا، وتصعد بنياننا، وتذهب قوانا، فهل نكون من غفلتنا عونًا للعدو على أنفسنا؟!

علي الطنطاوي، نور وهداية ٦٩

(٣) لن يكتفي أتباع الشهوات بما يسوغ الخلاف فيه؛ حتى يجنحوا بالأمة إلى ما لا خلاف على تحريمه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

د. عبدالله السكاكر

(٤) ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ هذا بيان صريح من الذي يعلم السر وأخفى - سبحانه - أن هذا الصنف من الناس - سواء كانوا صحفيين، أو كتابًا، أو روائيين، أو أصحاب قنوات هابطة - يريدون يميلوا بالأمة ميلاً، وأكد هذا الميل بأنه عظيم، إذ لا تكفيهم مشاريع الإغواء الصغيرة.

د. عبدالمحسن المطيري

(٥) كلما رأيت إصرار أصحاب مشاريع إفساد المجتمع على تحقيق مشاريعهم - رغم العقبات التي في طريقهم - تعجبت! لكن آيتين كشفتنا سر ذلك: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الآية (النور: ١٩)، فحققوا (المحبة) الدافعة لـ (قوة الإرادة)؛ فأثرتا الإصرار: ﴿أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (ص: ٦)، فأين المصلحون من ذلك؟

أ.د. ناصر العمر

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨)

(١) سئل سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ما ضعفه؟ قال: المرأة تمر بالرجل، فلا يملك نفسه عن النظر إليها، ولا هو ينتفع بها؛ فأى شيء أضعف من هذا؟

حلية الأولياء ٦٨/٧

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ بيان لضعف الإنسان الجبلي، وفيه إرشاد له بالألا يغتر بنفسه فيلقي بها في مواطن الشهوات؛ ثقة بعلمه ودينه، فمن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه. د. محمد الحمد

(٣) ضعف الرجل بين في أمر النساء؛ ولذا لما ذكر النكاح والشهوة والإحصان وحد الزنى في سورة النساء؛ ختمها بقوله: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ فعلى المتعفف الخائف على دينه أن لا يستهين بأمرهن، ولا يدنو من فتنتهن؛ ثقة برجولته، وتمام عقله، وكمال عفته! فكم من متعثر غرته التجربة، وغره بالله الغرور!

د. محمد الحضيبي

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، ورحمته ليست خاصةً بإزهاق الروح بدون حق، بل إن من أعظم الرحمة به: حمايته مما سيلقيه قاتل نفسه من عذاب شديد: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهُ نَارًا﴾ (النساء: ٣٠).. ومن قتل أخاه بدون حق فقد قتل نفسه؛ فجريرة قتله سترجع إليه.. فهل يعي ذلك من ولغوا في دماء إخوانهم المجاهدين في الشام ظلماً وعدواناً؟! أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

(١) إذا منع الله عباده المؤمنين شيئاً تتعلق به إرادتهم؛ فتح لهم باباً أنفع لهم منه وأسهل وأولى، وهذا من لطفه، فنهاهم عن تمني ما ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، وأمرهم أن يسألوه بلسان الحال.

السعدي، القواعد الحسان ١٢٤

(٢) فإذا كان هذا النهي -بنص القرآن- عن مجرد التمني، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادي بإلغائها، ويطلب بالمساواة، ويدعو إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة؟ د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة ٢٢

(٣) من تمنى شيئاً مباحاً من أمر دنياه وآخرته، فليكن فزعه فيه إلى الله ﷻ، ومسألته منه، وإن عظمت أمنيته، ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

البعوي، شرح السنة ٥ / ٢٠٨

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي نَخَافُونَ شُرُوهُنَّ فِعْظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

(١) ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ﴾ القنوت هنا هو المداومة على طاعة الزوج؛ فالسياق كله في العلاقة بين الخليلين: الزوج والزوجة، ومن سبر واقع حياة الناس، وجد أن أسعد النساء قلباً هي الطيعة السهلة، وأنكدهن عيشاً هي الشرسة المعاندة.

د. عصام العويد

(٢) تهديد للرجال!

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ هكذا ختمت آية النشوز، التي تهدد الرجال من ظلم نسائهم، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الإنصاف منكم؛ فالله علي كبير، قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلى يداً منهن، وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم، وأقدر منكم عليهن، فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة.

القاسمي، محاسن التأويل ٣ / ١٠٠

(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾، ختم الآية بهذه الجملة؛ للتحذير من التعالي على النساء، وإلشعار الرجل بعلو الله عليه، فلا يتعالى ولا يتكبر، ففوقه من هو أعلى وأكبر منه وهو الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ١ / ٢٩٣

(٤) لما ذكر الله قوامه الرجل على المرأة، وحق الزوج في تأديب امرأته الناشز، ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾، فذكر بعلوه وكبريائه ﷻ ترهيباً للرجال؛ لئلا يعتدوا على النساء، ويتعدوا حدود الله التي أمر بها.

د. محمد الخضير

٥) ختم الله آية الإصلاح بين الزوجين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ﴿فَإِنْ تَذَكَرَ عَلُوَ اللَّهِ وَكِبَرَهُ، مِنْ أَعْظَمِ مَا يَرُدُّ عَنْ ظَلَمِ الزَّوْجَاتِ، وَبِخَسِّ حَقُوقِهِنَّ.﴾

متدبر

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾

أصلح إرادتك: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، ننال من التوفيق في حياتنا بقدر ما فينا من رغبة الإصلاح.

د. عبدالله بلقاسم

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾

١) ذكر الله المأمورين بالإحسان إليهم، وقال: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾، وهذا يعنى كل مصاحب، وفسره طائفة بالرفيق في السفر، ولم يريدوا إخراج الصاحب الملازم في الحضر، وإنما أرادوا أن مجرد صحبة السفر -على قصرها- تكفي؛ فالصحبة الدائمة في الحضر أولى.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٣٨٢/١

فلنتفقد أحوالنا مع صاحب الدراسة والوظيفة والحلقة، وأعظم من ذلك: صحبة البيت من والدين وزوجة وقربي.

٢) قال عبد الله بن واقد: لا تجد سيئ المَلَكَة إلا وجدته مختالاً فخوراً، وتلا: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقيماً، وتلا: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيماً﴾ (مريم: ٣٤).

جامع البيان للطبري ٣٥٠/٨

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٣٧)

بخل عريض، فاحذرو!

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ قد تؤولت في البخل بالمال والمنع، والبخل بالعلم ونحوه، وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علم ومال وغير ذلك، كما تأولوا قوله: ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ النفقة من المال والنفقة من العلم، والنفقة من العلم هي صدقة الأنبياء وورثتهم من العلماء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٤

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ
لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٤٣)

فهل نحن - وقد عافانا الله من السكر- نعي ما نقول؟

متدبر

﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (٤٤)
حقيق بمن من الله عليهم بشيء من العلم أن يكونوا أسرع الناس انقيادًا للحق، وأبعد الناس
عن الباطل؛ ولهذا شدد الله الذم بمخالفة هذين الأمرين على أهل العلم كقوله: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٦٦

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهاً
فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٤٧)
مرَّ كعب الأحبار - قبل أن يسلم - بقارئ يقرأ هذه الآية قراءة حزينة، فقال كعب: يا رب! أسلمت؛
مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين.

جامع البيان (٤٤٦/٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٥٨)

في قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ نعمة عظيمة من وجهين:

أحدهما: أنه يقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا تقطع له بالعذاب وإن كان مصرًا. والثانية: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

ابن الجوزي، زاد المسير ١٠٣/٢

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٥٩)

هل تذكرتها؟ نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وعمقها طويل، لا يموت أهلها؛ فيستريحوا، ولا تقال عثرتهم، ولا ترحم عبرتهم، طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، ﴿ كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾.

الآجري، أخلاق أهل القرآن ٨٠

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٥٨)

قال القرطبي: هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع.

الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/٥

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩)

(١) ﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾، دليل على شمول الوحي؛ فلو لم يكن فيه الكفاية لما كان للأمر بالرجوع له عند التنازع فائدة.

د. عبدالرحمن الشهري

(٢) لم يقع الإنكار على أهل الإسلام إن هم اختلفوا؛ فالخلاف طبيعة بشرية ولكن الله تعالى أرشدهم للعلاج الناجح الناجع: ﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وجعل في ذلك الخير وحسن العاقبة: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

أ.د. عبدالعزيز العويد

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ولم يقل: وإلى الرسول ﷺ؛ فَإِنَّ الرَّدَّ إِلَى الْقُرْآنِ رَدٌّ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﷺ، فما حكم به الله تعالى هو بعينه حكم رسوله ﷺ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حكم الله، فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه -يعني كتابه- فقد رددتموه إلى رسوله ﷺ، وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله ﷺ فقد رددتموه إلى الله، وهذا من أسرار القرآن.

ابن القيم، الرسالة التبوكية ٤١

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٦٤﴾

وعدل عن قول: (واستغفرت لهم) إلى: ﴿وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾؛ لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأنهم سينالون شفاعته لأنه رسول، وفي ذلك تنويه بمكانة الرسالة التي جاء بها.

الزحشري، الكشاف ٤٢٨/١

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾

١) وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٢٩٠/٢

٢) أعظم دلائل الإيمان الصادق: التسليم التام لأمر الله ورسوله، من غير حرج في النفس ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

د. محمد الربيعة

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ ﴿١٦٦﴾

من أسباب الفتنة: أن تترك ما أمرت به شرعاً، وتتشغل بما لم تؤمر به، ولن تُسأل عنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾

فهد العيبان

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١١﴾﴾

تدرُّج من القلة إلى الكثرة، ومن الأفضل إلى الفاضل؛ إذ قدم ذكر ﴿الله﴾ على ﴿والرسول﴾ ورتب السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم كما تدرج من القلة إلى الكثرة، فبدأ بالنبين وهم أقل الخلق عددًا، ثم الصديقين وهم أكثر، فكل صنف أكثر من الذي قبله.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤؛

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَأَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنْ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

فهؤلاء المبطون لم يجبوا لإخوانهم المؤمنين ما يجبون لأنفسهم، بل إن أصابتهم مصيبة فرحوا باختصاصهم، وإن أصابتهم نعمة لم يفرحوا لهم بها، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شر دنيوي ينصرف عنهم، ومن لم يسره ما يسر المؤمنين، ويسوءه ما يسوء المؤمنين؛ فليس منهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/١٢٨

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

ذكر الولدان تكميلاً للاستعطف، وتنبهًا على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم للصبيان، وفيه دلالة على إجابة دعائهم، واقتراب الخلاص؛ لما فيه من التضرع لله.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٢/٢٠٢

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقِيلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

١) سمى الله الإنسان ضعيفًا، وقال عن كيد الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ والضعيفان إذا اقتتلا، ولم يكن لواحد منهما معين، لم يظفر بصاحبه؛ فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف؛ ليعصمه منه ويعينه عليه.

ابن الجوزي، بستان الواعظين ورياض السامعين ١٠

(٢) كثير من الناس حينما يستعيز بالله من الشيطان، يستعيز وفي نفسه نوع رهبة من الشيطان، وهذه الحال لا تليق أبداً بصاحب القرآن، الذي يستشعر أنه يستعيز -أي يلوذ ويعتصم ويلتجئ- برب العالمين، وأن هذا الشيطان في قبضة الله، كيف لا وهو يقرأ قول ربه -الذي خلق هذا العدو- ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾؟

د. عمر المقبل

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

(١) ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾، هكذا قال المنافقون عن الرسول ﷺ، وهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول وفعل ما بعث به مسبباً لشر أصابه، إما من السماء وإما من آدمي، وهؤلاء كثيرون.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٤٩/١٤

(٢) ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فلو كان المؤمنون لا يفقهونه -أيضاً-؛ لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥٨/٥

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه؛ فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بلام الناس وذمهم، ولكن يرجع إلى الذنوب فيتوب منها، ويستعيز بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته؛ فبذلك يحصل له الخير ويدفع عنه الشر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨ / ٢١٥)

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

(١) فكما أن من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملوم مدحور، ومأزور غير مأجور؛ فكذلك من تعامى عن آيات الكتاب، وكأن لم يقرع أذنه قارع، فهو من هذا الباب؛ ولهذا نبه تعالى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن ٧٦

(٢) ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، من المعلوم أنه في تفاصيل آيات القرآن من العلم والإيمان ما يتفاضل فيه الناس، فالقرآن يقرأه الناس بالليل والنهار لكن يتفاضلون في فهمه تفاضلاً عظيماً، وقد رفع الله بعض الناس على بعض درجات.

ابن تيمية، درء التعارض ٤٢٧/٧

(٣) ملحظ دقيق: قال بعض الصالحين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ «جرأك على تلاوة خطابه، ولولا ذاك لكنت الألسن عن تلاوته».

تاريخ الإسلام للذهبي ٥٤٠/٢٦

(٤) وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض - فيما يبدو لك - فتدبره حتى يتبين لك؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، فإن لم يتبين لك، فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧)، واعلم أن القصور في علمك، أو في فهمك.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣١٧/٣

(٥) ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، من التزم الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ؓ لم يختلف كلامه وعقائده؛ لأن ذلك غير مختلف، بخلاف من تعصب لطائفة من الطوائف.

ابن تيمية، مسألة حدوث العالم ١٥٩

(٦) القوانين الوضعية مهما كبرت عقول واضعيها واتسعت مداركهم وامتدت أنظارهم، فهي تختلف فيما بينها، وأوضاع الناس وأعرافهم تتبدل دائماً؛ فتختلف القوانين عن مسابقة أوضاع الناس؛ فتحتمل إلى تعديل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٣٢٥/٤

(٧) تأمل سياق هذه الآية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ثم جاء بعدها مباشرة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ﴾ الآية، ففيها إشارة إلى أن الاختلاف والاضطراب في التعامل مع المستجدات من أهم أسبابه: الأخذ ممن لم يجعل الوحي مصدره في تقييم ما يستجد، والله أعلم.

أ.د. ناصر العمر

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾ ﴾

عبر بالنصيب: لأنه -غالبًا- في الربح والخير، وبالكفل؛ لأن الأغلب استعماله في الشر والخسارة، فهل يدرك من يتوسطون لأناس، على حساب حقوق الآخرين، أي جرم يرتكبون؟ وأي غرم يتحملون؟ فـ «من أشر الناس من ظلم الناس للناس».

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾

تشمل الحسن في لغة الوجه، فمن سلم عليك مبتسمًا، فابتسم له، ومن لم يبتسم، فابتسم له؛ تكن أحسن منه.

د. صالح البهلال

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

من صور البلاغة القرآنية:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أبلغ مما لو قيل: لا أحد أصدق من الله حديثًا؛ لأن الاستفهام يعني التحدي.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٢)

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾

(١) ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ عَتَبَ اللَّهُ ﷻ على الصحابة اختلافهم في المنافقين؛ فاحذر أن تختلف مع إخوانك مدافعًا عن منافقين.

د. عبدالمحسن المطيري

(٢) تدبر ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ثم تأمل في الجدل الإعلامي حول أشخاص أشربوا الفتنة وأركسوا فيها؛ تدرك مدى البعد عن هدي القرآن ودلالته، وتنزيل واقع الناس عليه.

أ.د. ناصر العمر

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، فيه تربية عظيمة: وهي أن
يستشعر الإنسان -عند مؤاخذته غيره- أحوالاً كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه،
كمواخذه المعلم التلميذ بسوء إذا قصر في إعمال جهده، وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلبه
العلم، فيعتادون التشديد عليهم، وتطلب عثراتهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٨/٥

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ
اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾﴾

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فيه مخرج لذوي الأعذار: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا
سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ»^(١):

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتهم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا

القاسمي، محاسن التأويل ١٣٥/٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

لم أجد -في نفسي- أقوى تأثيراً لدفع الفرد المسلم على أن يكون مبادراً وباذلاً كل ما يملك لأجل
تحقيق أهدافه النبيلة، مثل هذه الآية الكريمة، وقد نزلت في تأنيب من لم يبادر بالهجرة وبقي في
مكة خوفاً على أهله ومصالحه.

متدبر

(١) البخاري ح (٤٤٢٣)

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١١٣﴾﴾

تدبر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾، حيث قال: ﴿لَهُمْ﴾ مما يدل على أن الإمام ينبغي أن يعتني بصلاته أكثر، ويعتني بحال المأمومين؛ لأنه لا يصلي لنفسه، بل يصلي لمن خلفه من المأمومين أيضًا.

د. عبدالرحمن الدهش

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقِعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١١٣﴾﴾

الاستغفار بعد الفراغ من العبادة هو شأن الصالحين، فالخليل وابنه قالا -بعد بناء البيت-: ﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا﴾ (البقرة: ١٢٨)، وأمرنا به عند الانتهاء من الصلاة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾، وبينت السنة أنه البدء بالاستغفار، وكذا أمرنا به بعد الإفاضة من عرفة، فما أوحنا إلى تذكركم منة الله علينا بالتوفيق للعبادة، واستشعار تقصيرنا الذي يدفعنا للاستغفار.

د. عمر المقبل

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

١) ما نراه من مآسي المسلمين أمر يُجسد كل صور الألم الجسدي والنفسي؛ لكن عزاؤنا أن ربنا أخبرنا أن الألم متبادل: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، فعلى المؤمنين أن يُقوُّوا رجاءهم بربهم، فهو ما يُميِّزهم عن غيرهم.

د. عويض العطوي

٢) هذا تشجيع لنفوس المؤمنين، وتحقير لأمر الكفرة، ولما كانوا مستوين في الألم؛ أكد التشجيع بقوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وهذا برهان بين ينبغي بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين.

الشعالبي، الجواهر الحسان ٢/٢٩٥ (بتصرف)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِللَّخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

(١) عندما يتدبر المؤمن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنَ لِللَّخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ ثم يتأمل الواقع؛ يدرك كم من إنسان نصب نفسه مجادلًا ومحامياً لأهل الباطل، إما حمية، أو لطلب مال أو شهرة، بل قد يفعل ذلك بعضهم تأولاً وبجس نية؛ لذا جاء بعدها: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. أ.د. ناصر العمر

(٢) حكى ابن تيمية رحمه الله عن بركة تطبيق هذا التوجيه الرباني فقال: إنه ليقف في خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل؛ حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل، وأنال مطلوبني.

العقود الدرية لابن عبد الهادي ٢٢

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١١٧﴾ ﴾

استقراء إمام:

يقول ابن تيمية رحمه الله: من فسر من العلماء: (الاختيان) بأنه ظلم النفس بأي ذنب كان سرًا أو علانية؛ ففي قوله نظر؛ لأن الاختيان إنما يستعمل في الذنوب التي تفعل سرًا فحسب، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

مجموع الفتاوى ٤٣٨/١٤

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ سمي ظلم النفس ظلمًا؛ لأن نفس العبد ليست ملكًا له، وإنما هي ملك لله قد جعلها أمانة عند العبد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٠٠

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيًّا، فَقَدْ آحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٣﴾ ﴾

وإنما فرق بين (الخطيئة) و(الإثم)؛ لأن (الخطيئة)، قد تكون من قبل العمد وغير العمد، و(الإثم) لا يكون إلا من العمد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما؛ فقال: ومن يأت خطيئة على غير عمد منه لها أو إثماً على عمد منه... إلخ.

الطبري، جامع البيان ١٩٧/٩

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

حتى الأنبياء لم يسلموا من محاولات الإغواء والإضلال، فمن يأمن البلاء بعد نبينا ﷺ؟ ومن الذي يظن أنه بمعزل عن الفتنة؟! نسأل الله الثبات على الحق.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

تدبر هذه الآية تلحظ أن الأصل في هذه الثلاثة الإخفاء؛ فذلك أقوى أثراً وأعظم أجراً، وأرجى في تحقيق المراد، وأما العلانية فيها فهي الاستثناء إذا وجد لذلك سبب معتبر.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

لا يستغرب أحد هذا الوعيد! فإن جرثومة الشقاق لا تولد؛ حتى يولد معها كل ما يهدد عافية الأمة بالانهيار.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٨/١

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٦﴾﴾

(١) كل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الأجل، وكذلك كل مذنب ذنباً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظن ألا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة، وربما كان العقاب العاجل معنوياً، كما روي أن بعض أحبار بني إسرائيل قال: يارب كم أعصيك ولا تعاقبني؟ فقليل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري؟! أليس قد حرمتك حلوة مناجاتي؟

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٦٥

(٢) من الاغترار أن تسيء فترى إحساناً، فتظن أنك قد سوحت، وتنسى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

صيد الخاطر، ابن الجوزي ١٩٣

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ امِيلٍ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٣٩)

في هذه الآية إشارة إلى المبادرة في الحسم وإصلاح الشأن: إما بالوفاق أو الفراق، بعد أن تُتخذ الوسائل المشروعة، ولعل ذلك لا يقف عند مسألة الزوجية، بل يتعداه إلى أمور كثيرة من شأنها أن تعقد المشكلات، أو تنشئها إن لم تكن موجودة، فاللائق - في الأحوال التي لا يسوغ فيها التروي - أن تحسم الأمور ولا تظل معلقة؛ ليعرف كل طرف ما له وما عليه، ولئلا يبقى في النفوس أثر يزداد مع الأيام سوءًا.

د. محمد الحمد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١٤٥)

اختيار صيغة المبالغة ﴿قَوَّامِينَ﴾؛ دلالة على أنه ينبغي الصبر واحتمال مشقة إقامة العدل في شأن المسلم كله، مع نفسه ومع الآخرين، وأن ذلك لا يتم إلا بالصبر وتوطين النفس على العدل.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١٣٦)

دعوة صريحة لكل مؤمن أن يتعاهد إيمانه ويجدده؛ فإنه يبلى ويضعف وتصيبه الآفات، وفي الأثر: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»^(١).

د. محمد الخضيري

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْرَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ءَ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٤٠)

(١) الحاكم ح (٥).

(١) رفع لعمر بن عبدالعزيز قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم فقبل له: إن فيهم صائماً، فقال: ابدأوا به! أما سمعتم الله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلَهُمْ﴾؟ فبين ﴿اللَّهُ﴾ أن الله جعل حاضر المنكر كفاعله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٤١/٢٨)

(٢) مفارقة المنكرات: يجب مغادرة المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ولا يبقى الإنسان ويقول: أنا مُنكِرٌ بقلبي! فلو صدق لقام؛ فالجوارح تبع للقلب، فلو كره القلب لكرهته الجوارح!

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٣٥٥/٢

(٣) أعيد بالله مسلماً صام يوماً من رمضان طاعة لله، أن يجلس مجلساً يشاهد فيه قناة تستهزئ بالله وآياته! وقد قال الله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلَهُمْ﴾.

د. محمد الخضيرى

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢)

(١) في هذا الذم للمنافقين دليل على وجوب الطمأنينة في الصلاة، وتكميل ركوعها وسجودها وقيامها وعودها؛ لأنَّ العبد لا يسلم من هذا الذم إلا بهذا التكميل والإخلاص لله تعالى.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١١٨

(٢) إذا رأيت الصلاة ثقيلة عليك، حتى ولو كانت نافلة، فاعلم أن في قلبك نفاقاً؛ لأن هذا شأن المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾، وإذا رأيت من قلبك خفة واستبشاراً، فاعلم أن هذا دليل على قوة إيمانك.

ابن عثيمين، شرح صحيح مسلم: (ح: ٦٥١)

(٣) أيام عشر ذي الحجة: أيام ذكر وتكبير وصدقة، ومسابقة في الأعمال الصالحة، وقد وصف الله المنافقين بأنهم: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأنهم: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ﴾ التوبة: ٥٤. فاحذر أن تشابههم في صفة من صفاتهم.

أ.د. ناصر العمر

﴿ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (١٤٣)

علامة النفاق: إذا وجدت نفسك مترددًا بين القبول والإنكار لحكم شرعي، فاعلم أن فيك شَبَهًا من المنافقين؛ لأن المؤمن لا يمكن أن يكون مترددًا.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٣٦٩/٢

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٧)

(١) قال مكحول الشامي: أربع من كن فيه كن له: الشكر والإيمان والاستغفار والدعاء، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وقال: ﴿ قُلْ مَا يَعْجَبُؤُا بِكُفْرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (الفرقان: ٧٧).

حلية الأولياء ١٨١/٥

(٢) من الغرائب أن بعض الناس فهم أن الإسلام يمجّد الآلام لذاتها، ويكرم الأوجاع والأوصاب ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٠

﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مَيْتَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بَيَّأَنَتِ اللَّهُ وَقَلْبُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغِيْرَ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥٥)

(١) من أخطر آثار الذنوب!

والله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى والعلم النافع كقوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾، وقال: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف: ٥).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥٢/١٤)

(٢) فقوم هذا تاريخهم لا يستغرب منهم ما يفعلونه بإخواننا المسلمين! إنما الغرابة والعجب أن يوثق بعهود من نقضوا عهودهم وموآثيقهم مع رب العالمين، وأن يؤتمن قتلة المرسلين.

﴿ فَيُظَلِّمَنَّ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَّيْتِ أَجَلْتِ لَهُمْ وَبَصَدْتِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (١٦٠)

(١) استقراء عالم: تحريم الشيء عقوبة وتأديبًا وقع في بعض الشرائع الماضية، كما قال تعالى: ﴿ فَيُظَلِّمَنَّ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَّيْتِ أَجَلْتِ لَهُمْ ﴾، ولكن لم يقع في الشريعة الإسلامية مجال.

محمد الخضر حسين، من تعليقاته على موافقات الشاطبي ٤٨/١

٢) ارتكاب الآثام سبيل السقوط والإهانة، ومزقة إلى خزي الفرد والجماعة ﴿فِظْلِهِمِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٨٢

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧٦﴾﴾

إطلاق العنان للتجربة الوجدانية، قد يؤدي إلى تجاوز النصوص التي هي حدود الله لضبط الوجدان الديني؛ وإذن يكون الانحراف والانجراف! هذا معطى أساسي لفهم (النفسية الغالية في الدين)!
د. فريد الأنصاري، البيان الدعوي ١٤٠

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٦﴾﴾

١) فالقرآن هو عهد الله إلى الناس أجمعين، فهل عقدت عليه عزمك، وأبرمت عليه ميثاقك، أم أنك لا تزال من المترددين؟ نعم لك أن تنظر ماذا ترى، ولكن اعلم أن العمر لا ينتظرك، وأن الأرض تجري في دورتها الفلكية؛ لتلقي بك عن كاهلها قريباً، فالبدار البدار قبل فوات الأوان.
د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٩٤

٢) ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يستنير به: القلب، والوجه، والطريق إلى الله ﷻ.

فابحث عن أثر هذا النور في قلبك ووجهك وحياتك كلها.

ابن عثيمين

٣) ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ لما مات ﷺ زار أبو بكر وعمر أم أيمن ﷺ، فوجداها تبكي، فقالا: ألا تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله؟ قالت: بلى، ولكنني أبكي لانقطاع الوحي من السماء!!^(١) فتأمل جوابها العجيب، ثم انظر كم في المسلمين من تمر عليه الأيام والأشهر دون أن يتأثر قلبه لعدم اتصاله بهذا الوحي! فضلاً عن أن يبكي.

د. عمر المقبل

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(٣٧٠٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥٣٦).

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ؕ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَتُہُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

تأمل -أيها المؤمن- في سطرين فقط، وفي آية واحدة: نداء وتنبية، أمر ونهي، تحليل وتحريم، إطلاق وتقييد، تعميم واستثناء، وثناء وخبر، فسبحان من هذا كلامه!

د. عويض العطوي

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَأْيِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

(١) ما أحسن العبد -وهو ذاهب لأداء نسكه- أن يستشعر هذه الآية: ﴿ءَأْيِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾؛ لعل ذلك يحدوه إلى امتثالها، ودعاء الله بتحقيقها.

متدبر

(٢) قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون على البر، وقرنه بالتقوى له، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس؛ فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

تفسير القرطبي ٤٧/٦

(٣) ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ ولا فرق في أصل طلب التعاون بين أن يكون الخير من مصالح الحياة الدنيا -التي أذنت الشريعة بإقامتها- وأن يكون من وسائل السعادة في الأخرى.

محمد الخضر الحسين، رسائل الإصلاح ١٦٣/١

٤) قال جمهور الأئمة: لا يجلب للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئاً من مصلحة عيدهم: لالحماً ولا ثوباً، ولا يعارون دابةً، ولا يعاونون على شيء من دينهم؛ لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٣٢/٢٥

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَالْحَمُّ وَالْحَنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّدَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقَسُوا بِالْأَزْئِمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخَبَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)

١) قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أن علينا نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ لا نخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم جمعة^(١).

والسؤال: كم هم المسلمون الذين يعرفون من قيمة هذه الآية ما عرفه هذا اليهودي؟

٢) قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: من أحدث في هذا الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفاً، فقد زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً.

الإمام مالك بن أنس، الاعتصام للشاطبي ٥٣/٢

٣) أيام الحج أيام عظيمة، وفي مثلها نزلت آيات عظيمة، يقول بعضهم: «هذا يوم صلة الواصلين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ويوم قطيعة القاطعين: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: ٣)، ويوم إقالة عثر النادمين وقبول توبة التائبين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف: ٢٣)، ويوم وفد الوافدين: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (الحج: ٢٧)».

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢٦/٥

٤) في يوم عرفة نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، «وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه».

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٦/٣

(١) أخرجه البخاري ح(٧٢٦٨)، ومسلم ح(٣٠١٧).

٥) من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن إيثار لفظِ بَدَلٍ آخر، فتأمل -مثلاً-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فما السرُّ في التعبير عن الدين بالكمال، وعن النعمة بالتمام؟ السر -والله أعلم- أنَّ الكمال لا زيادة عليه، ومن هنا يعلم أنه لا زيادة في الدين؛ لأنه اكتمل، أما النعمة فعبر عنها بالتمام؛ لأنَّ التمام يقبل الزيادة ليصل إلى الكمال، ودليل ذلك أن النعم تختلف من زمن إلى آخر، فما يتنعم به بعض الفقراء اليوم لم يكن يحلم به هارون الرشيد في زمنه.

أ. د. محمد الصامل، مجلة بصائر العدد الأول ١٤٣٠هـ

٦) (٢٣ سنة) هي الفاصلة بين هذه الآية التي نزلت في مثل هذا اليوم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وبين نزول: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿الآيات (العلق: ١- ١٧)، فأين الشقي أبو جهل -ومن كان معه في نادي قريش-؟! ليروا جموع الحجيج على صعيد عرفات وقد جاؤوا من كل فج عميق!

د. عمر المقبل

٧) في الصحيحين أن يهودياً قال لعمر رضي الله عنه: لو علينا نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فأخبره عمر بعلمه بوقت نزولها^(١)، والشاهد هنا: أن عمر لم يبتدع عيداً موافقة لقول اليهودي؛ لعلم الفاروق أن الأعياد مبناها على النص الشرعي.

د. عمر المقبل

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

١) ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، من شرف العلم: أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم؛ فانظر حتى الكلاب تتمايز بالعلم!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٥٥/١

٢) ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه دليل على أنَّ كلَّ آخذٍ علمٍ؛ عليه ألا يأخذه إلا من أتقن أهله علماً، وأنحرهم دراية، وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذٍ من غير متقنٍ قد ضيَّع أيامه، وعض عند لقاء النحرارير إبهامه.

النسفي، مدارك التنزيل ٢٧٠/١

(١) سبق تخرجه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى
أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ
يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

(١) دلت آية الوضوء: على سبعة أصول، كلها مثني: طهارتان: الوضوء والغسل. ومطهران: الماء والتراب. وحُكمان: الغسل والمسح. وموجبان: الحدث والجنابة. ومبيحان: المرض والسفر. وكنائتان: الغائط والملاسة. وكرامتان: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

البحيري، حاشيته على الخطيب ٤٥٧/١

(٢) في قوله تعالى في ختام آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ دلالة على أنه يعفى عن كل ما يشق التحرز منه من مبطلات الوضوء، وموانع كمال الطهارة.

د. إبراهيم الحميضي

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ
عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

نهى أن يحمل المؤمنین بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم؛ فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحملة ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالمًا له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا.

ابن تيمية، الاستقامة ٣٨/١

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمْ لَٰئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

الصلاة أعظم الأعمال، فإذا صَلَّحَتْ صَلَّحَ كل شيءٍ للإنسان دنيا وآخرة.. وفي أجواء الفتن التي نعيشها، وشدة الحاجة والأزمات، لا يحتاج الإنسان -إن كان مُتَقِينًا لصلاته- لغير الله، وبفضل الله يكون الفرج: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَإِنِ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾.

د. عبدالرحمن الدهش

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْرَفُونَ أَكْثَرَهُ عَنِ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣)

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن المرء قد ينسى بعض العلم بالمعصية، وتلا قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْرَفُونَ أَكْثَرَهُ عَنِ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

النسفي، مدارك التنزيل ٢٧٩/١

(٢) سئل سفيان بن عيينة رضي الله عنه: أيسلب العبد العلم بالذنب يُصيبه؟ قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحْرَفُونَ أَكْثَرَهُ عَنِ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؟ وهو كتاب الله، وهو أعظم العلم، وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم، واختصوا به، وصار حجة عليهم.

أخبار لحفظ القرآن لابن عساكر ٢٤

(٣) مفهوم خاطئ للهزيمة:

العفو والتجاوز ليس هزيمة كما يظن بعض الناس، وقد أشار ابن كثير رضي الله عنه لهذا المعنى فقال في تفسير قوله تعالى ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾: «هذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: «ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»؛ وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم».

تفسير القرآن العظيم ٦٦/٣

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ أَبْتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨)

ذكر ابن كثير أن بعض الشيوخ قال لصاحبه: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يجب! فتلا الشيخ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، علق ابن كثير قائلاً: «وهذا الذي قاله حسن».

تفسير القرآن العظيم ٦٩/٣

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

١) إذا تخاذل الناس فليكن لك موقفٌ صدقٍ، تأمل في قصة فتح بيت المقدس وكيف قال بنو إسرائيل لموسى ﷺ: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، فحفظ القرآن موقف رجال الصدق في هذا المشهد المليء بالتخذيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾.

د. محمد الربيعة

٢) إذا انغلق عليك أمر مشروع، أو ترددت فيه؛ شكاً في عدم قدرتك عليه؛ فاعزم وتوكل: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأن جليس السوء كصاحب الكير.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢٥٥

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾﴾

١) تأمل هاتين الآيتين: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ و﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ تدرك أن (الأربعين) قد انقرض فيها جيل الهزيمة ﴿إِنَّا هُنَّآ قَاعِدُونَ﴾ ونشأ جيل بلغ الأشد والاستواء؛ فكان على أيديهم فتح بيت المقدس، بقيادة يوشع بن نون، أحد الرجلين المتفائلين الواثقين بنصر الله، فلا يأس من روح الله.

أ.د. ناصر العمر

٢) قف وتدبر قصة التيه، وموقف بني إسرائيل من موسى وهارون ﷺ بعد هذه المسيرة الطويلة، والجهاد العظيم؛ تجدد فيها تسليية وعزاء لكل عالم وداعية وإمام، وهي برهان على الثبات على المنهج من قِبَل الرواد والأئمة، مهما كان التجاوب الظاهر سلبياً ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) لما رفض قوم موسى ﷺ دخول بيت المقدس! صدع رجلان بالحق، ومع أنهما لم يستطيعا تغيير الواقع، بل أصر القوم على التمرد؛ فقد أثنى الله عليهما، ودخل الساكتون المداهنون في الذم، فتدبر هذه القصة العجيبة: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يُقْبَلُ مِنَ الْآخِرِ
قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

قال علي بن أبي طالب ﷺ: كونوا لقبول العمل أشد همًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ٣٩

﴿ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ
فِي الْأَرْضِ لِرَبِّهِ، كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَالِيكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

(١) هذا المشهد العظيم هو:

- ١- مشهد أول حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة.
 - ٢- ومشهد أول علم اكتسبه البشر بالتقليد وبال تجربه.
 - ٣- ومشهد أول مظاهر تلقي البشر معارفه من عوالم أضعف منه كما تشبه الناس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجلود الحسنة الملونة وتكلموا بالريش الملون.
- فكم في هذه الآية من عبرة للتاريخ والدين والخلق!

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧٤/٦

﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٧)، لم يكن بين قوة الدافع لارتكاب الجريمة والانتقام، وطغيان الشعور بالزهو والانتصار، وبين الندم والخسران، والبؤس والكآبة: سوى لحظات فعل الجريمة وتنفيذها، فيا طول حسرة المتعجلين! أ.د. ناصر العمر

﴿ فَاصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ ﴾، حتى ولو أخفى القاتل مشاعره، فرحى الجريمة تطحنه، وصوت الفعلة النكراء يضحج في داخله.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢٧)

درتان من عقد بيان ابن تيمية رحمه الله:

الأولى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾: ففيها إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًا وحرزًا وظلمة قلب، فللكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم؛ ولذا نجد غالب هؤلاء لا يطيبون عيشهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب: من تناول مسكر، أو سماع مطرب، ونحو ذلك..

الدرة الثانية: وفي مقابل ما حكاه الله عن الكافرين؛ قوله في المؤمنين: ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (التوبة: ٧١) فإن الله يعجل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم، وغيرها، بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويزوقونه من طعمه، وانشرح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان، والعلم، والعمل الصالح، بما لا يمكن وصفه.

اقتضاء الصراط المستقيم ٩٧/١

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)

قد لا تُختم الآية الكريمة بأسماء الله الحسنى صراحة، ولكن قد تذكر فيها أحكام تلك الأسماء، كقوله تعالى - لما ذكر عقوبة السرقة، فإنه قال في آخرها -: ﴿ نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)، أي: عز وحكم فقطع يد السارق، وعز وحكم فعاقب المعتدين شرعًا، وقدرًا، وجزاء.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٣٠

﴿ يَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

(١) يخلط كثيرون بين الحذر وبين الخوف، والمتدبر للقرآن يجد أن الحذر جاء بصيغة الأمر ﴿فَاحْذَرُوا﴾، وأن الخوف جاء بصيغة النهي ﴿أَلَا تَخَافُوا﴾ (فصلت: ٣٠)، والفرق بينهما أن الحذر يكون مع العمل والإقدام، والخوف يولد القعود والإحجام، فجاء الأمر في (الأول)، والنهي عن (الثاني) فتأمل.

أ. د. ناصر العمر

(٢) ليس من شأننا أن نسمع الصم أو نهدي العمي، ولا الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم، فإذا هم لا يسمعون، أو يضعون أكفهم على أعينهم، فإذا الشمس الطالعة ليست بطالعة: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾، وإنما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طلاب الحق، ونوضح الطريق لسابلها من رواد اليقين.

د. محمد دراز، النبا العظيم ٩٨

(٣) حين ترى حقاً أبلق، وعمى مطبقاً، فتذكر قول الحق: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ﴾.

د. عبدالله السكاكر

(٤) القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (الأعراف: ١٤٦) وأمثال ذلك.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠٨/٢

﴿سَمِعْتُمْ لِكَذِبٍ أَكَلُونَ لِلشَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿سَمِعْتُمْ لِكَذِبٍ﴾ إذا كان ربنا تعالى قد عاب سماع الكذب، فما ظنك بالكذب نفسه؟ والغيبة والنميمة والبهتان؛ لأن مجرد سماع الكذب يفضي لشر كثير، أوله: مرض القلب بالشبهة، ثم تتأثر الجوارح - بعد ذلك - تبعًا لتأثر القلب.

متدبر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيْنُونَ وَالْأَجْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

عن أبي المثاب القاضي قال: كنت عند القاضي إسماعيل يوماً؛ فسئل: لِمَ جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجوز على أهل القرآن؟ فقال: قال الله - تعالى - في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، فوكل الحفظ إليهم. وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، فلم يجوز التبديل عليهم!

تاريخ قضاة الأندلس ٣٣/١

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

(١) ففي شريعته ﷺ من اللين والعضو والصفح ومكارم الأخلاق، أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهاد، وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين، أعظم مما في التوراة، وهذا هو غاية الكمال؛ ولهذا قال بعضهم: «بعث موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال».

ابن تيمية، الجواب الصحيح ٨٦/٥

(٢) إذا كان الله تعالى يريد هيمنة القرآن على بقية الكتب السماوية، رغم كونها جميعاً كتب الخالق سبحانه؛ فكيف بمن يقاوم هيمنة القرآن على كتب المخلوقين، وداستير البشر؟!

إبراهيم السكران

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٥٠)

(١) كل حكم يخالف شريعة الله، فهو من فصيلة أحكام الجاهلية: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

محمد الخضر حسين، مجموع مؤلفاته ١٦٦٢/٥

(٢) أضيف لفظ ﴿ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ في القرآن إلى أربع كلمات: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾، ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آل عمران: ١٥٤)، ﴿ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ﴿ حِمِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الفتح: ٢٦)، فالأول يأتي من فساد النظم، والثاني من فساد التصورات والمشاعر، والثالث من فساد اللباس لدى المرأة، والرابع من العصبية والموروثات الفاسدة.

عبدالعزیز العوي

(٣) ها هم يبحثون عن حلول الأرض لعقوبات السماء، لقد فشل هؤلاء في بناء نظام يحفظ هذا المال الذي يعبدونه، والذي هو منتهى نظرهم ومدار فكرهم، وتالله إنهم لفي بناء النظام الاجتماعي والتربوي والقانوني أفضل، وهو درس لمن طلب هدايته من الضالين، أو رأى مصلحته في غير شرع الحكيم الخبير.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥١)

علاقة الكافر بالكافر وإن كانت في الأصل موجودة: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ لكنها في الحقيقة هزيلة؛ لضعف الرابطة وعدم أصالتها: ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ ﴾ (البقرة: ١٤٥)، وفي الآخرة تنهار هذه الرابطة: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (١٧) رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿ (الأحزاب: ٦٧-٦٨).

د. عبدالله الجلاي، العلاقات الاجتماعية في القرآن ١٧٨

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَبِّدَكَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

١) من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعية ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره! وأعجب من كل ذلك.. علمك أنك لا بد لك منه، وأنك أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض، وفيما يبعدك عنه راغب!

ابن القيم، الفوائد ٦٢

٢) الحب في قاموس أهل القرآن لا يضاھيه أي حب، إنه حب يتصل بالملكوت الأعلى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وإمامهم فيه محمد ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، فلا ينقضي عجبك حين يغفل بعض المسلمين عن هذا الحب الذي لا ينقطع لحظة واحدة، وينشطون لحب يتذكرونه مرة كل سنة، وإمامهم فيه قسيس نصراني يدعى (فلنتاين)، ﴿أَنْتَبِدِلْتُوكَ الَّذِي هُوَ آذِنٌ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١)؟

د. عمر المقبل

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

هذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده؛ أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان -لحكمة يريد بها الله تعالى- فأخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قبيلاً؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٣٦

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

فليفتح العلماء هذه الآية مسامعهم ويفرجوا لها عن قلوبهم؛ فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يضمن ولا يغني من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة.

الشوكاني، فتح القدير ٦٤ / ٢

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(١) سمعت العلامة ابن باز يبيي لما قرئ عليه قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ ويقول: نعوذ بالله من الخذلان! بدلاً من أن يزيدهم القرآن هدى وتقى، زادهم طغياناً وكفراً! وهذا بسبب إعراضهم وعنادهم وكبرهم، فاحذر يا عبدالله من ذلك حتى لا يصيبك ما أصابهم.

د. عمر المقبل

(٢) تدبركم في القرآن من ذكر لجرائم اليهود:

في حق الله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾

وملائكته: ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ (البقرة: ٩٧).

وكتبه: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة: ٤١).

ورسله: ﴿ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا نَفَثْتُمْ ﴾ (البقرة: ٨٧).

والمؤمنين: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

البلاد والعباد: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ (المائدة: ٦٤).

أليسوا هم بذلك رؤوس الإرهاب بلا ارتياب؟

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

﴿ ٦٥ ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

النعيم في الآخرة يُنال بالإيمان والتقوى، والنعيم في الدنيا يُنال بإقامة حكم الله في الأرض.

متدبر

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

من لم يتيقن صحة الطريق، فتراه مرة ذات اليمين، ومرة ذات الشمال، فكيف يهدي غيره سواء السبيل؟

أ.د. ناصر العمر

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

(١) إن القرآن ليحدثنا أن شعباً قديماً قد تعرضوا للجنة على أسنة الأنبياء، وكان كل ذنبه -حتى يستحق هذه اللعنة-: أن المجتمع لم ينكر على بعض أعضائه فعلهم للشر!

محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ١٥٥

(٢) لو سكت أهل الحق عن بيان الحق، لاستمر المخطئون على أخطائهم، وقلدهم غيرهم في ذلك، وباء الساكتون بإثم الكتمان.

ابن باز، مجموع فتاواه ٧٤/٣

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِنَانِهِمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

دعا حاخام أمريكي لإبادة العرب ومقدساتهم، وذلك في العدد الأخير من مجلة «مومنت» الأمريكية (يونيو ٢٠٠٩) في زاوية «اسألوا الحاخامات»، وأضاف فريدمان، الحاخام بمعهد «بياس تشانا» للدراسات اليهودية: «الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمروا مقدساتهم، واقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواسيهم... فعند تدمير مقدساتهم سوف يتوقفون عن الاعتقاد بأن الرب إلى جانبهم»، وصدق الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَامَنَّا فَآكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

هذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقهم.

القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار ١٥٩

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قال العلامة السعدي رحمته: تأملت في تكرار التقوى ثلاث مرات في هذه الآية، فوقع لي وجهين:

١- أحدهما: أن الأول للماضي والثاني للحال والثالث للمستقبل.

٢- الثاني: أن الأول في مقام الإسلام والثاني في مقام الإيمان والثالث في مقام الإحسان:

والمؤمن لا تكمل تقواه حتى يترك ما حرم الله ولا يتم دينه إلا بهذه المقامات الثلاثة .

المواهب الربانية ١٢٨ - ١٢٩

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ
فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

(١) ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ جاءت في سياق آيات منع المحرم من الصيد، وفيها تربية للنفس

على ترك المباح في أصله - وهو الصيد - الذي حُرِّم مؤقتاً؛ طاعةً لله، وتأملاً كلمة: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه تنبيه على نية من يصيد، ومن يُصاد له.

أ.د. محمد العواجي

(٢) الأمن في الحج:

تأمل التهديد العظيم لمن عاد - بعد نهي الشرع له - إلى قتل الصيد وهو محرم، أو في حدود

الحرم: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فإذا كان من يقتل حمامة أو أرنباً فهذا جزاؤه! فماذا يكون جزاء من قتل مسلماً أو اعتدى عليه!؟

د. عمر المقبل

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ ذَٰلِكَ لَتَعْلَمُوٓا ۗ ۙ ﴾

﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(١) الحج قوام الدين والدنيا: يقول ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ ﴾: «كانت هذه الأربع قوام أمر العرب -الذي كان به صلاحهم في الجاهلية-، وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم، ومناسكهم، ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم».

جامع البيان ٩/٩

(٢) إنما كانت الكعبة قياماً للناس -وهم العرب-؛ لأنها كانت سبب هدايتهم إلى التوحيد، واستبقت الحنيفية في مدة جاهليتهم، فلما جاء الإسلام كان الحج إليها من أفضل الأعمال، وبه تكفر الذنوب، فكانت الكعبة -بهذا- قياماً للناس في أمور أخراهم بمقدار تمسكهم بما جعلت الكعبة له قياماً. وقد عطف (الشهر الحرام) على (الكعبة) باعتبار كون الكعبة أريد بها ما يشمل علائقها وتوابعها؛ فإن الأشهر الحرم ما اكتسبت الحرمة إلا من حيث هي أشهر الحج والعمرة للكعبة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٨٣/٤

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

إن الإنسان محتاج دائماً إلى منشطات الأمل وكوابح الغرور، فإن يأسه من النجاح يقوده إلى السقوط، واغتراره بما عنده يمنعه السبق؛ ولذا كان من سنن القرآن الجمع بين الوعد والوعيد، كما في قوله: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ليظل الإنسان دائماً محكوماً بمشاعر الخوف والرجاء.

محمد الغزالي، التفسير الموضوعي ٣٦٣

﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاخْرَانِ يَوْمَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي بِأَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۗ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١٩﴾ ﴾

(١) في أواخر سورة المائدة ذكر الله تعالى التحريف في الوصية: ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاخْرَانِ يَوْمَانِ مَقَامَهُمَا ﴾، ثم أتبعه بتحريف من نوع آخر، وهو تحريف النصارى لوصية عيسى بالتوحيد: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ ﴾.

متدبر

(٢) ﴿سُبْحٰنَكَ﴾ هكذا افتتح عيسى ﷺ جوابه الذي تبرأ فيه من التثليث، مبيناً منهج الداعية فيما يأتي من الأقوال ويدع: ﴿مَا يَكُونُ لِيْ أَنْ أَقُولَ﴾ وقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِيْ بِهِ﴾ مستحضراً في ذلك علم الله ومراقبته: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِيْ وَلَا أَعْلَمُهُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فوفقه ربه للأدب معه، وتعظيمه ومراقبته ومعرفة القول المشروع واجتناب الممنوع.

د. عبدالله الغفيلي

(٣) تأمل قول عيسى ﷺ: ﴿سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيْ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّ﴾ وانظر واقع بعض المتبوعين في قول غير الحق؛ لتدرك سر الانحراف، وتحملهم وزر ضلال كثير من المسلمين.

أ.د. ناصر العمر

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨)

(١) قام نبيك ﷺ ليلة كاملة بآية يرددها حتى أصبح، وهي: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)؛ لذا قال ابن القيم ﷺ: «إذا مر بآية - وهو محتاج إليها في شفاء قلبه - كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة! فقراءة آية بتفكير وتفهم، خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن».

مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٧

(٢) إذا انفتح قلبك فقفا! والمراد: أنك إذا وجدت قلبك قد تأثر بآية، وانفتح لها، فقفا وكررها كثيراً، فقد بقي نبيك ﷺ يردد آية ليلة كاملة حتى أصبح^(٢)، هي خواتيم سورة المائدة: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾

(٣) التأمل في الأسماء الحسنى التي تختتم بها الآيات الكريمة من مفاتيح فهم القرآن وتدبره، ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨)، فلم تختتم الآية بقوله: (الغفور الرحيم)؛ لأن المقام مقام غضب وانتقام ممن اتخذ إلهاً مع الله، فناسب ذكر العزة والحكمة، وصار أولى من ذكر الرحمة.

ابن سعدي، القواعد الحسان ٥٧

(١) أخرجه النسائي ح (١٠١٠)، وابن ماجه ح (١٣٥٠).

(٢) سبق تحريجه.

سورة الأنعام

من المفاتيح المعينة على تدبر القرآن: معرفة مقصد السورة، أي: موضوعها الأكبر الذي عالجته، فمثلاً: سورة النساء تحدثت عن حقوق الضعفة: كالأيتام، والنساء، والمستضعفين في الأرض، وسورة المائدة في الوفاء بالعقود والعهود مع الله ومع العباد، بينما سورة الأنعام -هي كما قال أبو إسحاق الإسفراييني-: «فيها كل قواعد التوحيد»^(١) وقس على ذلك.

د. عصام العويد

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

من مفاتيح التدبر: معرفة الوقف والابتداء.

لو قرأت قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ثم وقفت، ثم استأنفت وقلت: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ فسيظهر من جلال الآية وعظمتها أنه سبحانه مع كونه في السموات، فإنه يعلم سركم وجهركم في الأرض، فليس علوه في السموات بمانع من علمه بسرکم وجهركم في الأرض. ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٢)

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

في الآية أن المحروم لا ينفع معه علاج، نعوذ بالله من الحرمان.

د. صالح البهلال

﴿ وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

وما تحرك، لكنه خص السكون بالذكر؛ لأنه أغلب حالي المخلوقات من الحيوان والجماد، وكل متحرك فمصيره للسكون.

د. عبدالرحمن الشهري

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣/٣٠٧.

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

حفظها القرآن في ثلاثة مواضع عن نبينا ﷺ لما أريد على دينه ورسالته، فما أوحج المؤمن أن يعلنها مدوية كلما أريد على دينه، أو عرضت له معصية تقطعه عن سيره إلى الله تعالى .

د. عمر المقبل

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

قال عامر بن عبد قيس: آيات في كتاب الله إذا ذكرتهن، لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت: ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾، ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (فاطر: ٢)، ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٧)، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦).

الدر المنثور ٥/٧

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

إنما قال: ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾؛ لأنه وصف نفسه بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه.

الطبري، جامع البيان ٢٨٨ / ١١

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ۗ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

فهم أرادوا الكذب على الله، ولكن صدقوا أنفسهم بما كذبوا به، فحقيقة الكذب ما صدقه المكذوب عليه وأضره، ومن أسوأ أنواع الكذب: أن يصدق الإنسان كذب نفسه ويجر الضرر على ذاته؛ ولذا جاء في سياق التعجب من سوء حالهم، أما الله سبحانه فلن يضره ذلك شيئاً؛ لأنه يعلم كذبهم: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٧).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ عرف الكفار عظيم تأثير هذا القرآن؛ فلم يكتفوا بإعراضهم عنه، بل اجتهدوا في صد الناس عنه بكل وسيلة؛ فصار نشر القرآن - حفظاً، وتدبراً، وتعليماً - من أعظم درجات الجهاد: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

د. عمر المقبل

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

(١) ﴿يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾، هذا مشهد من مشاهد حسرات الكفار التي يتلمون فيها يوم القيامة على تفريطهم في أيام المهلة، وها هي الأزمنة الفاضلة تبلغنا؛ فلنحذر أن نقف موقف الندم غدًا إذا فرطنا فيها!

د. عمر المقبل

(٢) قضاء الأوقات بالاستمتاع بغير ما يقربك من الله؛ هو اختزال وتقصير لعمرك الذي وهبك الله إياه، وإضاعة لمنحة ربانية لا تتكرر أبدًا. فيا طول حسرة الغافلين والمفرطين: ﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾!

أ.د. ناصر العمر

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

من المهم أن يدرك خصمك في قرارة نفسه أنك صادق في دعوتك، ثابت على منهجك، ولو خالفك وأذاك ورماك بأبشع التهم، تدبر هذه الآيات: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤)، ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ

رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

(١) لو اقتصر على ذكر الطائر فقال: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ﴾؛ لكان ظاهر العطف يومهم «ولا طائر في الأرض»؛ لأن المعطوف عليه إذا قُيدَ بظرف أو حال تقيّد به المعطوف، فكان ذلك يومهم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه: كالدجاج والإوزّ والبط ونحوها؛ فلما قال: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ زال هذا التوهم، وعُلم أنه ليس الطائر مقيداً بما تقيدت به الدابة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٩

(٢) قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم: فمنهم من يقدم كالأسد، ومنهم من يعدو كالذئب، ومنهم من ينبح كالكلب، ومنهم من يتطوّس كالطاووس، ومنهم من يشبه الخنزير، فإنه لو ألقى إليه الطعام الطيب تركه، وإذا رأى القدر ولغ فيه، فكذلك نجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، فإن أخطأت مرّة واحدة حفظها، واستحسنه الخطابي، وقال: فإنك إنما تعاشر البهائم والسباع، فبالغ في الحذار والاحتراز.

مفاتيح الغيب (١٢/٥٢٥-٥٢٦)

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره أن بعض الطاعنين في القرآن قال: إن الله تعالى يقول في كتابكم: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فأين ذكر التوابل المصلحة للطعام من الملح والفلفل وغير ذلك؟ فقيّل له في قوله: ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/٢

(٤) ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ اشتمل القرآن على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس مسألة إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وأخبار الأمم، وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية قبض الروح وما يفعل بها، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة.

السيوطي، الإكليل (١٨)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٤٢)

إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن؛ فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه؛ فهو علامة سعادته وإرادة الخير به ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٥٩

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

تأمل واقع كثير من الناس اليوم مع هذه الفتن! ثم قف مع هذه الآية: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هنا يخشى أن يحل بهؤلاء ما حل بأولئك؛ فتدبر الآية التي بعدها، وانج بنفسك.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُوحُوا بِمَا أوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَطُغِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(١) قال النبي ﷺ: «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يجب، فإنما هو استدراج» ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُوحُوا بِمَا أوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَطُغِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١)، قال قتادة: بَغَتِ الْقَوْمُ أَمْرُ اللَّهِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ قَوْمًا قَطٍ إِلَّا عِنْدَ سُلُوتِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ وَغَرْتَهُمْ.. فلا تغتروا بالله.

تفسير ابن أبي حاتم ١٢٩١/٤

(٢) قال أبو حازم الأعرج: إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه، فإنما هو استدراج فاحذره، قال تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُوحُوا بِمَا أوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٣٢/٣

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

بركة الوحي (الكتاب والسنة): متبع الوحي بصير، وفاقد الوحي أعمى: ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾.

د. عبد المحسن المطيري

(١) أخرجه أحمد ح (١٧٣١١).

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾

الرجل الصالح قد يصل إلى درجة الظالمين، عندما يطرد الصالحين من مجلسه أو يؤذيهم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره ٥٧

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ كَمَا سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٥٤﴾

خرج المنذر بن سعد البلوطي -أحد علماء الأندلس- ليستسقي، فلما رأى حال الناس بكى ونشج، فسلم عليهم، ثم سكت متحسراً -ولم تكن من عادته- فاندفع قارئاً قول الله: ﴿ سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ كَمَا سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾، وحث الناس على التوبة والاستغفار، فضجوا بالبكاء، ثم سقوا.

سير أعلام النبلاء ١٧٦/١٦

كم نحن بحاجة إلى حسن الظن بالله وإن وجدنا متناقصين، فليس لنا رب سوى الله.

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٥١﴾

بهذه الآية وأمثالها -التي تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله- أغلق القرآن جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي، وأن ذلك ضلال مبين، وبعضها قد يكون كفرةً. الشنقيطي، أضواء البيان ٤٨٢/١

فهل يتدبر ذلك من طلب الغيب عبر الأبراج وقنوات الشعوذة؟

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾

مجالسة الفساق تبعث على مساوقة طباعهم ورديء أخلاقهم، وهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين، إذ قل أن يجالس الإنسان فاسقاً مدة -مع كونه منكرًا عليه في باطنه- إلا لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته، لوجد فرقاً في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هيئاً على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه. الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/٢٣٠

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَبِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدَلٍ لَّا يُؤَخِّذُ مَنَّا أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قال ابن عباس ﴿: الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها، قال الله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ (فاطر: ٨).

إحياء علوم الدين ١٥٧/١

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا لِلنَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

كلما كان الإنسان موحدًا مخلصًا لله؛ كان أكثر اطمئنانًا وسعادة، وكلما كان بعيدًا عن الله؛ كان أكثر حيرة وضلالًا، اقرأ إن شئت: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾.

د. إبراهيم الدويش

﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْقِرُ فِي بَرِيءٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

إنما قال: ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ مع كون الشمس مؤنثة؛ لأن مراده هذا الطالع.

الشوكاني، فتح القدير ١٥٣/٢

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

الأمْن: الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾، والامنة: الطمأنينة مع وجود سبب الخوف كقوله تعالى: ﴿ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَّهَّرَكُم بِهِ ﴾ (الأنفال: ١١).

د. صلاح الخالدي، لطائف قرآنية ١٠٤ (بتصرف)

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

كما رفعنا درجات إبراهيم ﷺ في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العبادات، درجات، خصوصاً العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إماماً للناس بحسب حاله، تُرمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢٦٣

﴿ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

ذكر الله (١٨ نبياً) في سورة الأنعام، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، الإخلاص حقُّ الله المحض الذي لا حظَّ للنفس فيه، فهو مقام «تجريد التوحيد»!

مهند المعتي

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ۖ إِن يُكْفِرْ بِهَا هَتُولَاءٌ ۖ فَكَدَّ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

(١) لما فسر الإمام أحمد رحمه الله قوله تعالى: ﴿فَكَدَّ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ قال: هم أهل المدينة. علق ابن القيم على هذا فقال: أهل المدينة أول من وكل بها، ولن بعدهم من الوكالة بحسب قيامه بها علماً وعملاً ودعوةً إلى الله تعالى.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٤/١٧٢)

(٢) الإسلام رداء لا يوضع على الأرض، فإن نزع قوم، ألبسه الله آخرين.

عبد العزيز الطريفي

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِنُهُمْ أَقْتَدَهُ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

(١) ﴿فَيُهْدِنُهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ قال أبو عثمان النهدي: كانوا -يعني السلف- يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من المحرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان.

قيام رمضان لمحمد بن نصر المروزي ٢٤٧

٢) تلك قافلتهما ما تزال سائرة يا صاح! وهذه الخفاف ما تزال مرسومة على الرمال، وأذانهم لم تزل أصداؤه تدق أبواب القلوب في كل مكان؛ فالحق بهم، فلو فاتك ركبهم، لفاتك الخير كله، ولفاتك فرصتك الوحيدة للنجاة.

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ١٤٦

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢١﴾﴾

١) ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ هذا الكتاب مبارك، أي: كثير البركات والخيرات، فمن تعلمه وعمل به، غمرته الخيرات في الدنيا والآخرة، وكان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا تصديقاً لقوله ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ ونرجو أن يكون لنا مثل ذلك في الدنيا. وهذا الكتاب المبارك لا ييسر الله للعمل به إلا الناس الطيبين المباركين، فهو كثير البركات والخيرات؛ لأنه كلام رب العالمين، من قرأه وتدبر معانيه، عرف منه العقائد الحققة، وأصول الحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، وأسباب النعيم الأبدي، والعذاب الأبدي، ومن عمل به غمرته الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأصلح الله له الدارين.

الشنقيطي، مقدمة العذب النмир ٧/١

٢) ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، و﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ۖ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ و﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ بين قوسين؛ لعل قارئها يستشعر أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، ويعرف حق القرآن عليه! ووظيفته التي يجب أن يقوم بها نحوه، وهي: التدبر لمعانيه واتباعه.

البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي ٣٢١/١

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ مُمُوتِكُمْ ۗ فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾﴾

قلب فكري:

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾، ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق، بان لك أن أكثره عن انفلاق: كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر.

زاد المسير ٢٧٣/٩

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۗ ﴾ (١١٤)

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾ ﴿ فَأَعْتَرُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ ﴾ (الحشر: ٢) هكذا وجب عليك أن تقرأ آية آية، اقرأ وتدبر ثم أبصر؛ عسى أن ترى ما لم تر، وتدرك من حقائقه ما لم تدرك من قبل، فتكون له متدبراً.

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ٢٣

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ﴾ (١٠٨)

(١) تتعجب من أناس يستشهدون بهذه الآية بمناسبة وبدونها على السكوت عن أعداء الله خوفاً من مفسدة أعظم -زعموا-، لكنهم لا يراعون هذه القاعدة العظيمة عند حديثهم عن العلماء والمصلحين وأهل المقاومة، ويحتجون بأنه لا عصمة لأحد بعد رسول الله، ويتناسون أنهم يقدمون دعماً عظيماً للأعداء في حربهم لأولياء الله ورسوله.. ف ﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّينَ ﴾ (المطففين: ١).

أ. د. ناصر العمر

(٢) تأمل في عقول المشركين كيف وصل بهم التعصب الأعمى للمخلوق إلى ذم الخالق؟ وما أشبه الليلة بالبارحة فيما يفعله بعض مبتدعي زماننا لأسيادهم ﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات: ٥٣).

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ ﴾ (١١٠)

(١) العينان هما ربيثة القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطاً بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ﴾، ﴿ يَوْمًا نَقَلِّبُ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ (النور: ٣٧)، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ (الأحزاب: ١٠)، ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۗ ﴾ (٨) أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ ﴿ (النازعات: ٨-٩)؛ ولأن كليهما له النظر: فنظر القلب الظاهر بالعينين، والباطن به وحده.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦ / ٢٢٥

(٢) من عرض عليه حق، فرده، ولم يقبله؛ عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١ / ٩٩

٣) دلت هذه الآية على الإنسان إذا علم الحق ولم يدعن له من أول وهلة، فإن ذلك قد يفوته والعياذ بالله.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٤

٤) من خالف الحق أول مرة، التبس عليه الحق في كل مرة: ﴿وَنَقَلِبُ أَقْبَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾

د. خالد المزيبي

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ سَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٣)

١) إذا ورث العالم من النبي ﷺ رسالته؛ فلا بد أن يرث معها خصومها، وإلا ففي رسالته خلل، فليفتش عنه.

عبد العزيز الطريفي

٢) «المطربة القديرة فلانة تحكي تجربتها.. مسرحية من بطولة الفنان.. الفلم العالمي..» عناوين براقة يطالعنا بها الإعلام، تفتشها فلا تجد شيئاً، فأى مقدار وأي بطولة؟ وصدق الله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾

﴿وَإِنْ تُطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٤)

١) اجعلوا الدين هو المقياس، فإن رأيتم الناس يمشون في طريق الحرام فلا تمشوا معهم، ولا تحتجوا بالأكثرية؛ فإن أكثر الناس غالباً على ضلال، والله يقول: ﴿وَإِنْ تُطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ويقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣).

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٣٣-٢٣٤

٢) من أعظم أسباب انحراف بعض الدعاة عن الطريق المستقيم: جعل كثرة الأتباع مقياس النجاح والفشل؛ فأتباع الشيطان وحده أكثر من أتباع الأنبياء والمرسلين مجتمعين! تدبر: ﴿وَإِنْ تُطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فمن اغتر بالكثرة، واعتبرها مقياسه؛ أصبح تابعاً ومطيعاً لها: شاء أم أبى.

أ.د. ناصر العمر

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(١) وصف الإمام أحمد العلماء بقوله: «يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى»؛ لأنه بالحياة يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل، فيصير حيًا عالمًا ناطقًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣١٠/١٨

(٢) بعض المسلمين يعرفون القرآن للموتى، فهل يعرفونه للأحياء؟ وهل يعرفونه للحياة؟ إن القرآن للحياة والأحياء، إلا أن الأحياء أبقي وأولى من الأموات، والاهتداء بالقرآن في مسارب الحياة أحق من مقابر الأموات.

د. سلمان العودة

﴿٣﴾ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ قيمة النور ومكانته لا يختلف عليه أحد، فكيف إذا انتشر وعم! ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ فما أحوج أمتنا لمشاعل النور، وقناديل الضياء!

متدبر

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَجْرِمِينَ كَثِيرًا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قف متدبرًا لهذه السنة الكونية، ثم انظر إلى العاقبة المطردة، التي نراها اليوم في هؤلاء المجرمين الكبار: ﴿وَمَا يَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ ولكن سكرة الإجرام أعمتهم عن هذا المصير: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾... ثم تأمل في هذا الجزء العاجل والآجل: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمَكُرُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمَكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ لله تعالى حكم بالغة أن اختار لهذه الرسالة رجلاً عربياً، فهو بحكم الضرورة يتكلم بلسان العرب؛ فلزم أن يكون المتلقون منه الشريعة في البدء عرباً، فالعرب حملة شريعة الإسلام إلى سائر الناس، اختارهم الله لهذه الأمانة؛ فوجب عليهم القيام بها.

ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ٩٣

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

(١) احذرا!

سأل عمر رضي الله عنه أعرابياً: ما الحرجة؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء! فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير، جامع البيان للطبري ١٠٤/١٢

(٢) إن الإيمان بالحياة الآخرة يشعر الإنسان بأن الموت معبر إليها، فيعيش الحياة بذوق آخر، يملؤه العمل والأمل، ويا لبئس عمر يعيشه الإنسان وهو يشعر بأن الموت هو آخر المطاف! انظر إلى هذه الإشارة الإلهية في وصف نفسية الملاحدة المنكرين للبعث ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين ٦٦ (بتصرف)

(٣) سمعت أحد طلاب العلم يقول: وقفت متدبراً لقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فإذا هممت بأمر فانظر إلى صدرك بعد الاستخارة الصادقة، والأخذ بالأسباب، متجرداً عن المؤثرات والقرارات المسبقة؛ فإن انشرح صدرك؛ فأقدم، وإن ضاق؛ فأحجم، وقد وجدت لذلك توفيقاً مطرداً. قلت: وبعض العلماء يرى الإقدام بعد الاستخارة دون نظر لحال الصدر.

أ.د. ناصر العمر

﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

(١) ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ الخنزير مرتع خصب لأكثر من أربعمئة وخمسين مرضاً وبائياً، وهو يقوم بمهمة الوسيط في نقل سبعة وخمسين منها إلى الإنسان، وأصببت أوروبا بسببه سنة (١٩١٨م) بوباء مشابه سمي: (الأنفلونزا الأسبانية) قتل قريبا من مائة مليون، وتأثرت بعض بلادنا، ومات كثير حتى سُميت تلك السنة: سنة الرحمة (سنة ١٣٣٧هـ).

٢) لم يرد في القرآن تحريم لحم حيوان باسمه إلا الخنزير، مع أنه لم يكن كثيرًا بأرض العرب، ليس هذا غريبًا؟! إنَّ الغرابة تزول حين نعلم أن الخنزير اليوم من أكثر الأطعمة انتشارًا في الأرض.. إنها عالمية القرآن.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

قال بعض العلماء: يؤخذ من تقديم الرحمة الواسعة على البأس الشديد أن جانب الرجاء أقوى من جانب الخوف.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١٨٣/٢

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به، من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤ / ٢٦٥

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي: لا تقتلوهم من فقركم الحاصل؛ ولهذا قال بعدها: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فذكر الرزق لهم، بينما قال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (٣١)، أي: خشية حصول فقر في المستقبل؛ ولذا قال بعدها: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٦٢

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ دلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣)

١) سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الصراط المستقيم، فقال: تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطره في الجنة، وعن يمينه جواد - جمع جادة -، وعن شماله جواد، وثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾

تفسير عبد الرزاق ٧٣/٢

٢) ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾، يا للعجب من بيان القرآن وبيئاته وإعجازه بفنون إيجازه! القرآن يأمرك بالتدبر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بـ (الاتباع)؛ حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي ١/ ٣٢٢

٣) إننا كادحون إلى الله كدحًا فملاقوه، لا خيار للبشرية في ذلك أبدًا! وإنما وصية الله جاءت ببيان الصراط المستقيم هدى للعالمين؛ حتى يكون الكدح سيرًا إلى رضا الله، لا إلى عذابه ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٤٧

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

(١) في إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة، ما يلزم المؤمنين التأسي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم فُضد وجه الله ﷻ.

الثعالبي، الجواهر الحسان ٥٣٥/٢

(٢) إن في سلوك هذه الأمة تلازماً وثيقاً بين العقائد والعبادات، وبين سلوك الإنسان وأخلاقه، في البيت والعمل والسوق والمدرسة: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

د. صالح بن حميد

(٣) السفر.. المال.. الخلو.. أحوال يتقلبها العبد غالباً، ويتقلب معها في ألوان أخرى من العبودية، ولسان حاله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْحَتِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ومن لطائف القرآن في هذه الآية: الاقتصار في وصف: (سريع العقاب) على مؤكد واحد، وتعزيز وصف: (الغفور الرحيم) بمؤكدات ثلاثة وهي: إن، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظي؛ لأن (الرحيم) يؤكد معنى (الغفور)؛ ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليستدعي أهل الإعراض والصدوف إلى الإقلاع عما هم فيه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥٧/٧

سورة الأعراف

﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢)

﴿ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾، ﴿ قَالَ يَتَائِبُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٣٢)، ﴿ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ (ص: ٧٥) اختلاف العبارات عند الحكاية؛ يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم.

محمد صديق خان، فتح البيان ٣١٠/٤

﴿ قَالَ فَاهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (١٣)

هذه الآية أصل في ثبوت الحق لأهل المحلة، أن يخرجوا من محلته من يخشى من سيرته فشو الفساد بينهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٤/٨

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَائِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيَهُمَا إِنَّهُ يَرِيَهُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٧)

(١) لما ذكر تعالى قصة آدم في سورة الأعراف وما لقيه من وسوسة الشيطان، أعقبها بثلاث نداءات صدرت بـ: ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ ﴾ فلمخاطبتهم ببني آدم وقع عجيب بعد الفراغ من ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان؛ وذلك أن شأن الذرية أن تتأثر لأبائهم وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شركه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥٧/٨

(٢) ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيَهُمَا ﴾ أليس الكشف هو المادة الأولى في قانون إبليس؟! لقد كانت طالبات الابتدائي عندنا بدمشق يخرجن بالحجاب الكامل، وعلى وجوههن النقاب، وأذكر أن دمشق أضربت مرة، وأغلقت أسواقها كلها، وخرجت المظاهرات تمشي في جاداتها؛ لأن وكيلة مدرسة خرجت كاشفة وجهها.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢٧٠/٨

٣) شياطين الإنس في كل عصر إخوان شياطين الجن، فإن الله لما ذكر عداوة الشيطان في سورة الأعراف؛ قال بعدها: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ وهؤلاء ينزعون لباس بني آدم في القنوات والرياضات، وينزعون الحجاب عن المسلمات في أماكن العمل والطرق والمتنزهات.

متدبر

٤) من أعظم طرق الشيطان في إغواء بني آدم: كشف العورات، كما قال تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ وهكذا شياطين الإنس اليوم، في قنوات ماكرة وشبكات فاجرة؛ لأنه متى استمرت الأسرة ذلك، انحلت أخلاقها وانحل بعد ذلك دينها.

صالح المغامسي

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١)

١) قال ابن القيم: الأدب هو الدين كله؛ ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة، وهو: أخذ الزينة، فقال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فعلق الأمر بأخذ الزينة لا بستر العورة؛ إيذاناً بأن العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة.

مدارج السالكين ٣٨٤/٢

٢) كان لهارون الرشيد طبيب نصراني حاذق، فقال مرة لأحد العلماء: ليس في كتابكم من علم الطب شيء! فقال ذاك العالم: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا. فقال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

الأداب الشرعية لابن مفلح ٣٥٣/٢

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ﴾ (٣٢)

تأتي الطيبات في القرآن مراداً بها المستلذات إذا اقترنت بالرزق كقوله: ﴿وَرَزَقْنَاكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الأنفال: ٢٦)، وتأتي الطيبات مراداً بها الحلال إذا اقترنت بتحليل أو تحريم كقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

د. محمد الحضيري

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

الإنسان إذا أحس بالأمانة التي يتحملها، وبجسامة التوقيع عن رب العالمين؛ أحس بخطور الفتوى، ولم يلق الكلام على عواهنه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾.

د. محمد الحسن الددو

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهِمْ أَنْ أَنْهَرُ وَالْقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ كُمُ الْجَنَّةِ أَوْرَشْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قف وتأمل! إذا كان هذا في صدور الصالحين، والنزع يدل على التجذر، فكيف بما في صدور غيرهم؟ فاحم نفسك من قلبك قبل أن يردك ما فيه من غل، فلن ينجو يوم العرض: ﴿ إِلَّا مَنْ أْتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٩).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال: اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان! فقال: وما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾، فبكى سليمان وأزال ظلامته.

محاضرات الأدباء ٢٦٩/١

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

في التعبير بـ ﴿ صُرِفَتْ ﴾ إشارة إلى أنهم أجبروا على أن ينظروا إلى أهل النار؛ لأن الهول شديد، ومنظر النار فظيع جداً، لا ينظر إليه أحد باختياره، بينما قال في حالهم مع أهل الجنة: ﴿ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾.

الشنقيطي، العذب النمير ٢٨٩/٣ - ٢٩٣

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥)

١) قال الحسن البصري رحمه الله: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سرًّا فيكون جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٤/٧

(٢) في إخفاء الدعاء فوائدها، منها:

١- أنه أعظم إيماناً؛ لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي.
٢- أنه أعظم في الأدب؛ ولهذا لا تُسأل الملوك برفع الأصوات، ومن فعل ذلك مقتوه - والله المثل الأعلى -.

٣- أنه أبلغ في التضرع والخشوع؛ فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق.

٤- أنه أبلغ في الإخلاص، وفي جمع القلب على الله؛ فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته.
٥- أنه دال على قرب صاحبه من الله، يسأله مسألة مناجاة للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ٣) فلما استحضر قرب ربه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، أخفى دعاءه ما أمكنه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/١٥-١٧

(٣) ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المقصود من الدعاء: أن يشاهد العبد حاجته، وعجزه، وفقره لربه - ذي القدرة الباهرة، والرحمة الواسعة - وإذا حصل له ذلك؛ فلا بد من صونه عن الرياء، وذلك بالاختفاء، وتوصلاً للإخلاص، والله أعلم.

القاسمي، محاسن التأويل ٥/١٠٢

٤) قواعد الدعاء والذكر في موطنين من سورة الأعراف، فأيتا الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) والآية بعدها ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وآية الذكر: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٥).

د. محمد الخضير

٥) جاء ذكر الاعتداء بعد ﴿وَحُفِيَّةً﴾؛ لأنَّ من الاعتداء رفع الصوت به دون حاجة لذلك، إذ هو تجاوز للحد، والبشر إذا خاطبتهم بصوت مرتفع تأذوا، فكيف بالسميع سبحانه؟ وقد أنكر النبي ﷺ على من دعا رافعاً صوته، فقال: «اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً»^(١).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

١) قال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم، علق البغوي قائلاً: فعلى هذا معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب.

معالم التنزيل ٣/ ٢٣٨

٢) لما كان قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مشتملاً على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي: الحب والخوف والرجاء، عقبها بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إنما تنال من دعاه خَوْفًا وَطَمَعًا، فهو المحسن، والرحمة قريب منه؛ لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦

٣) ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر الله الطمع -الذي هو الرجاء- في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع له فيه ممتنع.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ٢١

٤) ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقال: ﴿قَرِيبٌ﴾ ولم يقل قريبة؛ لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مضافة إلى الله؛ فلهذا قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٧١

(١) البخاري ح (٦٦١٠).

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ
مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿ فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ذكر آلائه ﷻ ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة؛ لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله، وحمداً وشكراً وطاعة، وشهود تقصيره، بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ٢٢٩

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴾ (هود)، فحين ذكر الرجفة -وهي الزلزلة الشديدة- ذكر الدار مفردة ﴿ في دَارِهِمْ ﴾، ولما ذكر الصيحة جمع الدار ﴿ في دِيَارِهِمْ ﴾، وذلك لأن الصيحة يبلغ صوتها مساحة أكبر مما تبلغ الرجفة التي تحتص بجزء من الأرض؛ فلذلك أفردتها مع الرجفة وجمعها مع الصيحة.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤٧

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ

النَّاصِحِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن، وأثر الدنيا؛ لم يأمن أن يكون آيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿ وَلَكِنْ لَا يُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٣

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ ۗ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

من رضي عمل قوم حشر معهم، كما حشرت امرأة لوط معهم، ولم تكن تعمل فاحشة اللواط؛ فإن ذلك لا يقع من المرأة؛ لكنها لما رضيت فعلهم؛ عمها العذاب معهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٤٤/١٥)

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: لا تنقصوهم حقوقهم، وإنما قال: ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ للتعميم؛ تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير، والقليل والكثير.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢/٢٣٨

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

أبعد هذه الآية المحكمة وأمثالها تصبح النسبة للطائفة المؤمنة مسبة وعاراً؟ إنه البعد عن هدي القرآن، والخضوع لمصطلحات الإعلام، فنقول لهؤلاء: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩١﴾﴾

ليست بركة واحدة.. بل بركات من السماء والأرض سينالها الناس إن حققوا الشرط.

د. عمر المقبل

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالها؟ وعجبت من النار كيف نام هاربها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

التخويف من النار ٢١

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩١﴾﴾

١) خوف مكر الله وسيلة إلى إحسان العمل وإقلال الزلل.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٨٢

٢) في هذه الآية تخويف بليغ، فإن العبد لا ينبغي أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً أن يُبتلى ببليّة تسلب إيمانه، ولا يزال داعياً بالثبات، وأن يسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن؛ فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من السلامة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٩٨

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قال ابن الجوزي: «أعظم المعاقبة ألا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع في السرور بما هو عقوبة: كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومن هذه حاله، لا يفوز بطاعة» وشاهد ما قاله ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

د. سليمان الماجد

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

قال تعالى في بيان حال الإنسان: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ هذه حاله مع ربه فكيف مع الناس! ومن عرف الناس استراح.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْتَمِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾﴾

١) ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾، ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ (طه: ٦٦) الحكمة في طلب موسى أن يبدأ السحرة بسحرمهم؛ لأن موسى أراد أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٢٨٦

٢) تأمل: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ تختلف أساليب الأعداء، والغاية واحدة؛ ﴿ أَنْوَصُوا بِهِ ﴾، والمنهج المبطل لها جميعاً هو: الالتزام بالوحي (نصاً وروحاً)، كما التزم موسى به، وهنا سنرى الانتصار المدوي: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الكلمة القرآنية إذا جاءت موظفة في أي سياق دعويٍّ أو نمطيٍّ إصلاحيّ، فلها ما لعصى موسى من التأثير؛ فعلى الداعية أن يلقي (عصاه) ليس إلا!

د. فريد الأنصاري، الفجور السياسي ١٢٩

﴿ وَالْقَى السَّحْرَةَ سَجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

تأمل: لم يقل سجداً، كأن شيئاً اضطرهم إلى السجود، كأنهم سجدوا بغير اختيار؛ لقوة ما رأوا من الآية العظيمة.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق ٨٤

﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

لقوة انبهار السحرة بآية موسى العظيمة، وخرورهم الفوري؛ عبر بـ ﴿ وَالْقَى ﴾، ثم قالوا: ﴿ ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، لينفوا أي توهم بأن سجودهم كان لموسى، كما كانت عادتهم لفرعون، ثم قالوا: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾؛ لبيان أن السجود لله الحق، وليس لمدعي الربوبية القائل: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤).

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴿١٢٣﴾ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

﴿ ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ نعوذ بالله من تجبر الطغاة؛ حتى الإيمان بالله لا يسمح به إلا بعد إذنه!؟

د. عبدالمحسن المطيري

﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

لو تدبرت التقابل البديع في هذه الآية لوقفت خاشعاً لله!

انظر كيف عبر في جانب الحسنه بالمجيء! في حين عبر في جانب السيئه بالإصابة! لأنها تحصل فجأة من غير رغبة ولا ترقب.

وفي التعبير عن السيئه بـ ﴿تُصِيبُهُمْ﴾ دقة؛ فالإصابة وحدها توحى بالسوء، فكيف إذا عدى الإصابة بالسيئه فهو ألم فوق ألم!

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ١١٢

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

تأمل أول القصص في وصف بشاعة ما كان يعمله فرعون وملأه، ثم جاءت ولادة موسى وتربته وبعثته، وبعد أكثر من أربعين سنة من العمل الدؤوب يأتي النصر العظيم: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، فأين التخطيط والعمل الجاد لتحقيق النصر ولو بعد حين؟ أ.د. ناصر العمر

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمَمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ فلا يدرى انقضى أجل الميقات عند الثلاثين وكانت العشر تماماً، أي: زيادة بعد انقضاء أجل الميقات، أو إنما كان انقضاءه عند تمام الأربعين، وأن الإتمام بعشرة هو زيادة في الأجل؟ فلما قال: ﴿فِتْمَمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ علمنا أن العشر دخلت في الأجل، فصارت جزءاً منه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٨

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي ۗ فَلَمَّا تجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۗ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

(١) إن موسى ﷺ سأل أجل الأشياء فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، وسأل أقل الأشياء فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص)؛ فنحن أيضًا نسأل الله أجل الأشياء وهي خيرات الآخرة، وأقلها وهي خيرات الدنيا فنقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ (البقرة).

الرازي، أسرار التنزيل ١٣٢

(٢) ﴿فَلَمَّا تجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، وكما في الصحيحين: «إذا قام أحدكم يصلي فإن الله قبل وجهه»^(١).

جبل في لحظة يندك .. وعين حتى اللحظة لم تبك!

إن خشوع صلاتك في استشعار معنى أن (الله) بينك وبين قلبتك.

د. عصام العويد

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

(١) إذا تكبر العبد عن الحق صرف الله قلبه، وإذا صرف الله قلبه فمن يملك رده؟ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

د. عبد الله السكاكر

(٢) ما أسفه من ركب المفازة!

فإن رأى طريقًا مستقيمًا أعرض عنه وتركه، وإن رأى معتسفًا مرديًا أخذ فيه وسلكه، وفاعل نحو ذلك في دينه أسفه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

الزمخشري، الكشاف ١٥٩/٢

(١) أخرجه البخاري ح (٧٥٣)، ومسلم ح (٣٠٠٨).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

١) ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ الغضب لله من ثمرات إجلال الله ومهابته، والغضب على المسيء بحضرة متضمن للإجلال، وزجر للمسيء عن انتهاك الحرمات، ولا خير في عبد لا يغضب لمولاه.

العز بن عبدالسلام، شجرة المعارف ٦٨

٢) تدبر قول هارون لموسى ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ فلم يقل يا أخي أو يا موسى، بل ولا: يا ابن أبي؛ لأن المقام مقام استعطاف وطلب رحمة، فذكر الأم هنا أحرى بتذكيره برحمته وعطفها.. وقد تحقق له ما أراد، فإذا موسى القوي الشديد يقول فوراً: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥١) فهل نحسن استخدام الألفاظ في مواضعها؟

أ.د. ناصر العمر

٣) لما رجع موسى ﴿ووجد قومه قد عبدوا العجل﴾؛ غضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته، وعاتبه عتاباً شديداً، فكان مما قاله هارون لموسى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾، وهو درس عظيم لأتباع الأنبياء في علاج مشاكلهم مهما كانت كبيرة، بعيداً عن أي أسلوب يجلب شماتة الأعداء والحاسدين.

د. عمر المقبل

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾ قال كعب: رب قائم مشكور له، ونائم مغفور له، وذلك أنّ الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعائه، فلم يرد من دعائه شيئاً، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: رب! أخي فلان اغفر له؛ فغفر الله له وهو نائم.

حلية الأولياء ٣١/٦

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي دُخَانٍ مُبِينٍ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾
 ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ عدل سبحانه عن قوله (سكن) إلى قوله ﴿سَكَتَ﴾؛ تنزيلاً للغضب منزلة السلطان الأمر الناهي الذي يقول لصاحبه: افعَل لا تفعل، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه المتكلم على لسانه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ٣٤

﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عِدَايَ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْأَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

(١) لا قنوط!

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس ؓ: يقول الله ﷻ: أنا أهل أن أتقى، فإن عصيت فأنا أهل أن أغفر.

شرح السنة للبعوي ٣٧٥/١٤

(٢) ذُكر عند سماك بن الفضل ؓ أي شيء أعظم؟ فذكروا السموات والأرض -وهو ساكت- فقالوا: ما تقول يا أبا الفضل؟ فقال: «ما من شيء أعظم من رحمته! قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.. اللهم اشملنا برحمتك الواسعة.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥٧١/٣

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

(١) ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ رأيت أحد المدخنين عندما أراد الدخول للمسجد وضع علبة الدخان داخل حذائه، فماذا يعني هذا؟
الخبِيث ترفضه الفطر السليمة.

متدبر

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ تقول عائشة: كان الحبشة يلعبون بحراب لهم، فكنت أنظر من بين أذني رسول الله وعاتقه، وقال يومئذ: «التعلم يهود أن في ديننا فسحة؛ إني أرسلت بحنيفة سمحة»^(١).

٣) تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل؛ فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات ﴿ فَأَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ١/ ٣٢٧

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴾

مراعاة المحتسب لعلّة ﴿ مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾، دون علّة ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴾؛ تجعله يراعي جانب المضمون دون الوسيلة.. اجعلهما نصب عينيك، وافرح بهداية الناس.

مهند المعطي

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

قال عكرمة: جئت ابن عباس رضي الله عنه يوماً وهو يبكي والمصحف في حجره، فقلت: ما يبكيك؟ قال: هؤلاء الوراقات، وإذا سورة الأعراف، فذكر قصة اليهود لما عدوا يوم السبت على الحيتان، قال: فعدت طائفة بأنفسها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وأنكرت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت.. ثم قرأ ابن عباس: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ ﴾.. قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها، ولا نقول فيها.

الدر المنشور ٣/ ٥٨٩

(١) أحمد ح (٢٤٨٥٥)، ومسند الحميدي (١/ ١٢٣).

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

تأمل أخي وصف من حذرنا الله من التشبه بهم في قوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾؛ أي: عرض الحياة الدنيا ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾، ثم تأمل ختم الآية بقوله: ﴿ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾، فهل نعقل ما حذرنا الله منه وما أوصانا به؟

د. محمد الربيعة

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

١) أعظم ما ينبغي أن يتحلَّى به المصلحون - وهو سرُّ تأثيرهم وعظم أجرهم -: إصلاحهم لأنفسهم أولاً ولغيرهم ثانياً: بالقرآن والصلاة.. تدبر: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾، ﴿ يُمَسِّكُونَ ﴾ قرئت بالتخفيف؛ أي: هم أنفسهم يمسكون، وبالتشديد أي: يمسكون غيرهم.

د. محمد الربيعة

٢) التمسك بكتاب الله في جد وقوة، مع إقامة شعائر العبادة، هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة، تأمل: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ وخصت الصلاة بالذكر هنا دون سائر العبادات لفضلها وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات كما قاله المفسرون.

عبد اللطيف التويجري

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

١) قد كره الإسلام أن يطلب المرء العلم حتى إذا نبغ فيه؛ استكبر به على الناس، واتخذة وسيلة للشغب والمراء ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٦٦

(٢) ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾
 وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴿مجرد العلم لا يرفع صاحبه؛ فإنَّ هذا الرجل قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها، فالرفعة بالعلم قدر زائد على مجرد العلم!

ابن القيم، روضة المحبين ٢٨٩

(٣) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّيهِ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴿بجسب ما يُخْلِذُ العبد إلى الأرض؛ يهبط من السماء.﴾

ابن القيم، روضة المحبين ٢٨٩

(٤) يقول تعالى عن عالم السوء الذي ترك الهدى بسبب الهوى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ قال ابن جريج: «الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع». علق ابن القيم على كلام ابن جريج السابق: قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهث عليها... فالكلب من أشد الحيوانات لهثًا، يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا؛ لشدة حرصه.

إعلام الموقعين ١/١٩٥

(٥) ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ من لم يزجره علمه عن القبيح، صار القبيح عادةً له، ولم يؤثر فيه علمه شيئًا؛ فيصير حاله كحال الكلب اللاهث، فإنه إن طُرِدَ لهث، وإن تُرِكَ لهث، وهذا أخسُّ أحوال الكلب، فكذلك من يرتكب القبائح مع جهله ومع علمه، فلا يؤثر علمه شيئًا.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/٨٨

(٦) ضرب الله مثلين منفريين، فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة: ٥)، فالمثل الأول ضربه للعالم الضال المنسلخ عن العلم النافع، دائم اللهات وراء شهواته، وأما المثل الثاني فضربه الله للذين يحملون التوراة في عقولهم، لكنهم لم يستفيدوا منها ولم ينتفعوا بها في حياتهم، فماذا يفرقون عن الحمار حامل الأسفار؟

د. صلاح الخالدي، لطائف قرآنية ١٦٥-١٦٧ (بتصرف)

(٧) إن القصص القرآني لم يكن في لحظة من اللحظات سبيلاً للتسلية، ولا حديثاً مفترى، ولا منهجاً للتفكك، ولا فتوناً للاختلاق، وإنما جاء سرداً لتاريخ أمم ومجتمعات وأجيال، يعرض وقائع حية، وحقائق موصلة إلى غايات عظمى، ومرام سامية، يتم إدراكها بالتفكير العميق، والتدبر الواعي، والتأمل الناضج، والعظة المعتبرة، قال تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِالْعِزِّ الَّتِي لَكَ وَاللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أحمد ولد محمد ذو النورين، هدى للناس ١٢٩، ١٣٠

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

(١) ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ المتبادر للذهن أن يقول: لهم قلوب لا تفقه وإنما قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ولم يقل: لا تفقه؛ لبيان أنهم هم المؤاخذون بعدم توجيه إرادتهم لفقه الأمور، والتفتيش عن الحقائق.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٣٥٦/٩

(٢) كل إنسان يملك قلباً، لكنه قد لا يملك عقلاً، وهذا يفسر تصرفات كثير من البشر، وبالأخص عدم الاستجابة للناصحين، تدبر: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ فلا يعقلون؛ لذا فهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً!

أ.د. ناصر العمر

(٣) تأمل هذه القاعدة جيداً: كثيراً ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته، وإن كانت صورته موجودة، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ فلما لم ينتفعوا بقلوبهم بفقه معاني كلام الله، وأعينهم بتأمل ملكوت الله؛ لم تتحقق الثمرة منها.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

فإن كل اسم له في القلب الخاضع لله، المؤمن به؛ أثر وحال، لا يحصل العبد في هذه الدار ولا في دار القرار أجلاً وأعظم منها، فنسأله تعالى أن يمن علينا بمعرفته ومحبته والإنابة إليه.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٩

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

(١) لا تأس على ما فاتك: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال أبو حازم رضي الله عنه: «نعمة الله فيما منعي من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها؛ إني رأيتُه أعطى أقوامًا فهلكوا».

عدة الصابرين ٢٥٤

(٢) قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم، ونمنعهم الشكر.

الشكر لابن أبي الدنيا ٤١

(٣) تأمل: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْ لِي لَهُمْ لَأْتِ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ حيث يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، فيتدرجون في طغيانهم، ويستمرثون ذلك؛ حتى يوقنوا أن سياستهم عين العدل، فإذا أمنوا العقوبة أخذهم الله ﴿ بَعَثَ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَفُتِحَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُ، وَيَذُرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

الجملة الأولى تفيد أن من عاقبه الله بالإضلال فلن ينفعه أحد، والجملة الثانية تفيد أنه إنما أضله لظغيانه وعماه.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٣٧

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِّنْهَا رُوحَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَٰلِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

إن وضع الزوج لرأسه تارة على صدر زوجته وأخرى في حجرها؛ ليجد في دفنها ما يمتص هموم الحياة كما كان يفعل ﷺ هو جزء من الفهم العميق منهما لقوله تعالى: ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾.

﴿ إِنْ وَكَلَى اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّٰلِحِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

من أصلح ما بينه وبين الله، حفظه الله في:

- حياته: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّٰلِحِينَ ﴾.

- وفي منامه: تأمل حفظ الله لأصحاب الكهف، وكيف أصاب الكلب بركة حفظهم.

- وبعد مماته: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾. فاللهم أصلح بنا ولنا.

د. عمر المقبل

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١١٩)

(١) قدم عيينة بن حصن على عمر فقال: إنك لا تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر غضباً حتى كاد أن يهجم به، ولكن ابن أخي عيينة قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾، وإن هذا من الجاهلين. فوقف عندها عمر ولم يتجاوزها؛ لأنه كان وقفاً عند كتاب الله، فانظر إلى أدب الصحابة ﷺ عند كتاب الله، لا يتجاوزونه؛ إذا قيل لهم هذا قول الله وقفوا، مهما كان.

ابن عثيمين، تفسيره (٢٧٦/١، ٢٧٧)

(٢) الأمر بالمعروف لن يعدم من يكابره على الحق ويجادله، فليعرض عنه، مر سالم بن عبد الله بن عمر - وهو من كبار الفقهاء - على قافلة فيها جرس، فقال: إن هذا يُنهي عنه، فقالوا: نحن أعلم منك إنما يكره الجلجل الكبير، وأما هذا فلا بأس به، فبكى سالم، وقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

الدر المنثور ٣/٦٢٩

﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠٠)

قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾؛ بينما قال في (فصلت): ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾، وفي حكمة التفريق بينهما قال ابن جماعة: لأن آية الأعراف نزلت قبل آية فصلت؛ فحسن التعريف؛ أي: ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان.

الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٩٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١)

(١) حق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له؛ ليعلم أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان، وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة، لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ أي: رجعوا إلى نور العلم ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ أي: ينكشف لهم الإشكال.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/٣٠

(٢) حين أقع في الذنب وأندم عليه؛ فلا داعي بعدُ لأن أنزع الثقة من نفسي، وأياس من تفوقي ونبوعي؛ تدبر: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ فلا يأس وإن أذنبت؛ فغاية الشيطان أن تياس فتكسل وتحمل.

متدبر

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

(١) قال الليث: يقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن؛ لقول الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، و(لَعَلَّ) من الله ﷻ واجبة.

لمحات الأنوار للغافقي ١٣٥/١

(٢) من قرئ عليه القرآن، فليقدر نفسه كأنما يسمعه من الله يخاطبه به؛ فإذا حصل له ذلك السماع، ازدحمت معاني المسموع ولطائفه وعجائبه على قلبه.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٤٩٩؛

(٣) فمن استمع للقرآن وأنصت، فإنما يستمطر رحمة الله، فلا تستطل -أيها المؤمن- في هذه الليالي طول الصلاة، بل أرفع سمعك لخطاب ربك، فإنما تستكثر من رحمته^(١).

د. عبدالمحسن المطيري

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

(١) تأمل كيف قال تعالى في آية الذكر: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ وفي آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ (الأعراف: ٥٥) فذكر التضرع فيهما معاً، وهو التذلل والتمسك والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ١٩، ٢٠،

(٢) من حافظ على أذكار الصباح والمساء، لم يكن من الغافلين.

د. محمد الربيعة

(١) أرسلت في العشر الأواخر من رمضان ١٤٣٠هـ.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

(١) لما حضرت الإمام نافعاً المدني - وهو أحد القراء السبعة - الوفاة، قال له أبناءه: أوصنا! قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

معرفة القراء الكبار ١١١/١

ما أجمل أن تتضمن وصايانا لأهلنا وأولادنا وصايا قرآنية؛ فهي أعلى وأعلى أنواع الوصايا وأعظمها أثراً.

(٢) تأمل كيف قدم ربنا إصلاح ذات البين على طاعته وطاعة رسوله في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾! فكم هو مؤسف أن يمر العيد على أناس يقرؤون هذه الآية، وهم مصرون على القطيعة؟ أليس العيد فرصة لتحقيق هذا النداء الرباني؟ ونيل هذه الفضيلة التي صح الحديث بأنها خير من درجة الصائم المصلي المتصدق؟^(١)

د. محمد الربيعة

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

(١) تدبر عملي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال السدي ؓ: «هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر الله؛ فينزع عنها»!

التبصرة لابن الجوزي ٣٩٨

(٢) ليست العبرة كم ختمت القرآن من مرة؟

وإنما الغنيمة والظفر بمقدار أي تغير إيجابي تجده في نفسك من أثر تلاوته وتدبره؟
قف مع نفسك بصدق، واعرضها على هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

أ.د. ناصر العمر

(١) أرسلت يوم عيد الفطر ١٤٣٠هـ.

٣) إذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته؛ ظهر ثمرة ذلك على لسانه وجوارحه؛ فاستحل اللسان ذكر الله و ما والا، وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ۞

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٥٢

٤) ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ۞ ﴾ وهذا أمرٌ يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه الإيمان: بفهم القرآن، ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن؛ حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذٍ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢٨/٧

والسؤال: كم هي المرات التي نسمع فيها آيات الله، ولا تحصل لنا هذه الثمرات؟

٥) شأن أهل الإيمان مع القرآن: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ۞ ﴾؛ لأنهم يلقون السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبيره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبير من أعمال القلوب؛ ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣١٥

٦) ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ۞ ﴾ هل نحن من الذين يسمعون آيات الله فيزدادون إيمانًا، أم أننا -أو أن أكثرنا- يسمع آيات القرآن للطرب وللعجب، فإذا سمعها لم تتجاوز أذنيه ولم تصل إلى قلبه وعقله؟

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢١٤

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجِدُّونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ ۞

١) غزوة بدر تربي في العبد عبودية التسليم والانقياد للأمر الشرعي والكوني وإن وقع على خلاف المراد، ألم يقل الله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجِدُّونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۞ ﴾؟ ولكنهم لا يدركون أن القدر يسوقهم إلى أعز نصر ستدرکه الدعوة الإسلامية في حياة الرسول ﷺ.

محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ١٠٦/١

٢) إذا ظهر الحق واستبان، فلا يصح أن يجادل فيه أهل العقل والإيمان. ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ .

د. محمد القحطاني

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنِّي اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

١) الدعاء الصادق من قلب محبته سلاح نافذ بإذن الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ قال ابن تيمية رحمه الله: «القلوب الصادقة والأدعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب».

مجموع الفتاوى ٦٤٤/٢٨

٢) في غزوة بدر تعانق السلاح المادي مع التكوين الإيماني: فالنبي ﷺ هياً الجيش، ونظم الجند، واختار المواقع، ورفع المعنويات، ثم توجه إلى ربه في ضراعة وإلحاح، يستنزل النصر، ويناشد المدد؛ فتحقق المراد.

د. صالح بن حميد

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

النوم منة عظيمة من الله على عباده، ومن المعروف علمياً أنه إذا كان مكان النوم أكثر هدوءاً، أصبح أعظم أثراً؛ فوقفت متدبراً لقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١١) ولم يقل: (قلوبهم) أو (أعينهم)، حيث أثبت لي كثيرون: أن سد الأذنين يعطي نوعاً أسرع وأعمق دون تقطع.

أ.د. ناصر العمر

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

سئل السبي عن الحكمة في قتال الملائكة في بدر، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فقال: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش؛ رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجزاها الله تعالى في عباده.

فتح الباري لابن حجر ٣١٣/٧

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

إن القلة الشجاعة في غزوة بدر كشفت أن الكثرة المشتركة سراب، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فاستدرج الله جبابرة مكة إلى مصارعهم، ما أغنى عنهم عدد ولا عدة، وأما القلة التي استغاثت بالله، واستنزلت نصره فقد فازت فوزًا عظيمًا.

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي ١٣٠

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

من الناس من يسمع الآيات ويقول: هذه الآية نزلت في الكافرين أو المنافقين، لا في أمثالي من المؤمنين، وإن كان مُتَّصِفًا بما تنهى عنه، وتتوعد عليه من صفاتهم وأعمالهم؛ فصاحبها يصدق عليه بوجهٍ ما أنه من الذين ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٥٢٤/٩

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

توكل عليه وحده، وعامله وحده، وأثر رضاه وحده، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفةً بها، مستلمًا لأركانها واقفًا بملتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع سبحانه على ذلك من قلبك! ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه، وخلع أفضاله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٤٨

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤)

(١) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له؛ فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً؛ فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان.

ابن القيم، الفوائد ٨٨

(٢) (٧٩ تسع وسبعون آية) تتحدث عن «استماع» الوحي كيف يجب أن يكون؟ جاء فيها السماع على أنواع ثلاثة:

أ- سماع صوت وهو للأذن.

ب- وسماع فهم وهو للذهن.

ج- وسماع استجابة وهو للقلب والجوارح، فالأولان وسيلة والأخير هو المنجي فقط، ولم أرها مجموعة إلا في الأنفال (١٩-٢٣)، فلا تحرم «قلبك» سماع القرآن.

د. عصام العويد

(٣) الله وحده يعصمك من الخطايا:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ سمع عمر بن الخطاب ؓ رجلاً يقول: «اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فحل بيني وبين معاصيك»، فأعجب عمر ؓ ودعا له.

تفسير ابن رجب الحنبلي ٤٨٧/١

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥)

أي: هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط؛ بل تصيب الظالم والساكت عن نهيهِ عن الظلم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/ ١٥٨

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

أكثر ما يدفع الإنسان لخيانة الله ورسوله والأمانة التي حملها: ماله وولده.

متدبر

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

(١) قال مالك لتلميذه الشافعي رحمه الله أول ما لقيه: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية»، وهذا المعنى الذي نبّه عليه الإمام مالك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾، يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن الفرقان: النور الذي يفرّق به العبد بين الحقّ والباطل، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتمّ، وبالله التوفيق».

إعلام الموقعين ٢٥٨/٤

(٢) ﴿إِن تَنفُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ من أعظم أنواع الفرقان الذي يؤتاه المتقي لربه: البصيرة زمن الفتن.

قال الحسن البصري رحمه الله: «إذا أقبلت الفتنة عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها الناس كلهم»^(١)، وقد وصف أيوب السختياني الحسن البصري بقوله: «كان يبصر من الفتنة إذا أقبلت ما نبصر منها إذا أدبرت»^(٢)، قال ابن تيمية رحمه الله: «إن الفتن إنما يعرف الناس ما فيها من الشر إذا أدبرت»^(٣).

متدبر

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

(١) استدل العلماء بهذه الآية على أنه لو دخلت محبة الرسول ومحبة سنته في قلب عبد فإن الله لا يعذب هذا القلب، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ابن القيم، إعلام الموقعين ١٧٣/١ (بتصرف)

إذا كان مجرد وجود حب الرسول في القلب مانعاً من تعذيبه، فما بالك بوجود محبة الله

سبحانه في ذلك القلب!

(١) الحلية (١٦٥/٧).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٨٦/٦).

(٣) منهاج السنة (٤٠٩/٤).

(٢) من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَعَدَّ بِهَمِّمْ وَهَمِّمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٥/١)

(٣) إذا قرنت بين قول ربنا في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»^(١)، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَعَدَّ بِهَمِّمْ وَهَمِّمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وأنه أتى بالفعل المضارع ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الدال على الاستمرار؛ عرفت أننا بحاجة للاستغفار كل وقت وحين، وأن حملات الاستغفار التي يروج لها بعضهم إنما هي مجانفة لهدي الوحيين، وفتح لباب - قد لا يغلق - من أبواب البدع في باب الأذكار.

د. عمر المقبل

(٤) صيغة الاسم تفيد الثبات والدوام وصيغة الفعل تفيد التجدد والاستمرار، ومن لطائف هذا التعبير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَعَدَّ بِهَمِّمْ وَهَمِّمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٣٢)، فجاء الفعل ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾؛ لأن بقاء الرسول بينهم مانع مؤقت من العذاب وجاء بعده بالاسم ﴿مَعَدَّ بِهَمِّمْ﴾؛ لأن الاستغفار مانع ثابت من العذاب في كل زمان.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٢٦

(٥) منذ شهر تقريباً وربنا يستعنتنا بهذه الزلازل التي تزداد شيئاً فشيئاً؛ ولم نؤخذ على حين غرة؛ لعلنا نتوب ونستغفر: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَعَدَّ بِهَمِّمْ وَهَمِّمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، هذا وقت تضرع والتجاء؛ فإن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾^(٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا، ولنحذر من تتمتها: ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٤٢-٤٣)^(١).

د. محمد العواجي

(١) أخرجه مسلم ح(٢٥٧٧)

(٢) أرسلت إبان حدوث زلازل وهزات أرضية في بعض مناطق المملكة .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ

سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨)

(١) ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ هذه لطيفة؛ وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، والمعاصي والمآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبداً توبة، ولا نالتهم مغفرة؛ فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم؛ ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام.

ابن العربي، أحكام القرآن ١١٦/٤

(٢) اشترط الله لتوبة الكافر شرطاً واحداً ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾، واشترط لتوبة المنافق أربعة شروط ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ١٤٦) مما يدل على أن النفاق خطرهم أعظم، والتوبة منه أشق!

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا

كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٤٤)

وهذا من بديع صنع الله تعالى؛ إذ جعل للشيء الواحد أثرين مختلفين، فكان تخيل المسلمين قلة المشركين مقوياً لقلوبهم، ومزيلاً للرعب عنهم، فعظم بذلك بأسهم عند اللقاء، وكان تخيل المشركين قلة المسلمين غاراً إياهم بأنهم سينالون التغلب عليهم بأدنى قتال، ففجأهم بأس المسلمين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٣٨/٦

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦)

إن الشقاق يضعف الأمم القوية، ويميت الأمم الضعيفة ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٧

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٥١)

(١) كدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات يمنع صفاء القلب وجلاءه، فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ١٣/٣ (بتصرف)

(٢) السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة؛ فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية؛ فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

ابن القيم، الفوائد ١٦٤

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَابًا مَنِعًا أَنْعَمَ عَلَيْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٢)

دليل على أن الله ﷻ قد يسلب النعم بفعل المعصية عقوبة لفاعليها، فهو سبحانه لا يغير ما بهم حتى يحدثوا أحداثًا يعاقبهم الله عليها، فيغير ما بهم، ويكون الأحداث سببًا للتغيير.

القصاب، نكت القرآن ٤٧٣/١

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (٥٣)

قال الله عن اليهود: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ إنما قال: ﴿يَنْقُضُونَ﴾ بفعل الاستقبال مع أنهم كانوا قد نقضوه قبل نزول الآية؛ لإفادة استمرارهم على ذلك، وأنه لم يكن هفوة رجعوا عنها، وندموا عليها، بل إنهم ينقضونه في كل مرة وإن تكرر، وهو يصدق على عهود طوائف اليهود الذين كانوا حول المدينة في جملتهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٤٣/١٠

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ (١٠)

(١) أمر الله ﷻ بإعداد القوة للأعداء؛ فإن الله تعالى لو شاء لزهبهم بالكلام، وحفنة من تراب، كما فعل ﷻ، ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، فأمر بإعداد القوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بإمداد الملائكة العليا.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤ / ١٥٥

(٢) تدبر هذه الآية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ حيث عطف ﴿رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ على ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ والعطف يقتضي المغايرة، ونكّر ﴿قُوَّةٍ﴾؛ ليدل على أنها شاملة لجميع أنواع القوة غير الخيل، وأعظمها: قوة الإيمان.

وأحداث غزة أثبتت ما أحدثته صواريخ القسام من رعب في العدو، مع تواضعها بالنسبة لما لدى اليهود من سلاح، مما يشعر أثر الإيمان في فاعلية السلاح، مهما كان تواضعه مقارنة بما لدى الخصم^(١).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾
﴿أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٦٣)

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن النعمة تُكفر، والرحم تُقطع، وإن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبداً، ثم تلا هذه الآية: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

الزهد لابن المبارك ١٢٣

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾
﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥)

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ لم أشعر بحقيقة معنى هذه الآية كما شعرت بها وأنا في خندي، أنتظر بشغف ملاقاته وحدات العدو، وإني أقسم بالذي رفع السماء بلا عمد، لو علموا كيف تُحلّق أرواحنا لقتالهم؛ لغاصت أقدامهم ارتعاداً وخوفاً من بأسنا.

أحد المدافعين عن غزة^(٢)

(١) أرسلت إبان حرب اليهود على غزة مطلع سنة ١٤٣٤هـ.

(٢) في حرب اليهود على غزة مطلع سنة ١٤٣٤هـ.

﴿ تَوَلَّوْا كِتَابَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

(١) ثبت في الشريعة العفو عن الخطأ في الاجتهاد، حسبما بسطه العلماء وأهل الأصول، ومنه قوله تعالى: ﴿ تَوَلَّوْا كِتَابَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

الشاطبي، الموافقات ١/ ١٦٣

فعل الأب والمربي أن يراعى ذلك في معاملته لمن دونه، فلا يعاقبهم أو يستهزئ بهم على اجتهادهم السائغ.

(٢) القرآن يعالج الأخطاء ويعاتب المخطئين لا لذات العقاب أو التشفي، كلا! وإنما لأجل ألا يتكرر الخطأ، وليتوب المخطئ؛ ولذا تجد السعة والرحمة بعد التهديد والوعيد.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

(١) ﴿إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ فإذا أقبلت على الله تعالى بصدق نية، ورغبة لفهم كتابه باجتماع هم، متوكلاً عليه أنه هو الذي يفتح لك الفهم، لا على نفسك فيما تطلب، ولا بما لزم قلبك من الذكر؛ لم يخيبك من الفهم والعقل عنه إن شاء الله.

المحاسبي، فهم القرآن ٣٢٤

(٢) ما أعظم الصدق مع الله، تأمل: ﴿إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَاهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨)، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (محمد: ٢١).

د. محمد الربيعة

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ ﴾

(١) إضافة الأذان إلى الله ورسوله دون المسلمين؛ لأنه تشريعٌ وحُكْمٌ في مصالح الأمة، فلا يكون إلا من الله على لسان رسوله ﷺ.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٠/١٠٨

(٢) جاءت هذه الصيحة بعد (٢٢ سنة) من بدء الوحي، ختمت صراعًا داميًا طويلًا بين دعوة التوحيد، وبين الجاهلية التي أبت إلا سفك الدم، ومصادرة الحرية ووأد الحق؛ فكان جزاءها أن طبق عليها القانون الأزلي: ﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَجُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا بَكَتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الرعد: ١٧).

محمد الغزالي، خطب الشيخ محمد الغزالي ١٦٠/٥

﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَفَّرْنَا عَنْهُمْ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

إنما قال: ﴿ بَدءُوكُمْ ﴾؛ تنبيهًا على أن البادئ أظلم.

الرازي، مفاتيح الغيب ١٥/٥٣٥

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

هذه الآية أشد آية نعتت على الناس ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه الله سبحانه بلطفه.

الألوسي، روح المعاني ٧/١٩٢

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٣١﴾

إنما قال: ﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل وعليكم؛ لأن الخطاب للجماعة وفيهم بقية من المنافقين وضعفاء الإيمان.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٢٢١/١٠

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾

إذا رأيت تكالب الأعداء على أمة الإسلام، فتذكر قول ربك: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ «فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل به الرسول لا بد أن يتم ويظهر».

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/٢

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾

وفقًا لتقرير أعده قسم الأديان لمركز (بيو) الأمريكي: فعدد المسلمين في العالم (١,٧٥ مليار)، وتقول صحيفة التلغراف البريطانية إن عدد المسلمين في أوروبا سيصل إلى ٢٠٪ من سكان أوروبا. علق أحد الغربيين قائلاً: لقد صار من المحقق أن الإسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع العالم؛ فعدد المسلمين في نمو وتزايد مستمر.

وصدق ربنا: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

إن الأموال المستخفية في الخزائن المختبئ فيها حق المسكين والبائس، شر جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٠٦

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

كيف يمنع أحد زكاته وهو يقرأ: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ﴾ ولم يقل: تحمى في نار جهنم؛ ليدل ذلك على أنها مع حرارة نار جهنم تستعمل لها الآلات المحمية، فيضاعف حرها ويشدد عذابها.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٢١

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(١) قال ابن عباس ؓ: اختص من ذلك أربعة أشهر -هي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب- فجعلهن حرماً وعظم حرمتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم.

الدر المنثور ٤/١٨٧

(٢) قال قتادة -في قوله تعالى عن الأشهر الحرم-: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما شاء.

الدر المنثور ٤/١٨٧

(٣) دلت الآية أنّ الواجب تعليق أحكام العبادات وغيرها بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون شهور العجم والروم، وإن لم تزد على اثني عشر شهراً؛ لقوله: ﴿مِنَهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾، وهي خاصة بشهور العرب.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٣٣

(٤) عشر ذي الحجة من أعظم أيام الأشهر الحرم.. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ ومن ظلم النفس: تضييعها في غير ما يقرب إلى الله، قال الحسن البصري رضي الله عنه: «أدرت أوقاماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنائيركم ودراهمكم».

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٣/٧٤

(٥) ليس المسلم الحق بالذي تدخل عليه هذه الأشهر- التي عظم الله شأنها- وهو لا يبالي بما ينتهك فيها من المعاصي، وتعدي حدود الله، فإن الله تعالى قال فيها: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾.

د. عمر المقبل

(٦) أرايت إنساناً يظلم نفسه؟ نعم.. ستراه حين ينتهك حرمة زمان نهاه ربه عن أن يظلم فيه نفسه. رجب هو الشهر الفرد من الأشهر الحرم التي قيل لنا فيها: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾، ورجب هذه السنة يوافق إجازة: فكم من حافظ لحرمة بطلب العلم وبرّ وعبادة ونفع للخلق، وكم من غافل هاتك حرمة بعضيان حضراً وسفراً، ومن كان كذلك؛ فإنه لا يضر الله شيئاً، بل لا يضر ولا يظلم إلا نفسه^(١).

(٧) لو ظلم المرء نفسه في الأشهر الحرم لكان قد أتى أمراً عظيماً: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ فكيف بمن ظلم غيره بفعل ما تاباه الشرائع والأعراف كلها؟ قتل وقتال.. وانتهاك حرمة الجوار.. وترويع للآمنين.. وهتك حرمة هذه الأشهر.. وتشويه لسمعة الإسلام.. واستنزاف لأموال الأمة.. فما أعظم جناية الحوثيين ومن أعانهم فيما اجترحوا^(٢)!!

(١) أرسلت في سنة وافق رجب بداية الإجازة الصيفية.

(٢) أرسلت في تاريخ ٢١/١١/١٤٣١هـ، أثناء بدء هجوم الحوثيين على بعض مناطق الحدود جنوب المملكة.

﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

(١) ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ انظر كيف جعل الله خروج نبيه من مكة، بل إخراجه؛ نصرًا مبينًا، وأنزل عليه سكينته وجنودًا تؤيده، وجعل كلمة الكافرين السفلى، فما يظنه بعض الناس هزيمة - بسبب ما حصل لأنبياء الله وأوليائه من القتل والسجن - إنما هو في ميزان الله نصر، بل النصر المبين.

فهد العيبان

(٢) كل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره، فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)؛ فإن المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لِمَا جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دلّ عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٧)

(٣) ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ ألا ترى كيف قال: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، ولم يقل: لا تخف؛ لأنّ حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه.

السهيلي، الروض الأنف ٣١٥/٢

(٤) قال الشعبي: عاتب الله ﷻ أهل الأرض جميعًا - في هذه الآية - إلا أبا بكر الصديق ﷺ.

البغوي، معالم التنزيل ٤٩/٤

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ قيلت هذه في نفس الغزوة التي قيل فيها عن قوم: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)!! المخذول لا تعجزه الأعدار!

د. عمر المقبل

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِينَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٣)

١) قال مورق العجلي: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذه؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبه.

الدر المنثور ٥ / ٨٥

٢) من لطائف الآيات التي فيها عتاب للنبي ﷺ، أنك لا تجد آية عتاب ونحوها، إلا وجدت تصريحًا بالعفو والمغفرة والرحمة، ففي التوبة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾، وفي الأنفال - بعد آية الأسرى -: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٩).

متدبر

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦)

١) صدق التأهب للقاء هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة، والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾.

ابن القيم، طريق المهجرتين ٢٧٦

٢) مع إقبال رمضان؛ حربي بالعبء أن يتدبر هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ ومن أعظم العُدَد التي يستقبل بها هذا الشهر: تصفية قلبك من الذنوب - وهذا حق الله - ومن الضغائن التي بينك وبين العباد، وإلا فيخشى أن يصاب العبد بنهاية الآية: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ ولا يظلم ربك أحدًا.

د. عمر المقبل

٣) إذا حبست عن طاعة، فكن على وجل من أن تكون ممن خذلهم الله، وثبطهم عن الطاعة كما ثبط المنافقين عن الخروج للجهاد.

د. مساعد الطيار

٤) لا تجزع من الألم، ولا تخف من المعاناة، فربما كانت قوة لك ومتاعًا إلى حين؛ فإنك إن تعش مشبوب الفؤاد، محروق الجوى، ملذوع النفس؛ أرق وأصفي من أن تعيش بارد المشاعر، فاتر الهمة، خامد النفس، وتأمل: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

د. يوسف المهوس

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

من عادة المنافقين: ﴿وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ إنه الرخص اللاهث لتفجير جسور التواصل، وتلغيم القلوب.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنذُن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٨﴾﴾

ليس كل من ادعى اتقاء الفتنة كان صادقاً، بل منهم المنافق ومنهم الخائف.

د. محمد الحضيري

﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

إنما لم يقل: (ما كتب علينا)؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له: إن كان خيراً فهو له في العاجل، وإن كان شراً فهو ثواب له في الآجل.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٣٧

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

(١) قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ قال ابن عباس: إن كان في جماعة صلى وإن انفرد لم يصل، وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثواباً، ولا يخشى في تركها عقاباً.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/١٦٣

لو لم يكن للنفاق آفة إلا أنه يورث الكسل عن العبادة، لكفى به ذمًا، فكيف ببقية آثاره السيئة!؟

(٢) في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ تنبيه إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يقوم إلى صلاته بنشاط وإقبال ورغبة، وأن تكون نفسه عند الإنفاق منسرحة.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾

إذا رأيت كافرًا زاده الله مالا وذرية فلا تغتر به، وإنما هي زيادة عذاب في الدارين: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ وهو بكفره لا يزداد عند الله إلا مقتًا وخسارًا: ﴿ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (فاطر: ٣٩).

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾

١) المرء الصالح ينبغي ألا يكثرث لفقدان حظه من الدنيا، فإذا أهمل في إسناد منصب، أو بخس في تقدير راتب، لم يملأ الآفاق صياحًا وشغبًا؛ فإن الغضب للدنيا على هذا النحو الشائن، شيمة المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٦

٢) هذه الآية تكشف عن خلل في منهج النقد بدعوى الإصلاح، حيث تكون المنفعة الذاتية هي الباعث لذلك، ومحور الغضب والرضى، وهذا مسلك المنافقين، فتفقد قلبك قبل أن ينطق لسانك أو يخط بنانك.

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُوهُمُ فِي الرِّقَابِ وَالْعَدِيمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٦٠﴾

الله خلق النفوس ويعلم حبها للمال؛ فلم يوكل توزيعها لأحد، وإنما تولى الربُّ ﴿ مصارفها، كما تولى قسمة الموارث: ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ ﴾ (النساء: ١١).

صالح المغامسي

﴿يَخْفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ إذا تأملت أكثر الناس، وجدتهم ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم؛ ومن هنا انقطعوا عن الله!

ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/١٨٨

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيْلَهُ وَعَائِنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾﴾ لَا تَعَنْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَدْتَ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾﴾

(١) حب الله ورسوله موجود في قلب كل مؤمن، لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمناً، وتظهر علامات حبه لله ولرسوله إذا أخذ أحد يسب الرسول ويطعن عليه، أو يسب الله ويذكره بما لا يليق به؛ فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه وأمه.

ابن تيمية، دقائق التفسير ٥/٢٠٩

(٢) قال ابن تيمية: «وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى».

الصارم المسلول ٣١

(٣) الاستهزاء ينافي التعظيم، الاستهزاء بالله كفر مخرج من الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء مناقض لهذا الأصل أشد المناقضة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٢/٣٤٢

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

(١) المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة، موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة، وأدعيتهم الصالحة؛ هي العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة.

ابن تيمية، الفتاوى ٢٨/٦٤٤

٢) وفي هذه الآية دليل على أنّ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، في حقول النساء ومجتمعات النساء: في أيام العرس وفي أيام الدراسة، وما أشبه ذلك.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤/٤٩٨

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

١) كم من شخص يتشوّف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها؛ فيكون وصوله إليها وبالاً في حقّه -وهذا في أمر الدنيا- كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ .

ابن تيمية، الاستقامة ٢/٥٥

٢) كثير من الناس يلجأ إلى النذر عند تأزم أمرٍ ما عنده، وقد ثبت في الحديث أنه لا يأتي بخير^(١)، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ .

د. محمد الخضير

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

هكذا المنافق: شر على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لمزهم، وإن رأى المقصرين لمزهم، وهو أخبث عباد الله، فهو في الدرك الأسفل من النار. والمنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة، وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قالوا: هؤلاء متمزتون، وهؤلاء متشددون، وهؤلاء أصوليون، وهؤلاء رجعيون، وما أشبه ذلك من الكلام.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٥

(١) الحديث أخرجه مسلم ح(١٦٣٩).

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١)

(١) ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ هكذا قالها المنافقون وهم يسمعون داعي النفير!

والفرارون اليوم من الطاعات كثر!

في الأجواء الحارة التي يعيشها المؤمن؛ ليتذكر معها -وهو يقرأ هروب المنافقين من نصرة الدين- تلك التضحيات العظام للصحابة الكرام رضوان الله عليهم لنصرة الدين، فماذا قدمنا لديننا ونحن ننعم بالرخاء؟

متدبر

(٢) ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ الكثير من الناس ينفر في الحر، لكن فرق كبير بين نافر في حر الصيف لبحث عن نزوة، ويقضي شهوة محرمة هنا أو هناك، لو دعي إلى خدمة دينه أو نفع أمته لاعتذر بشدة الحر! ونافر في الحر ليلبغ الخير وينفع الأمة! وسيعلم الفريقان عاقبة نفيرهما يوم قيام الأشهاد.

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ ﴾ (٨٢)

(١) ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده؛ كالجمل الأجرى.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٧٤/٣

(٢) ألا يخشى أصحاب المواقف السلبية بعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من جهاد المنافقين بأن يحل عليهم غضب الله كما حل بمن قبلهم؟! أفلا يتدبرون: ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ ﴾

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ

فَدَسِيفُونَ ﴿٨٤﴾

استنبط بعض العلماء من قوله تعالى - عن المنافقين -: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَدَسِيفُونَ ﴾، أن هذه الآية تدل على شرعية صلاة الجنازة؛ فلما نهى عن الصلاة على المنافقين دل على مشروعيتها في حق المؤمنين.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢١/٨ (بتصرف)

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ

كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

سبحان الله! العاصي يتعذَّب بمعاصيه التي يحسده أناس عليها؛ شوقاً لها، وحسداً لغيره عليها، وسعياً في تحصيلها، وخوفاً من نظر الناس، ثم إذا نالها تعذَّب خشية الفوت، ثم حسرة على الفقد، ثم العذاب الأكبر يوم القيامة إن لم يرحمه الله؛ يا للعذاب! لكن الشيطان سؤل لهم وأملى لهم.

متدبر

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إنما قال: ﴿ مِنْهُمْ ﴾؛ لأنه تعالى كان عالماً بأن بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب، فذكر لفظة (من) الدالة على التبعض.

الرازي، مفاتيح الغيب ١٢٠/١٦

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾

(١) هذه الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه، فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/٨

(٢) ﴿ مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/٨

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢)

١) أترى أن الله يهدر هذا اليقين الراسخ؟ وهذه الرغبة العميقة في التضحية؟ إن النية الصادقة سجلت لهم ثواب المجاهدين؛ لأنهم قعدوا راغمين.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٩٠

٢) الحزن على فوت الطاعة من ثمرة حبها، والاهتمام بها؛ لأن المرء لا يحزن إلا على ما عز عليه.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٦٧

٣) ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾! هكذا بكوا لفوات قرية من القربات التي كانوا معذورين فيها لفقرهم! فكم بكينا لفوات قربات لسنا معذورين فيها؟! بل فتش فستجد في الناس من يبكي لفوات شهوة، أو معصية، أو هزيمة ناديه المفضل!!

د. عمر المقبل

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠٤)

١) سئل أبو عثمان النهدي -وهو تابعي كبير-: أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال: ما في القرآن آية أرجى عندي -لهذه الأمة- من قوله: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الدر المنثور ٢٤٣/٨

٢) هل ضاق صدرك من ذنوبك؟ هل قنطك الشيطان من رحمة ربك؟

تدبر هذه الآية: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فمن الذي ما أساء قط؟

إنما يأتي الخوف عندما ينهمك العبد في ذنوبه دون ندم على ما مضى منه، فهذا على خطر

عظيم.. فبشرى للنادمين!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥٠/١ (بتصرف)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وقفت عند ﴿ خُذْ ﴾، ﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾، ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾، فتعجبت من رحمة الله بعبده ورأفته به؛ إذ يجبر - إن لم يأت طوعاً - على تطهير نفسه وتركيتها على يد أشرف خلقه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

وفي هذه الآية دليل على أن العمل - وإن كان فاضلاً - تغييره النية، فينقلب منهياً عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥١

﴿ لَا نَقْمَ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾

رياء المرئين صير مسجد الضرار مزبلة وخربة: ﴿ لَا نَقْمَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (التوبة: ١٠٨)، وإخلاص المخلصين رفع قدر التفت: «رب أشعث أغبر»^(١).

ابن القيم، بدائع الفوائد ٣٣٦/٤

﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيْتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيْتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١) من أراد علو بنيانه، فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه، وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالموفق همته تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس فلا يلبث بنيانه أن يسقط: ﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيْتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيْتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾.

ابن القيم، الفوائد (١٥٥)

(١) مسلم ح(٢٦٢٢)، والمستدرک ح(٧٩٣٢).

(٢) انكشاف مآرب أهل الباطل، وظهورهم على حقيقتهم؛ يتيح لأهل الحق بناء مشاريعهم على أرض صلبة، وأسس متينة، لا على أوهام وجرف هار، تدبر: ﴿أَفَمَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿لَا يَزَالُ بَيْنُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيبَةً إِلَّا أَنْ تَقَطَعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

ثمة علاقة وثيقة بين المشاريع التخريبية وبين قلوب أصحابها، تأمل: ﴿لَا يَزَالُ بَيْنُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

د. عمر المقبل

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنَلُونَ وَيُقَنَّلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

(١) العاقل لا يرى لنفسه ثمنًا دون الجنة.

ابن حزم، الأخلاق والسير، ٥

(٢) باع المغبونون منازلهم من الجنة بأبجس الحظ وأنقص الثمن، وباع الموقنون نفوسهم وأموالهم من الله وجعلوها ثمنًا للجنة؛ فربحت تجارتهم، ونالوا الفوز العظيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١٠، ١١

(٣) تقديم الأموال على الأنفس في الجهاد وقع في جميع القرآن الكريم إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنَلُونَ وَيُقَنَّلُونَ﴾؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد وما يملكه لسيده ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسنًا لا مزيد عليه.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١/ ٧٨

﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّحِبُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢)

وخصال التائب ذكرت في آخر (براءة)، فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ﴾ فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للأخرة؛ وإلا فالنفس همامة متحركة، إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات، وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير، ويحفظ لحظاته وخطواته، ولفظاته وخطراته.

ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٥/٩

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٧)

(١) ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ حتى الابتلاءات الكبرى ليست سوى ساعة، فما أسرع ما تمضي!

د. عبد الله بن بلقاسم

(٢) فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وقد قال في أول الآية: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله تعالى، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها.

البعوي، معالم التنزيل ١٠٥/٤

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨)

(١) ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ (التوبة: ١١٨) قال كعب بن مالك: «وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه». علق ابن القيم فقال: فسرها كعب بالصواب، فليس ذلك تخلفهم عن الغزو؛ لأن الله لو أراد ذلك، لقال: وعلى الثلاثة الذين تخلفوا.

ابن القيم، زاد المعاد (٥١٨/٣)

(٢) تصور يجتمع هذا الحشد من الحديث عن التوبة في سورة واحدة: ﴿فَإِنْ تَبَتُّمْ﴾ (التوبة: ٣)،

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ (التوبة: ٥)، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ (التوبة: ١٥)، ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٢)، ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ (التوبة: ١٠٤)، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٦)، ﴿التَّائِبِينَ﴾ (التوبة: ١١٢)، ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ (التوبة: ١١٧)، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (التوبة: ١١٨) فما عذر من تأخر عن التوبة؟

متدبر

﴿يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَخْرَجًا﴾ (التوبة: ١١٧)

أمر الله أن نكون مع الصادقين في كل الأوقات، فقال: ﴿يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَخْرَجًا﴾، فكيف يحسر هذه الآية من يتشبه بالكافرين فيما يُسمى بـ (كذبة إبريل)؟ ناهيك عن كون الكذب محرماً في كل وقت، فما أشده من خذلان.

د. محمد الحضيري

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنِينَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)

(١) وفيه دليل على أنه ينبغي أن يكون غرض المتفقه في الدين: أن يستقيم ويقيم، لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد.

البيضاوي، أنوار التنزيل ١٨٠/٣

(٢) في هذه الآية إرشاد لطيف لفائدة مهمة، وهي: أنه ينبغي للمسلمين أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم وديناهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥٥

(٣) طلب العلم والتفقه في دين الله ضرب من الجهاد؛ ولذلك سمي الله الخروج لطلب العلم نفيراً، فقال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ﴾ وهذه الآية واردة بين آيات الجهاد في سورة التوبة، فقبلها: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ١٢٠)، وبعدها: ﴿يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَخْرَجًا﴾ (التوبة: ١٢٣).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَانِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَارِ وَيَجِدُوا فِيكُمْ غَلْظَةً ءَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٣﴾﴾

الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك.. والنفس عدو بين جنبيك.. ومن سنة الجهاد: ﴿قَنِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾
ابن القيم، الفوائد ٣٧٠

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١١٥﴾﴾

السبغات إذا أصابها المطر ازدادت ملوحة وخبثًا؛ وكذا قلوب أهل النفاق لا تزيدها المواعظ إلا نفورًا: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾.

د. عبد الله السكاكر

﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١١٦﴾﴾

١) ويستمر التغريبيون في براجمهم لإفساد البلاد والعباد، فأتساءل متعجبًا: ألا يرون أن مشاريع أسيادهم قد دمرت عددًا من البلاد العربية فتساقط زعمائها واحدًا تلو الآخر، فمتى يعقلون؟ لكنني أجد الجواب الشافي الكافي: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٢) بيع أمس فندق مشهور في نيويورك اشترته دبي عام ٢٠٠٦ بمبلغ ٢٨٢ مليون دولار، ثم باعته السلطات الأمريكية في مزاد علني بـ (مليون دولار) فقط! بعد أن تم الحجز عليه بسبب ديون دبي. فهل أيقن المرتابون بأن الربا يحق؟ أم حقت عليهم هذه الآية: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١)

(١) تعليقًا على الخبر الذي نشر في (الجزيرة نت.. وغيرها) في تاريخ ٢٠٠٩/١٢/٠٩م وهذا نصه: اتم بيع فندق دبليو هوتيل (W Hotel) الواقع في مانهاتن بنيويورك مقابل ٢ مليون دولار في مزاد علني وذلك بعد أن عجزت شركة استثمار، الذراع الاستثماري لدبي العالمية، في تسديد قرض تجسيري بقيمة ١١٧ مليون دولار.. وكانت استثمار قد دفعت ٢٨٢ مليون دولار في أكتوبر ٢٠٠٦ لشراء حصة ٩٠٪ من الفندق منها ٥٠ مليون دولار نقدًا و ٢٣٢ مليون دولار عبر الاقتراض وأكملت شراء الـ ١٠٪ الباقية مقابل ٤ مليون دولار..

سورة يونس

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قال الحسن رضي الله عنه: «ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب؛ حتى نطقت بالحكمة».

مفتاح دار السعادة ١/٥٢٥

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

تأمل التعبير بقوله: ﴿مَرَّ﴾، وما يوحي به من سرعة نسيان العبد لفضل الله عليه.

د. محمد الخضيري

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

قرأ الفاروق هذه الآية فقال: صدق ربنا! ما جعلنا خلائف الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا، فأدوا الله خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية.

تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٩٣٤

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْهُ عَلَيْكُمْ وَلَا آدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَعَدَّ لَيْتُ فِيكُمْ عُمْرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَعَدَّ لَيْتُ فِيكُمْ عُمْرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ الذي يتصدى لقيادة الناس لا بد أن يكون مستعدًا لكشف حساب الماضي!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْرٌ نَالِيًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ كلما رأيت في دنيا الناس ابتكارات واختراعات تسعد الإنسان؛ فهذا ما أعد البشر للبشر، فكيف بما أعد الله الخالق لأهل جنته؟!.

الشعراوي، تفسير الشعراوي ٥٢٩٥/١

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

قال يحيى بن معاذ الرازي: عجبت من رجلٍ يُرأى بعملة الناس وهم خَلْقٌ مثله، ومن رجل بقي له مال ورب العزّة يستقرضه، ورجل رغب في صحبة مخلوق والله يدعوه إلى محبته، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾

شعب الإيمان ٢٦٣/٣

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

القرآن صراط الهدى المستقيم الموصل إلى الله، فماذا تلقيت من هداة؟ وماذا قدحت من نوره بين يديك لضبط السير ومعرفة الاتجاه؟ فيا طالب الشفاء للنفس، ويا طالب الغذاء للروح، ويا طالب الصلاح للبلاد والعباد! ذلك هو الحق الذي لا سواه ﴿ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٤٨

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا سُورَةَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَن أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ الذي نعرفه أن كثيراً من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلّت قيمته وأمنت تهمة؛ حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأثواب المستعارة؛ أما أنّ أحداً ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته، فهذا ما لم يلبه الدهر بعد.

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٥١

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

١) سئل بعض العلماء -من عرف باستخراج أمثلة العرب من القرآن-: هل تجد في كتاب الله من جهل شيئاً عاداه؟ قال نعم في موضعين:

الأول: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾.

الثاني: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْئَلُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف: ١١).

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٤٨/٤

٢) كم تشدني دلالة هذه الآية في كشفها عن طبيعة بعض النفوس وتجنبيها: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، وذلك عندما أسمع الاتهام للعلماء بأنهم لم يقوموا بالواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة الولاة والدفاع عن المظلومين، وبخاصة عندما يكون الاتهام بالتعميم دون استثناء. ولو علموا ما يقوم به العلماء لما أطلقوا هذه التهم، ولكنهم جهلوا فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أو يدركوا سببه.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩).. لو أدرك المتعجلون والمتنازلون واليائسون دلالة هذه الآيات وأمثالها؛ لما ذهب أنفسهم حسرات على المعاندين، ولأدركوا أن مهمتهم لا تتعدى مهمة نبيهم ﷺ ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْعُ﴾ (الشورى: ٤٨)، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ (فاطر: ٨).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

١) التكذيب والإعراض سدّ عليهم طريقين عظيمين من طرق العلم: طريق المسموعات المتعلقة بالخير، وطريق النظر في أحوال الداعي -وهو النبي ﷺ-، فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم؛ فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٦٥

٢) دلّ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ على أنّ النظر إلى حالة النبي ﷺ وهدية وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٦٥

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

١) إذا تأملت في مدة الدنيا لم تجدها إلا: (الآن) -الذي هو فصل الزمانين فقط-، وأما ما مضى وما لم يأت فمعدومان كما لم يكن؛ فمن أضل ممن يبيع باقيًا خالدًا بمدة هي أقل من كسر الطرف؟! ابن حزم، الأخلاق والسير ٦١

٢) مقدار الدنيا: هل كنت يومًا ما في صالة انتظار، فتعرفت على من بجوارك، وتحدثتما ثم افترقتما؟ كذا الدنيا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾

مهند المعتي

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

استعمل لفظ «الأمّة» في القرآن أربعة استعمالات:

- ١- الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾.
- ٢- في البرهة من الزمن، ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥).
- ٣- في الرجل المقتدى به، كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠).
- ٤- في الشريعة والطريقة، كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (الزخرف: ٢٢).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

١) قال الحسن بن عبد العزيز: من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع.

تهذيب الكمال ٦ / ١٩٨

٢) مرض القلب يفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم؛ ولهذا سمي الله تعالى كتابه شفاء لأمرض الصدور.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١١١/١

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨)

١) مداواة القلب بالقرآن: وقف الفضيل بن عياض رضي الله عنه على رأس سفيان بن عيينة - وهو مريض - فقال له: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ فقال له سفيان رضي الله عنه: «يا أبا علي، والله لا نفرح أبداً حتى نأخذ دواء القرآن، فنضعه على داء القلب».

حلية الأولياء ٢٧٩/٧

٢) فضل الله ورحمته: القرآن والإيمان؛ من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٩/١٦

٣) قال بعض السلف: «ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله؛ فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعامل يفرح بمولاه».

لطائف المعارف ٢٧٤

٤) الفرح له اعتبارات متنوعة، وصور متباينة، ويختلف باختلاف القلوب التي تتعامل معه، وفي القرآن ذكر لصور متباينة للفرح، فقارن - مثلاً - بين: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ وبين: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (غافر: ٧٥)؛ لتدرك الفرق بين فرح يوجب رحمة الله ورضوانه، وبين فرح يوجب غضبه وخذلانه.

أ.د. إبتسام الجابري

٥) تعيش البيوت هذه الأيام^(١) أفراحًا واحتفالات بنجاح أبنائها، بعد عام من الجد والتحصيل، وتعظم الحفاوة بحسب منزلة الشهادة، ومن حق المجدين أن يشعروا بالتكريم، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان! وقفت متأملاً هذا المشهد، وتذكرت أفراح الآخرة، حين يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب، وقارنت بين ما يبذله الإنسان لدنياه وما يناله من جزاء عاجل، وبين ما يبذله لدينه وما يناله من عطاء بلا حدود، فجاء الجواب: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

أ.د. ناصر العمر

(١) أرسلت بمناسبة انتهاء موسم الاختبارات النهائية.

٦) إذا انتصف شهر رمضان فقد مضت أيام وفرص لا تتكرر إلا مرة واحدة في السنة، فتأمل حالك معها:

فإن كنت ممن جد واجتهد واستثمر كل ساعة مضت؛ فهنيئًا لك بالفرح بما وفقك الله له ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

وإن كنت ممن سوف وأسرف بالأمانى حتى مضت تلك الفرص؛ فابكِ على نفسك خائفًا من هذا الوصف أن ينطبق عليك: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).
فاعزم على أن تجتهد وتستدرك ما فات ومضى.

أ.د. ناصر العمر

٧) ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أيام العيد هي أيام فرح بهذا الفضل العظيم؛ حيث نفرح بهذه الرحمات التي تنزلت علينا تترى في ذاك الشهر الكريم، إنه فرح الشكر: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، لا فرح مفارقة العبادة بالتلبس بالمعاصي والبطر؛ فهذا لا ينسجم مع تكبير الله وتعظيمه على هدايته لنا وتوفيقه وتيسيره لإكمال العدة وأداء هذا الركن العظيم.

أ.د. ناصر العمر

٨) في العيد تبهرنا المناظر الحسنة، والوجوه المشرقة، والبسمات المبهجة؛ لذا نعيش العيد فرحًا وسرورًا، فلم لا نتفاعل في حياتنا وواقع أمتنا مع الجوانب المضيئة فيها، ونتعامل مع المستجدات بروح الرضا والغبطة والتفاؤل؛ استجابة لقوله سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾؟ فكم في واقعنا من إفضاله ورحماته سبحانه ما لا يمكن حصره وإحصاؤه؟

أ.د. ناصر العمر

٩) ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وفي قراءة: (تجمعون)، فتخيل كل ما في الدنيا من أموال وملك وعقارات، فهي دون فرح المؤمن بهذا القرآن.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١)

منذ مدة أسبوع وخبر تحطم الطائرة الفرنسية فوق الأطلسي يتردد في نشرات الأخبار^(١)، تصوّر جسمًا بحجم الطائرة يختفي فجأة، ويبقى البحث عنه أيامًا، فأين الأقمار الصناعية؟ وأين الرادارات؟ إنهم البشر مهما بلغوا من الإتقان والحدق يريهم الله ضعفهم وقصورهم، ويريهم -أيضًا- آية من آيات عظمتها في مثل قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢)

من جمع تسعًا آمنه الله يوم القيامة، فلا خوف عليه ولا هو يحزن: أسلم وجهه، وأمن، وأحسن، واتبع الهدى، وعمل صالحًا، وأتقى، وأصلح، وأقام الصلاة، وأنفق في سبيل الله سرًا وعلانيةً بالليل والنهار بلا منٍّ ولا أذى؛ وهذا هو ولي الله.

د. محمد الخضري

﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦٥)

(١) موضع العبرة من هذه التسلية للنبي ﷺ: أن يقف الداعي موقف العزم والثبات، فلا يقيم لما يقوله الدامون أو المتكلمون وزناً؛ ونرى ضعيف الإيمان بما يدعو إليه هو الذي يحزن لأقوال المبتلين، حزناً يثبته عن الدعوة، أو يصرفه عنها، محتجاً بأن ما يلاقيه من الأذى عذر يبيح له أن يسكت مع الساكتين.

محمد الخضر حسين، موسوعة مؤلفاته ٤١١/١

(٢) ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ جاءت هذه الآية كالتعليل لما قبلها: ﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ وذلك أن سنة الله جرت بأن يجعل العزة في جانب المؤمنين المتقين، فإذا ابتلوا بعدو يناهم بأذى، فصبروا عليه، وجاهدوا في دفاعه عن أنفسهم بكل ممكن؛ فعاقبتهم الخلاص من الباغي، ثم لا يلبثون أن يدركوا عزتهم، وتكون يدهم فوق يد عدوهم.

محمد الخضر حسين، موسوعة مؤلفاته ٤١٢/١

(١) أرسلت بعد أسبوع من اختفاء طائرة فرنسية فوق المحيط الأطلسي في ١ يونيو ٢٠٠٩م.

﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنْ كَانَ كِبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِعَابَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

ليكن إيمانك بمبادئك راسخًا صلبًا لا يهتز في المحن وعند الفتن: ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾، ﴿ إِنْ آمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾ (يس: ٢٥) وكن هيئنا ليئنا واسع الصدر في إقناع الآخرين في دينك، ودعوة الناس إليه: ﴿ قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا أَمْرَ السَّالِكِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (يس: ٢٠-٢١)، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغَةٍ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

في تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولاً؛ لتجابه دعوته.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٢١٢/٣

﴿ ءَأَكْفُرُ بِمَا كُنتَ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ بِاللَّهِ عَالِمُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ ﴿٩١﴾ ﴾

لما أعلن فرعون إيمانه عند الغرق، قيل له: ﴿ ءَأَكْفُرُ بِمَا كُنتَ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ عَالِمُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ ﴾ فتأمل كيف نص على ذكر الإفساد دون غيره من معاصيه؛ وما ذاك -والله أعلم- إلا لشناعة نشر الفساد في الأرض، وعظيم تأثيره على أديان الناس وديانهم وأخلاقهم وحقوقهم، فويل للمفسدين!

د. عمر المقبل

﴿ فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

فيه تنبيه على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٢١٤/٣

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

﴿ كُلُّهُمْ ﴾ يفيد الإحاطة والعموم، ولا يلزم من قوله: ﴿ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أن يكونوا كلهم، وذلك على الأكثر منهم، ف﴿ كُلُّهُمْ ﴾ رافع لهذا التوهم، وأما قوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ فليس بتأكيد، ولو كان تأكيداً لقال: (أجمعون) ولم يكن منصوباً؛ وإنما هو حال؛ أي: مجتمعون على الهدى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (الأنعام: ٣٥).

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٤٥

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١)

١) لا أحصي الأسئلة التي تصلني وأقف أمامها حائرًا:

ألا ترى (النذر) تتوالى علينا والتجاوب أمامها ضعيف لا يتناسب مع مكانتها، سواء من العامة أو الخاصة؟

فأخاف أن يكون الجواب: ﴿ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فأقول: اللهم سلم سلم.

أ.د. ناصر العمر

٢) آلاف الرحلات الجوية تلغى!

مئات الملايين من الدولارات تذهب، فما السبب؟

إنه غبار البركان فقط لا البركان!

فما الظن لو ثار البركان؟

هذه آثار حرارة نار الدنيا «جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»^(١)!

وهذه بعض قوة مخلوق، فكيف بقوة خالقه؟

ولكن ﴿ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٧)

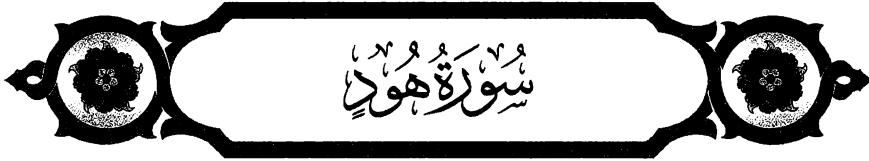
كثيرون يقرؤون هذه الآية وينحصر فهمهم بأن الخير في الكشف فحسب، مع أن الخير قد يكون بإصابته بالضر لا بكشفه؛ مغفرةً لذنوبه، ورحمةً به: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾، فكل ما يقضيه فهو له خير، كما في الصحيح: «عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير... الحديث»^(٣).

أ.د. ناصر العمر

(١) البخاري ح (٣٢٦٥)، ومسلم ح (٢٨٤٣).

(٢) أرسلت إبان تصاعد غبار بركان آيسلندا في شهر جمادى الأولى ١٤٣١هـ، الموافق لشهر أبريل ٢٠١٠م.

(٣) رواه مسلم ح (٢٩٩٩).



«شيتني هود وأخواتها»^(١)

عهدنا شيوخنا وهم يقرؤون سورة هود؛ لهم وضع آخر، المساجد تمتلئ وهم لا يسمعون الصوت، بدون مكبرات؛ لكن يسمعون البكاء والتأثر، والله المستعان.

د. عبدالكريم الخضير

﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمُ أَيُّهُ، ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾﴾

(١) ومن تدبر القرآن، وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرة وخفية: من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس -على الخلاف-، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر، سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧٩/١

(٢) ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ولم يقل: (من رحمن ولا رحيم)؛ للتنصيص على أنه لا بد من الحكمة.

الزركشي، البرهان ١٢٤/١

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾

(١) ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ كثيراً ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

ابن رجب، تفسيره ١٥٠/١

(١) أخرجه عبدالرزاق ح (٥٩٩٧)، والطبراني ح (٥٨٠٤).

(٢) ذكر ابن القيم رحمه الله أربع آيات: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) ﴿(النحل)، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿(النحل)، ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠١) ﴿(الزمر) ثم قال عنها: «فهذه أربعة مواضع، ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاء في الآخرة».

الوابل الصيب ٦٧

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يؤتى أجره مرتين.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي﴾

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾

(١) لا بد لكل مخلوق من الرزق: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾؛ حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام، هو داخل في هذا الرزق! فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة ويرزقون رزقاً حسناً، وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة ولا يكون خبيثاً، والتقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحى من فضول الدنيا رحمة به؛ فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/٥٢

(٢) إذا خَوَّفَكَ الشيطان من الفقر، فَرُدَّهُ بِالرِّزْقِ الْمَكْتُوبِ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وإذا خَوَّفَكَ من الموت والقتل، فَرُدَّهُ بِالْأَجْلِ الْمَكْتُوبِ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ٨٢

(٣) إذا كان رزقك على الكريم، فلماذا الضيق والحزن!

د. عبد المحسن المطيري

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً
 أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلتَارُ مَوْعِدُهُ ۗ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن
 رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ۝﴾

يقول سعيد بن جبیر: كنت لا أسمع بحديث عن النبي ﷺ على وجهه إلا وجدت تصديقه في القرآن، فبلغني حديث: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار»^(١) فجعلت أقول أين مصداقه في كتاب الله؟ حتى وجدت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلتَارُ مَوْعِدُهُ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣٦/٢

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِإِدْيَ الْأَرَائِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ۝﴾

قول الملائكة من قوم نوح: ﴿وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِإِدْيَ الْأَرَائِ﴾ ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وضع لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق - والحالة هذه- لكل ذي زكاء وذكاء، بل لا يفكر ههنا إلا غبي أو عبي.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٣٩/٢

﴿ وَيَقُولُوا لَا آتَيْنَاكُمْ عَلَيْهِ مَا إِلَّا إِنْ أَجْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلَقُوا
 رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرْنَكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ۝﴾

في البشر ميل عجيب إلى ما يسمى بنظام الطبقات، وإلى تحقير فئات من الناس للونهم أو لفقيرهم! وقد طلب قوم نوح منه طرد هؤلاء الأراذل عنه؛ لأنهم يستنكفون الاجتماع معهم، فأجاب: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرْنَكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٠٥

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٢)، مسلم ح (١٥٣)، سعيد بن منصور ح (١٠٨٣).

﴿ وَيَقَوْمٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَ نَدْعُوهُ إِذْ نَدَّكَرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

استدل بعضهم بقول نوح ﴿ لِقَوْمِهِ ﴾ ﴿ وَيَقَوْمٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَ نَدْعُوهُ إِذْ نَدَّكَرُونَ ﴾ بأن ثمره ذلك: وجوب تعظيم المؤمن، وتحريم الاستخفاف به، وإن كان فقيرًا عادمًا للجاه، متعلقًا بالحرف الوضيعة؛ لأنه تعالى حكى كلام نوح وتجهيله للرؤساء لما طلبوا طرد من عدوه من الأراذل.

القاسمي، محاسن التأويل ١١٦/٩

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ ءَامَنَ فَلَا نَبْتَئِسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

هل وقفت متدبرًا لهذه الآيات التي تبين غضب الله على أقوام حتى قضى عليهم بعدم الهداية أبدًا؟ تأمل: ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ ءَامَنَ ﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (الكافرون: ٣)، ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ (النساء: ١٦٨)، ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، والجامع بينها كلها أن هؤلاء قد أتاحت لهم فرص الهداية فأبوا. فكن خائفًا حذرًا من مكر الله، راجيًا لرحمته، وبادر بالعمل قبل فوات الأوان ولا تسوف؛ لعلك تنجو.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ سَاءَ وَاوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

١) قال نوح لابنه: ﴿ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ولم يقل: (مع الغارقين) أو (مع الهالكين)؛ لأن المصيبة العظمى هي في الكفر وليست في الموت غرقًا، والله أعلم.

عبدالعزیز الجلیل

٢) إن سلوك طريق المؤمنين ومجالستهم، والانحياز إليهم هو سبيل النجاة الحقة؛ لأنهم في كنف الله وعنايته، حتى وإن تقاذفتهم الفتن، وكانت أسبابهم يسيرة، كسفينة من خشب في أمواج كالجبال، كما أن سلوك طريق الكافرين والمنافقين والانحياز إليهم هو سبيل الهلاك، حتى وإن توفرت لهم الأسباب المادية المنيعة كالجبال في علوها وصلابتها.

فهد العبيان

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

١) يقول القاضي عياض: حكي أن ابن المقفع أراد أن يعارض القرآن! فحاول ذلك وطلبه، وبدأ فيه؛ فمر بصبي يقرأ: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ الآية، فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، وكان من أفصح أهل وقته.

الشفاء ٢٠٨/١

٢) قال القرطبي رحمته: «لما تواضع الجودي وخضع؛ عز، ولما ارتفع غيره واستعلى؛ ذل، وهذه سنة الله في خلقه؛ يرفع من تخشع، ويضع من ترفع».

الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٩

٣) ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج فيه من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام.

السيوطي، الإتيقان ١٦٥/٣

﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالف، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾؟

محاضرات الأدباء ٤٣٥/١

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

يجب أن نجعل التوحيد أساس الدعوة إلى الله، وأن نخاطب فيه القلب، وأن نتكلم بلسان الشرع ونستعمل حجج القرآن، تدبر دعوات الرسل: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٢٩

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٦)

(١) ما سر تخصيص الناصية بالأخذ دون سائر الجسد في قول هود لقومه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾؟ يجيب ابن جرير: «لأن العرب كانت تستعمل ذلك فيمن وصفته بالذلة والخضوع؛ فتقول: (ما ناصية فلان إلا بيد فلان)، أي: هو له مطيع يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته؛ ليعتدوا بذلك عليه فخراً عند المفاخرة».

جامع البيان ٣٦٣/١٥

(٢) ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ تأمل ألفاظ هذه الآية وما جمعتها من عموم القدرة وكمال الملك، ومن تمام الحكمة والعدل والإحسان؛ فإنها من كنوز القرآن، ولقد كفت وشفقت لمن فُتح عليه بفهمها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٧٩/٢

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٧٥)

قال ابن عباس: ﴿ الْحَلِيمُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي تَرْضَى اللَّهُ، وَهُوَ يَجْمَعُ لِصَاحِبِهِ شَرَفَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ خَلِيلَهُ بِالْحَلِيمِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴾.

الحلم لابن أبي الدنيا ٥١

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ (٧٧) ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (٧٨)

(١) من الأيام العصيبة عند الصالحين تلك التي يُعصى فيها الله.

د. سليمان الربيعي

(٢) أول ما يبدأ الإنسان بالمعصية يقدم عليها - غالبًا - مترددًا خائفًا وجلًا؛ حتى يستمرئها، ثم يهرول إليها هرولة، تدبر: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

(٣) من تأمل قوله تعالى - في خطاب لوط لقومه-: ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ أدرك أن إدمان الفواحش، إضافة إلى أنه يضعف الدين فمن شأنه أن يذهب مروءة الإنسان، ويقضي على ما بقي فيه من أخلاق ورشد.

د. عمر المقبل

﴿ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ بِهَاتِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (٨١)

(١) والحكمة من نهيهم عن الالتفات ليجدوا في السير؛ فإن الملتفت للوراء لا يخلو من أدنى وقفة، أو لأجل ألا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فترق قلوبهم لهم.

الألوسي، روح المعاني ٣٢٢/٨

وفي ذلك إشارة للمؤمن ألا يلتفت في عمله للوراء إلا على سبيل تقويم الأخطاء؛ لأن كثرة الالتفات تضعيع الوقت، وربما أورثت وهناً.
(٢) لا تكثر الالتفات:

قد يشغلك الكارهون للحق بسفهاء من ورائك؛ حتى يكثر التفاتك إليهم فيتأخر وصولك، قال الله لنبيه لوط ﴿ فَأَسْرِبْ بِهَاتِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾.

د. سعود الشريم

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٨٧)

(١) كأنهم لم يروه يعظم شيئاً من الأعمال كالصلاة؛ فخصوها بالذكر.

د. عبدالرحمن الشهري

(٢) النظام الرأسمالي السائد في عالم اليوم انهارت بعض أعمده، وبدأت أخرى تهتز، وإذا لم يعرفوا الرأسمالية إلا في صورتها عند (سميث): «دعه يعمل، دعه يمر»؛ فإننا نعلم من القرآن أنها نظرية قديمة من أهل مدين إذ قالوا: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾، ونبيهم يدعوهم: ﴿ إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (هود: ٨٤)، وفي ذا عبرة للمسلمين وثقة بتعاليم ربهم.

أ. د. جعفر شيخ إدريس

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ما أعظم أثر هاتين الصفتين في تحقق الإمامة لمن اتصف بالحلم في أخلاقه، والرشد في عقله! فهما جماع الصفات الحميدة، وفقدهما سبب لسقوط مريع، وإن اشتهر الرجل بضع سنين!

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ يَنْفَوِرُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(١) تأمل في خطاب شعيب لقومه، فهذه الأجوبة الثلاثة - على هذا النسق - شأن: وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة: أهمها وأعلىها: حق الله تعالى، وثانيها: حق النفس، وثالثها: حق الناس.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٢٥٣/١

(٢) منهج في التربية:

جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم! قالت: فعله بعض نساءك! فقال: ما حفظت وصية العبد الصالح إذن: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾.

تفسير القرآن العظيم ٥٥٦/٢

(٣) من الحياء المحمود: أن يحجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء، وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب، بعيدة عن الإشاعات السيئة ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٤٧

(٤) ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧

(٥) ليس من شرط الإصلاح إدراك النجاح: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

د. محمد الحمد

﴿ وَيَنْقَرُونَ لَا يَحْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ (٨٩)

﴿ وَيَنْقَرُونَ لَا يَحْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ قال السدي: «لا يحملنكم عدواني على أن تتمادوا في الضلال والكفر؛ فيصيبكم من العذاب ما أصابهم»

الدر المنثور ٤/٧٠

ويستفاد من كلام السدي: أن العاقل لا يعادي الحق لأنه يبغض أهله؛ فإنه ما ضر إلا نفسه!

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٩١)

(١) ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (الأنعام: ٢٥) تدبر ما ذكره الله عن أعداء الرسل من نفي فقههم وتكذيبهم، تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله، وعن تدبر كتابه، واتبع ما تتلوه الشياطين، وما توحيه إلى أوليائها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/٢١٢

(٢) ﴿ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ لم يلتفت شعيب ﷺ لقدحهم في شخصه، ولم يأخذه العجب باعترافهم بقوة رهطه، بل تأثر لعدم إيمانهم، وحزن لجهلهم بأن عزته وقوته هي بالله وحده.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيئَسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (٩٨)

قادة لكن من نوع آخر:

قال قتادة: «فرعون يمضي بين يدي قومه، حتى يهجم بهم على النار»!

الدر المنثور ٤/٧٢

قادة الضلال يوردون أتباعهم المهالك، فانظر خلف من تسير!

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢)

قال أبو عمران الجوني: «لا يغرنكم طول النسيئة ولا حسن الطلب؛ فإن أخذه أليم شديد»!

الدر المنثور ٤/٧٤

العاقل لا يغتر بتأخر العقوبة، وإنما يدفعها قبل وصولها بالتوبة!

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٣﴾﴾

لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسول، وما حل بهم في الدنيا من الخزي؛ قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ فأخبر أن عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه، فإنه إذا سمع ذلك قال: «لم يزل في الدهر الخير والنشر، والنعيم والبؤس، والسعادة والشقاوة!» وربما أحال ذلك على أسباب فلكية، وقوى نفسانية.

ابن القيم، الفوائد ١٣١

﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٤﴾﴾

١) قف أمام قوله سبحانه: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾! لتدرك أن من لوازم الاستقامة المشروعة أن تكون وفق ما أمرت به، وليس كما قد يبدو لك من الاستقامة الحسية، فقد تكون حقيقة الاستقامة أن تميل نحو الحق، كما كان أبونا إبراهيم حنيفاً؛ أي: مائلاً للحق، فتدبر تدرك ضلال ما حسنته بعض العقول القاصرة.

أ.د. ناصر العمر

٢) تدبر! لِمَ نهى عن الطغيان هنا، ولم ينه عن التقصير؟ لأن الاجتهاد في الاستقامة قد يؤدي إلى التشديد على النفس وعلى الآخرين، وقد يصل إلى الغلو، وكل هذا طغيان ومجازة للحد.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٥﴾﴾

تأمل في الجملة الأخيرة ﴿وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ ولم يقل: صالحون؛ لأن الصلاح الشخصي المنزوي بعيداً، لا يأسى لضعف الإيمان، ولا يبالي بهزيمة الخير، فكن صالحاً مصلحاً، وراشداً مرشداً.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قال قتادة رضي الله عنه: أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٣٦٢

﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

(١) فائدة قصص الصالحين:

إن في سماع أخبار الأخيار مَقْوِيًّا للعزائم ومُعِينًا على اتِّبَاعِ تلك الآثار.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/٥٧٢

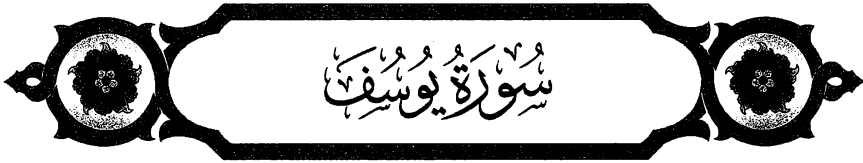
(٢) حين يتعاضم نفوذ أهل الباطل، وتزداد استطالتهم شراسة؛ فإن قلب المؤمن - في مثل هذه الأحوال - لا بد أن يضطرب، وخير ما يثبت قلبه إذا أحس بذلك، أن يتأمل أخبار الأنبياء في القرآن وهم يصارعون قوى الضلال، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

إبراهيم السكران

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ كل أحد من الخلق يريدك لنفسه.. من أهل وولد وصديق وخادم، وليس معك على الحقيقة إلا الحق سبحانه، فإن خذلك أو أخذك بذنبك لم يَبْقَ لك متعلق، وكان الهلاك، وإن لطف بك وقربك إليه لم يضرك انقطاع كل منقطع عنك، فلا تلتفت إلا إليه، ولا تعول إلا عليه، وإياك أن تعقد خنصرك إلا على الذي نظمها.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ١/١٧٧



(١) يقول ابن الجوزي: قرأت سورة يوسف ﷺ، فتعجبت من مدحه على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره؛ فتأملت خبيثة الأمر، فإذا هي مخالفته للهوى المكروه، فقلت: واعجبا لو وافق هواه؛ من كان يكون؟ ولما خالفه لقد صار أمراً عظيماً تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فيا له عزاً وفخراً، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب.

صيد الخاطر ٢٩١

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها.

مجموع الفتاوى ١٤ / ٤٩٣

﴿ قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلٰى اِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوْا لَكَ كَيْدًاۗ اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَلِاِنْسٰنِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌۙ ﴾



(١) يعقوب ﷺ عرف تأويل الرؤيا، ولم يبال بذلك؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيراً منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥ / ٤٧

(٢) هذه الآية أصل في ألا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٢٦

(٣) في النفوس البشرية مقاومة شرسة للمتفوقين، لا تظهر تفوقك إلا عندما تكون مضطراً.
د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

آيات لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال؛ فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا بالقصص والبيانات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٩٤

﴿ أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

حتى هذه التوبة (المعدة سلفاً) لم يفوا بها، فلم يتوبوا (بصدق) إلا بعد أن لم يبق لهم أي فرصة لتحقيق أطماعهم.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَفْعُ لِيُوسُفَ وَالْقَوْمِ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

الظلم ظلمات، ولا بد أن يلقي الظالم جزاءه وإن طالت حبال الأيام، وتأمل كيف أن إخوة يوسف لما امتدت أيديهم بالظلم لأخيهم ﴿ وَالْقَوْمِ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾؛ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٢٦

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

(١) هل أنت من أهل الخروج إلى البراري والمنزهات؟

تأمل.. طبيعة البشر تستريح وتسعد بالخروج من المألوف: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ ولكن هذا لا ينسي أن فيها شيئاً من المخاطر يجب أن تتقى: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

أ.د. عبدالعزيز العويد

(٢) لم ينكر والدهم ذلك بل أرسله معهم؛ مما يدل على مشروعية اللعب البريء، وحاجة الأبناء إليه، وهو يرسم منهج الوسطية بين الذين اتخذوا حياتهم هواً ولعباً، واشتروا لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، وبين الذين تشددوا وغلوا، وحرّموا زينة الله التي أخرج لعباده؛ فلا يجوز تحريم اللعب بإطلاق أو تحليله دون ضابط.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

المتظاهر بالأمر ينكشف أمره لأهل البصيرة ولو استخدم التمثيل، فإنهم جاؤوا أباهم عشاء بيبكون، فهذا تمثيل ولكنه لم يدم لهم.

محمد المنجد، شريط (١٠٠ فائدة من سورة يوسف)

﴿ وَشَرَّوهُ بِمَنْبَجٍ بِحَسِ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(١) من عجائب الجزاء في الدنيا:

– أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف: ﴿ وَشَرَّوهُ بِمَنْبَجٍ بِحَسِ ﴾؛ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ (يوسف: ٨٨).

– ولما بغت عليه المرأة بدعواها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ (يوسف: ٢٥)، أنطقها الحق بقولها: ﴿ أَنَا زَوَدْتُهُ ﴾ (يوسف: ١٥)، ومن ترك معصية لله، رأى ثمرة ذلك، وكذا إذا فعل الطاعة.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣٤

(٢) صياغة الإخبار عن زهادتهم بيوسف بصيغة ﴿ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أشد مبالغة مما لو أخبر ب(كانوا فيه زاهدين)؛ لأن جعلهم من فريق زاهدين يُنبئ بأنهم جروا في زهدهم في أمثاله على سَنَنِ أمثالهم البسطاء الذين لا يقدرون قدر نفائس الأمور.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤٤/١٢

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُهُ وَلَدًا ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴿٢٢﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

سبقت قصة المراودة بما يحدد مكانها وأشخاصها، بل وخصائصهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُهُ وَلَدًا ﴾.. اشتمل هذا على تحديد المكان ﴿ مِنَ مِصْرَ ﴾، وأن المشتري من ذوي المكانة: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾، وأن يوسف كان إذ ذاك صبيًا: ﴿ نَخْذَهُهُ وَلَدًا ﴾.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٩)

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

(١) ذهب يوسف ﷺ بشطر الحسن، ولكن الله لم يمدحه في القرآن أبدًا بجماله! إنما مدحه بأنه من المحسنين ﴿وَكذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

د. عبدالله بن بلقاسم

(٢) ﴿وَكذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿إِنَّا نَرْزُقُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٧٨)، الإحسان وسيلة كبرى، وقاعدة صلبة يُنطلق من خلالها لتحقيق أعظم الأهداف، وأنبئ الغايات، فهو أول الطريق وليس نهايته.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَرَزَوَدَتْهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

(١) أول ما يواجهنا في القصة تلك الكلمة التي تختصر الحدث كله: ﴿وَرَزَوَدَتْهُ﴾، فهي تصور من أول لحظة الإعجاب الشديد من امرأة العزيز، حتى طلبت فعل المنكر، وأنها بذلت قصارى جهدها في التحايل؛ لأنَّ المرادة دالةٌ على رفقي في الطلب، ومجيء وانطلاق، وصيغة المفاعلة دالة على التكرار.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢١-٢٢)

(٢) ﴿أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ ذكر المرأة بهذا دون اسمها (زليخا)، أو الإضافة (امرأة العزيز)؛ ففيه إظهار كمال نزاهته، فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها، واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه ﷺ في أعلى معارج العفة والنزاهة.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٣)

(٣) إنما قال: ﴿أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ قصدًا إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة والمحافظة على الستر عليها.

الشوكاني، فتح القدير ٢٠/٣

﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ في تعدية الفعل (راود) بجرف الجر (عن) سرًّا، فإنه لما كانت المرادة تدل على الحركة، وكان حرف (عن) يدل على المجاوزة؛ فكأنها أرادت بكلِّ حيلها وأنوثتها تجريده من نفسه هو؛ ليكون لها وحدها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٤)

٥) في أول الأمر: ﴿ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ ولما شاع الأمر في المدينة، لم تبال أن تعلن عن فسادها: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (يوسف: ٣٢)؛ وهكذا تبدأ المنكرات خفية، فإن أشهرت ارتكبت علانية.

أ. د. ناصر العمر

٦) ﴿ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ هذه أول خطوة قامت بها امرأة العزيز في سبيل رغبتها، وهي خطوة ذات شقين: فعلي: ﴿ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ وقولي: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ وتشير كلمة ﴿ وَعَلَّقَتِ ﴾ إلى إحكام الغلق، وإلى كثرة الأبواب؛ تهيئةً لفعل مرادها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٥-٢٦)

٧) ﴿ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ يلفت النظر هنا الإيجاز الشديد في ذكر هاتين الخطوتين (التغليق، والقول)؛ ففيه إشارة إلى ضرورة الاختصار في كلِّ ما يتعلق بهذه القضية، وعدم التطويل في سرد التفاصيل المحركة للغرائز.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٥)

٨) ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ في إظهار قول يوسف عناية بإبراز ما تفوه به في تلك اللحظة مقابل ما تفوهت به؛ ليتضح الفرق بين لغة الشهوة والخيانة، ولغة العفة والوفاء، وفي سبق التعوذ إلى لسانه دليل على عظم صلته بربِّه وقربه منه، وإلا فإنه لا يُوقِّق لمثل هذا كلِّ أحدٍ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣١-٣٢)

٩) نازعتني نفسي لأمر مكروه شرعاً، فلجأت إلى الله في دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على القرآن، فبدأت بسورة يوسف؛ حتى بلغت: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ فانتبهت لها، وكأني خوطبت بها، فأفقت وقلت: يا نفس! هذا حرٌّ بيع ظلمًا، فراعى حق من أحسن إليه قائلاً: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ فكيف بك، وأنت عبدٌ لله، قد نالك منه الإحسان العظيم!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ١/١٥١

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ فَذَكَرَ عِنْوَانَ الرَّبوبِيَّةِ هُنَا دُونَ السِّيَادَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْفَضْلِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مِنَ الْمَرْوَةِ وَرَفِيعِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يُحْفَظَ الْإِنْسَانُ حَقًّا مِنْ أَحْسَنِ إِلَيْهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَخُونَهُ، وَالسِّيَاقُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ مَنْ رَبَّاهُ وَقَالَ: أَكْرَمِي مِثْوَاهُ، لَا خَالِقَهُ؛ لِأَنَّهُ الْمَتَبَادِرُ إِلَى مَفْهُومِ الْمَرَأَةِ الْمَتَلَقِّيَةِ لِلخَطَابِ.

د. عويص العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٢)

(١١) تأمل الفرق بين تربية الروح وبين تربية الجسد، في قصة نبي الله يوسف مع امرأة العزيز!
د. محمد المصري

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّيَ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

(١) ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ صُدِّرَ الْأَوَّلُ بِمَا يَقَرَّرُ وَجُودَهُ مِنَ التَّوَكُّيدِ الْقِسْمِيِّ ﴿وَلَقَدْ﴾ وَعُقْبَ الثَّانِي بِمَا يَعْفُو أَثَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ الدال على قبح الزنا، وبما أن برهان ربه قد وجد، فالهم لم يوجد.

د. عويص العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٤)

(٢) ﴿لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى يَعِينُ أَوْلِيَاءَهُ فِي اللَّحْظَاتِ الْعَصِيبَةِ بِأُمُورِ تَثْبِيتِهِمْ، فَهُوَ كَادٌ، لَكِنْ بَرَهَانَ مِنَ اللَّهِ أَرَاهُ إِيَّاهُ جَعَلَهُ يَنْصَرِفُ، وَمَهْمَا كَانَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْبَرَهَانَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْلَا مَعُونَةَ اللَّهِ وَتَوْفِيقَ اللَّهِ وَتَسْدِيدِهِ، لَا يَثْبِتُ عَلَى الْحَقِّ.

محمد المنجد، شريط: يوسف (١)

(٣) ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ رَغْمَ كُلِّ مَحَاوَلَاتِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَإِغْرَاءَاتِهَا كَانَتْ الْإِسْتِجَابَةَ لَهَا - وَحَاشَا يَوْسُفَ ﷺ - سَوْءًا وَفَحْشَاءًا! لَا عِذْرَ لِلجَرِيمَةِ.

د. عبدالله بن بلقاسم

(٤) ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ شَهِدَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى طَهَارَةِ يَوْسُفَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ:

١- ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ وَاللَّامُ لِلتَّأْكِيدِ، وَأَنَّ السُّوءَ صَرَفَ عَنْهُ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَصْرِفَ هُوَ عَنِ السُّوءِ.

٢- ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ فَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ.

٣- ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فأضافه إليه.

٤- ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ وقرئت بفتح اللام وكسرهما.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٩)

٥) هل ذقت حلاوة الإخلاص؟ يقول ابن تيمية رحمته: المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه من محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا أذ، ولا أطيب ولا أضر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله؛ وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيباً إلى الله، خائفاً منه، راغباً، راهباً، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾.

العبودية ١٣٩

٦) من أعظم أسباب العشق: إعراض القلب عن الله، والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحسوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفاً من مكروه؛ والقلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا أذ، ولا أمتع، ولا أطيب، فتدبر: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٨٧/١٠

٧) ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ محبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص، كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصاً وأشد توحيداً، كان أبعد من عشق الصور؛ ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ونجا منه يوسف الصديق رحمته بإخلاصه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١٤١/٢)

٨) لا يبتلى بالعشق غالباً إلا من غفل قلبه عن الله وعن ذكره وعن أمره ونهيه، قال تعالى في حق يوسف: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ يدل ذلك على أن الإخلاص سبب لدفع السوء والفحشاء، فالقلب إذا امتلأ من ذلك استحلاه على كل شيء وتغذى به واستغنى به عما سواه.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٢٤٣/٣

٩) إذا انفتح لك باب معصية وتيسرت أسبابها؛ فلا تفرح؛ فقد يكون علامة على هوانك عند ربك: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾.

فهد العيبان

(١٠) أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها؛ حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى -عن يوسف ﴿: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فرجع لنفسه، وقال: لو كنت مخلصًا لأنجاني ربي كما أنجى يوسف، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله.

(١١) تدبر الشئ على يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وموسى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ (مريم: ٥١) بكسر اللام وفتحها في الآيتين، في قراءتين سبعيتين ومعنيين بديعين، حيث أخلصا في عملهما فأخلصهما الله واصطفاهما.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥)

(١) ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ فيه مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم، والدين، والعقل.

د. محمد الحمد، هداية آيات ٧

(٢) ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ ولم يقل: واستبقا (إلى) الباب:

١- لأن الاستباق ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة، والمقصود هو الباب، ولو قيل: استبقا إلى الباب؛ لكان الباب منتهى السباق؛ لأنه يتجاوز الباب يتغير المكان والموقف كله؛ لذا كانت حريصة على منعه من ذلك.

٢- وليشير إلى سرعة الوصول، حتى لكأنهما في لحظة قد وصلا الباب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤١)

(٣) ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ ولم يقل: سيدهما؛ لوجهين:

١- أن «يوسف لم يدخل في رقِّ قط»، وإنما اشترى ظلمًا.

٢- «لأن المسلم لا يُملك، وهو السيد»، ولا تكون السيادة للكافر على المسلم.

البقاعي، نظم الدرر ٣٢/٤

٤ ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ ذكر قدّ القميص، وتحديد مكان القدّ، فيه إشارة إلى أن يوسف هو الأسبق إلى الباب، وهذا يعني أنه هو الهارب وهي المطاردة. وذكر مادة (القدّ) دون (الشق)؛ لأن القدّ لا يكون إلا طولاً، وهذا أكثر مطابقة للواقع.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٢)

٥ ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ولم تقل: ما جزاء يوسف، فكأنها لا تريد أن يصيب معشوقها مكروه مقصود يؤذيه هو بعينه؛ لذا أخفت اسمه عند لحظة المواجهة، كما أن في ذلك تخفيفاً من رد يوسف عليها، إذ لو أشارت إليه أو نسبت الأمر بصراحة إليه؛ لربما حدث أمر آخر.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٧)

٦ في قولها: ﴿ بِأَهْلِكَ ﴾ بدلاً من قولها: (بي) فائدة، وهي: إضافة نفسها إلى العزيز؛ لتثير عاطفته نحوها، ولتغريه بهذا الذي اعتدى على العزيز في أهله، وفي اختيار (الأهل) دون (الزوجة) ما يوحي بالاستقرار والراحة، كل هذا لتحفز زوجها على نصرته لها، وترويض خصمها، فهي تقيس هنا مجموعة مشاعر مختلفة، بين استغراب، وسؤال، ورهبة، وعشق، كل ذلك استطاعت استيعابه بخطاب شامل يدل على قدرة فائقة في ذلك.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٨)

٧ ﴿ إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سبق السجن بـ(أن والفعل)، بينما جاء «العذاب» صريحاً موصوفاً، ولم يقل: (أن يعذب)؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون، ويطلق على مصدر سجن، فحتى لا يتبادر إلى الذهن الموضع فقط، دُكر الفعل مسبوفاً بـ(أن) ليتحقق معنى الفعل؛ لأنه الذي فيه النكاية.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٩)

٨ والمراد أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة، بل يقال: يجب أن يجعل من المسجونين، ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى ﴿ لَئِنْ أَخَذْتِ لِهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩)؟

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥٠)

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ (٣٦)

(١) ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي ﴾ والمتوقع أن يقول: هذه راودتني؛ ولعل السر هو للإعلام بانصرافه عنها، وعدم اهتمامه بها؛ لخيانتها، واتهامها لبريء، وهو موافق لما جبَل الله عليه الأنبياء من حسن الأدب ولطف القول، فهي لما كُنَّت عن نفسها فقالت: ﴿ بِأَهْلِكَ ﴾، ولم تقل: (بي)، كنى عنها بضمير الغيبة، فقال: ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي ﴾، ولم يخاطبها ب: (أنت راودتني)، ولا أشار إليها ب: (هذه راودتني)؛ تأدباً في اللفظ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥١)

(٢) ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾ تلحظ العناية بشأن الشهادة، حيث ذكرت في لفظين متجاورين، فـ(شهد) يمثل القيام بالفعل - وهو الشهادة - و(شاهد) يبيِّن أنَّ الذي قام بالفعل من أبرز صفاته: الشهادة، ولولا هذا المعنى لقليل: وشهد بعض أهلها، وتقييد الشاهد بكونه (من أهلها) فيه دلالة على قوة شهادته إذا شهد عليها؛ لأنَّ المتوقع في مثل هذه الحالة أن يشهد لها لا عليها، بسبب الحمية.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥٢)

(٣) إنما قال ﴿ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾؛ ليكون أولى بالقبول في حق المرأة؛ لأن الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والإضرار.

الرازي، مفاتيح الغيب ٤٤٦/١٨

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٠)

(١) ﴿ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ أضفناها إلى زوجها؛ إرادة لإشاعة الخبر؛ فإن النفس إلى سماع أخبار أولى الأخطار والمكانة أميل.

البقاعي، نظم الدرر ٧٠/١٠

(٢) تأمل قوله تعالى عن النسوة: ﴿ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ولم يقلن: (فتى العزيز راود سيدته)، وفي هذا طمأنة لأصحاب المبادئ الذين يتعرضون لتشويه السمعة، وإصاق التهم عن طريق الإشاعات والافتراء، إذ سرعان ما تتضح مواقفهم، وتظهر براءتهم كالشمس: ﴿ أَلَمْ نَكُنْ حَاصِصَ الْحَقِّ أَنَا وَرَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (يوسف: ٥١).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَعَانتَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

(١) ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ لا تجرب نفسك في المآزق الصعبة، فقد تنقطع حبال صبرك!

د. عبدالله بن بلقاسم

(٢) انظر إلى قوله تعالى في سورة يوسف عن النسوة: ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾، وقول الملك ليوسف: ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾، فيه أن النساء يروقهن حسن المظهر، وأما الرجال فيروقهن جمال المنطق والمخبر، وتلك من الطبيعة التي خلقها الله تعالى في النفوس.

د. محمد الحمد

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتهُ عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصغرين ﴿٣٢﴾ ﴾

(١) كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الجمال الظاهر والجمال الباطن، ومنه: قول امرأة العزيز عن يوسف ﷺ لما أرته النسوة اللائعات لها في حبه: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴾، فأرتهنَّ جماله الظاهر، ثم قالت: ﴿ وَلَقَدْ زودتهُ عن نفسه فاستعصم ﴾، فأخبرت عن جماله الباطن بعفته.

ابن القيم، إغاثة اللفهان ١/ ٥٨

(٢) عندما تتصف المرأة بخصال تشينها خلقاً ودينياً، فإنها تجتهد في توريث بنات جنسها بذلك، مستغلة مكانتها وطيبة كثير من النساء؛ فتوردهن -بمكرها- المهالك، قف وتأمل قصة امرأة العزيز مع نسوة المدينة، فبعد استنكار الباطل؛ أصبحن للشر أعواناً!

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(١) من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله - كما فعل يوسف ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين - كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيماً وسروراً، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزناً وثبوراً.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ١٣٢

(٢) ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وذلك لأن الميل إليهن جهل؛ لأنه يكون قد أثر لذة قليلة منغصّة على لذاتٍ متتابعات وشهوات متنوعات في جنات النعيم، ومن أثر هذا على هذا، فمن أجهل منه!؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٩٧ (بتصرف يسير)

(٣) كيف تبرئ نفسك وهناك من هو خير منك، يوسف ﴿يَقُولُ عَنِ النِّسَاءِ: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

علي الطنطاوي، نور وهداية ١٢٤-١٢٥

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ لجأ أهل السجن إلى يوسف لتعبير رؤياهم، وهم لا يعرفون أنه من أهل العلم، ولا يعلمون أنه معبر للرؤى من قبل، فهم من الكفار والملك كافر والبلدة كافرة؛ لأن أهل الصلاح يظهر صلاحهم على وجوههم، والناس يحبونهم وينجذبون إليهم، فإن أهل السجن قالوا بعدها: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حالتك وسيرتك وهيئتك وأفعالك تدل على أنك من المحسنين والصالحين.

محمد المنجد، شريط سورة يوسف (١)

﴿قَالَ لَا يَا تَيْكَمَا طَعَامُ تُرْزِقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قال يوسف للسجينين: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ولم يشتم دينهما أمامهما؛ لأن المقام ليس مقام رد ولا استفزاز ولا حساب، بل مقام بلاغ، والحق إذا تبين فليس بالضرورة أن يجهر بشتم الباطل الذي يدين به الشخص المقابل.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِهَايمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

(١) ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِهَايمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إنما قال ذلك تمهيداً للدعوة، وإظهاراً أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتها في الاستماع إليه، والثوق به. ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٥٩٦/٢

٢) لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِغَاءَ وَجْهِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق النفي تعم كل شرك.

عبدالرحمن بن حسن، فتح المجيد ٢٣٤

٣) علق قتادة رضي الله عنه على قول يوسف رضي الله عنه: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ فقال: إن المؤمن ليشكر ما به من نعمة الله، ويشكر ما في الناس من نعم الله.

الدر المنثور ٢٥٥/٨

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

١) ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ تأمل دلالة أداة الحصر، وتعقيب ذلك بأن الحكم عبادة، ووصفه بالدين القيم؛ لتدرك أي منكر عظيم، وجريمة كبرى يرتكبها من لم يحكم بما أنزل الله.

أ.د. ناصر العمر

٢) لو أن شخصاً نظر إلى ماضيه؛ فوجده مثقلاً بالآلام - كما وقع ليوسف رضي الله عنه؛ - لضاقت به بالأرض، إلا أن يوسف الصديق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن، يذكر بالله من جهلوه، ويبصر بفضل من جحدوه، وذلك شأن أولي الفضل من الناس، لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم، ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبة حلت بهم.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٣

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُودَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوسِهِنَّ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

تأمل في كلام هذا الملك العاقل، حيث اعتبر أن الرؤيا لها أهلها المختصون، وأكد ذلك بالجملة الشرطية ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فما بال كثير من الناس يعرضون رؤاهم على كل غاد ورائح؟

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

استدل بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ﴾ على ضعف ما ورد من أن «الرؤيا على أول ما تعبر»^(١)؛ لأن القوم قالوا: ﴿أَضْغَتْ أَحْلَمٌ﴾ ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجذب والخصب، فكان كما عبر. وفي الآية دليل أيضًا على ضعف أن «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت»^(٢).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠١/٩

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ﴿٤٥﴾

في سورة يوسف خوطب الملك بصيغة الجمع: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ وفي يونس: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ (يونس: ٨٣)، جمع والمراد فرعون، وفي القصص: ﴿لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ (القصص: ٩)، تخاطب زوجها فرعون؛ بدلالة: ﴿قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾، فهذه الآيات تدل على جواز مخاطبة الملوك بالجمع؛ تحقيقًا لمصلحة أو دفعًا لمفسدة.

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٤٧﴾

هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال؛ فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئًا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/٩

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِينِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسُ اللَّسَوَةِ الَّتِي قَطَعْنَا يَدَيْهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٠﴾

إنما قال: ﴿فَسَأَلَهُ مَا بَأْسُ اللَّسَوَةِ﴾ وسكت عن امرأة العزيز؛ رعاية لذمام الملك العزيز، أو خوفًا من كيدها وعظيم شرها.

الشوكاني، فتح القدير ٤١/٣

(١) ابن ماجه ح (٣٩١٥).

(٢) أبو داود ح (٥٠٢٠)، وابن ماجه ح (٣٩١٤)، وأحمد ح (١٦١٨٢).

﴿ وَمَا أُنَبِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

(١) فهم سياق الآيات وتدبرها مما يعين على فهم المعنى - إذا اختلف فيه المفسرون - مثال ذلك: جزم شيخ الإسلام ابن تيمية بأن امرأة العزيز هي التي قالت: ﴿ وَمَا أُنَبِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾؛ لأن السياق متصل بكلامها، وأتبع ذلك بقوله: يدل القرآن على ذلك دلالة بينة، لا يرتاب فيها من تدبر القرآن.

دقائق التفسير ٢/ ٢٧٣

(٢) من أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره، ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.

ابن القيم، طريق المهجرتين ٢٧٥

﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

(١) من أهم أسباب الأحداث الجارية في الدول العربية: سوء توزيع الثروات (وليس شحها)، وهذا ناشئ من عدم توافر أهلية المسئولين عن ذلك، وإلا فيوسف ﴿ استطاع أن يجتاز بمصر أحلك الأزمت الاقتصادية بأمان؛ لتوافر شروط الكفاءة فيه. تدبر: ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(٢) قال القاضي أبو يعلى: وفي قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه.

شرح منظومة الآداب ٦٤

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

فيها عدة فوائد، منها: إطلاق الكل وإرادة البعض، فيوسف لم يُمكن له في جميع الأرض، بل مُكِّن له في أرض مصر ونواحيها، ومنها: أن الطاعة تثمر الرزق في الدنيا، ويعطى المؤمن الأجر عليها، ولا ينقص ذلك من ثوابه في الآخرة.

القصاب، نكت القرآن ٦١٩/١

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (٦٠)

في قول يوسف لإخوته: ﴿ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ مشروعية المقاطعة الاقتصادية؛ لتحصيل غرض مشروع، طالما أن المصلحة الشرعية اقتضتها، فيوسف بين لإخوته أنه ليس بينهم أي تعاون اقتصادي ما لم ينفذوا مطلبه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ اجْعَلُوا بَصَنَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٦٢)

تأمل: عندما جاء إخوة يوسف، وطلب منهم أن يأتوا بأخيهم؛ أمر فتياته بأن يضعوا بضاعتهم في رحالهم، ولكن عندما أراد أن يأخذ أخاه؛ وضع الصواع بنفسه ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِحْلِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف: ٧٠)؛ وذلك لأنه في الأولى كان مجرد علامة على جديته في طلب أخيهم، فلا يحتاج إلى حيلة أو كتمان.. بينما كان أخذ أخيه بجيلة مشروعة لا تتم إلا بالتلطف والكتمان؛ حتى يتحقق الهدف المنشود.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن آبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٦٧)

توجيه الآباء لأبنائهم كما فعل يعقوب مع بنيه من أعظم وسائل الحفظ لهم، وذلك بالأخذ بالأسباب الشرعية: كالأوراد، وتحاشي ما قد يكون سبباً في شقائهم: ﴿ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن آبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾، وإن خير ما يسمعه الأبناء من آباءهم ما سمعه أبناء يعقوب من أبيهم: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (٧٧)

يوسف ﷺ آذاه إخوانه، وألقوه في بئر حتى سيق مملوكاً بثمن بخس، وسجن سنين، ثم بعد ذلك يصبح عزيز مصر، قال إخوته: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾، يقصدون يوسف،

فماذا فعل؟ انظروا إلى ضبط النفس: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُيَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ حتى إنه لم يُرد جرح مشاعرهم بهذه الكلمة؛ فقلها سرًّا في نفسه.

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوتٌ﴾ (٧٨)

(١) إن القرآن ليصور لنا أخذ البريء بالمدنّب؛ لا على أنه مضاد للشريعة فحسب! بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

د. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم ١٥١

(٢) تأمل دقة يوسف ﴿لَمَّا قَالَ: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا﴾ فلم يقل: (من سرق)! لأنه يعلم أن أخاه لم يسرق، فكان دقيقًا في عبارته، فلم يتهم أخاه، كما لم يثر الشكوك حول دعوى السرقة، فما أحوجنا إلى الدقة في كلماتنا، مع تحقق الوصول إلى مرادنا.

أ.د. ناصر العمر

﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١)

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ الكلام في الأشياء شهادة، فالشيء الذي لا تعرف حقيقته لا تخض فيه.

د. محمد المختار الشنقيطي

تأمل في حال كثير من المجالس أو المنابر الإعلامية لتدرك كم هم المخالفون لهذا الهدى القرآني سواء في المسائل الشرعية أو غيرها.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣)

(١) إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، ولك الأسوة في نبي الله يعقوب، لما توالى عليه المحن قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

الغزالي، خلق المسلم ١١٦

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ هذا دأب المؤمن في علاقته مع ربه، فهو يحسن الظن به دومًا، فكيف بمثل هذا اليوم العظيم؟ قال ابن المبارك: جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيت! فالتفت إلي وقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم^(١)!

حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ٩٢

﴿يَبِينُ إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ، فَهُوَ يَبَالِغُ فِي الدَّعَاءِ وَلَا يَرَى أَثْرًا لِلْإِجَابَةِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ أَمَلُهُ وَرَجَاءُهُ وَلَوْ قَوِيَتْ أَسْبَابُ الْيَأْسِ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّ رَبَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِ مِنْهُ؛ أَمَا سَمِعْتَ قِصَّةَ يَعْقُوبَ ﷻ؟﴾ بقي ثمانين سنة في البلاء ورجاءه لا يتغير، فلما ضُْمَّ بنيامين بعد فقد يوسف لم يتغير أمله وقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ فإياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متعب بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٥٥٢

﴿وَنَوَلْنِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

قال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿يَأْسَفِي عَلَى يُوسُفَ﴾ هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر الذي مدح به يعقوب؟

أحدهما: أنه شكا إلى الله لا منه، والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى يا رب ارحم أسفي على يوسف. قال ابن الأنباري: الحزن ونفور النفوس من المكروه والبلاء لا عيب فيه، ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم، ولم يشتك من ربه، فلما كان قوله: ﴿يَأْسَفِي﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٧٨/٢-٢٧٩

﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

(١) معالجة الأمور العظيمة وحل المشكلات العويصة يحتاج إلى رفق وأناة وبعد نظر: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾ و﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٩) بخلاف ما درج عليه كثير من الناس. أ.د. ناصر العمر

(١) أرسلت عشية يوم عرفة.

(٢) تأمل وصية يعقوب لأبنائه: ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ ووصية الفتية لمن أرسلوه لجلب الرزق: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٩) فيعقوب قد ذهب بصره، وأهم وسيلة للبحث عن الأشياء الدقيقة والتحقق منها التحسس، فعبر بها. والفتية شأنهم مبني على الحذر خوفاً من علم قومهم، فعبروا بالتلطف. فلكل شيء ما يناسبه.

أ.د. ناصر العمر

(٣) رغم كثرة المصائب وشدة النكبات والمتغيرات التي تعاقبت على نبي الله يعقوب ﷺ؛ إلا أن الذي لم يتغير أبداً هو حسن ظنه بربه تعالى.

صالح المغاسمي

(٤) ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ إن سُم التشاؤم الذي يحاول المنافقون دسه على المؤمنين؛ له ترياق ودواء جدير بأن يذهبه، ألا وهو بث اليقين بمعية الله، والتوكل عليه، ولنتق بأن الذي يخرج اللبن من بين الفرث والدم، قادر على إخراج النصر من رحم البأساء والضراء.

أ.د. ناصر العمر

(٥) التفاؤل الإيجابي الذي ترجى ثمرته: ذلك العمل الجاد الحكيم غير المستعجل، المبني على الثقة بالله مع فعل السبب دون الاعتماد عليه، تدبر هذه الوصية المحكمة التي ترسم منهجاً للمتفائلين: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(٦) ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦) اليأس والقنوط استصغار لسعة رحمة الله ومغفرته، وذلك ذنب عظيم، وتضييق لفضاء جوده.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ١١٩

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ قَاوِفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

(١) من تأمل ذل إخوة يوسف لما قالوا: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ عرف شؤم الزل!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٩٠

٢) لو قام المذنبون في هذه الأسفار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّجَةٍ فَأَوْفٍ لَّنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾؛ لبرز لهم التوقيع عليها: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).
ابن رجب، لطائف المعارف ٢٢٨

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴾ (١١)

من أعجب ما يفعله الحاسدون: أن يكونوا سببًا في تتويج من أرادوا القضاء عليه.
أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٢)

١) ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ (النور: ٢٢) في الإحسان إلى المسيء شرف الاتصاف بصفات الخالق؛ إذ يجعلون له صاحبة والولد، وهو يعافيه ويرزقهم! وفيه فطام للمسيء عن إساءته، وتعريف له بقبح ظلمه.

العزبن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢١٠

٢) يزداد التعجب ويشد الاستغراب من أناس يقرؤون سورة يوسف، ويرون ما عمله إخوته معه عندما فرقوا بينه وبين أبيه، وما ترتب على ذلك من مآسي وفواجع: إلقاء في البئر، وبيعه مملوكًا، وتعريضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة.. بعد ذلك كله يأتي منه ذلك الموقف الرائع: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يرون ذلك فلا يعفون ولا يصفحون؟ فهلا عفوت أخي كما عفى بلا من ولا أذى؟ ﴿أَلَا تَتُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢).

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنْتُمْ بِأَهْلِكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴾ (١٣)

لأن كل داءٍ يُداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف ﴿﴾، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم - أراد أن يشمّه؛ فترجع إليه روحه، وتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٠٥

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿١٤﴾ ﴾
 صدق أبوهم حين قال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾، وأخطؤوا حين قالوا: ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ
 الْكَبِيرِ ﴾؛ نحتاج إلى مراجعة ألفاظنا مع آبائنا، ونراعي شبيبتهم فقد يقولون حقًا لا ندرکه.

محمد المنجد

﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي
 حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي
 وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾ ﴾
 (١) ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ما أعظم وفاء يوسف مع أبويه ﷺ فحين مكنه الله، رفعهما على
 سرير ملكه، وأظهر لهما التقدير والاحترام!

إنها رسالة لكل من آتاه الله مكانةً وعلمًا وغنى، أن يرد الجميل لوالديه، وأن يرفعهما حسًا ومعنى.

د. محمد الربيعة

(٢) تأمل قول يوسف ﷺ: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ فلم يذكر خروجه من الحب، مع
 أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولاسيما
 في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الحب.

الزركشي، البرهان ٣ / ٦٦

(٣) قول يوسف ﷺ: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ
 بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ فيه الحفاظ على مشاعر الآخرين وعدم جرحها، فإنه ما قال: بعدما ظلمني
 إخوتي، وبعدهما ألقوني في الحب؛ بل أضاف ذلك إلى الشيطان، وهذا من مكارم الأخلاق وتلك
 أخلاق الأنبياء ﷺ.

محمد المنجد، شريط ١٠٠ فائدة من سورة يوسف

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا
 والناس على خلافهم! فاعلم أن هؤلاء هم الناس، ومن خالفهم فمُشَبَّهون بالناس وليسوا بناس،
 فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٤٧/١

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

تأمل حالك مع ما يمر بك من تلك الآيات الكونية، والتي تعددت هذه الأيام، فبمقدار تأثرك واتعاظك يكون إيمانك، وإلا فاحذر أن يكون فيك شبه من أولئك المعرضين.

أ.د. ناصر العمر

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

(١) تأمل! ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ وقوله: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٤)، فأثي دلالة على شدة الكرب وعظم الخطب أبلغ من هذا؟ وأنه بلغ مبلغاً كبيراً ظهر أثره على خيرة الخلق وهم الرُّسل، فجاء بعد ذلك النصر: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

أ.د. إبتسام الجابري

(٢) هذه الآية تجعل الداعية يترقب الخروج من الضيق إلى السعة، مبشرة بعيشة راضية، ومستقبل واعد، رغم المحن القاسية، والظروف المحيطة؛ فالحوادث المؤلمة مكسبة لحظوظ جليلة من نصر مرتقب، وثواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وكل ذلك خير، فـ «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير»^(١)؛ فلماذا اليأس والقنوط؟

أ.د. ناصر العمر

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إن القول بأن قصص القرآن هي مجرد تاريخ كلام باطل ينزه القرآن عنه! بل قصصه شذور من التاريخ، تعلم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ!

محمد رشيد رضا، مجلة المنار ٧/١٨١

(١) مسلم ح(٢٩٩٩)، وأحمد ح(٢٣٩٣١).

سورة الرعد

ثلاث سور تجلت فيها عظمة وقوة الخالق سبحانه، تفتح الأبصار إلى دلائل ذلك في الكون القريب منا، من تدبرها حقًا شعر ببرد اليقين في قلبه، وأدخل عظمة الله في كل شعرة من جسده: (الرعد، فاطر، الملك).

د. عصام العويد

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصًا في العقائد الكبار: كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤١٢

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

عبرة للمتأمل..

انظر إلى قطع الأرض المتجاورات، وكيف ينزل عليها ماء واحد، فتنبت الأزواج المختلفة، المتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة، واللقاح واحد والأم واحدة، كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٠٠/١

﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

كان مطرف بن عبد الله إذا ثلثت عليه هذه الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ﴾ قال: فلو يعلم الناس قدر مغفرة الله ورحمته وتجاوز الله؛ لقرت أعينهم، ولو يعلم الناس قدر عذاب الله، ونكال الله، وبأس الله؛ ما رقي لهم دمع، ولا انتفعوا بطعام ولا شراب.

الزهدي لابن حنبل ٢٤٤

﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١)

(١) ﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ من حفظ الله، حفظه حتى من الحيوانات المؤذية بالطبع، ومن ضيع الله، ضيعه الله بين خلقه؛ حتى يدخل عليه الضرر ممن كان يرجو أن ينفعه، ويصير أخص أهله به وأرقهم به يؤذيه.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٥٧٩/١

(٢) متى رأيت تكديراً في حال، فاذكر نعمة ما شكرت أو زلة فعلت؛ فإن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٦

(٣) مجتمعات تعيش في الشقاء وأخرى تتقلب في النعيم، فالأولى تبحث عن الخلاص وهو بين يديها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، والأخرى تخاف تغير الحال، والأمان أمام ناظريها: ﴿ذَلِكَ بَأْتِ اللَّهُ لَمِ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣).

أ.د. ناصر العمر

(٤) رمضان موسم عظيم لتغيير النفوس إلى الأحسن؛ ليغير الله ما بنا من واقع مؤلم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، ومن المحزن أن من أبنائنا من يتغير إلى الأسوأ، فنهارهم نوم تضيع معه صلواتهم، وليلهم سهر تضيع معه أوقاتهم أو بمتابعة قنوات الإفساد ﴿ذَلِكَ بَأْتِ اللَّهُ لَمِ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣)، فاحذر أن تكون سبباً لتغيير نعم الله التي أنعمها عليك وعلى مجتمعك.

أ.د. ناصر العمر

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ بَرْدٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧)

(١) ﴿ فَسَأَلَتْ أُوْدِيَةٌ بِقَدْرِهَا ﴾ قال ابن عباس ؓ: هذا مثل ضربه الله، احتملت القلوب من الوحي على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فما ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله.

الدر المنثور ٦٣٢/٤

(٢) الله الذي أنزل الحق قد حفظه كما حفظ ما ينفع الناس، وما لا تقوم الحياة إلا به، تأمل: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن ١٧٥

(٣) ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ هذا هو الضابط القرآني للعلم الصحيح: النفع للناس، وكل علم لا ينفع الناس، فهو هدر للحياة.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (٢١)

هل تحب أن يهون عليك الحساب يوم القيامة؟

يقول جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون على المرء الحساب يوم القيامة، ثم تلا: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾.

المجالسة وجواهر العلم ١٨٤/٥

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (٢٣)

وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم ١٨/٥

﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْءَانًا سُرِيتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٣١)

تتابع العقوبات والآيات على الكافرين في ديارهم أو حولها؛ جزاء بما كسبوا وإنذارًا وتخويفًا لغيرهم من الناس: فأوبئة، وأعاصير، وزلازل، وخسائر مالية، وصدق ربنا: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾، ولكن: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١).

د. محمد الحضيري

﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْرَيْتُمْ رَسُولًا مِّن قَبْلِك فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٣٢)

ترك أهل الباطل فترة، ليس نسياناً لهم أو غفلة عنهم، والإملاء للظالمين ليس تكريماً لهم - كما يظنون - أو إهانة لغيرهم - كما يتوهمون - وإنما هو الاستدراج إلى العذاب من حيث لا يشعرون.

د. محمد الراوي، حديث القرآن ١٤١

﴿ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُل سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظُهُمْ مِنَ الْقَوْلِ بَل زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ (٣٣)

زار قسيس معرضاً أقامته وزارة الشؤون الإسلامية في جنوب أفريقيا، فشرحوا له تعاليم القرآن باختصار، وأهدوا له نسخة من ترجمة معاني القرآن، فعاد لهم بعد قراءته فقال: «هذا ليس مجرد كتاب، إنه منهج حياة!».

د. محمد السحيم

تأمل كيف قال هذا في مدة قصيرة، فما أشبه قوله بقول مؤمني الجن! وما أعظم البون بينه وبين زنادقة عرب يقرؤون القرآن وليس الترجمة، ومع هذا يرون التمسك به تحلقاً! ﴿ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِطَايِفَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ ﴾ (٣٨)

١) استدل على تفضيل النكاح على التخلي لنوافل العبادة بأن الله تعالى اختار النكاح لرسوله، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ واقتطع من زمن كليمة موسى عشر سنين في رعاية الغنم مهراً لزواجه، واختار لنبيه ﷺ أفضل الأشياء فزوجه تسعاً فأكثر، ولا هدي فوق هديه.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢٣٧/٤)

٢) في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى إذا شرف شخصاً بولايته، لم تضره مباشرة أحكام البشرية من الأهل والولد، ولم يكن بسط الدنيا له قدحاً في ولايته.

الآلوسي، روح المعاني ٣٠٧/٩

٣) الزواج من سنن المرسلين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾، فحري بمن وفقه الله لهذه السنة أن يستشعر الاقتداء بهم، فذلك مما يضاعف الأجر، ويعظم المثوبة.

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (٤٠)

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ فما بال بعضنا يريد أن يجمع بين الوظيفتين!؟

د. عبدالله السكاكر



﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ تعلم اللغة التي يدعى بها إلى الإسلام فرض كفاية، كما أن الدعوة إلى الإسلام فرض كفاية، وهل يمكن الآن أن أجلس بين عشرة من غير العرب وأتكلم بأرقى الفصاحة والبيان باللغة العربية ماذا يفهمون؟ لا شيء.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (١٤٢)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٥)

(١) ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ تتناول أيام نعمه وأيام نقمه ليذكروا ويعتبروا؛ ولهذا قال بعدها: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ فإن ذكر النعم يدعو إلى الشكر؛ وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، والصبر عن المحذور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النعمة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/١٩٤

(٢) ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ قال جمع من السلف: بنعم الله! هذا من أجمل ما يتذكره الإنسان حينما تتجدد له نعمة من النعم، أو يتقدم به الزمن، أو يعيش مرحلة جديدة من عمره، بدلاً من الانهماك في تهنئة عابرة، أو مجرد أحداث العالم، في غفلة عن النعم التي عاشها الإنسان نفسه، والنعم التي دفعت عنه، فكم ذنب ستره الله! وكم بلية دفعها الله!

متدبر

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

عليك بالمطالب العالية والمراتب السامية التي لا تنال إلا بطاعة الله؛ فإن الله سبحانه قضى أن لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يريد، كان الله له فوق ما يريد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٤٨

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

هدي الأنبياء أن المواهب الربانية توجب لأصحابها الشكر لا الفخر.

د. عبدالله السكاكر

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۗ وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ هذا شعار المؤمنين حين يشد بهم أذى الكفار والمنافقين، يتدثرون بالصبر والتوكل، وهم ينتظرون سنة الله في الآية التي بعدها: ﴿لَنْهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسْكُنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم).

فهد العيبان

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۗ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۗ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾

من لطائف هذا التمثيل أن اختيار له التشبيه بهيئة الرماد المجتمع؛ لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا، وأشيعها بينهم، وهو قرى الضيف، حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤١/١٢

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ
عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ
صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ ﴾

قوله ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ﴾ مع كونه سبحانه عالمًا بهم لا تخفى عليه خافية من أحوالهم، سواء برزوا أو لم يبرزوا؟ الحكمة في ذلك: لأنهم كانوا يستترون عن العيون عند فعلهم للمعاصي، ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى، فالكلام خارج على ما يعتقدونه هم.

الشوكاني، فتح القدير ٣/ ١٢٣

﴿ تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

في ضرب الأمثال تقريب للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٢٥

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

صليت الفجر هذا اليوم، فقرأ الإمام من سورة إبراهيم، فوقفت متدبرًا قوله سبحانه: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ثم كانت الأعجب: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ فكانها أنزلت الليلة، فما أعظم هذا القرآن. أ.د. ناصر العمر

﴿ يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

تحت قوله: ﴿ يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ كنز عظيم، من وفق لمظنته وأحسن استخراجه، واقتناه، وأنفق منه؛ فقد غنم، ومن حرّمه فقد حرّم؛ وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته؛ زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَسَّنَاكَ لَفَتَدَكِدَتْ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٤).

ابن القيم، إعلام الموقعين ١/ ١٣٦

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ﴿٢٨﴾

عقلاء الغرب يعترفون بأهمية النظام المصرفي الإسلامي، وبعض أبناء المسلمين ممن يدير دفة الاقتصاد يرى النظام الرأسمالي الربوي كالدّم لجسم الإنسان، فأذهبوا أموالهم وأموال المسلمين، فتدبر: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾!؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَوَاتِهِمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ ﴿٣١﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾، فلينظر رجل من يخال؟ وعلام يصاحب؟ فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فليعلم أن كل خلة ستصير على أهلها عداوة يوم القيامة إلا خلة المتقين: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ (الزخرف).

الدر المنثور ٤٣/٥

﴿ وَءَاتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣٢﴾

(١) ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ قال طلق بن حبيب رضي الله عنه: إنَّ حقَّ الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبَحُوا تَوَّابِينَ، وأمَسُوا تَوَّابِينَ.

جامع البيان ٦٨٦/١٣

(٢) كان الحسن البصري يردد في ليلة قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾، فقليل له في ذلك! فقال: إن فيها لمعتبراً، ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر!

قيام الليل للمروزي ١٤٨/١

﴿۳﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿﴾ من أراد مطالعة أصول النعم، فليسرِّح فكره في رياض القرآن، وليتأمل ما عدَّد الله فيه من نعمة وتعرَّف بها إلى عباده من أول القرآن إلى آخره.

ابن القيم، عدة الصابرين ٢٨٦

٤) أصبحت معافي في بدنك..

آمنًا في بيتك..

مؤمنًا بربك..

لا تجثو عند صنم..

ولا تغدو إلى بيعة..

ولا تروح إلى كنيسة..

لا مئة لأحد من الخلق عليك في رزقك..

﴿۳﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿﴾

د. عمر المقبل

﴿۳۵﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿﴾

تأمل قول الله ﷻ مخبرًا عن دعاء إبراهيم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ هذا إبراهيم خليل الله، الذي حَقَّق التوحيد، وحطَّم الأصنام بيده، خاف على نفسه عبادة الأصنام، وخاف على بنيه، قال إبراهيم التيمي في تفسيرها: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ وبهذا تعلم أن قولهم: (التوحيد فهمناه) من أكبر مكايد الشيطان.

صالح آل الشيخ، شرح كشف الشبهات ٢٤ (بتصرف يسير)

﴿۳۶﴾ رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَضْلَلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ مَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿﴾

في دعاء إبراهيم ﷻ: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بيان لكمال شفقتة ورحمته بالناس، حيث إنه لم يدع على من عصاه، بل توسل إلى الله باسمه الغفور الرحيم أن يغفر لهم ويرحمهم، ودل ذلك كذلك على أنه متجرد لربه لا ينتصر لنفسه، ولا يقدم مصلحتها الشخصية على مصلحة الدعوة، فهو يعتقد أن الدعوة هي دعوة الله الحق، ليست مجالًا لأغراض أو مصالح ذاتية: جلبًا أو دفعًا.

د. خالد الغامدي

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧)

١) قال السدي في قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ قال: خذ بقلوب الناس إليهم، فإنه حيث يهوي القلب يذهب الجسد؛ فذلك ليس من مؤمن إلا وقلبه معلق بحب الكعبة.

الدر المنثور ٥٦٠/٨

٢) إذا رأيت جموع الوافدين من أقطار الدنيا إلى بيت الله الحرام، وكم بذلوا من أموال! وكم هي السنين التي انتظرها بعضهم ليصل إليه؟ والشوق يقطع قلبه، أدركت شيئاً من أسرار قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ وأدركت -أيضاً- بعضاً من معاني إضافة هذا البيت إلى نفسه المقدسة في قوله: ﴿ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾.

د. عمر المقبل

٣) تدبر قول إبراهيم ﷺ: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ فلم يقل: فاجعل بعض الناس يأتي إليهم؛ لأن مجرد المجيء قد لا يتحقق معه المراد والغاية، بل ربما حدث الضد. لكن إذا هوت الأفئدة، أتت الأبدان تبعاً، وتحقق الحب والتألف والأنس الذي هم بأمس الحاجة إليه، وقد أجاب الله دعاءه، فتحقق مراده.

أ.د. ناصر العمر

٤) من عظيم دلائل دعوة الخليل لأهل الحرم: ﴿ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ أن الناس لو علموا أنهم سيواجهون الصعوبات في طلب الرزق عند الحرم؛ لما اشتاقت نفوسهم إلى هذا المكان، وإن جاؤوا فربما قلت رغبتهم في البقاء فيه بسبب قلة موارده.

أ.د. محمد العواجي

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٣٨)

إنك تتعامل مع من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيب زادك، فقد حضر سفر بعيد ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ١٤٣/٢

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢)

(١) نظر العقل في هذه الدنيا، فرأى بأن فيها من يعيش ظالماً ويموت ظالماً، وأن فيها من يعيش مظلوماً ويموت مظلوماً، والرب العادل لا يقرّ الظلم، ولا يدع صاحبه بغير عقاب، ولا يترك من يقع عليه من غير إنصاف، فأيقن العقل أنه لا بد من حياة أخرى يُنصف فيها المظلوم ويُعاقب الظالم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٩٦-١٩٧

(٢) كم مرة قرأنا وسمعنا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ فهل توقفنا عندها؛ لننظر هل ظلمنا أحداً؟!

أزواجنا، أبناءنا، من تحت ولايتنا وكفالتنا؟

أو أننا نتصور أنها خاصة بالرؤساء والقادة؟!

فلنتدبرها؛ حتى لا ندخل في هذا التهديد، وسوء العاقبة والمصير!

أ. د. ناصر العمر

(٣) ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ هذا إذاً مصيرهم، وبئس المصير، هذه عدالة الله العظيم؛ فلتهدأ النفوس، ولتسكن القلوب، ولتتجاوز ضيق اللحظة الحاضرة إلى أفق المستقبل الفسيح.

د. سلمان العودة

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ (٤٤)

﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ قبل سنوات قليلة كتب فوكوياما - من أشهر مفكري أمريكا - كتابه (نهاية التاريخ)، محتفلاً باندحار الشيوعية أمام الحضارة الغربية، فالعالم - بوجهه - أغلق باب التاريخ ولم يعد له سوى قوى الغرب، وعلى رأسها أمريكا بقيمها الليبرالية، فأسخن الله عينه عاجلاً بانهيار إله الذي ظل عليه عاكفاً، فها هي الليبرالية تتفكك أخلاقياً بكوبا وأبو غريب، وبالتجسس حتى على الشعب الأمريكي نفسه، واقتصادياً بالكارثة المالية التي خرقت لها حرية السوق، وتأميم الشركات.

﴿ وَسَكَتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ
وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ وَسَكَتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
(المؤمنون: ٩٤) المسلمة - كالمسلم - تجنب الجلوس في الأمكنة التي تظهر فيها المعصية، من غناء
واختلاط وتبرُّج، سواء كان ملهى أو مجتمع عيد أو غيره؛ لأنها تحب أن تعترض عن ذلك بمنزته
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴾ (القمر: ٥٤-٥٥).

مشاركة من إحدى الأخوات

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَنَعَشٍ وَجُوهُهُمْ نَارٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

تأمل سر اختيار القطران دون غيره، وذلك - والله أعلم - لأن له أربع خصائص: حار على
الجلد، وسريع الاشتعال في النار، ومنتن الريح، وأسود اللون، تطل به أجسامهم حتى تكون
كالسراويل! ثم تذكر - أبارك الله من عذابه - أن التفاوت بين قطران الدنيا وقطران الآخرة،
كالتفاوت بين نار الدنيا ونار الآخرة!

الزمخشري، الكشاف ٣/٢٩٤ (بتصرف)

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِءِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾

سئل أبو الحسن الرماني: كل كتاب له ترجمة - أي: عنوان يلخص مضمونه - فما ترجمة كتاب الله؟
فقال: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِءِ ﴾.

الإتقان في علوم القرآن ١/١٨٤

سورة الحج

﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٢﴾ ﴾

قال بعض أهل العلم: ﴿ ذَرَّهُمْ ﴾ تهديد، وقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾ تهديد آخر؛ فمتى يهناً العيش بين تهديدين؟

البغوي، معالم التنزيل ٣٦٨/٤

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾

١) الله ﷻ وقر دواعي الأمة للذنب عن الشريعة، والمناضلة عنها، أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة، بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصغر فضلاً عن القراء الأكبر.

الشاطبي، الموافقات ٥٩/٢

٢) تأمل كيف يحمي الله كتابه، وينصر دينه! فقد أثار إعلان القس الأمريكي بإحراق المصحف استنكار العالم، ثم تراجع عن ذلك تحت هذا الضغط الهائل، وهنا سيتساءل ملايين البشر: ما هو هذا المصحف؟ وماذا يتضمن؟

ولم تراجع عن إحراقه؟ ولنتدبر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. وانظر: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ ﴾

تدبر قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ فهو «متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيده، وأن طلبه من غيره، طلب ممن ليس عنده، ولا يقدر عليه».

ابن القيم، الفوائد ٢٠٢

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

إن قيل: لم قال: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾؟ وقد حصل المقصود بقوله: فسجد الملائكة؟ ذكر المبرد: أن قوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم، فذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾؛ ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة، فزال ذلك الإشكال بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾.
البيهقي، معالم التنزيل ٣٨٠/٤

﴿ قَالَ يَتَّبِعُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

في الآية: أن تخلف الإنسان عن العمل الصالح وحده أكبر وأعظم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره ١٨٩

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

تأمل قول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، وقارن بينه وبين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤)، تجد أن مما رغب الله تعالى به في الدار الآخرة: أن يبين أن الحياة الدنيا مليئة بالتعب، وبين مقابل ذلك: أن الجنة لا تعب فيها.

محمد المنجد

﴿ قَالُوا لَا نُجَلِّ إِنَّآ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْمِ ﴿٥٣﴾ ﴾

إذا زرت أحداً، فرأيت منه وجلاً، فأنسه بخبر مفرح؛ ليطمئن قلبه لك، قبل أن تحدته بموضوعك، تأمل قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا نُجَلِّ إِنَّآ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْمِ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبُرَهُمْ وَلَا يَلْنِفْتَ مِنْكُمُ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

﴿وَلَا يَلْنِفْتَ مِنْكُمُ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ لا تجعل المعارك الجانبية تستهلك عمرك، وركز على أهدافك العظمى؛ لتنجح.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

وصفهم بالسكره التي هي فساد العقل، والعمه الذي هو فساد البصيرة؛ فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمه البصيرة، وسكر القلب.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٧٩

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ فَاصَّحَحْ

الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَاصَّحَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ وهو الصَّفْح الذي لا أذية فيه، وقد ظهر لي أحسن من هذا المعنى: وهو أن الصَّفْح الجميل هو الصَّفْح الحسن الذي سَلِمَ من الحقد والأذية، ويكون في محلِّه فلا يصفح حين اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع معهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٤

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مَنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

(١) قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: من أعطي القرآن، فمد عينيه إلى شيء من الدنيا، فقد صغَّر القرآن؛ ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه) يعني: القرآن.

الدر المنثور ٦٥٢/٨

(٢) ماذا لو خوطب أحد الناس بأنه يؤثر الحقيير على العظيم؟ تأمل هذه الآية لتدرك كم هم المتصفون بذلك حين عكسوا المنة الربانية التي امتن بها ربنا على رسوله صلى الله عليه وسلم - وهي منة على أمته-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾

المحرر الوجيز لابن عطية (٥٧/١) (بتصرف)

﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

(١) ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ بك وبما جئت به، وهذا وعد من الله لرسوله، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى؛ فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

(٢) إذا صدع المسلم بأمر ربه على الوجه المشروع، فلن يضره المستهزئون؛ فلقد تكفل الله بكفائته إياهم.

تأمل قول ربك: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾

د. محمد الربيعة

﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ ﴾

(١) ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ لا تصدق أن هناك نفساً لا تؤلها الكلمات.

د. عبد الله بلقاسم

(٢) قد يضيق صدرك إذا سمعت ما يؤلمك، وقد تحزن لذلك، وقد تهتم كثيراً، فتحتاج لمن يرأف على قلبك، ويذهب ما أهمك، تدبرت أو آخر سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ فوجدت العلاج الشافي الكافي، فيا عظمة هذا القرآن وجميل لذته!

متدبر

(٣) النبي ﷺ يسوءه تكذيب قومه مع علمهم بصدقه ووضوح أدلته، فأرشده الله إلى ما يطرد الهم، فأمره بخصوص، ثم عموم، ثم أعم: إذ أرشده إلى تسبيح الله، ثم إلى أمر أعم من الذكر المجرد وهو الصلاة، ثم إلى الإقبال على العبادة بمفهومها الشامل. فيا لها من هداية عظيمة لو تدبرناها، وأخذنا بها.

د. محمد الحمد، خواطر ٢٢٥

٤) كلما ازداد قرب العبد من الله وعلا مقامه؛ قوي عزمه وتجرد صدقه، فالصادق لا نهاية لطلبه ولا فتور لقصده، بل قصده أتم، وطلبه أكمل، ونيته أحزم؛ قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢٤

٥) تأملتُ قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فقلت: الحمد لله الذي لم يمنع عنا فضله بالعبودية والتقرب له وتكثير الأجور بانقضاء مواسم الخير، بل جعل مقام العبودية له قائماً حتى بعد الممات: الصدقة الجارية، العلم الذي ينتفع به، والولد الصالح الذي يدعو له!

أ.د. عبدالعزيز العويد

٦) ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فلا يليق بالمسلم وقد ذاق طعم الطاعة في شهر الصيام أن يحل محل تلك الحلاوة مرارة المعصية، ولا يسوغ له إذا أرغم عدوه في شهر الصيام أن يدخل عليه السرور في شهر شوال وما بعده من الشهور.

د. عبد المحسن العباد

سورة النحل

سورة النحل افتتحت بالنهي عن الاستعجال، واختتمت بالأمر بالصبر، وسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح، وختمت بالتحميد.

السيوطي، مراصد المطالع ٥٣

﴿يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾

من تدبر القرآن تبين له أن أعظم نعم الرب على العبد تعليمه القرآن والتوحيد، تأمل: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾ (الرحمن) فبدأ بها قبل نعمة الخلق، وفي (النحل) -التي هي سورة النعم-: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ فهذه الآية أول نعمة عددها الله على عباده؛ لذا قال ابن عيينة رحمه الله: «ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله»^(١).

د. محمد القحطاني

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

(١) البرد يقتل العشرات في شرق أوروبا، والحرارة (٣٥ تحت الصفر)^(٢).
المؤمن إذا عاش البرد، أو سمع أخباره، تذكر قوله تعالى -في أول (النحل)-: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ فهذه نعمته بالدفء، وأما نعمته بالوقاية من الحر فذكرها في أواخر «النحل»: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ (النحل: ٨١)؛ إذ لما كانت الوقاية من البرد من أصول النعم ذكرت في أول السورة، ولما كانت الوقاية من الحر من مكملات النعم ذكرت بعد ذلك.
السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (٦٩).

(٢) نشر الخبر في عدد من المواقع الإخبارية في الثلاثاء ١٤٣١/٢/١٠ هـ - الموافق ٢٠١٠/١/٢٦ م.

٢) كل ما جاء في القرآن: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فهو في الدنيا، أي: ومنها تبيعون، ومنها تدخرون، ومنها تهدون، وذلك في: (النحل)، (المؤمنون)، (غافر)، أما قوله: ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف: ٧٣ فهذا في جنة الآخرة، والجنة ليس فيها بيع ولا ادخار ولا إهداء، وإنما يأكلون منها فحسب، وذلك في سورة الزخرف.

صالح التركي

﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾
 ﴿٧﴾

قال تعالى في هذه الدار: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى بلد، فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار؟! إلى دار القرار!؟

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١٠

﴿وَالْحَيْلَ وَالْعَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
 ﴿٨﴾

ما من اختراع يخطر ببالك من المخترعات الحديثة - كالمركبات ووسائل الاتصال وغيرها - إلا وقد أشار إليه القرآن، تأمل قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وبفهم هذه العمومات يدرك المتدبر سعة معاني كلام الله تعالى، وكيف تدخل آلاف الأشياء والمعاني في جملة قصيرة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٨ (بتصرف)

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَعْبُدَ بِكُمْ فَأَنْهَرًا وَسَبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
 ﴿١٥﴾

١) تأمل خلق الأرض حين خلقت ساكنة؛ ليمكّن الخلق من السعي عليها، والجلوس لراحتهم ونومهم، والقيام بأعمالهم، ولو كانت رجاجة لم يستطيعوا على ظهرها قراراً، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة، ولا تجارة، ولا حراثة، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل، كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبّه الله على ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَعْبُدَ بِكُمْ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢١٧

(٢) كلما ازداد حجم الجبل ارتفاعاً ورسوخاً، كان أقوى في ثبات الأرض، وعدم اضطرابها بأهلها، تدبر هاتين الآيتين: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ﴾ (المرسلات: ٢٧).

فكذلك أثر العالم في تثبيت الأمة أزمنة الفتن، حسب رسوخه وعلو اهتماماته.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَعَلَّمْتَ وَيَأْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١١)

تأمل سر تعليق الاهتداء بالنجم؛ لأن النجوم المرادة ثابتة لا تتغير، ولا تنكسف، وضوءها مستقر لا يختلف لذاتها، وإنما لعوامل أخرى، ومعرفتها أيسر من معرفة منازل القمر، وعلى قدر إتقانها تكون الدلالة على الطريق والوصول إلى الهدف، فكذلك أدلة المنهج فهي ثابتة مطردة بينة ميسرة، وعلى قدر معرفتها والالتزام بها تكون السلامة والوصول إلى الغاية، وإلا كان الاضطراب والضلال والهلاك.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨)

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ إذا جلست على مائدة طعامك، فحاول أن تحسب أنت وأهلك عدد أنواع المطاعم والمشارب التي عليها، كل هذه النعم اجتمعت لك في لحظة واحدة، وفوقها نعمة العافية والأمن، وفوقها جميعاً نعمة الإيمان، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك.

متدبر

﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣)

تربية القلب بالقرآن:

مر الحسن بن علي عليه السلام على مساكين يأكلون فدعوه؛ فأجابهم وأكل معهم، وتلا: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ثم دعاهم إلى منزله فأطعمهم وأكرمهم.

ابن رجب، شرح حديث اختصام الملاء الأعلى ٣٧/١

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾

بعض الآباء يدع قنوات السوء بأيدي أهله وبنيه، كأن الأمر لا يعنيه، وهو يعلم أنها تنوء بالسوء، وربما خادع نفسه بأنه يثق بهم، لقد لعن رسول الله ﷺ في الرِّبَا: الأكل والمؤكل والكتاب، وفي الرشوة: الراشي والمرثشي والرائش، وبئس في تلك القنوات جالها والناظر إليها.

متدبر

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٣٥﴾

الحق قوي بذاته؛ فإذا بلغه الداعية الحكيم بما يليق به من بيان؛ كان منتصراً بمجرد الكلمة، وذلك كان هو أساس دعوة جميع الأنبياء والرسول ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾، فلا يستهينن أحد بقوة الكلمة وخطورتها في الخير والشر، فأما كلمة الحق والهدى في الدعوة إلى الله فهي الغالبة بإذن الله. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٩٦

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا لِلْهَيْنِ اثْنَيْنِ إِتْمًا هُوَ إِلَهُهُ وَجِدْ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾ ﴿٥١﴾

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا لِلْهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ليس للتكرار والتأكيد المحض، وليس الموضوع موضع تأكيد، بل لما كان النهي واقعاً على التعدد والاثنية دون الواحد أتى بلفظ الاثنين... فكأنه قال: لا تعدد الآلهة ولا تتخذ عدداً تعبد، إنما هو إله واحد فلا تضم إليه غيره وتجعلهما اثنين، فلا تكرار إذن. ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٠

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: سماع تدبر وإنصاف ونظر؛ لأن سماع القلوب هو النافع، لا سماع الأذان، فمن سمع آيات القرآن بقلبه، وتدبرها وتفكر فيها، انتفع ومن لم يسمع بقلبه، كأنه أصم لم يسمع، فلن ينتفع بالآيات.

الخطيب الشرييني، السراج المنير ٢٤١/٢

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

تأمل كمال طاعة النحل لربها، فلا يرى للنحل بيت غير هذه الثلاثة البتة؛ فالإنسان أولى بالطاعة لربه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٤٨

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

إن رزقك لا يستطيع أحد أن يصرفه عنك، ورزق غيرك لا يقدر أحد أن يوصله إليك، ما كان لك، فسوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك، لن تناله بقوتك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف. علي الطنطاوي، نور وهداية ١٢٩

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

نقل القاسمي عن الغزالي: تأمل كيف أن الله تعالى خلق الطير خلقاً يقتضي خفة طيرانه، فلم يخلق فيه ما يثقله، وجعل جلد ساقيه غليظاً متقناً جداً؛ ليستغني به عن الريش في الحر والبرد، فلو كسيت ساقاه بريش، لتضرر ببلله وتلوينه، وخلقه ببيض ولا يلد؛ لئلا يثقل عن الطيران، أفلا ترى كيف دبر كل شيء من خلقه بما يليق به من الحكمة؟

محاسن التأويل ١٠/١٤١-١٤٢

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتَرُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

(١) تدبر: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ لذا تجدنا نبذل الغالي والنفيس لتحقيق الراحة والهدوء في بيوتنا، ونبادر لإصلاح ما فسد، دون ضجر أو ملل؛ لتحقيق هذه السكينة. فهل نبذل مثل ذلك مع الزوجة، التي جعلها الله (سكنًا)؛ لتحقيق هذه الغاية العظمى؟!

أو أننا نُحْمَلُهَا مسئولية تحقيق ذلك وحدها؛ فينقلب البيت والزوجة إلى عذاب وشقاء، بدل
المودة والرحمة والسكن.

أ.د. ناصر العمر

(٢) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾، وقال في الآية بعدها: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ
تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.. جمع الله في آيات النحل بين
المساكن والملابس؛ لأنَّ المساكن من جنس الملابس، كلاهما جعل في الأصل للوقاية، ودفع
الضرر، كما جعل الأكل والشرب لجلب المنفعة، فاللباس يقي الإنسان به الحر والبرد، ويتقي به
سلاح العدو، وكذلك المساكن يتقي بها الحر والبرد، ويتقي بها العدو.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥١/٢٢

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

المجرم الذي يقترب كثيرًا من الفواحش لا يمكن بداهة أن يُعامل بنفس الطريقة التي يعامل
بها من لم يرتكب سوى واحدة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا
كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ١٥٣

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

(١) ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا
علمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه.

العلم لزهير بن حرب ح (٥٠)

(٢) قف متدبرًا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ثم تأمل ما جرى من أحداث في ضوء

هذه الآيات وغيرها، تجد مصداق ذلك، وكأنها أنزلت اليوم! ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ

جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢١﴾ (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧) ثم تحلى عنهم القريب والبعيد ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ﴿٢١﴾ (الدخان).
فما أتعس من لم يزن الأحداث بميزان القرآن!
﴿فِي آيِ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات: ٥٠)!

أ.د. ناصر العمر

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٠﴾

(١) قرأ الحسن هذه الآية ثم قال: إن الله ﷻ جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

الدر المنثور ١٠٣/٩

(٢) أجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها، والزجر عن المفسد بأسرها قوله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ فلا يبقى من دقيق العدل وجليله إلا اندرج في قوله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾

العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام ٣١٥/٢

(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد عليه، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع؛ ولذلك عظم الله ثواب أهل الإحسان.
الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز ٦٧١/١

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ
أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٤﴾

(١) الغدر ينزع الثقة، ويثير الفوضى، ويمزق الأواصر، ويرد الأقوياء ضعافاً واهنين: ﴿وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾

محمد الغزالي، خلق المسلم ٥٥

٢) يا من حج البيت العتيق، وجئت من كل فج عميق، ولبيت من كل طرفٍ سحيق! ها أنت وقد كُملَ حجك، ها أنت تتهياً للرجوع إلى ديارك، احذر كل الحذر من العودة إلى التلوُّث بالمحرمات، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا ﴾ فإياك إياك أن تهدم ما بنيت، وتُبدد ما جمعت، وتنقض ما أحكمت.

سلمان المالكي، مقال: وما ذا بعد الحج (موقع صيد الفوائد)

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

١) كان لحفصة بنت سيرين ابنٌ عظيم البر بها، فمات، فقالت حفصة: لقد رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أنني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فبينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل، إذ أتيت على هذه الآية: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ قالت: فأعدتها، فأذهب الله ما كنت أجد.

صفة الصفوة ٢/ ٢٤٢

٢) نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله ﷻ: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله؛ ليبقى عنده محفوظًا.

أبو حامد الغزالي، الإحياء ١/ ١٢٦

٣) إن من استعد للقاء الله؛ انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخدمت من نفسه نيران الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله، وعكفت همته على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾

ابن القيم، طريق المهجرتين ١٧٦

٤) سمعت الشيخ ابن عثيمين وهو يعلق على قوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ يقول: كثير من الناس لا ينصرف ذهنه عند قراءة هذه الآية إلا للمال أو الطعام ونحوه، والحق أنها تشمل السمع والبصر وسائر ما عند العباد من أمور حسية ومعنوية.

د. عمر المقبل

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

(١) إلى من يتقطع قلبه على فوات شيء من نعيم الدنيا! سل ربك من واسع فضله، فإن ضاق عليك رزقك، فسل ربك القناعة، فذلك -والله- نعيم معجل.. يقول الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قال: نرزقه قناعة!

الزهد لابن حنبل ٢٧٨

(٢) ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قال بعض السلف: «الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة». علق ابن رجب: أهل الرضا تارةً يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متمهم في قضائه، وتارةً يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء؛ فينسيهم ألم المقضي به، وتارةً يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله؛ حتى ربما تلهذوا بما أصابهم لصدوره عن حبيبهم.

تفسير ابن رجب ٤٧٧/٢

(٣) إِنَّ الْحَيٰةَ بِلَا سَعَادَةِ الْإِيْمَانِ قَدْرٌ مُّشْتَرِكٌ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبَيْنَ النَّمْلِ عَلَىٰ ضَعْفِهِ، وَالْحِمَارِ عَلَىٰ ذَلِّهِ وَخُسْفِهِ، وَالْجَمَلِ عَلَىٰ إِذْلَالِهِ وَتَسْخِيرِهِ؛ فَإِذَا كَانُوا الْيَوْمَ يَسْمُونَ أَحْيَاءَ فَمِنْ هَذَا النَّوْعِ.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٣٥٢ /٢

(٤) نشرت بعض الصحف هذا اليوم خبر حاج ياباني وزوجته عند خروجهما من الحرم، وبعد أدائهما أول صلاة جمعة في حياتهما انفجرا باكيين، وقالوا: ولدنا من جديد، وكل ما مضى من حياتنا من لحظات سعيدة لا تعادل ولو جزءاً بسيطاً مما عشناه في المشاعر المقدسة، وصدق الله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾^(١).

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

(١) ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للضم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطيب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعاذة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١١٤/١

(١) نشرته جريدة الجزيرة السعودية في عددها الصادر يوم السبت ١١/١٠/١٤٣٠هـ..

٢) وفائدة الاستعاذة: ليكون الشيطان بعيداً عن قلب المرء وهو يتلو كتاب الله، حتى يحصل له بذلك تدبر القرآن وتفهم معانيه، والانتفاع به؛ لأنك إذا قرأته وقلبك حاضر حصل لك من معرفة المعاني والانتفاع بالقرآن ما لم يحصل لك إذا قرأته وأنت غافل، وجرّب تجد.

العثيمين، الشرح الممتع ٣/ ٥٣

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١٩)

إذا كثرت نفوذ الشيطان على ثغرات قلبك، فتفقد إيمانك وصدق توكلك، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

د. عمر المقبل

﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٠٣)

محاولة إسقاط هيبة النص القرآني في نفوس الناس، قديمة قدم الرسالة، تأمل قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾

د. عمر المقبل

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَدِّدٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١١١)

أبي هشام بن عبد الملك برجل بلغه عنه أمر، فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته، فقال له هشام: وتتكلم -أيضاً؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين! قال الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَدِّدٌ عَنْ نَفْسِهَا ﴾، أفيجادلون الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاماً؟ قال هشام: بلى، ويحك تكلم.

إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٤

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٣)

(١) من ظن أن أرضاً معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقاً لخصوصها أو لكونها فيها قبور الأنبياء والصالحين، فهو غلط، فأفضل البقاع مكة، وقد عذب الله أهلها عذاباً عظيماً، فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤٤٢ / ٢٧)

٢) تأمل حكمة تقديم الأمن على الطمأنينة في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾؛ فالطمأنينة لا تحصل بدون الأمن، كما أن الخوف يسبب الانزعاج والقلق، وفي قوله: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ سر لطيف؛ لأن إضافة اللباس إلى الجوع والخوف تشعر وكأن ذلك ملازم للإنسان ملازمة اللباس للابس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤٧/١٣ (بتصرف)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١٣١)

حين تغير آية مجرى حياة: عن أبي نضرة قال: قرأت هذه الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا.

تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٠٦/٧

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٢)

«الحنف» ميل عن الضلال إلى الاستقامة، كقوله تعالى عن الخليل: ﴿قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ أما «الجنف» فهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال، كقوله تعالى في شأن الوصية: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ (البقرة: ١٨٢).

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ٢٦٩/١

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٣٣)

قال تعالى عن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةَ﴾ (لقمان: ٢٠)، فجمع النعمة في آية النحل جمع قلة (أنعم)؛ لأن نعم الله لا تحصى، وإنما يستطيع الإنسان معرفة بعضها وشكرها وهو ما كان من إبراهيم، فذكر جمع القلة في هذا المقام، أما آية لقمان فجمعها جمع كثرة (نعمه)؛ لأنها في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس جميعاً.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤٠-٤١

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١١٥)

(١) ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ فعلی الداعية أن يُشعر نفسه بأنه يدعو إلى الله، لا إلى فرض السيطرة، أو إتمام الكلمة، أو إيراد الغيرة؛ لأن هذا خطأ، بل ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ فأى وسيلة يحصل بها المقصود، ولو كان فيها غضاضة عليك فاعملها.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط)

(٢) ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ الحكمة في تقييد الموعدة بالحسنة، بينما الحكمة لم يقيدها بذلك؛ لأن الموعدة لما كان المقصود منها -غالبًا- ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة، أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، أرشد الله رسوله أن يتوخى الحسن في موعظته بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير، كما قال تعالى للأخوين: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (١٣) ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٤٣ - ٤٤).

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤ / ٣٢٩

(٣) قد دلت الآية على أنه لا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس؛ لأن الأمر بالمعروف مستلزم لأذاهم؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة.

الشنقيطي، أضواء البيان ١ / ٤٦٤

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١١٧)

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ استعانة به، ورضا بأقداره، وانتظاراً للفرج منه، وطلباً للأجر من لدنه: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠).

أ.د. ناصر العمر

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

(١) من الحكم في التعبير بالتسييح في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ مع أن مقتضى الحال - حسب ما يظهر لعقولنا الضعيفة - أن يعبر بالحمد والثناء أنه ﷺ أخبرهم صبيحة الإسراء بما حصل، ولو كان كذبًا، لما تركه الله، فإن الله ينزه أن يترك شخصًا يكذب عليه مثل هذا الكذب من غير أن ينتقم منه، والله أعلم.

ابن عثيمين، المنتقى من فرائد الفوائد ١٦٦

(٢) من أساليب القرآن أنه قد يأتي بالشيء وهو معلوم بالبديهة اللغوية أو الحسابية أو العادية أو العقلية، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ فذكر الليل، ومن المعلوم أن الإسراء لا يكون إلا ليلاً؛ لزيادة استحضر صورة الإسراء في ذهن السامع، حتى يكون كأنه قد حضر تلك المعجزة، وهذا أشد في التأثير.

أحمد بن المنير، الانتصاف حاشية الكشاف ٧٥٠/٢

(٣) وجه الاقتصار على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية بذكر بركته، وعدم ذكرها في حق المسجد الحرام: أن شهرة المسجد الحرام بالبركة وبكونه مقام إبراهيم معلومة للعرب، وأما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله، فالعرب لا علم لهم به، والنصارى عقّوا أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه وأيسوا من عوده إليهم؛ فاحتيج إلى الإعلام ببركته.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٩/١٥

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾﴾

(١) مجيء قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ بعد قوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية، لبيان أن ما يهدي إليه القرآن، أقوم مما يهدي إليه الكتاب الذي قبله، وإن كان ذلك يهدي إلى الصراط المستقيم، لكن القرآن يهدي للتي هي أقوم.

ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية ١٦٢/٥

٢) قال ابن تيمية رحمه الله في رده على الفلاسفة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾ فأقوم الطرق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله ﷺ، وأما طريق هؤلاء فهي -مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم، وطولها في البعض الأخرى- إنما يوصلهم إلى أمر لا ينجي من عذاب الله، فضلاً عن أن يوجب لهم السعادة، فضلاً عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم.

الرد على المنطقيين ١٦٢

٣) سئل ابن باز: ما كتب العقيدة التي تنصحون بها؟ فأجاب: أعظم كتب العقيدة وأنفعها: كتاب الله القرآن، فيه الهدى والنور، فنوصي الجميع رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً أن يعتنوا به، فهو كتاب العقيدة والهدى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾.

مجموع فتاوى ابن باز ٧٣/٢٨

ثم أشار إلى بعض كتب أهل السنة، فانظر إلى هذه اللفتة التي تخرج من قلب متدبر.

٤) حدثني الشيخ عبدالعزيز السلطان رحمه الله عن نفسه أنه قال: قرأت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾ فتأملتها، فعزمت أن أقرأ القرآن قراءة أدرك بها بعض هداية القرآن للتي هي أقوم، فبدأته من أوله، وكنت أكتب ما فتح الله عليّ به من هداية الآيات؛ فكانت النتيجة كتاباً في مجلدين: «الأنوار الساطعات لآيات جامعات».

أ.د. عبدالعزيز العويد

٥) أعظم تغيير حصل في الحياة البشرية هو: ما أجراه الله على أيدي أنبيائه، وأعظم خطاب جرى به التغيير هو: القرآن المنزل على خير رسله، الذي من أبرز مفرداته وأكثرها ذكراً فيه هو: التذكير بالله، وأسمائه وصفاته، والآخرة، والموت، والتزهيد في الدنيا، والتحذير من التعلق بها. فهل خطابنا الإصلاحي الذي ننشد به التغيير اليوم يستمد روحه من هذا القرآن العظيم الذي وصفه ربنا بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾؟

فهد العيبان

٦) فرق بين قراءة أهل القرآن وقراءة غيرهم للأحداث:

- فهم يربطونها بالسنن يقودهم الوحي موقنين بأن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾، وغيرهم يغرق في تحليلات -قد يصيب بعضها- لكنك لا تجد فيها نصاً واحداً.
- لا يفصلون الأحداث عن سنن الله في الأمم، وغيرهم يحصرها بالأسباب المادية.
- يطرحون العلاج في ضوء الوحي وفهم السلف، وغيرهم قد ينطلق من واقع يضغط، أو ليرضي طائفة ما.

د. محمد الربيعة

﴿وَيَدْعُ الْاِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

قال الحسن في قوله: ﴿وَيَدْعُ الْاِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾: ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته، يغضب أحدهم فيدعو عليه، فيسب نفسه ويسب زوجته وماله وولده؛ فإن أعطاه الله ذلك شق عليه!! فيمنعه الله ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه.

الدر المنثور ٢٦٦/٩

﴿اَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

(١) بعد الموت الحساب الدقيق عن كل عمل عملناه، أحصاه الله ونسوه، في كتاب لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، يفاجأ به العبد يوم القيامة، ويوضع تحت عينيه فيقال له: ﴿اَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٣

(٢) حياتك بعد موتك كتاب سيقراه الآخرون فأحسن كتابته، ولا تظن أن جودة الغلاف تنفع إذا كانت معلومات كتابك رديئة أو سيئة؛ فغداً يقال: ﴿اَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. د. عمر المقبل

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

(١) تأمل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ ولم يقل: عجلنا له ما يريد؛ بل قال: ﴿مَا نَشَاءُ﴾ لا ما يشاء هو ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾؛ فمن الناس: من يعطى ما يريد من الدنيا، ومنهم: من يعطى شيئاً منه، ومنهم: من لا يعطى شيئاً أبداً، أما الآخرة فلا بد أن يجني ثمرتها إذا أراد بعمله وجه الله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١٨/١

(٢) تدبر هذه الصفات التي وصف الله بها الصادقين في طلب الآخرة: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ فلا بد من إرادة، لكنها لا تكفي وحدها بل لا بد من السعي: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ والإرادة والسعي لا يكفيان وحدهما بل لا بد من الإيمان: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فاللهم امن علينا بذلك.

د. عبدالرحمن العقل

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝١١﴾

البون الشاسع بين الطلاب في الدرجات والمعدلات ما هو إلا معيار من معايير التفاضل في أمر الدنيا، وقد جاء التوجيه القرآني بالحث - عند الانشغال بالتفاضل الدنيوي - على تذكر التفاضل الأخروي، الذي هو أكبر وأعظم، والمؤمن الموفق له في كل شيء عبرة: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝١١﴾.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا ۖ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾

١) ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ في تعليق الحكم - وهو الأمر بالإحسان - بلفظ (الوالدين) المشتق من الولادة؛ إيدان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية، سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارين أو فاجرين، محسنين إليه أو مسيئين.

ابن باديس، تفسيره ٦٧

٢) ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ لاحظ التقييد بالظرف ﴿عِنْدَكَ﴾ إنه يشعر بمسؤوليتك تجاه أبويك ولو كانا في منزل مستقل، بل ولو كانا في بلد وأنت في بلد غيره.

د. عبدالمحسن العسكر

٣) يحتاج الوالدان في كبرهما إلى مراعاة خاصة، أعظم مما يحتاجان إليه في شبابهما وقوتهما؛ ذلك أنهما ينتظران من أبنائهم رد الجميل وحسن الوفاء، ويصبح حسهما مرهفًا، فتسعدهما الكلمة الطيبة، ويحزنان لما خالف ذلك، مهما كانت يسيرة في نظر المتكلم. تدبر: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ الآية.

أ.د. ناصر العمر

٤) قال ابن عقيل: من أحسن ظني بري، أن لطفه بلغ أن وصى بي ولدي إذا كبرت فقال: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا﴾.

الآداب الشرعية ٣٨٤/٢

فما أحوجنا - أهل القرآن - أن نحسن الظن برينا مهما طال الزمن واشتدت المحن، قال تعالى - في الحديث القدسي -: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»^(١).

(١) أحمد ح (١٦٠١٦)، والحاكم ح (٧٦٠٣)

﴿وَأَمَّا نَعُضِّنَ عَنْهُمْ أَيْتَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَأَمَّا نَعُضِّنَ عَنْهُمْ أَيْتَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ هذا تأديب عجيب، أي: لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض، وعائق يعوق، وأنت عند ذلك ترجو من الله فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل، فإن قعد بك الحال ﴿فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١٠

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٢٤﴾﴾

أيما امرئ يعطي كلمة لإنسان بعمل مشروع - حتى لو كان لقاء-؛ يصبح بموجب كلمته مسئولاً مسئولية صارمة، وذلك هو قول الحق سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾. د. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم ١٤٢

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

ما فائدة قوله: ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾، وظاهر في أنه لا يكون ذلك إلا إذا كال؟ ج: لتخصيص الأمر بالإيفاء إذا كال المسلم لغيره؛ لأنه قد يبخسه حقه، بخلاف إذا اکتال لنفسه من غيره، فإنه حينئذ مأمور بالتسامح والترك، ويتضح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٣).

د. صالح العايد، نظرات لغوية (٢١٧)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾

(١) ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الجوارح كالسواقي توصل إلى القلب الصافي والكدير، فمن كفها عن الشر، جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط، فأذابتها وكفى بذلك حمية، فإذا جاء الدواء، صادف محلاً قابلاً، ومن أطلقها في الذنوب، أوصلت إلى القلب وسخ الخطايا وظلم المعاصي.

ابن الجوزي، التبصرة ٢٠٨/٢

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٤٢﴾ لما كانت هذه الأعضاء الثلاثة هي أشرف الأعضاء وملوكها والمتصرفة فيها والحاكمة عليها؛ خصها ﴿٤٢﴾ بالذكر في السؤال عنها، فسعادة الإنسان بصحة هذه الأعضاء الثلاثة، وشقاوته بفسادها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ١٠٧/١

﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾

إن آفاق السماء وفجاج الأرض تسبح بحمد ربها؛ فلماذا نشذ نحن ولا نصطبغ بما اصطبغ به الكون كله؟ إن العصيان اختراق لقاعدة عامة، أو هو نعمة فاجرة، بين أنغام طاهرة، ترنو إلى البارئ الأعلى في استكانة وتфан وإعظام.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٢٨

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَيَّ آدْبُرُهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿٤٦﴾
(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿٤٥﴾ بعض أهل التفسير يقولون: ساترًا. والصواب حملة على ظاهره، وأن يكون الحجاب مستورًا عن العيون فلا يرى، وذلك أبلغ.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة، ٢٣٧/١

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَيَّ آدْبُرُهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿٤٦﴾ فتدبر ما ذكره الله عن أعداء الرسل من نفي فقههم وتكذيبهم تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله، وعن تدبر كتابه واتبع ما تتلوه الشياطين وما توحيه إلى أوليائها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/١٢

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٥٧)

(١) إن الشيطان متربص بالبشر، يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأن يجعل من النزاع التافه؛ عراكًا داميًا، ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٧٠

(٢) ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ولم يقل: يقولوا الحسن ففيها إرشاد إلى انتقاء أحسن الكلمات في التخاطب بينهم؛ فإن الشيطان ربما نزغ في الكلمة الحسنة إذا كان يمكن التخاطب بأحسن منها.

د. صالح البهلال

(٣) ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ذلك أنّ من مواطن حضور الشيطان وتأثيره: مواطن الخلاف والشجار، فيجد فرصته عند ذلك، والعاصم من تأثيره -ياذن الله-: أن تقول القول الأحسن والأرفق؛ وبهذا تحقق عبوديتك لله، فيقيد شره تحقيقًا لوعده: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الإسراء: ٦٥).

أ.د. ناصر العمر

(٤) أربعة يدخلون الإسلام بسبب معاملة كفيلهم الحسنة (خبر صحفي). من تأمل القرآن المكي وجده مليئًا بالتأكيد على حسن الخلق، وأثره في كسب أتباع جدد للإسلام، وفي سورة الإسراء -وهي مكية-: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وسيرته ﷺ كانت ترجمة عملية لهذه الآية، فما أحوجنا وأحوج من تعاملهم -من كبير وصغير وخدام- إلى هذا الهدى القرآني.

متدبر

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾
﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (٥٩)

(١) ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ قال قتادة ﷺ: إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته؛ لعلمهم يعتبون أو يذكرون أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعقبكم فأعتبوه.

الدر المنثور ٣٠٨/٥

٢) هل أنت كما أنت؟! أما هو ﷺ فقد جر داءه فرغاً حين رأى آية الشمس؛ إنه القلب المدرك لحقيقة هذه الآيات ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، فهل تضطرب قلوبكم يا أهل القرآن عند حدوث هذه الآيات، ورؤية آية الشمس؟

د. عصام العويد

٣) الزلازل والبراكين أحداث كونية يحذر الله بها عباده، وهذا لا يتعارض مع أي تفسير علمي صحيح، كما هو في الخسوف والكسوف.

وقصر تفسير حدوثها على الجانب العلمي المجرد صرف لها عن حقيقة أسبابها وثمرتها وقوعها، تدبر: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف). ولكن: ﴿وَمَا تَعْبَىٰ الْآيَاتِ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١)!

أ. د. ناصر العمر

٤) الزلازل آية ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ بعض الصحف نشرت اليوم خبراً عن بعض الهزات الأرضية التي أصابت منطقة المدينة النبوية، ودعت المواطنين لأخذ أسباب الحذر، وللأسف ففوق هذا الخبر مباشرة خبر آخر يتضمن صور نساء متبرجات، هل من الدين -بل العقل- أن يخوفنا الله تعالى فلا نخاف؟!

٥) يحزنك أن بعض المتحدثين في الإعلام يسعى لتهوين أمر الزلازل بربطه بعوامل جيولوجية وأسباب مادية، في تهيش غريب للسبب الشرعي الذي دلّ عليه قول مرسل هذه الآيات: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، فأين هؤلاء من هذا الحصر: ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؟ إنها آية لم يشهد بلدنا مثلها، حيث بلغت الهزة ٥,٧ درجات، وأوقفت الدراسة في عدد من المدارس، ومؤشرات عن ثوران بركان جبل أبي نار، فمتى نعتبر؟! (١)

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُعِينًا كَبِيرًا﴾ (٦٠)

آيات الله الكونية للتخويف، وإشعار الإنسان بقدرة الله وقوته، الموفق يتذكر والمحروم يتكبر ﴿وَنُحُوفُهُمْ مَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُعِينًا كَبِيرًا﴾

عبدالعزیز الطریفی

(١) أرسلت هذه الرسالة إبان الهزات الأرضية التي أصابت منطقة المدينة النبوية.

﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يُعَدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿٦٤﴾

تنبه يا مؤمن! وتأمل قول ربك لعدونا إبليس: ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾، ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية ﴿ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾، ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله، فهو من خيل الشيطان ورجله.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٦١

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ ﴿٦٥﴾

إذا رأينا للشيطان علينا غلبة وسلطاناً، فلنتحقق من عبوديتنا لله تعالى؛ فإن الله يقول: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾.

أنس العمر

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٧٠﴾

كم احتفى القرآن بقصة آدم ﷺ، وبتكريم الإنسان، وجعله منطلقاً للحضارة الراقية! ثم تنقلب الموازين لدى ما يسمى بالعالم المتحضر؛ ليضم الإنسان إلى جملة الموارد التي يجمعون بها المال ويشبعون بها الشهوات، مثله مثل باقي الموارد المادية والمالية التي تحتاجها المؤسسات، وهذا ما جعل الدنيا تعلقوا والآخرة تحبوا!

متدبر

﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٧٢﴾

من كان مستوحشاً مع الله بمعصيته إياه في هذه الحياة، فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مجموع خطبه ٢٧٤

﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

(١) الآية دالة على أن القبيح يعظم قبحة بمقدار عظم شأن مرتكبه وارتفاع منزلته، وعلى أن أدنى مدهانة للغواية مضادة لله، وخروج عن ولايته؛ فعلى من تلاها أن يتدبرها وأن يستشعر الخشية وعظيم التصلب في الدين.

البقاعي، نظم الدرر ٤٨٩/١١

(٢) ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿قَفِ مَتَدَبِّرًا لَقَدْ قَلِيلًا﴾ ﴿وَإِنظِرِ الْوَاقِعَ؛ ثُمَّ تَأْمَلِ الْعَاقِبَةَ الْمَذْهَلَةَ﴾ ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾

(١) ذكر الله في كتابه أوقات الصلوات، تارة ثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، وأما الخمس فقد ذكرها أربعة: في قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿٧﴾ وَهُوَ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ (الروم: ١٧ - ١٨)، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ ﴿١٣٠﴾ (طه: ١٣٠)، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ ﴿٤٠﴾ (ق: ٣٩ - ٤٠)، والسنة فسرت ذلك وبينته وأحكمته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨٤/٢٢

(٢) ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ فواحسرتاه عليك أيها الطين الخامل في نتونة العلق! كيف تبالغ في قتل حياتك وخنق أنفاسك عن شهود طلوع الفجر؟! كيف تنفي نفسك عن رياض الحياة الريانة؟! فعلى أي جنب تنام بعد ذلك أيها الإنسان!؟

د. فريد الأنصاري، فتاوى الصلاة ١٠٤

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿٧١﴾

في هذا تنبيه للمؤمنين على حسن عاقبة القائمين لربهم في جنح الليل، وما يكون لهم من مقامات عند ربهم على حسب منازلهم، فكما كان المؤمنون ملحقين بنبيهم في مشروعية هذه العبادة، كذلك هم ملحقون به في حسن الجزاء عليها.

ابن باديس، تفسيره ١٤١/١

﴿ وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

وذلك هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا على الله، وهو دخول وخروج بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد؛ فإنه لا يزال داخلًا في أمر وخارجًا من أمر، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق.

ابن القيم، حادي الأرواح ١٠١/١

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾

(١) قال الحسن رضي الله عنه: لا ينتفع بالموعظة من تمر على أذنيه صفحًا، كما أن المطر إذا وقع في أرض سبخة لم تنبت.

جامع بيان العلم ٥٦٥/١

(٢) نتيجة القراءة: قال بعض السلف: ما جالس أحد القرآن، فقام عنه سالمًا، بل إمّا أن يربح وإمّا أن يخسر، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ﴾.

تفسير ابن رجب ٦٣٩/١

(٣) مرضٌ وعلاجه: كل معصية يأتي بها الجسد هي من فساد في القلب ومرض به، وإنّ الله تعالى قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن؛ فقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ﴾، فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوه ويتدبروه ويستشفوا به بألفاظه ومعانيه.

ابن باديس، تفسيره ٣٦

(٤) ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ﴾ ابتليت بعشق محرم، تشتت معه قلبي، وأهملت بسببه طلب العلم، فسألت أحد المشايخ، فأوصاني بثلاث وصايا، لم أنفذ منها إلا واحدة، وهي وصيته لي بأن أقرأ القرآن بتدبر، وطلب شفاء القلب من داء العشق، ففعلت هذا، فوالله الذي لا إله غيره إني كرهت العشق وبدأت أهتم بالعلم، وتحسنت نفسي.

متدبر

﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ (٨٤)

في الصحيح: «كُلُّ مَيَسَّرَ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١)، فاكتشف مواهبك وقدراتك، ونمِّها واستعملها في سبيل دينك وأمتك وأسرتك، ولا تتكلف ما لم تعط، فتكون كالمُنْبِتِّ: لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، وتدبر: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ ﴾ ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبُهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ ﴾ (البقرة: ١٤٨).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ (١٠٦)

عن مجاهد أن رجلاً سأله عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة فقط، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد؟ فقال مجاهد: الذي قرأ البقرة فقط أفضل، ثم تلا: ﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾.

فتح الباري لابن حجر ٨٩/٩

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ۚ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (١٠٧) ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (١٠٨) ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (١٠٩)

(١) من أوتي من العلم ما لا يبكيه فقد أوتي من العلم ما لا ينفعه.

الآجري، أخلاق العلماء ٣٤٧/٥

(٢) قال سفيان الثوري: من أبكاه علمه فهو العالم؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴾ (مريم: ٥٨).

تنبيه المغترين للشعراني ٩٦

(٣) ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ هكذا مُدْحِوا بالبكاء والخشوع عند سماع القرآن، فكيف نكون كذلك؟ إن فهم وتدبر ما نقرأه أو نسمعه من كلام ربنا من أعظم يحقق ذلك، فجرب أن تحدد وقتاً تقرأ فيه معاني ما ستسمعه في التراويح من تفسير مختصر كـ «المصباح المنير» أو «السعدي»، جرب فستجد للصلاة طعمًا آخر.

(١) البخاري ح (٤٩٤٩)، ومسلم ح (٢٦٤٩).

سورة الكهف

في كل سبعة أيام تأوي إليها؛ لتأمن من غوائل الفتن.. سورة افتتحت بالوسيلة العظمى للنجاة من كل فتنة: «القرآن»، واختتمت بالحسنة العظمى التي لا يبقى معها أثر لأي فتنة: «التوحيد»، وبينهما أربع فتن كبار: فتنة الدين، ونجاتها في ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨) والمال: ونجاتها في ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٣٦) والعلم: ونجاتها بالصبر، والسلطة: ونجاتها بالعدل.. هي «كهفك» من الفتن فأو إليها ينشر لك ربك من رحمته.

د. عصام العويد

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ (٢)﴾

ف قوله ﴿قِيمًا﴾ أي: مستقيمًا لا ميل فيه، ولا زيغ؛ وعليه: فهو تأكيد لقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ لأنه قد يكون الشيء مستقيمًا في الظاهر، وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر؛ ولذا جمع تعالى بين نفي العوج، وإثبات الاستقامة.

الشنقيطي، أضواء البيان ٥/٤

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ (٧)﴾

لقد اغتر بزخرف الدنيا وزينتها الذين نظروا إلى ظاهرها دون باطنها، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تمتع السوائم، همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذاته، لا لما قدمت يدها من التفریط والسيئات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٧٠

﴿إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾
 تأمل في قول فتية أهل الكهف: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشداً، مع كونه عملاً صالحاً، فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبيه، أو يورثه العجب والكبر!﴾

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره ٢٤٢

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

ذكر الجارحة التي هي الأذان - التي منها يكون السمع - لأنه لا يستحکم نوم إلا مع تعطل السمع، وفي الحديث: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه»^(١) أي: استثقل نومه جداً حتى لا يقوم بالليل.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

تأملت ثبات الفتية، وتساءلت عن السبب، فإذا هو الاعتصام بالله، وأخذ الأسباب المنجية في أمثال قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾، ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْىءُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ (الكهف: ١٦)، فاحفظ الله يحفظك.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْىءُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

من ثمرة الإيمان أن أصبح الكهف الضيق الذي لا يعد للسكنى منشوراً بالرحمة والتهيئة والارتفاق؛ فاعلم أن الأمر كله لله، وأن الأمور بحقائقها، لا بما يراه أهل الدنيا منها.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَافًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَتٌ مِنْهُمْ رِعْبًا ﴿١٨﴾﴾

(١) تأمل قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ﴿فيه دليل على أن فعل النائم لا ينسب إليه، فلو طلق، أو قال: في ذمتي لفلان كذا، لم يثبت؛ لأنه لا قصد له. وفي تقليبيهم وعدم استقرارهم على جنب واحد فائدة بدنية: وهي توازن الدم في الجسد.﴾

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٣٥

(١) البخاري ح (٣٢٧٠)، ومسلم ح (٧٧٤)، والنسائي ح (١٦٠٨)، وأحمد ح (٤٠٥٩).

(٢) ﴿وَكَلْبُهُمْ بَنَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء - حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه-؛ فما ظنك بالمؤمنين الموحيين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين؟ بل في هذا تسلية وأنس للمقصرين، المحبين للنبي - وآله خير آل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١٣

(٣) انظر الفرق! كيف نسب الله - في سورة الكهف - الكلب إلى الفتية؛ لأنهم صالحون، بينما في سورة الفيل نسب أبرهة وجيشه إلى الفيل؛ لحقارتهم عند الله.

متدبر

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِ لُؤَا بَيْنِهِمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

(١) في قصة أصحاب الكهف تكررد العلم إلى الله: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا﴾ (الكهف: ١٩)، ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ (الكهف: ٢١)، ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَادَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢)، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ (الكهف: ٢٦)؛ لأن العبرة هو العلم بثباتهم وتبرؤهم مما عليه قومهم، وأما غيره فالجهل به لا يضر.

د. محمد الخضيري

(٢) ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ هذه الآية تدل على صحة الوكالة، وهي أقوى آية في إثباتها.

ابن العربي، أحكام القرآن ٢٩٦/٥

(٣) الاحتراز عن الأمور الضارة، وكتمان السر الذي تضر إذاعته ضرراً عاماً أو خاصاً، كل ذلك من كمال العقل، تأمل قوله ﷺ: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

٤) فسر بعض الأئمة قوله تعالى - في قصة أصحاب الكهف -: ﴿فَلْيَنْظُرْ أُنْبِيَآ أَرْكَانَ طَعَامَا﴾ أي: أيها أهل، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم^(١). وفي هذا إرشاد لتفقد الحلال في المطعم، وأن لا تنسينا لذة الطعام وجوده.

د. محمد الربيعة

٥) ﴿وَلَيْتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ (يوسف: ١٠٠)، ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧)، عند التمعن في هذه الآيات: يتضح أن تحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة مهما كانت قوة ومنزلة صاحبها.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ (١١)

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ اعلم أن أكثر أهل القبور من الأنبياء والصالحين يكرهون ما يفعل عند قبورهم كل الكراهة؛ فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته، مشغولين بقبره عما أمر به ودعا إليه.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٦٩

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (١٢)

١) ﴿سَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولم يقل: رجماً بالغيب، بل سكت، فهذا يدل على أن عددهم سبعة، وثمانهم كلبهم؛ لأن الله عندما أبطل القولين الأولين، وسكت عن الثالث؛ صار الثالث صواباً.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٤٢

(١) تفسير الطبري (١٧/٦٣٩).

(٢) قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿روي أنه ﷺ سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال، وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم^(١)﴾.

الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٨٤

(٣) ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿فيها إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي أن يستفتي من ليس أهلاً للإفتاء، حتى وإن زعم أن عنده علماً فلا تستفته إذا لم يكن أهلاً﴾.

ابن عثيمين، تفسير الكهف ٤٤

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾

(١) عشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم، خصال تعتمد على الصبر الجميل ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٣

(٢) ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ هل تدبرنا لمن وجه هذا الخطاب؟ وكيف أن الذين طولب بصحبتهم أقل منه منزلة! بل وحذرهم من تركهم طلباً لزينة الحياة الدنيا! إنه لدرس بليغ في بيان ضرورة مصاحبة الصالحين، والصبر على ذلك، وأن الدعوة إنما تقوم على يد من قويت صلتهم بربهم، ولو كان حظهم من الدنيا قليلاً!

د. عمر المقبل

(٣) فتش في صداقاتك:

الفاسق المصر على الفسق لا فائدة في صحبته؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/١٧١

(٤) الغفلة مضادة للعلم، منافية له، وقد ذم سبحانه أهلها، ونهى عن الكون منهم، وعن طاعتهم والقبول منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١١٤

(١) ويعني ﷺ بالعلم: العلم الشرعي.

﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ ﴿لم يقل لا تطعم من أسكتنا لسانه، بل قال: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾، وما أكثر ذكرنا باللسان مع غفلة الجنان، وهذا لا شك أنه ينقص الثواب، وينقص الآثار المترتبة على الذكر مثل: صلاح القلب، والاتجاه إلى الله، والإنابة إليه، وغير ذلك.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد ٤٠٢-٤٠٣

٦) تدبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ ﴿إن الجملة الأخيرة تدل على أن الأمر الفرط، أو الوضع السائب، أو المجتمع المحلول، يجيء ثمرة غفلة القلب، واتباع الهوى، سواء أكان ذلك في أحوال النفس أم في أخلاق الجماعة!

محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين ١٢٢/١

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢٠﴾﴾

كان الذي يتوقعه الإنسان أن يقول تعالى: (إننا لا نضيع أجرهم)، لكنه تعالى قال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ لبيان العلة في ثواب هؤلاء، وهو أنهم أحسنوا العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا يخفى ما في الآية الكريمة من الحث على إحسان العمل.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٦٤-٦٥

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَنَاهُمَا بِبَخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٢٣﴾﴾

في سورة الكهف ضرب الله مثلاً برجلين جعل لأحدهما جنتين، فتكبر، فكان عاقبته كبره الخسار، ومن اللطائف: أن هذه القصة جاءت بعد أمر الله تعالى لنبيه أن يصبر نفسه مع ضعفاء المؤمنين، خلافاً لكبراء قريش، الذين تكبروا عن الجلوس معهم، فكان عاقبتهم الخسار، كما كان عاقبة صاحب الجنتين.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٠٣/٣

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾

١) قوله تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ﴿أفرد الجنة مع أنهما جنتان؛ لأن قوله هذا لم يقله إلا حين دخل إحداها، إذ لا يمكن دخوله فيهما معاً في وقت واحد.. وللزمخشري جواب آخر لكن استنكره الشنقيطي.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٧٤/٣

٢) جميع أصحاب قصص سورة الكهف خرجوا وغيروا مكانهم فنجحوا، إلا صاحب الجنتين، أسره ماله وانكفاً على نفسه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾؛ فكان الخاسر الوحيد.

د. عويض العطوي

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ (٣٧)

من أعظم ما يذكر به المتكبر والجاحد للنعم: تنبيهه على أصل خلقته، التي يستوي فيها الأغنياء والفقراء، والملوك والسوقة، وهذا ما سلكه الرجل المؤمن -وهو يجاور صاحبه المتكبر-: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا ﴾ (٣٨)

قال ابن هبيرة عند هذه الآية: لم يقل (ما شاء الله كان) أو (لا يكون)، بل أطلق اللفظ؛ ليعم الماضي والمستقبل والراهن.

ذيل طبقات الحنابلة ٢٢٢/٣

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٤٢)

هناك من يقبل الحوار ظاهراً، لكنه يمارس عقلية العناد والاستكبار واقعاً، فلا ينفع معه في نهاية المطاف إلا إخضاعه لمنطق الحق والقوة، كما في قصة مالك الجنتين، إذ حاوره صاحبه حواراً إيمانياً منطقياً، فكابر وعاند، فوجه له سهام (الدعاء) التي أحاطت بثمره، فعض أصابع الحسرة والندم: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

إنما شبه تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحدة، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفتنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدرٍ كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٩/١٣

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

(١) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام.

معالم التنزيل ١٧٤ / ٥

(٢) إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا؛ لكن مع قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/١٣

(٣) تقديم المال على البنين في الذكر؛ لأنه أسبق لأذهان الناس؛ ولأنه يرغب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٧٧/١٥

(٤) ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (مريم: ٧٦) الباقيات الصالحات هن الكلمات الماثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن لم يقدر له بلوغ رحاب البيت العتيق، لعرض أو لمرض، فلا تفته عشر ذي الحجة المباركة، فيعمل فيها أعمالاً هي أفضل من الجهاد في سبيل الله في غيرها.

د. سعود الشريم

﴿ وَوَضَعَ الْكُتُبَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّئْنَا مَالَهُذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ﴿٤٩﴾

(١) قال عون بن عبد الله: ضج - والله - القوم من الصغار قبل الكبار

التمهيد ٨٤/٢

فتأمل - وفقك الله - هذه اللفتة من هذا الإمام في التحذير من صغار الذنوب التي يحتقرها كثير من الناس، مع أنها قد تجتمع على المرء فتهلكه.

(٢) قال قتادة رضي الله عنه: اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحدٌ ظلمًا، فإن الله لا يظلم أحدًا، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

الدر المنثور ٥٦٤/٩

(٣) من عشرين عاماً كلما قرأت هذه الآية أشعر أنني أنا المخاطب بها، وأحاول استعراض ما فعلت في الأسبوع وأعلم أن السيئات كتبت ورفعت إلى يوم الحساب ولن ينجيني سوى كثرة الاستغفار والتوبة.

متدبر

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿٥٠﴾

(١) ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب! وهو أنني عادت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعادة أن عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة؟

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٦)

(٢) معنى هذا الخطاب: إني عادت إبليس وطرده من سمائي، وباعدته من قربي، إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بنيه توالونه وذريته من دوني وهم أعداء لكم، فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه الأرواح، وأكثر القرآن جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن واللفظ والنصيحة البالغة.

ابن القيم، طريق المهجرتين ٢٢١

﴿ ٣ ﴾ يَتَسَلَّلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿ أَي: بدل ولاية الله ﷻ بولاية إبليس وذريته، وذلك هو التعوض من الجن بالباطل، وهذا هو نفس الظلم؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٥٤٩/٣

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ ﴾

من الحكمة في ذكر قصة موسى والخضر بعد قوله: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ «ليعلم نبيه ﷻ أَنَّ تَرَكَ اللهُ تَعَالَى تَعَجِيلَ الْعَذَابِ لَهُؤْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ؛ بِغَيْرِ نَظَرٍ مِنْهُ لَهُمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ -فِي مَا يَحْسَبُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا اللهُ مُدَبِّرٌ فِيهِمْ- نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ، فَالْمَعْنَى: أَنَّ مَا لَهُمْ إِلَى هَلَاكِ وَبُورِ السَّيْفِ فِي الدُّنْيَا، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ فِي الْآخِرَةِ الْحَزِي الدَائِمُ مِنَ اللهِ».

ابن جرير، جامع البيان ٣٦٨/١٥

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

قد يستغرب البعض بل قد ييأس، وهو يرى بعض الكفرة يبغون ويظلمون، ومع ذلك لم يأخذهم الله بعذاب، ولكن من فقه سنن الله، وآثارها في الأمم السابقة لا يستغرب ولا ييأس؛ لأنه يدرك أن هؤلاء الكفرة يعيشون سنة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلى مزيد من الظلم والطغيان، وبالتالي إلى نهايتهم وهلاكهم؛ لكن في الأجل الذي حدده الله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾

عبد العزيز الجليل

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

(١) بَوَّبَ الْبَخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ: «بَابُ الْخُرُوجِ -أَي: الرَّحْلَةُ وَالسَّفَرُ- فِي طَلْبِ الْعِلْمِ»، وَأُورِدَ قِصَّةَ مُوسَى ﷺ لَمَّا رَحَلَ إِلَى الْخَضْرِ؛ لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ مِنْهُ، وَكَانَ الْخَضْرُ بِمَكَانٍ يَلْتَقِي فِيهَا بَحْرَانِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف: ٦٠) أَي: زَمَانًا طَوِيلًا مَجْتًا عَنْهُ.

صحيح البخاري ٤٤٤٧/٧٨

(٢) إِنَّ فِيهَا عَآئِدَاتُ مَوْسَى مِنَ الدَّآبِّ وَالسَّفَرِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْعِلْمِ، مَعَ مَحَلِّ مَوْسَى مِنَ اللَّهِ وَمَوْضِعِهِ مِنْ كِرَامَتِهِ وَشَرَفِ نُبُوَّتِهِ دَلَالَةً عَلَى ارْتِفَاعِ قَدْرِ الْعِلْمِ، وَعَلَوْ مَنَزَلَةِ أَهْلِهِ، وَحَسَنِ التَّوَاضُعِ لِمَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ.

الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث ١٠٦

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ ﴾

في قصة موسى والخضر جاء وصف رجوع الحوت إلى البحر في سياق إخبار الله ﴿ سَرَبًا ﴾، وفي وصف الفتى: ﴿ عَجَبًا ﴾، لعل ذلك؛ لأن الوصف الأول هو وصف الله سبحانه للأمر، وخروج السمكة حية بعد أن كانت ميتة، ودخولها في البحر: أمر هين ويسير على الخالق، أما بالنسبة لمخلوق كغلام موسى؛ فإنه أمر في غاية العجب؛ لذلك قال: ﴿ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾. د. عويض العطوي

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاِنَّا غَدَّآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ ﴾

(١) في قوله تعالى: ﴿ ءَاِنَّا غَدَّآءَنَا ﴾ دليل على اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو رد على الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون الصحاري والقفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/١٣

(٢) ﴿ ءَاِنَّا غَدَّآءَنَا ﴾ تدبر قصة موسى مع فتاه وخادمه؛ تجد كرم الخلق، ولطافة المعاملة، وحسن الصحبة: يخبره بتفاصيل مسيره، ويشركه في طعامه، ويعذره في خطئه، بل يدخل السرور على نفسه إذهابًا لروعه: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ (الكهف: ٦٤)، وتأمل واقع كثير من الناس مع خدمهم، بل مع أبنائهم وطلابهم تدرك أين هم من أخلاق النبوة.

أ. د. ناصر العمر

(٣) في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدر في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١١

٤) تأمل هذا الأدب الرفيع والخلق السامي بين موسى وفتاه ﷺ: فموسى يعامله كرفيق لا خادم: ﴿ءَاِنَّا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، وفتاه يُحْمَلُ نفسه المسؤولية وحده: ﴿فَاِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطٰنُ﴾ مع أن الحقيقة أنهما ﴿نَسِيَا حَوْتَهُمَا﴾ جميعًا.. إنها أخلاق الأنبياء! أ.د. ناصر العمر

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاٰتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِّن لَّدُنَّا عِلْمًا ١٦٥﴾

عندما اختار الله معلمًا لنبيه موسى ﷺ مدح هذا المعلم بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاٰتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِّن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ فقدم الرحمة على العلم؛ ليدل على أن من أخص صفات المعلم: الرحمة، وأن هذا أدعى لقبول تعليمه، والانتفاع به.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ١٦٦﴾

١) قال قتادة ﷺ: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء؛ لا كتفى موسى ﷺ، ولكنه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾

جامع بيان العلم وفضله ٤١٩/١

٢) ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ فيها دليل على أَنَّ المتعلم تبع للعالم، ولو تفاوتت المراتب.

ابن العربي، أحكام القرآن ١٢٤٥/٣

٣) ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ بدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعتة، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، وقوله: ﴿عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي﴾ يبين أنه لم يأت ليتمحن ولا ليتعنت، إنما جاء متعلماً مستزيداً.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٥٠/١

٤) في قول موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ التأدب مع المعلم، وخطابه بالطف خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جداً، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٨٢

٥) قول موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ نموذج لطالب العلم الجاد والأدب مع العلماء، فموسى ﷺ نبي مرسل، ولم تكن تلك المنزلة لتمنعه أن يتعلم ممن أقل منه، بل قطع الفيافي والقفار، ولم يتعاطم على العلم، وذهب في سبيله واجتهد حتى وصل.

د. عويض العطوي

أين هذا الأدب من بعض الطلبة والسائلين الذين يظهرون ترفعا واستغناء عن يسألونه بسبب تقارب السن، أو القرابة، أو لغير ذلك من الأسباب؟

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٦٧)

حكم عليه بعادة الخلق في عدم الصبر عما يخرج من الاعتياد، وهو أصل في الحكم بالعادة. ابن العربي، أحكام القرآن ٢٤٠/٣

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦٨)

من أخطاء بعض الشباب - بل بعض طلاب العلم - اقتصارهم على ما في بطون الكتب، وإهمال خبرات من سبقهم علما وتجربة، ومن تدبر القرآن رأى عنايته بهذا الأمر، تدبر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ و﴿فَسْتَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩) وتحقق ما توقعه الخضر؛ ولذا استفاد موسى من ذلك، فقال للنبي في حديث فرض الصلاة: «إن أمتك لا تطيق ذلك؛ فقد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم»^(١).

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩)

١) عندما أمر الله رسوله - في سورة الكهف - ألا يقول لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا بعد أن يقول: إن شاء الله؛ بين له القدوة في فعل أخيه موسى حين قال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

د. محمد الحضيري

٢) من أعظم ما يحتاجه طالب العلم مع شيخه: الصبر في طلبه، والأدب مع شيخه، وقد جمعها الله في قول موسى ﷺ للخضر: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

د. محمد الربيعة

(١) مسلم ح(١٦٢)، وأحمد ح(١٢٥٠٥).

﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾

١) بادر موسى بالإنكار التهايباً وحميةً للحق فقال: ﴿أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ ولم يقل: (لتغرقنا) فنفسي نفسه، واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول: «نفسي نفسي» لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياه على نصح الخلق، والشفقة عليهم والرأفة بهم.
القاسمي، محاسن التأويل ٧٠/١١ (بتصرف)

٢) ﴿أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ هنا ملحم لطيف: فموسى ﴿﴾ قال: لتغرق أهلها، ولم يقل (تغرقنا) فلم يذكر نفسه ولا صاحبه، رغم أنهما كانا على ظهر السفينة؛ لأن هذه أخلاق الأنبياء: يهتمون بأوضاع الناس أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.
د. عويض العطوي

٣) قوله تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ فيه دلالة على أنَّ قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، وغير مالكة للصبر على احتمال؛ لأنَّ موسى ﴿﴾ وعد الخضر أن يصبر على ما يراه منه، فلما رأى ما رأى أنكره عليه.

القصاب، نكت القرآن ٢١٥/٢

٤) قال موسى للخضر لما خرق السفينة: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ وقال له لما قتل الغلام: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ فما الفرق بينهما؟ الأمر أهون من النكر، وقد لا يكون منكراً كالنكر، وإنما يتعجب منه ومن الغرض منه، والنكر هنا أشد؛ لأنه فعل منكر قد وقع وهو قتل الغلام بخلاف خرق السفينة فإنها لم تغرق بذلك.

الإسكافي، درة التنزيل ١٥٧-١٥٨

﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَٰ غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَفَنَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾

١) ﴿ قَالَ أَفَنَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ استدل بهذه الآية طائفة من العلماء على أنَّ الغلام كان بالغاً، واستدل آخرون بنفس الآية على أنه لم يكن بالغاً فالذين قالوا: إنه لم يبلغ استدلوا بوصف النفس بأنها: ﴿ زَكِيَّةٌ ﴾؛ أي: لم تذب، واحتج من قال: إنه بالغ، بقوله: ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾؛ فهذا يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على أنه بالغ، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣/٥٦١

٢) حين أنكر موسى على الخضر خرق السفينة قال له الخضر: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٢ ﴾، وحين عاد موسى إلى الاعتراض على الخضر وأنكر قتله للغلام - بعد أن أكد للخضر أنه لن يعود للاعتراض عليه - قال له الخضر: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥ ﴾ فزاد لفظة (لك)؛ ليفيد التأكيد في بيان عدم صبر موسى على علمه، وهكذا عادة العرب: تزيد في التأكيد كلما زاد الإنكار.

الغرناطي، ملاك التأويل ٧٨٩

﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ٧٦ ﴾

قف متأملاً هذا الموقف الكريم الحكيم من الكليم ﷺ: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ﴾ ثم يلتمس العذر للخضر ﷺ في عدم رغبته في استمرار الصحبة: ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ (الكهف: ٧٦). فهل نفعل ذلك مع من نحتاج إليهم حتى لا نخرجهم في الاعتذار منا بطلب الفراق إذا لم يجد اللقاء؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩ ﴾ وَأَمَا الْعُلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ٨١ ﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٨٢ ﴾

١) قال مطرف بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَا الْعُلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾: إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد، وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فليرض رجل بما قسم الله له؛ فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب .

الدر المنثور ٣٩٥/٦

٢) يستفاد من قوله تعالى: ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعاً من الأكباد، ومن سلم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/١٣

٣) في سورة الكهف قال الخضر في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾، وفي بناء الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا﴾.. فلماذا غيّر في نسبة الأفعال في كل واحدة؟ لما كان المقصود عيب السفينة قال: ﴿فَأَرَدْتُ﴾؛ فأضاف إرادة العيب لنفسه لا إلى الله تأدّباً معه، ولأنّ نفس العيب مفسدة، ولما قتل الغلام قال: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهاً على أنّ القتل كان منه بأمر الله، وله حكمة مستقبلية، ولأنّه مصلحة مشوبة بمفسدة، ولما ذكر السعي في مصلحة اليتيمين قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، فنسب النعمة لله؛ لأنها منه ولأنها مصلحة خاصة.

الحازن، لباب التأويل ٤/٢٢٨ (بتصرف)

٤) من أجمل صفات المؤمنين: استعمال الأدب مع الله تعالى حتى في ألفاظهم؛ فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وأما الخير فأضافه إلى الله، بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ الكهف: ٨٢، وقال إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء)، فنسب المرض إليه والشفاء إلى الله وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمِنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن)، مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن ٥١

٥) قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، فيه فوائد منها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وذريته وما يتعلق به، ومنها أن خدمة الصالحين وعمل مصالحهم أفضل من غيرهم؛ لأنه علل أفعاله بالجدار بقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن ٥١

٦) من فوائد قصة موسى مع الخضر: أن من ليس له صبر على صحبة العالم والعلم، فإنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٢

﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٢)

١) ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ هذا جواب لقريش عندما سألوا عن ذي القرنين، فأجابهم: أنه سيقصر على ما تمس الحاجة إليه، مما يكون به التذكر والعبارة، دون الخوض في تفاصيل لا داعي لها، أو فائدتها قليلة، فهل يعي ذلك كثير من الدعاة والخطباء حيث تجد الحشو الممل والاستطرادات الخارجة عن الموضوع؟

أ.د. ناصر العمر

٢) الاقتصار في الكلام على ما تدعو الحاجة إليه منهج قرآني، تأمل ما ذكره الله في أول قصة ذي القرنين: ﴿سَاتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وهو سنة لنبينا ﷺ، حيث أعطي جوامع الكلم، فهل نتأسى بهذا المنهج المتين؟

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

لما ذكر المشرك بدأ بتعذيبه، ثم ثنى بتعذيب الله، ولما ذكر المؤمن بدأ بثواب الله أولاً، ثم بمعاملته باليسر ثانياً؛ لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، بخلاف الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٢٩

﴿قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي آيَاتِنَا وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم مِمَّا كَسَبْتُمْ مِنْ حَيْثُ كَسَبْتُمْ وَأَنْتُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ شَائِعُونَ ﴿١٤﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون على ما هم عليه، بل يحبسون حتى يعلم انكفاف شرهم، ثم يطلقون كما فعل عمر ﷺ.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١٣

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ تأمل عفة نفسه، واستغناؤه عما بين أيديهم، مع أنهم الذين عرضوا عليه الأموال بطيبة نفس، ومصلحة العمل لهم، ثم مع ما هو فيه من خير فقد طلب الإعانة البدنية، مما يبين مكانة العمل الجماعي وأثره في نجاح المشاريع الكبيرة مهما كانت إمكانات الفرد الذاتية.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

(١) قال تعالى في عرض النار على الكفار: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾، وقال تعالى في عرض الكفار على النار: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ الآية (الأحقاف: ٢٠)، فهي تقرب إليهم وهم -أيضاً- يقربون إليها، وذلك من زيادة العذاب عياداً بالله.

الشنقيطي، أضواء البيان ٣/٤٧٣

(٢) ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ وجاءت كلمة ﴿عَرْضًا﴾ نكرة، والمعنى: عرضاً عظيماً تتساقط منه القلوب، ومن الحكم في ذكر ذلك: أن يصلح الإنسان ما بينه وبين الله، وأن يخاف من ذلك اليوم، ويستعد له، وأن يصور نفسه وكأنه تحت قدميه.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ١٤٠

(٣) ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ وهذا يتضمن معنيين: أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته، والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به، وهذا الغطاء للقلب أولاً، ثم يسري منه إلى العين.

ابن القيم، شفاء العليل ٩٣

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾

(١) الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة لأخذ الناس بها، فالعقيدة أولاً، فهي إن لم تصح؛ فلن يجدي العمل.

د. صالح بن حميد

(٢) كم من راعع وساجد، وناسك وعابد، يظن أنه مقبل على الله وهو هارب منه، وسائر إليه وهو راحل عنه! وذلك: لسوء قصده، وخبث طويته، وفساد سريرته، فمنهم من يشعر بذلك لكنه يتغاضى عنه، ومنهم من يخفى عنه ذلك لعظم جهالته، وفرط غباوته ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

العزبن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٣٥٩

﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

١) فإن قيل: قد علم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حوَلًا؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقها، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

ابن الجوزي، زاد المسير ٤ / ٢٥٦

٢) اعتبر حال أهل الدنيا في قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ فتجد الإنسان يتمنى (شقة).. فإذا ملكها تمنى (بيتًا).. فإذا ملكها تمنى (قصرًا)، وهكذا.. أما أهل الجنة؛ فقد اكتملت لهم السكنى في الجنة، فلا يريدون أن يتحوّلوا عما هم فيه.

د. مساعد الطيار

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

الحكمة في الإتيان بـ(مثلكم) -والله أعلم- لتأكيد تشابه البشرية، وأنني لا أتميز عليكم بشيء إلا بالوحي: ﴿ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴾

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٢ / ٢٣



﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾

إخفاء الدعاء والإسرار بالمسألة: مناجاة للرب، وإيمان بأن الله سميع، وذل واستكانة، وسنة من سنن المرسلين.

د. عبد الله السكاكر

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾
قال ابن عيينة في قول زكريا ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: سعدت بدعائك وإن لم تعطني.
الدر المنثور ٤٨٠/٥

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

فتح أبوابٍ أخرى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ حُجِسَ زكريا عن الكلام، فدعا بالإشارة.
الداعية لا يتوقف.. إن أغلق في وجهه باب، فتَحَّ باباً آخر!

محمد الغريير

﴿يَبِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ لقد زلزل المؤمنون بالقرآن الأرض يوم زلزلت معانيه نفوسهم، وفتحوا به الدنيا يوم فتحت حقائقه عقولهم، وسيطروا به على العالم يوم سيطرت مبادئه على أخلاقهم ورغباتهم، وبهذا يعيد التاريخ سيرته الأولى.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ٢٦٧

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال معمر بن راشد: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقت!

الدر المنثور ٢٢/١٠

اللعب ليس محرماً على الإطلاق؛ لكن من نعم الله على العبد أن يدرك علة خلقه مبكراً.

﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ حجابًا يحجبها عن عبّاد بيت المقدس، فما بال بعض بناتنا لا تتخذ حجابًا حتى عن الفساق؟!

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ قالتها امرأةٌ سالحة في لحظة ألم؛ لا تعاتب على الكلمات في الأوقات الصعبة. د. عبدالله بلقاسم

﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾

١) ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ أمر الله مريم -المرأة الضعيفة النفساء- بهزّ جذع النخلة التي تثقل الرجال، والله قادر أن يكرمها برزق -كما في سورة آل عمران-؛ ليعلم الناس أهمية بذل السبب:

ولو شاء أن تجنيه من غير هزة جنته ولكن كل شيء له سبب

الشنقيطي، أضواء البيان ٣/ ٣٩٩ (بتصرف)

٢) كم مرة قرأت قصة مريم؟

تأمل في هذين الوجهين من أوجه كرامتها:

- أمرت بهزّ الجذع وليس أعلاه، والجذع عادة لا يتحرك ولو هزه الرجل القوي.
- أن الرطب إذا تساقط من علو -عادة- فإنه يفسد ويتفسخ؛ لكنه في شأنها بقي رطبًا جنيًّا كأنه مخروف باليد.

ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية ٥٤١، ٦٤٨

٣) ﴿ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ الرطب الجني: الغض قريب التناول، قال أحد السلف: ما من شيء خير للنفساء من الرطب.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٢٥/٥

ومثلها: الصائم المنهك، فإنه يفطر على رطب، فهو أصلح شيء له، ودلت السنة عليه، قبل أن يعرفه الطب الحديث.

٤) يحتفل النصارى بميلاد المسيح في الشتاء، وفي القرآن إشارة إلى خطأهم في هذا التوقيت، تأمل قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيئًا﴾ أليس الرُّطْبُ مما ينضج في الصيف؟ فكيف يحتفلون بميلاد المسيح في الشتاء!؟

د. عويض العطوي

﴿فَأْتَتْ بِهِ، قَوْمَهَا نَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخْتِ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ
أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

١) تأمل خطورة الاستعجال ورمي البريء -المشهود له بحسن السيرة والسريرة- بتهمة عظيمة، بمجرد قرينة لا تثبت أمام الدليل والبرهان القاطع.

أ.د. ناصر العمر

٢) ﴿يَتَأَخْتِ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ تدبر كيف جمع أطراف القرابة المباشرة في هذه الآية؛ لعظيم أثرهم على المرأة صلاحًا أو فسادًا، مما يقتضي أهمية التحري عن البيت الصالح؛ لأثره المباشر: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾

تأمل في سر قول عيسى ﷺ -أول ما تكلم-: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ قال وهب: أقر عيسى على نفسه بالعبودية لله ﷻ أول ما تكلم؛ لئلا يتخذ إلهاً.

معالم التنزيل للبغوي ٢٣٠/٥

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾

١) ابحث عن صفات الإنسان المبارك في حياتك: قال الله تعالى إخبارًا عن المسيح ابن مريم: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: معلمًا للخير، داعيًا إلى الله، مذكّرًا به، مرغّبًا في طاعته، فهذا من بركة العبد، ومن خلا من هذا، فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به.

ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ٥

٢) تأمل في سير الأنبياء والمصلحين، إذ تجد البركة في حياتهم، مع قلة إمكاناتهم المادية وصعوبة الحياة في أزمانهم، فاقتد بهم، متدبراً قول عيسى ﷺ - إذ وصف نفسه- مثنياً على ربه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾

أ.د. ناصر العمر

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

١) يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، وحسرتهم يوم أورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وحسرتهم يوم أدخلوا النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها من حسرة وندامة.

الطبري، جامع البيان ٢٠٠/١٨

٢) عندما يفقد أحدهم عزيزاً عليه: شخص، مال،... إلخ؛ فإنه غالباً يصاب بحالة من الحزن والهمل؛ فكيف بمن يخسر الدنيا والآخرة: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾!؟

متدبر

﴿يَتَأْتِبَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ فذكر الخوف والمس، وذكر العذاب، ونكَّره، ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكر الرحمن ولم يذكر المنتقم ولا الجبار.

الزركشي، البرهان ٣٨١/٣

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

فتأمل في قوله تعالى: ﴿مِنَ رَحْمِنَا﴾ الأخوة رحمة من رحمات الله، ومن رحمة الله قول النبي ﷺ: «وددت لو أني لقيت إخواني»^(١)، فهل ترانا نستحق أخوته ﷺ، ثم نشاق لرؤيته كما اشتاق لرؤيتنا بأبي هو وأمي؟

متدبر

(١) أحمد ح (١٢٥٧٩).

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

(١) قال الحسن البصري رحمه الله: من كان له واعظ من نفسه، كان له من الله حافظ، فرحم الله من وعظ نفسه وأهله، فقال: يا أهلي صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله أن يرحمكم يوم القيامة؛ فإن الله رحمه الله أثنى على عبد كان هذا عمله، فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ .

النفقة على العيال لابن أبي الدنيا ٥٠٦

(٢) قال تعالى عن نبيه إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ ومن هنا فالمجلس القرآني حقيقة هو الذي استطاع جلساءه أن ينقلوا التجربة الإيمانية إلى داخل أسرهم؛ بتكوين مجالس أسرية للقرآن، يكون جلساؤها: الأطفال والملائكة، فأنعم به من مجلس مبارك إذن، وأنعم به من بيت طاهر، أفاض الله عليه بالنور والجمال.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٨٩

(٣) ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ لا تفوض هذه المهمة لأحد، وقد مدح الله بها الأنبياء.

د. عبد الله بلقاسم

(٤) ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ وسرد الصفات الفاضلة على هذا الترتيب؛ يدل على ما لصدق الوعد من مكانة.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٣٥

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلُّ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾

قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد عند هذه الآية، ثم قال: هذا السجود، فأين البكاء؟

جامع البيان للطبري ٣١٤/١٨

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾

اتبعوها: أرادوها وصارت هي همهم، وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها؛ فلذلك قال: ﴿ وَاتَّبَعُوا ﴾ ولم يقل: (تناولوا وأكلوا) ونحو ذلك؛ لهذا المعنى.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٦٠

فهل يعي هذا من قلبوا أفرح الأعياد إلى انكباب على الشهوات!؟

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فحاول أن تستخرجها، زادك الله فهماً لكتابه.

مجموع الفتاوى ٣٦٦/٢٧

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٩/١

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾

١) كان الحسن البصري يعظ فيقول: المبادرة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله تعالى! رحم الله امرأً نظر إلى نفسه، وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ يعني: الأنفاس، آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك!.

العاقبة في ذكر الموت للأشبيلي ٨٢

٢) يستشكل بعض الناس إمهال الله تعالى الزنادقة والملحدين وعدم معاجلتهم بالعقوبة، وجواب ذلك: أن له ﷻ حِكْمًا عظيمة في ذلك، منها زيادة آثامهم؛ لتزداد عقوبتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوَزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

د. إبراهيم الحميمي

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴿

١) وإنما قيل: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ وهو خطاب للغائب؛ لفائدة حسنة وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه، وتنبية لهم على عظم ما قالوه كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه مُنْكَرًا عليهم ومُوجِبًا لهم.

ابن الأثير، المثل السائر ٥/٢

٢) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ فيه إشارة إلى أن قول الباطل قد يتسبب بمصائب الأرض.

د. محمد السعيد

٣) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ فإذا كانت الجبال تنهدُ غيرَةً على التوحيد والإيمان، فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله ويرجو رحمته، فإنه أولى وأحرى.

د. محمد المختار الشنقيطي

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩١﴾ ﴿

١) قال ابن عباس ؓ: «أي: محبة الناس في الدنيا».

الدر المنثور ١٣٢/١٠

القلوب النقية تحب العبد المؤمن لإيمانه، ولو لم يكن منه إحسان، فكيف سيكون الحبُّ لو اقترن به إحسانٌ إلى الخلق؟! ﴿

٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩١﴾ كم من مؤمن بالله ﷻ ترى عيون الخلق تعظمه وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ؟ ولا يقدرّون على وصفه!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣٠١

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿

لا ينقضي العجب من اليائسين من إصلاح أوضاع الأمة؛ بسبب ما يرونه من طغيان ومكر كبار، فاستسلموا للذل والهوان، مع أنهم لو تساءلوا: أين بعض عتاة الظالمين، الذين كانوا يسومون المستضعفين من شعوبهم سوء العذاب؟ ﴿هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ﴿٩٢﴾

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ طه

سورة طه تضمنت عددًا من المقاصد: أجلاها ذكر أصول السعادة، حيث ذكر في مفتحها: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾، ثم ذكرت تفاصيل السعادة في تضاعيفها كتوحيد الله، والدعوة إلى سبيله، والإكثار من ذكره، ثم أجملت في آخرها ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾﴾.

د. محمد الحمد، خواطر ٢٢٨

﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾

(١) قال قتادة رضي الله عنه: لا والله، ما جعله الله شقيًا، ولكن جعله الله رحمة ونورًا ودليلاً إلى الجنة.

الدر المنثور ٥٥٢/٥

فتأمل الآية وتعليق هذا الإمام عليها، ثم لك أن تتعجب أن يتقلب مسلم في الشقاء وكتاب الله بين يديه!

(٢) كنت أمر بوضع صحي ونفسي واجتماعي سييء، فسمعت أحد العلماء يفسر قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾؛ فلما فرغ من برنامجه، فتحت المصحف، وبدأت أقرأ باحثة عن السعادة، فأقسم بالله أنني ما أغلقت المصحف إلا وقد أحسست بها، فعرفت أننا فرطنا في هذا الكنز العظيم -الذي بين أيدينا- كثيرًا.

متدبرة

﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾﴾

قال الله في القرآن: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾﴾ هذا تعظيم لشأن القرآن، وإنما عظم القرآن ترغيبًا في تدبره والتأمل في معانيه وحقايقه، وذلك معتاد في الشاهد؛ فإنه تعظم الرسالة بتعظيم حال المرسل؛ ليكون المرسل إليه أقرب إلى الامتثال.

الرازي، مفاتيح الغيب ٨/٢٢

﴿ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قال ابن عباس ؓ: السر: ما أسرّه ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي عن ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فإنه يعلم ذلك كله.

تفسير ابن أبي حاتم ٢٤١٦/٧

فتأمل يا ابن آدم سعة علم الله بك وبخواترك!

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾

لك الفخر إن كنت تعقل!

هذا الرب العظيم، قدر برحمته أن يكلمك أنت أيها الإنسان، فكلمك بالقرآن.. أو تدري ما تسمع؟ رب الكون يكلمك! ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾!

أي وجدان وأي قلب يتدبر هذه الحقيقة العظمى، فلا يخر ساجدًا لله الواحد القهار رغبا ورهبا؟ اللهم! إذا كان صخرًا أو حجرًا، كيف، وهذا الصخر والحجر من أخشع الخلق لله؟ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ٤٦-٤٧ (باختصار)

﴿ قَالَ رَبِّ انشُرْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿١٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿١٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿١٩﴾ هَٰزُونَ أَجْنَىٰ ﴿٢٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٢٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٢٣﴾ ﴾

(١) الداعية محتاج إلى انشراح الصدر؛ ليتمكن من إيصال دعوته بأيسر كلفة؛ ولأجل أن يراه الناس على أكمل ما يكون من السرور، فتسري تلك الروح منه إلى المدعويين، فتتحقق بذلك السعادة، التي هي من أعظم مقاصد الدعوة، وأما إذا ضاق صدره، وقل صبره، فلن يقوم بعمل كبير، ولن يصدر عنه خير كثير.

د. محمد الحمد

(٢) طموح في الدعاء: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ كن طموحًا في دعائك، مثل موسى ؑ لم يطلب تيسير أمر دعوة فرعون فقط، بل طلب تيسير أمر حياته كلها.

د. عبدالله بلقاسم

٣) جود عبارتك: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ فصاحة لسان الداعية إلى الدين والواعظ المنذر تعين على تدبر ما يقول وفقهه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٣٥٣/٩

٤) الاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقهم، فتمت المشاكلة في الاستعانة، قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿١٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٢٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٢١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾.

ابن خلدون، مقدمته ٣١٩

٥) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إلى قوله: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ أدب من آداب الدعاء، وهو نبل الغاية، وشرف المقصد، وقريب منه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ فَلانًا، ينكأ لك عدوًا، أو يمشي لك إلى صلاة»^(١).

د. محمد الحمد

﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّائِبِينَ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عُدُوِّي وَيَعْدُوُّ لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿٣١﴾

الماء خلق من خلق الله، أمره بإنجاء موسى: ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ وأمره بإغراق عدوه فرعون: ﴿فَاعْرِقْهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، (الأعراف: ١٣٦) كل ذلك مع ما كان فيه موسى من أسباب الضعف، وما كان فيه فرعون من أسباب القوة، فسبحان من هذا تدبيره!

د. عويض العطوي

﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾

١) قرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا﴾، فبكى يحيى، وقال: إلهي هذا رفك بمن يقول أنا الإله! فكيف رفك بمن يقول أنت الإله؟!، هذا رفك بمن قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾ (النازعات)، فكيف بمن قال: (سبحان ربي الأعلى)؟.

معالم التنزيل ٢٧٤/١

٢) ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا﴾ كان اللين في الأسلوب والطريقة، ولم يكن في المضمون والعقيدة.

صالح المغاسي

(١) الطبراني ح (١٠٧).

٣) إذا أمرنا الناس بالدعوة، فيلزمنا أن نعلمهم أصولها وأساليبها؛ لئلا يسيئوا إليها، ولنا في ربنا قدوة، لما أمر موسى بالدعوة قال له: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّةٌ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، ثم وضع القول اللين بقوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزِيَّ ۗ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات).

د. محمد الخضيرى

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۖ ﴾ (٤٦)

النجاة والنصر بين ﴿لَا﴾ و﴿كَلَّا﴾: لما خاف موسى من أعدائه المخالفين، قال له ربه: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾، ولما قال بعض أصحابه: ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾: قال: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١٣). فلا نجاة ولا نصر إلا بقول: ﴿لَا﴾ للأعداء، وبقول: ﴿كَلَّا﴾ لمن ضعف إيمانهم، أو أصابتهم حمى التخذيل، فالمخذلون - أحياناً - قد يؤثرون أكثر من الأعداء فتأمل هذا، ثم اقرنه بمجديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم»^(١)؛ تعرف الطريق.

د. محمد القحطاني

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ ﴾ (٥٠)

هذه النملة إذا خزنت الحب في بيوتها كسرتة بنصفين، علماً منها بأنه ينبت إذا كان صحيحاً، وأنه إذا انكسر لا ينبت، فإذا خزنت الكفرة كسرتها بأربعة أرباع، علماً منها بأنها تنبت إذا كسرت بنصفين، فتدبر ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/ ٢١٧

﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۖ ﴾ (٥٢)

قف متأملاً لهذه الآية: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ حيث أزال تطرق الوهم بأن كتابتها خوفاً من خطأ أو نسيان، كلا.. وإنما هو الضبط والإحكام، كما في: ﴿وَأَلَمَّآ ذَاتِ الْحُبِّكَ﴾ (الذاريات: ٧).

فإذا كان كذلك وهو سبحانه لا يضل ولا ينسى؛ فكيف يهمل الإنسان تقييد الحقوق وقد جبل على الخطأ والنسيان؟! أ.د. ناصر العمر

(١) الترمذي ح (٢٢٢٩).

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَيْكُم لَّا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ الأعراف: ١٥٢، هذا وعدٌ إلهي وستة مطردة في خيبة وعقوبة كل مُفترٍ، وهو بشري وتسلية لكل مظلوم مُفترٍ عليه بأنَّ الله ناصرُه ولو بعد حين؛ فلا يستعجل ولا ييأس، فإنَّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَثَمُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾

عرف السحرة أهمية جمع كلمتهم، فتنادوا لذلك؛ فالمصلحون أولى أن يجتمعوا.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِحِيلٍ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾

والحكمة في هذا -والله أعلم-؛ ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلُّبٍ له، وانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس، وكذا كان.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٥٦/٣

﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعُونَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ إنما قال هذا تسترًا وتدليسًا على رعا ع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ ﴾ (الزخرف: ٥٤).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٥٨/٣

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ ﴾

(١) قد يتسلط شيطان البشر على كل شيء فيك وكل شيء حولك إلا شيئًا واحدًا، إنه قلبك إذا اتصل بربك؛ فتأمل قصة آسية امرأة فرعون، وتأمل قول السحرة حين آمنوا: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾.

د. محمد المصري

(٢) كان سحرة فرعون آية في اليقين الصحيح والإخلاص العالي عندما رفضوا الإغراء، وحقروا الإرهاب، وداسوا حب المال والجاه، وقالوا للملك الجبار: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) وشتان بين هؤلاء الذين يستهينون بالدنيا في سبيل الله، وبين الذين يسخرون الدين نفسه في التقرب من كبير أو الاستحواذ على حقير.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٩١

﴿وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٨٢)

ومن أعجب ما ظاهره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾؛ فإنه علّق المغفرة على أربعة شروط يصعب تصحيحها.

المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ٦٨/٤

﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (٨٤)

(١) قال ابن القيم: وظاهر الآية أن الحامل لموسى على العجلة هو طلب رضى ربه، وأن رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها؛ ولهذا احتج السلف بهذه الآية على أن الصلاة في أول الوقت أفضل، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك، فقال: إن رضى الرب في العجلة إلى أوامره.

مدارج السالكين ٥٩/٣

(٢) سباق من نوع آخر:

السابق إلى ربه حري بأن يرضى الله عنه، تأمل: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فإذا قرنت هذه الآية مع قوله ﷺ - كما في الصحيح -: «سبق المفردون» ثم فسره بأنهم: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(١)؛ تحصل لك: أن أسبق الناس إلى الله هم الذاكرون الله كثيراً، ومن كان كذلك، رضى الله عنه.

د. محمد القحطاني

(١) مسلم ح (٢٦٧٦)، وابن حبان ح (٨٥٨).

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ ﴿٨٥﴾

لما قيل لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ توجه إلى:

- قومه أولاً: ﴿يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾!؟

- ثم نائبه في غيابه: ﴿يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾؟

- ثم صاحب الفتنة: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعِيُّ﴾؟ وإنما بدأ بهم في اللوم؛ لأن البالغ

العاقل مسؤول عن نفسه، فليس يعذره قوة الإغراء، ولا تيسر أسباب الشر، فالتبعة عليه أولاً. والله أعلم.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ ﴿٩١﴾

إذا ضمنت قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ إلى قوله سبحانه - لما ذكر جملة من الأنبياء ومنهم هارون -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَقْتَدِهٖ﴾ (الأنعام: ٩٠)؛ تبين لزوم إعفاء اللحية وعدم حلقها؛ لأن هارون من الأنبياء الذين أمر نبيُّنا ﷺ بالاقْتِدَاءِ بهم، وأمره ﷺ بذلك أمرٌ لنا.

الشنقيطي، أضواء البيان ٩٢/٤

﴿ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١

﴿ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿١١٤﴾

١) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أدب لطالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره وتأمله للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يعجب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٦٦

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ دلالات مهمة منها:

- ١- أن تعلم كتاب الله إقرأ وحفظاً وفهماً، لا عجلة فيه، بل هي الأناة والتؤدة.
 - ٢- أن درجات العلم تبدأ بكتاب الله حفظاً وفهماً، ثم يتزود الإنسان من العلم ما شاء؛ ولذلك أتبع في الآية تلقي القرآن بطلب التزود من العلم.
- د. محمد الربيعة
- (٣) ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ قال مجاهد: «لا تعجل بقراءة ما أنزل إليك لأصحابك، ولا تمله عليهم حتى تتبين لك معانيه»^(١).
- فهذا يدل على عدم مشروعية التعجل بالقراءة والحفظ من غير تدبر وفهم للمعاني، ويؤكد أيضاً ختم الآية بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

د. محمد الربيعة

- (٤) ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)، بمثل هذا الأدب الإلهي أبعده الإسلام الغرور عن المسلم، فما تراه -إن كان مسلماً- يحتقر ذا فضل، ويزدري ذا نعمة، ومن تأمل كيف دخل النبي ﷺ مكة بعدما جرى من قومه ما جرى معه؛ لم يشمخ بأنفه، ولم يتناول بانتصاره، بل دخلها متواضعاً، معترفاً بفضل ربه ومنته.
- السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ١٢-١٣

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥)

تأمل أول نقص دخل على أبي البشر وسرى إلى أولاده كيف كان من عدم العلم وعدم العزم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾

ابن القيم، طريق المهجرتين ١٨٣

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ (١١٧)

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ أسند الشقاء إلى آدم دون حواء؛ لوجهين:

- أ- أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعاده سعادتهم؛ لأنه القيم عليهم.
- ب- من الشقاء التعب في طلب القوت، وذلك على الرجل دون المرأة؛ لأن الرجل هو الساعي على زوجته.

الحازن، لباب التأويل ٣/ ١١٤

وفي هذه لفظة لمن يدعو إلى خروج المرأة من منزلها إلى ميادين العمل بإطلاق، وكأن ذلك هو الأصل!

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٩٨.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾ (١١٩)

من عجائب هاتين الآيتين -رغم قصرهما- أنها جمعتا أساسيات الاقتصاد، وما يعد بنية تحتية لحياة الإنسان في سطر واحد فقط: الطعام، واللباس، والشراب، والسكن!

د. سعد العتيبي

﴿ ثُمَّ أَجْنِبْهُ رَبُّهُ. فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (١٢٢)

﴿ ثُمَّ أَجْنِبْهُ رَبُّهُ. فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ معترضة بين جملة ﴿ وَعَصَى آدَمُ ﴾ (طه: ١٢١)، وجملة ﴿ قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيْعًا ﴾ (طه: ١٢٣)؛ لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة، وهو المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة، وفائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦/١٩٧

﴿ قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٢٣)

(١) من اتبع هداه المنزل، فإنه لا يضل كما ضل الضالون ولا يشقى كما شقى المغضوب عليهم، كما قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه: ١٢٣).

ابن تيمية، جامع المسائل (٣/ ٨٦)

(٢) قال ابن عباس ؓ: أجاز الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة، ثم قرأ: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ قال: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

تفسير ابن أبي حاتم ٩/٣٠٤

(٣) تأملت قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾، فوجدته على الحقيقة؛ أن كل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما؛ فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك؛ إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً، ويبين هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) (الطلاق).

ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٧٩

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ فإن المعرض عن القرآن: إما أن يعرض عنه كبراً، فجزاؤه أن يقصمه الله، أو طلباً للهدى من غيره، فجزاؤه أن يضلّه الله، وشاهده حديث علي عليه السلام: «من تركه من جبار، قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضله الله»^(١).

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٣٦٠/١

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

(١) القرآن من أظهر أسباب السعادة، وتركه من أعظم أسباب الشقاء: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾.

د. محمد السعيد

(٢) ومن الناس من تعلم القرآن لكنه أهمل تلاوته، وهذا هجران للقرآن وحرمان للنفس من أجرٍ عظيم، وسبب لنسيانه، وقد يدخل في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعرضه للنسيان خسارة كبيرة، وسبب لتسلط الشيطان على العبد، وسبب لقسوة القلب.

د. صالح الفوزان، إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان ٤٨

(٣) المرأة الإسفنجية: امرأة قلقة مضطربة، أرهقتها الجري بعيدة عن الخشوع في الصلاة والتذلل لله، محرومة من السعادة الحقة، ترى وهم السعادة في دنيا زائفة، أعرضت عن ذكر الله، وأضاعت أوامره، فهي كثيبة حزينة، تضحك والحزن يقطع كبدها، تفرح وغيوم البؤس تحوم حول عينها، تبحث عن ابتسامة زائفة وكلمة تُلقي على قارعة الطريق، إنها تبحث عن السعادة والحياة الطيبة، لكنها ضلّت الطريق: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾.

د. عبدالمالك القاسم، المرأة الإسفنجية ٧٥

(٤) نشرت الصحف تقريراً حديثاً يفيد عن وجود حالة انتحار كل ٤٠ ثانية! وأهل القرآن لا يجتارون في تفسير مثل هذه الظاهرة، فقد أيقنوا بقول ربهم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ وتدبروا قول من أسباب السعادة كلها بيده: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾

لا يغتر الشاب الذي يركب هواه باللذة العاجلة، ولا يأسف الشاب التقى الذي فاتته هذه اللذات؛ فإنه لا خير في لذة ساعة ورائها عذاب الدنيا بالمرض والهزم وعذاب الآخرة في جهنم ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾

علي الطنطاوي، نور وهداية ٥٠

(١) الترمذي ح (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبه ح (٣٠٠٧).

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ
وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (١٣٠)

من أعلى مقامات العارفين وأحلاها: الرضا! والطريق إليه بأمرين: صبر جميل، وذكر كثير طويل:
﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ .

د. محمد القحطاني

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (١٣١)

(١) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بهذه الآية.

المحرر الوجيز ٧١/٤

(٢) ومن نظر إلى الخيل والبهائم والأشجار على وجه استحسان الدنيا والرئاسة والمال، فهو مذموم
لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾، وأما إن كان
على وجه لا ينقص الدين، وإنما فيه راحة النفس فقط، كالنظر إلى الأزهار، فهذا من الباطل الذي
قد يستعان به على الحق.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٤٩/٢١

(٣) مجالس ومجالس..

قال ابن رجب: مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله تعالى، وتعظم عنده
نعمة الله عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب السخط بالرزق، ومد العين
إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله ﷻ نبيه عن ذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ .

اختيار الأولى ١٨

(٤) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ دليل على أنه ينبغي للموفق أن لا
ينظر إلى زينة الدنيا نظرة المعجب المفتون، وأن يقنع برزق ربه، وأن يتعوض مما منع منه من الدنيا
بزاد التقوى الذي هو عبادة الله والهج بذكره.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٦٧

(٥) علاج قرآني للحسد:

أعظم ما ينمي الحسد ويغذيه: امتداد العين إلى ما متع الله به عباده من متاع المال والبنين وغير ذلك، وقد نهى الله نبيه ﷺ عن مد العين إلى ما عند الغير؛ ففيها إرشاد إلى علاج الحسد. محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ١/٣٥٤

﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنُقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾ (١٣٢)

(١) من مفاتيح الرزق (تدبر عملي):

كان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية.

التسهيل لعلوم التنزيل ١٨٦/٢

(٢) الاشتغال بالدعوة الواجبة من أسباب جلب الرزق وليس مشغلاً عنه، تأمل: ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنُقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾

د. عبدالله الغفيلي

(٣) إذا شعرت بالملل من جراء كثرة أمرك أهل بيتك بالصلاة وإيقاظهم لها - خصوصاً صلاة الفجر-؛ فتذكر قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا ﴾؛ ففي ذلك أعظم دافع للصبر والاحتساب، وطرده الملل، وتذكر عاجل الأجر، ومآل الصبر بعد ذلك في الآية ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنُقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾

د. محمد الحمد

﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْرُجَ ﴾ (١٣٤)

الإعراض عن الوحي ذل في الدنيا، وخزي في الآخرة: ﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْرُجَ ﴾ .

د. عبدالله الغفيلي

سورة الأنبياء

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾

نزل بعامر بن ربيعة رجل من العرب، فأكرم مثواه، وكلم فيه الرسول ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من الرسول ﷺ وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة، تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١١/٣

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا
الْتَجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٣﴾

يتجدد نزول الوحي ومع ذلك لا ينتفعون به ولا يتدبرونه؛ فهل تأملت السبب؟ ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴿٣﴾ ومن تشبه بهم -من المسلمين-، ناله ما نالهم بحسب غفلته وإعراضه. وفي الآية إشارة إلى أن سبب الانتفاع بالقرآن: السكينة عند سماعه، وحضور القلب وإقباله.
د. عمر المقبل

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ هذه الجملة القصيرة تمثل لك مقدار ما أصابهم من الحيرة، وثريك صورة شاهد الزور إذا شعر بخرج موقفه: كيف يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، وكيف تتفرق به السبل في تصحيح ما يحاوله من محال: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرِيحُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٤٨).

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٨٥-٨٦

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٣٠)

تأمل كيف قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ولم يقل: (يسبحون في الليل)؛ لأن تسبيحهم مستمر في كل آن ولحظة، ولو كان التسبيح في بعض الآت، لقال: (في الليل والنهار)؛ لأنهم يلهمون التسبيح كما نلهم نحن النَّفْس.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة، شريط (٣)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٣٢)

كما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾؛ فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى؛ فسد فساداً لا يرجى صلاحه، إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه، ويتوكل عليه وينيب إليه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٣٠/١

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ

مُشْفِقُونَ ﴾ (٣٨)

من كان كثير الذنوب، وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب؛ فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة؛ ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابتهم؛ لقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾

ابن بطال، شرحه للبخاري ٩٥/٢

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٥)

﴿ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ قال الحسن البصري رضي الله عنه: كانوا يتساوون في وقت النعم، فإذا نزل البلاء تباينوا!

صيد الخاطر ٢٤٩

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكَّرُ آلِهَتَكُمْ
وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا
تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الحكمة من ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ﷺ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾؛ لأنه تعالى يميل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ أي: نعمتي واقتداري على من عصاني ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٥

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا ﴾ تأمل هذا التهديد والوعيد بأسلوب بديع: (المس) هو الإصابة الخفيفة، و(النفحة): القليل من الشيء، و(من) دالة على التبعض، و(العذاب) أخف من النكال، و(ربك) هذا يدل على الشفقة. إن من سيكون هذا واقعه عند أول نفحة تمسه من بعض عذاب رب رحيم، كيف سيصبر على أنكال لدى الجبار؟! إنه لحري أن يبادر بالنجاة منه.

د. صالح العايد، نظرات لغوية ٢٣٣

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
خَرْدَلٍ أُنْزِلْنَا بِهَا وَكُنْفَىٰ بِنَا حَسِينِ ﴿٤٧﴾ ﴾

(١) ادعى رجل على ابن أحد الخلفاء، ففضى الخليفة على ابنه، فأخذ المدعي يمدحه بأبيات شعر، فشكره الخليفة ثم قال: أما أنا فما جلست هذا المجلس، حتى قرأت في المصحف: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلْنَا بِهَا وَكُنْفَىٰ بِنَا حَسِينِ ﴾ قال الراوي: فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم.

تاريخ بغداد ٣٤٩/٣

﴿ ٢ ﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿﴾ من هذا قطعاً تعلم أنّ شأن المعاملة مع الله ومع خلقه عظيم عظماً لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل؛ فإن عليها يترتب غضب الله وعقابه، أو رضاه والنعيم المقيم، وشيء هذا قدره لا يتوقف ولا يتردد في بذل العناية به رجل بصير.

عبد العزيز السلطان، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ٢/٦٠

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

هكذا قال قوم إبراهيم - لما دعاهم إلى التوحيد- فهم يدركون أن الدين الحق لا يجتمع مع اللعب والباطل؛ فكيف يريد بعض المنهزمين أن تعيش الأمة بدين ملفق يجمع أنواعاً من اللعب والباطل مع شيء من الحق؟ ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس: ٣٢)؟

د. عمر المقبل

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

في قصة إبراهيم ؑ في سورة الأنبياء قال: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾، وفي الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: ٩٨)، وهي قصة واحدة فما الحكمة فيه؟ والجواب: في سورة الأنبياء أخبر الله تعالى عن إبراهيم ؑ أنه كاد أصنامهم ﴿وَتَأَلَّوْا لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، وأخبر أنهم أرادوا أن يكيدوه كذلك ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَتَقَابَلِ الْكَيْدَانِ، فلما عاد عليهم كيدهم عبر بالخسارة. وفي الصافات قال قبلها: ﴿قَالُوا أَتَبَوَّأُ لَهٗ بُيُوتَنَا فَأَلْفُوهُ فِي الْبَحْجِيِّ﴾ (الصافات: ٩٧) فلما رموا نبي الله من فوق البناء إلى أسفل، عاقبهم الله من جنس عملهم فجعلهم هم الأسفلين، وأصبح أمر نبي الله عالياً.

الإسكافي، درة التنزيل ٢٠٩

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء، القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء! فالسبب سنة الله في خلقه؛ فمن طعن في ذلك، فقد طعن في الكتاب والسنة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٢١

﴿ وَأَتُوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٦)

(١) إن قيل: كيف سمى الله أيوب صابراً، وقد أظهر الشكوى بقوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾، وقوله: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١)؟ قلت: ليس هذا شكاية، وإنما هو دعاء، بدليل قوله في الآية الأخرى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ﴾ (الأنبياء: ٨٤).

الحازن، لباب التأويل ٢٣٩/٣

(٢) لم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين.
د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨)

(١) تأمل قوله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (٤٨) (القلم)، تجد أنه أضاف كلمة (ذا) إلى (النون)، وكلمة (صاحب) إلى (الحوت) والمقصود واحد وهو يونس، وسر ذلك - والله أعلم - أن النون اسم للحوت العظيم، وكلمة (ذا) تطلق مع ما يدل على العظمة.

د. عويض العطوي

(٢) ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فالتلهيل والتسبيح يجلبان الغموم، وينجيان من الكرب والمصائب؛ فحقيق على من آمن بكتاب الله أن يجعلها ملجأ في شدائده، ومطية في رخائه، ثقة بما وعد الله المؤمنين من إلحاقهم بذئ النون في ذلك حيث يقول: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

القصاب، نكت القرآن ٣١١/٢

(٣) إظهار الافتقار، والإقرار بالذنب من أسباب إجابة الدعاء، تأمل كيف جمعها يونس في ذلك الدعاء العظيم: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾؛ ولهذا كان سيد الاستغفار من أفضل الأدعية لتضمنه هذا المعنى.

د. محمد الحمد

﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْتَهُ مِنَ الْعَمْرِ ﴿الغم كالموج من أدركه أغرقه، والتوحيد طوق النجاة منه.

د. سليمان الربيعي

﴿وَزَكَرِيَّا إِذِ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩)

(١) كرم الرب يتجاوز طمع الأنبياء فيه - مع عظيم علمهم به - فهذا زكريا لهج بالدعاء ونادى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، فاستجيب له وجاءته البشرية فلم يملك أن قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: ٤٠)، .. فله ما أعظم إحسان ربنا! وما أوسع كرمه! فاللَّهُمَّ بلغنا -برحمتك- فوق ما نرجو فيك ونؤمل.

إبراهيم الأزرق

(٢) يقول أحد الإخوة:

عندما حرمت من الذرية ست سنوات، وطرقت أبواب المستشفيات ولم أجد فائدة، تذكرت قول زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ فأصبحت أرددتها دائماً، مع الدعاء، والاستغفار، والرقية؛ حتى رزقني الله بطفلين، والله الحمد.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ﴾
﴿فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠)

(١) امتن الله سبحانه على زكريا حيث قال: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: ٩٠) قال بعض العلماء: ينبغي للرجل أن يجتهد إلى الله في إصلاح زوجته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٥)

إنها منهج في تذكيرنا بالابتهاال إلى الله عند ذكر الصلاح والصالحين.

(٢) قال أبو بكر الصديق ؓ: هذا كتاب الله، لا تفتى عجائبه، ولا يطفأ نوره، استضيئوا منه اليوم ليوم الظلمة، واستنصحو كتابه وتبيناه، فإن الله قد أثنى على قوم فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ﴾ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿

الدر المنثور ٨/ ١٢٠

٣) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبه: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾.

جامع العلوم والحكم ١٦١/١

٤) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ولم يقل: يسارعون إلى الخيرات؛ لأنهم الآن منهمكون في أعمال خيرة، فهمهم المسارعة فيها، والازدياد منها، بخلاف من يسارع إلى شيء، فكأنه لم يكن فيه أصلاً، فهو يسرع إليه ليكون فيه.

الشعراوي، تفسير الشعراوي ٣٥٤٠/١

٥) من تأمل حكاية الله لحال أنبيائه رضي الله عنهم في سورة الأنبياء، وكيف نجى إبراهيم من النار، ولوطاً من القرية التي تعمل الخبائث، ونوحاً من الكرب العظيم؛ وكيف علم داود وفهم سليمان، وكشف الضر عن أيوب ونجى ذا النون من الغم، ووهب الولد لزكريا رضي الله عنه؟ ثم عقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ عرف المؤهلات المطلوبة لإجابة الدعاء وتحصيل ولاية الله.

د. أحمد القاضي

٦) ما أروع صورة البيت الذي يتبارى فيه الزوجان في المسارعة للخيرات.. زوجة تعين زوجها، وزوج يعين زوجته، يترسمون خطى ذلك البيت النبوي الذي جعله الله نبراساً لكل زوجين؛ فأين المقتدون بزكريا رضي الله عنه وزوجته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾.

متدبر

٧) ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال الحسن البصري رضي الله عنه: دام خوفهم من ربهم فلم يفارق خوفه قلوبهم، إن نزلت بهم رغبة، خافوا أن يكون ذلك استدراجاً من الله لهم، وإن نزلت بهم رهبة، خافوا أن يكون الله رضي الله عنه قد أمر بأخذهم لبعض ما سلف منهم.

الدر المنثور ٦٧٠/٥

٨) من تأمل هذه الآيات: ﴿وَيَدْعُونا رِيبًا وَرِيبًا﴾، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة: ١٦)، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧) وغيرها؛ أدرك أن المنهج الحق للمؤمن الموفق في عباداته، بل في حياته أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وهذا هو هدي الأنبياء وسلف الأمة.

د. عبد الرحمن العقل

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١٢)

المسلمون إذا نسوا أنهم أمة واحدة، وفرقتهم العصبية الجاهلية، وفرقتهم الحزبية؛ فإن شمس عرفات تذكرهم بوحدهم، وتعيدهم إليها، وكل عمل من أعمال الحج مذكر بالوحدة الإسلامية ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٣/ ٢١٣-٢١٤

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (١٨)

والحكمة في دخول الأصنام النار - وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب - بيان كذب من اتخذها آلهة، ويزداد عذابهم؛ فهذا قال: ﴿لَوْ كَانَتْ هُنَّ آلَاءَ إِلهةَ مَا وَرَدُوها﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٣١

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠)

إذا تأملت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، وأضفت له قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الحديد: ١٠)؛ تبين لك أن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً؛ لأنه وعد أهل الحسنى بالإبعاد عن النار، وأخبر أن الصحابة سواء من أسلم قبل الفتح أو بعده موعود بالحسنى.

ابن حزم، المحلى ١/ ٤٤

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥)

(١) البقاء للأصلح وليس للأقوى.

عمر حسنة، حضارة النبوة ٥

(٢) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ سنة كونية مطردة، فكيف ييأس ويقنط من يتلو هذه الآية، مهما حدث من النكسات الطارئة؟! ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصِرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (محمد: ٤)، ولولا الهزائم لما استبشرنا بالنصر.

أ.د. ناصر العمر

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (١١١)

قال ابن هبيرة في قوله تعالى: اختص الله تعالى بعلم الجهر من القول من جهة أنه إذا اشتدت الأصوات وتداخلت فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان، ولا يميز الكلام، أما الله ﷻ فإنه يسمع كلام كل شخص بعينه، ولا يشغله سمع كلام عن سمع آخر.

ذيل طبقات الحنابلة ٢٨٣/١

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٣)

قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿احْكُم بِالْحَقِّ﴾ المراد منه: كن أنت - أيها القائل - على الحق؛ يمكنك أن تقول: احكم بالحق؛ لأن المبطل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحق!

ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٨/١

سورة الحج

(١) سورة الحج تبدأ بمشهد أخروي، وهكذا هو الحج، فهو صورة مصغرة في كثير من أحداثه ومراحلها لمشهد البعث والنشور.

(٢) سورة الحج من أعاجيب سور القرآن، فيها: أول الحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾، وآخره: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا﴾ (الحج: ٢٧-٢٨)، فيها: الساعة والتوحيد، والصلاة والإخبات، والمواظب والآداب، فيها: المكي والمدني، والليلي والنهاري، والسفري والحضري، والحري والسلمي، والشتائي والصيفي، هي سورة عجب، وأعجب منها حاج يقصد الحج ولم يتدبر سورة الحج.

د. عصام العويد

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

(١) عندما يقرأ المسلم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يتعجب كيف تذهل الأم عن رضيعها!

ويحاول أن يتصور كيف يكون الناس كالمجانين، فيعجز عن تصور ذلك مع إيمانه به، فيأتي زلزال اليابان ليريه مشهداً عظيماً، ودماراً هائلاً في طرفة عين؛ فيدرك أن هذا ليس إلا صورة مصغرة عن حقيقة ما سيكون عند زلزلة الساعة؛ فيزداد الذين آمنوا إيماناً، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون.

أ.د. ناصر العمر

(٢) ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ من المعلوم أن المرأة التي ترضع الطفل تُسَمَّى مرضعاً، فلم قال تعالى هنا: مرضعة، ولم يقل مرضع؟ فالجواب -عن الزمخشري-: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي. والمرضع: التي شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة؛ ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه؛ لما يلحقها من الدهشة.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٥٦/٤

(٣) مشهد يذكر بمشهد:

شجرة لن تحاسب! وبعوضة لن تسأل! ونملة لن توزن! وهرة لن تعرض على جنة ولا نار!
فلأي شيء تساقط حملها: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾.

د. عصام العويد

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٢﴾ كُذِّبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن
تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

سئل بعض العلماء هل تجد في القرآن شاهداً على المثل السائر: «من أعان ظالماً سلط عليه»؟
فقال نعم، هو قوله تعالى: ﴿كُذِّبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

الإتقان في علوم القرآن ٤٩/٤

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ
ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ لِّإِلَٰحَالِ أُمَّةٍ ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُنَوِّقُ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ تذكرت هذه الآية، وأنا أنظر إلى
المسلمين، كيف تغير دولاب حياتهم من حين دخل رمضان، لقد انصهروا من جديد، فما أسهل
صياغة الحياة عبر نظام الإسلام إذا صدقت النوايا، وخلي بين الناس وبين الخير.

محمد المقدم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ
خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

يا هذا! اعبد الله لما أَرَادَهُ مِنْكَ لَا لِمَرَادِكَ مِنْهُ؛ فَمَنْ عَبَدَهُ لِمَرَادِ نَفْسِهِ مِنْهُ؛ فَهُوَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ
حَرْفٍ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، ومتى قويت المعرفة والمحبة، لم يرد صاحبها إلا ما يريده مولاه.

ابن رجب، كلمة الإخلاص ٣٩

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾

(١) نظرت في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ فرأيت الجمادات كلها قد وصفت بالسجود، واستثنى من العقلاء، فقلت: هذه قدرة عظيمة، يوهب عقل الشخص، ثم يسلب فائدته! وإلا فكيف يحسن من عاقل ألا يعرف بوجوده، وجود من أوجده؟ غير أنه سبحانه وهب لأقوام من العقل ما يثبت عليهم الحجة، وأعمى قلوبهم كما شاء عن المحجة.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣١٨/١

(٢) هنا أشجار.. وهناك نجوم.. هذه شمس، وهذا قمر.. وتلك جبال.. هنا وهناك دواب كبار وصغار، فإذا اجتمعت لك - كلها أو بعضها- وأنت في البرية، أو تسير في طريق، فتذكر أنها كلها تسجد لله، تأمل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾.

د. عمر المقبل

(٣) كلُّ الجمادات والنباتات والحيوانات تسجد لله.. بكثرتها.. بعظمتها.. إلا بعضًا من مخلوق ضعيف شدَّ عن منظومة التسبيح في الكون.

متدبر

(٤) من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها، فهذا هو اللئيم الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٧

(٥) قال تعالى في آية سجود المخلوقات له: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾ فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفوا به ولم يفعلوه؛ أهانهم الله فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهن من أكرمه الله؟

ابن القيم، الجواب الكافي ٧٠

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً
الْعَرَكَفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ يَظْلِمِ نَفْسَهُ مِن عَذَابِ إِلِيمِ ﴾ ﴿٣٥﴾

(١) وصف الله المسجد الحرام بقوله: ﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾؛ للإيماء إلى علة مؤاخذه المشركين بصددهم عنه؛ لأجل أنهم خالفوا ما أراد الله منه فإنه جعله للناس كلهم يستوي في أحقية التعبد به العاكف فيه أي: المستقر في المسجد والبادي أي: البعيد عنه إذا دخله.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧١/١٧

(٢) السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان: كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ
بِالْحَافِظِ يَظْلِمِ نَفْسَهُ مِن عَذَابِ إِلِيمِ ﴾، أو حرمة الزمان: كقوله تعالى في الأشهر الحرام: ﴿ فَلَا
تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (التوبة: ٣٦)، أو بسبب عظم الإنسان المخالف: كقوله تعالى في
نبينا ﷺ: ﴿ وَلَوْلَا أَن تَبَنَّكَ لَقَد كِدْتَ تَرَكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ (الإسراء: ٧٤-٧٥).

الشنقيطي، أضواء البيان ١٤٨/٦

(٣) ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ يَظْلِمِ نَفْسَهُ مِن عَذَابِ إِلِيمِ ﴾ في هذه الآية تسلية وطمأنة لمن أشرف
على أمن الحج، وتأمين للحجيج بأن الله سيعينهم ويوفقهم إذا صدقوا مع الله، وأخذوا بالأسباب
المشروعة في ذلك، وحسبهم هذا التأييد الذي يوحي بخيبة المفسدين عاجلاً أو آجلاً.

متدبر

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ﴿٣٦﴾

(١) ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ كان النهي عن الشرك أول شيء
أمر به إبراهيم ﷺ بعد إعلام الله له بمكان البيت، والمأمور بذلك أبو الأنبياء وداعية التوحيد
ومكسر الأصنام إبراهيم ﷺ؛ مما يدل على عظم خطورة الشرك!

(٢) ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ خدمة البيت الحرام وخدمة عمَّاره
من أعظم الطاعات، والتطهير هنا يعم الحسي والمعنوي، فالعمل في ذلك من أشرف الأعمال؛
فتنبه أيها المؤمن أن تقوم بما يضاد ذلك.

٣) علقت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام؛ حتى استطاب المحبون في الوصول إليها هجر الأوطان والأحباب، ولذَّ لهم فيها السفر الذي هو قطعة من العذاب، فركبوا الأخطار وجابوا المفاوز والقفار، واحتملوا في الوصول غاية المشاق، ولو أمكنهم لسعوا إليها ولو على الأحداق:

نعم أسعى إليك على جفوني وإن بعدت لمسراك الطريق

وسرُّ هذه المحبة هي إضافة الرب سبحانه له إلى نفسه بقوله: ﴿وَطَهَّرَ بِنْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾

ابن القيم، روضة المحبين ٢٦٩

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

١) أبلغ الله تعالى صوت إبراهيم حينما نادى بالحج، وحفظ هذا الأذان، فجعله قرآنًا يردد في الصلوات، ويتلى في المحارِبِ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾. إنها إشارة قوية إلى أن على العبد أن يفعل الأسباب التي يستطيعها، ثم يترك ما وراء ذلك للقادر الكبير المتعال.

د. سلمان العودة، مستفادة من (رسائل إلى الحجيج)

٢) ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ رأى بعض الصالحين الحجاج في وقت خروجهم، فوقف يبكي ويقول: واضعفاء! ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟ يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأُحبة وهو قاعد أن يحزن.

لطائف المعارف لابن رجب ٢٣٧

٣) ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ في تقديم ذكر الرجال على الركبان فائدة جليلة، وهي أن الله - تعالى - شرط في الحج الاستطاعة ولا بد من السفر إليه لغالب الناس فذكر نوعي الحجاج؛ لقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، فقدَّم الرجال اهتمامًا بهذا المعنى وتأكيديًا، أو أن هذا التقديم جبرًا لهم؛ لأن نفوس الركبان تزدرهم.

ابن القيم، بدائع الفوائد ٧٣/١

٤) ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يحتفي الناس بضيوفهم في المراكب الفاخرة، وربُّنا يثني على الوفد برواحلهم المنهكة الضامرة.

د. عبدالله بن بلقاسم

٥ ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ إنها إحدى صور عظمة الحج؛ فلا تجد مشهدًا يجمع الناس من كل جنسية وبلد، كما يكون في الحج، إنه مشهد يطلعك على عظمة هذا الدين، وعمقه في الأرض بما لا يشهده دين آخر.

د. محمد الربيعة

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (١٨)

(١) طلب العلم والحج:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾ قال العباس الدوري: ربما كنا عند أحمد بن حنبل أيام الحج، فيجيئه أقوام من الحجاج فيقبل عليهم ويحدثهم، فربما قلنا له في ذلك! -أي: نتعجب من عقد مجلس الحديث في أيام الحج- فيقول: هؤلاء قوم غرباء، وبعد أيام يخرجون.

الآداب الشرعية ١٠٧/٢

(٢) ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾ من منافع الحج العظيمة التي تشملها الآية: أن يتعلم الحجاج ما به منفعتهم في الآخرة، أما منفعة الدنيا، فالناس أساتذة ذلك، لكن منفعة الآخرة الناس اليوم بأشد الحاجة إليه، وإذا كان زمن الحج قصيرًا، فالواجب أن يُكثَّف الجهد في الحج لتعليم الجاهل وتبصير الغافل، فأوصي كل من يذهب إلى الحج وله فضل علم أن يبلغه؛ لأن النبي نادى بعرفة فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ، اللَّهُمَّ فَاشْهَد»^(١).

صالح آل الشيخ

(٣) لما ذكر الله منافع الحج بقوله: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾ أطلقها ولم يقيدھا؛ فشملت منافع الدين والدنيا كلها، ولو تنبه المسلمون لذلك، لبالغوا في استثمار الحج؛ لما يعود عليهم بالنفع الدنيوي والأخروي.

د. محمد الخضير

(٤) حج (مالكولم إكس) -وهو أحد الدعاة السود الأمريكان الذين كانوا يتعصبون للجنس الأسود- فلما رجع من رحلة الحج، غير أفكاره العنصرية، وكان السبب: ما رآه من تساوي المسلمين في الحج -الأسود والأبيض، الغني والفقير، والأوروبي والأفريقي، والعربي والأعجمي- وصدق الله: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾

تراجم شهداء الدعوة في العصر الحديث ٨٩/١

(١) أبو داود ح(٣٣٣٤).

٥) تدبّر: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، وقف متأملاً لقوله: ﴿لَهُمْ﴾؛ لتدرك أن كل عمل من أعمال الحج يعود عليك بنفع عظيم، خلافاً لما يتصوره الكثيرون من أن الحج مجرد أعمال تعبدية لا يدركون أثرها، وهذا يفسر التسابق للبحث عن الترخص والتخلص من كثير من واجباته وأركانه، ولو أدركوا نفعه المباشر لهم، لما فعلوا.

أ.د. ناصر العمر

٦) ﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ لما كان الجهاد أفضل الأعمال، ولا قدرة لكثير من الناس عليه، كان الذكر الكثير الدائم يساويه، ويفضل عليه، وكان العمل في عشر ذي الحجة يفضل عليه، إلا من خرج بنفسه وماله، ولم يرجع منهما بشيء.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٤٩

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٩﴾﴾

هل وقفت متأملاً وأنت تقوم بتطهير جسدك، وتحلق شعرك، ثم تطيب بدنك؟ بأن تلتفت التفاتة جادة لقلبك فتطهره مما لحقه وران عليه؛ لتحقيق الهدف الأسمى للحج، فتعود كما ولدتك أمك؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ، وَأُجِلَّتْ لَكُمْ الْآتَعَمُّ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَجْتَكِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٤٠﴾﴾

بعد أن ذكر الله المناسك - في سورة الحج - قال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾، ففيه إشارة إلى أن الحج ليس أقوالاً وأعمالاً جوفاء، وأن الخير الكثير إنما هو لمن تنسك معظماً لحرمات الله، متقياً معصيته؛ ولعل في افتتاح السورة بالأمر بالتقوى، واختتامها بالجهاد في الله حق المجاهدة تأكيداً على ذلك.

د. عبدالله الغفيلي

﴿خُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ

بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

١) التوحيد علو والشرك سقوط: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان، تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٣٨

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴾ انظر إلى هذا الزلزال النفسي، والشعور بالدمار والخراب في الحياة، الذي يملأ صدور الكفار، واليأس القاتل الذي يجثم على أحلامهم؛ لما يعيشونه من فقر شديد بالعلم بالله، بينما يملأ هذا حياة المسلم سعة ورحمة؛ بسبب ما يتيح له من آفاق أرحب، للنظر في الحياة والكون والمصير.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين ٦٦

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

(١) تعظيم السلف لليلة القدر:

كان تميم الداري رضي الله عنه يتأول قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ فقد اشترى حلة بألف درهم، يلبسها في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

سير أعلام النبلاء ٤٤٧/٢

قارن هذا مع حال بعض الناس يأتي بثياب نومه للمسجد مع قدرته!

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ أضاف التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى في القلب؛ ولهذا قال رضي الله عنه - كما في الصحيح - «التقوى ها هنا» ثلاثاً^(١)، وأشار إلى صدره. القرطبي، أحكام القرآن ٥٦/١٢

(٣) تبدأ الأشهر الحرم بدخول شهر ذي القعدة، وأعظم تدبر عملي مع هذا الزمن الفاضل: أن يرى العبد مُعْظَمًا لها بفعل الخيرات وترك المحرمات؛ فإن الله يقول: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِلَى اللَّهِ وَجِدًّا فَلَهِمْ أَسْلُمًا وَيَشْرَ الْمُخْبِتِينَ ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(١) من أعظم البراهين على منزلة أي عبادة من العبادات أن تراها مشروعة في جميع الشرائع، وهكذا كان النحر: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾؛ فهل يقدر المسلم هذه الشعيرة قدرها؟! د. عمر المقبل

(١) مسلم ح (٢٥٦٤)، والترمذي ح (١٩٢٧)، وأحمد ح (٧٧٢٧).

(٢) لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَحْرَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ مِنَ الشَّعَائِرِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأُمَمِ، خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاللَّهُ كُفُّوا إِلَهُهُ وَجَدُّ فَهَلْ أَسْلَمُوا﴾ وهي إشارة واضحة إلى أَنَّ أعظم رابطة يجمع الأمم هو توحيد الله تعالى، وما يتفرع عنه من أخلاق وأعمال، دون ما سواه من الروابط الأرضية.

د. عمر المقبل

(٣) ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لما بين ابن عطية أَنَّ الإخبات معناه التواضع والخشوع؛ قال: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين.

المحرر الوجيز ١٥٠/٤

(٤) الحج يربي على التواضع، والانكسار لله، وعدم التكبر على عباده، تأمل قوله تعالى - في سياق آيات الحج -: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ أي: المتواضعين.

فهنيئًا لحاجٍّ لم يزد الحج إلا تواضعًا وإخباتًا لله.

أ.د. محمد العواجي

(٥) ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ من أفضل حالات العبد في مثل هذه المواسم: انكسار القلب بين يدي الله، والإخبات له سبحانه، ومن أكثر ما يعين على العيش بهذه العبودية: تذكُّر ذنوب سترها الله على العبد ولم يؤاخذ به، وتذكُّر جود الرب وكرمه، الذي يبعث على شدة الرجاء والتضرع.

(٦) قال تعالى في سياق آيات الحج: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَأَلْصَقِيْنَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمَعِيَّيَ الصَّلَاةَ وَتَارَقَتْهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم عند ذكره (والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة)، وصبرهم على أقداره، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرًا وباطنًا، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم.

ابن القيم، شفاء العليل ١٠٦/١

فما أجمل أن ترى الحاج وقد جمّل ظاهره وباطنه بهذه العلامات.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

(١) حج سعيد بن المسيب، وحج معه ابن حرملة، فاشترى سعيد كبشًا فضحى به، واشترى ابن حرملة بدنة بستة دنائير فنحرها، فقال له سعيد: أما كان لك فينا أسوة، فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ فأحببت أن آخذ الخير من حيث دلني الله عليه، فأعجب ذلك ابن المسيب منه، وجعل يحدث بها عنه.

الدر المنثور ٥١/٦

٢) من شعائر الله التي قل العمل بها: سوق الهدي إلى الحرم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَبُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ (الحج)، وقال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾، قال الرازي: «وما أخلق العاقل بالحرص على شيء شهد الله -تعالى- بأن فيه خيراً، وبأن فيه منافع»^(١).
د. محمد القحطاني

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

١) قال بعض السلف: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ إن اتقيت الله في هذه البدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله؛ تعظيماً لشعائر الله، ولحرمات الله، وجعلته طيباً، فذلك الذي يتقبل الله، فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟

جامع البيان لابن جرير ٦٤١/١٨

٢) قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ فالعبادات إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٨٣

٣) ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ فتأمل في دلالة كلمة ﴿مِنْكُمْ﴾! فدفع الأموال منا، والجهد البدني في الذبح منا، فبقي تحقيق الأهم، وهي التقوى، فهي التي سنثاب عليها إن حققناها، وسنخسر إن غابت عن أعمالنا.

د. عمر المقبل

٤) ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ هذه قاعدة عظيمة في أعمال ومناسك الحج كلها؛ فإذا رأيت الناس يتسابقون ويتزاحمون لتأدية الأعمال الظاهرة، فاسبقهم بتحقيق التقوى وتعظيم شعائر الله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(١) مفاتيح الغيب ٢٣/٢٢٦.

٥) ورد في آيات الحج من العناية بأمر القلوب ما لم يرد في أي ركن من أركان الإسلام؛ لما في أعمال الحج من مظاهر قد تصرف عن مقاصده العظيمة إلى ضدها، تأمل: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوءَ مِنكُمْ﴾، فتعاهد قلبك حين أداء نسكك.

أ.د. ناصر العمر

٦) المتأمل لآيات الحج يلحظ تكرر ورود التكبير، وذكر الله، والتركيز فيها على التقوى وعمل القلب؛ لأن أغلب مناسك الحج ارتبطت بمظاهر وجمادات محسوسة؛ فلتلا يتعلق القلب بشيء منها، أو يعتقد فيها ضرًا أو نفعًا، وينصرف عن المقصد الأعظم من الحج وهو تحقيق الإيمان والتقوى، تدبر: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوءَ مِنكُمْ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٧) الكسوف وتدبر عملي:

يقول أحد الإخوة: ركب معي في سيارتي بعد صلاة الكسوف -هذا اليوم- رجل عامي كبير في السن، وبكى كالطفل، فظننت أنه يبكي لوفاة حبيبه! سألته: عسى ما شر؟ فكان رده كالصاعقة علي! قال: أكثر الناس لا تصلي الكسوف! وبيوتنا فيها دشوش سيئة، وأولادنا لا يصلون، ونسرف في الولائم، فكيف لا نخاف؟ ونزل من السيارة وهو يكفكف دموعه!
وصدق الله: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوءَ مِنكُمْ﴾.

متدبر

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨)

١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا يبعد أن يكون المعنى: أنَّ الكفار يستعملون كل ما في إمكانهم لإضرار المؤمنين، فيدفع الله كيدهم عن المؤمنين، فكان دفعه سبحانه لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد، يحاولون إلحاق الضرر بالمؤمنين؛ وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة، في قوله: ﴿يُدْفِعُ﴾، وإن كان ﴿قَادِرًا﴾ على إهلاكهم، ودفع شرهم عن عباده المؤمنين.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٦٢/٥

٢) ربط الله سبحانه دفاعه عنك بصفة الإيمان؛ فكلما زاد إيمانك زاد دفاعه عنك، وكلما ضعف إيمانك؛ ضعف دفاعه عنك، وهذا بناء على القاعدة التفسيرية: أن الحكم المعلق على وصف، يزيد بزيادته وينقص بنقصانه.

د. خالد السبت

﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَعِيرٌ حَتَّىٰ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

الحكم بغير ما أنزل الله من أعظم أسباب تغيير الدول، كما جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانته؛ فإن الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٨٨/٣٥

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

(١) من الاتعاظ بالزمن دراسة التاريخ العام، وتتبع آيات الله في الآفاق، وتدبر أحوال الأمم.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٢١٠

(٢) ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ ﴾ قال قتادة ؓ: البصر الظاهر: بلغة ومتعة، وبصر القلب: هو البصر النافع.

معالم التنزيل ٣٩١/٥

(٣) ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ فأخبر ؓ أن الحواس تبع للعقل، وأن ذا العقل الذي يغلب هواه عليه لا ينتفع بما أدركت حواسه.

ابن حزم، رسائله ٣١٥/٤

(٤) ليس كل مبصر يرى!

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: فعمى القلب هو العمى الحقيقي، لا عمى البصر، فأعمى القلب أولى أن يكون أعمى من أعمى العين؛ فنبه بقوله: ﴿ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ على أن العمى هو العمى الباطن في العضو الذي محله الصدر، لا العمى الظاهر في العضو الذي محله الوجه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٤٢

﴿ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتْ نَعْرَفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكُمْ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾ ﴾

وأما وقية الفساق في أهل الفضل والدين، فعلى شبه من قال الله فيهم: ﴿ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتْ نَعْرَفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾. واستخفاف هؤلاء بالدين يحملهم على إشاعة أشياء عن العلماء والدعاة منهم، ورجال الحسبة فيهم، بقصد الشناعة عليهم.

د. بكر أبوزيد، تصنيف الناس ١٥-١٦

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَلذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٧﴾ ﴾

كل من ترجوه من الناس، وتطمع في جاهه أو نصرته أو سلطانه وماله، فهو ضعيف مثلك، لا يملك لك شيئاً! ﴿ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾

د. خالد المصلح

﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٨﴾ ﴾

تسونامي اليابان:

﴿ وَمَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾! سيارات تتدحرج كحبات المسبحة وهي تتناثر، وطرق القطارات والسيارات كأنما هي خيط تلك المسبحة، والقنلى والجرحى بالآلاف بعد مرور (٢٤ ساعة) فقط من وقوع الطوفان، وصار الناس كأنهم على بوابة القيامة فتراهم: ﴿ سُكَّرِي وَمَاهُمْ يُسُكَّرِي ﴾، مشهد يحرك في القلب معنى من معاني عظمة الجبار، وضعف الإنسان، فاللهم جنب بلاد المسلمين آثاره، ولين قلوبنا لنعتبر.

متدبر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(١) سورة الحج.. فيها من التوحيد والحكم والمواظ على اختصارها ما هو بين لمن تدبره، وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها: توحيداً وصلوة وزكاة وصياماً، قد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، فهذه الآية والتي بعدها لم تترك خيراً إلا جمعته، ولا شراً إلا نفته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/٢٦٦

٢) إذا عبر عن شيء بأحد أجزائه، فهذا دليل على أنه ركن فيه؛ ومن هنا أخذت ركنية الركوع والسجود في الصلاة من قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

د. محمد الخضيرى

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ قَلَّةٌ أَيْبِكُمْ إِِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨)

١) ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قال الحسن البصري ؓ: إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف.

الدر المنثور ٧٨/٦

٢) ختم الله سورة الحج بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، وفي ذلك -والله أعلم- إشارة إلى استمرار الجهاد والمجاهدة بعد هذه الفريضة العظيمة، والأيام المتميزة بفضلها، وتنوع الأعمال الصالحة فيها، وأن ذلك ليس خاصاً بها، بل العبد محتاج لها في الصلاة، والزكاة، والاعتصام بالله، مبينا أن الانضباط بالشريعة -مع حاجته إلى المجاهدة- ليس فيه أي حرج أو عسر، بل هو سمة هذا الدين، ومنهج أبينا إبراهيم، وبه يتحقق الاجتباء والاصطفاء، فهل يتنبه لذلك من يركن للراحة والدعة والتفريط بعد الحج؟!

أ.د. ناصر العمر

٣) المتأمل في آيات الحج يلحظ سمة التيسير في تشريعاته وأحكامه كلها، لكنه تيسير منضبط لا عن هوى وتشهي، والتيسير لا يعني عدم المشقة والتعب، فقد ختم الله أحكام الحج في سورة الحج بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، وسمّاه النبي ﷺ جهاداً، وأبان أن الأجر فيه على قدر النصب والتعب.

أ.د. ناصر العمر



اقرأ أول سورة «المؤمنون» بتدبر، تجد أن من أهم صفات المؤمنين المفلحين: إتقان العمل، والمداومة عليه، وهذان الأمران هما سر النجاح وأساس الفلاح، فالحشوع في الصلاة يشير إلى ضرورة الإتيان، والمحافظة على جميع الصلوات لا تكون إلا بالمداومة والاستمرار.

د. محمد القحطاني

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ ﴾

١) سورة المؤمنون أولها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وآخرها: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧
فستان ما بين الفاتحة والخاتمة!

الزمخشري، الكشاف ٤/٣٧٣

٢) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أفلحوا هكذا بإطلاق؛ في كل شيء، في كل آن.. لم يقيد الفلاح بـ(أين) ولا (متى)، هم المفلحون دومًا لو التزموا الإيمان.

د. خالد الزيني

فتأمل -يا عبدالله- في الصفات التي جعلت أولئك المؤمنين يفلحون، وتأمل أواخر هذه السورة؛ لتدرك لم لا يفلح الكافرون!؟

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ ٣ ﴾

١) من أعظم موانع الخشوع: كثرة اللغو والحديث الذي لا منفعة فيه؛ ولذلك ذكر من صفات المؤمنين إعراضهم عن اللغو بعدما ذكر خشوعهم فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ ﴾

د. محمد الخضير

٢) لقد كانت هذه الآية - التي وصف الله فيها عباده المفلحين - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ من أعظم ما منعي من الاسترسال في إرسال الرسائل التي لا فائدة منها، فضلاً عن المحرمة، رغم أن عرض الرسائل المجانية ما زال ساريًا^(١).

متدبر

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١٤)

١) خلق سبحانه الحناجر مختلفة الأشكال: في الضيق والسعة والحشونة والملاسة والصلابة واللين والطول والقصر؛ فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف، ولا يكاد يشتهبه صوتان إلا نادراً ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١٩١

٢) ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ جاء لفظ (تبارك) في القرآن عدّة مرات، وكلها مسندة إلى الله ﷻ، ولم تأت مسندةً لمخلوق أبداً؛ لأنّ المخلوق لا يوجد لها، ولكن قد يكون سبباً في حدوثها، وبهذا يتبيّن خطأ القول الشائع ك: تبارك المنزل، وتباركت السيارة ونحوهما، مع حسن قصد قائلها.

أ.د. ناصر العمر

﴿فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾^(٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترصدوا به. حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٢٥)

أيها المصلح:

هذه سيرة أعداء المصلحين مع كل رسول: ينتقصونه: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ﴾، ويطعنون في نواياه: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾! وفي عقله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾، ويتدبرون له: ﴿فترصدوا به﴾.

د. خالد المزبني

(١) أرسلت حين عرضت إحدى شركات الاتصالات عرضاً مجانياً في إرسال الرسائل لمدة شهر كامل.

﴿ وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

من ضعيف حُجج الملائة وغريبها قولهم لأقوامهم -تكذيباً للرسل-: ﴿ وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ ﴾؛ فيقال لهم: فإن أتبعوكم في تحذيركم هذا؛ هل سيخرجون عن أن يتبعوا بشراً مثلهما؟!

د. مساعد الطيار

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَاتِنَا وَمَنْ لَنَا بِآيَاتِنَا مِنْ آيَاتِنَا إِنْ كُنَّا بِآيَاتِنَا لَمُهْلِكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

تجربة سعدية مع التدبر:

مر عليّ منذ زمان طويل كلام لبعض العلماء لا يحضرنى الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه أما هذه الآيات؛ فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جداً، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصُكُورٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص) فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية.

تيسير الكريم الرحمن ٥٥٢

﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

(١) أوصى سفيان الثوري رجلاً فقال: إياك أن تزداد بجلمه عنك جرأة على المعصية؛ فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم، فقال: ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾، ثم قال للمؤمنين: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسُهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ثم أجملها، فقال: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة).

حلية الأولياء ٢٤/٧

(٢) ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أمر الرسل بالأكل من الطيبات فيه رد على الغلاة الذين يمتنعون منها، وفيه رد على الجفاة الذين لا يقتصرون عليها.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن ٤٠٢

(٣) ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوْا صَالِحًا﴾ الأمر بإصلاح العمل مع الأكل من الطيبات فيه رد على ثلاث طوائف:

١- من يأكلون الطيبات بلا شكر، والشكر هو العمل المرضي.

٢- من يعمل بغير إخلاص، وهم المراءون.

٣- من يعمل مخلصاً، لكن على غير السنة.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن ٤٠١

(٤) تأمل كيف قرن الله بين أكل الطيبات وعمل الصالحات في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوْا صَالِحًا﴾؛ فأكل الحلال الطيب مما يعين العبد على فعل الصالحات، كما أن أكل الحرام أو الوقوع في المشتبهات مما يثقل العبد عن فعل الصالحات.

فهد العيبان

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾

(١) قال تعالى: ﴿وَجِلَةٌ﴾ أي: خائفة، يقول الحسن البصري رحمته الله: يعملون ما يعملون من أعمال البر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم، إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً.

جامع البيان ٤٥/١٩

(٢) كان سهل بن عبد الله التستري يقول: إنما خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة، وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

إحياء علوم الدين ١٧٢/٤

(٣) إن الله إذا أراد بعبد خيراً، سلب رؤية أعماله الحسنه من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه؛ حتى يدخل الجنة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

ابن القيم، طريق الهجرتين ١٧٢

٤) يقول ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُو تَحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي»^(١) بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

لطائف المعارف ٢٢٨

٥) من تدبر القرآن علم أن الصالحين لا يخافون من شيء أعظم من خوفهم من أمرين:

- الخوف من أعمالهم الصالحة أن لا تقبل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

- الخوف من زيغ القلب بعد هدايته: ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨).

صالح المغامسي، محاضرة: كيف تتدبر القرآن؟

٦) القرآن يعلمنا - وخاصة في رمضان - أن لا نغتر بصيامنا ولا بكثرة قيامنا؛ بل يزداد خوفنا

بازدياد طاعتنا؛ لأننا نحيا بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

متدبر

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (١١)

الآية دليل على أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة: من صلاة في أول الوقت - وغير ذلك من العبادات -

هو الأفضل، ومدح الباري أدل دليل على صفة الفضل في المدوح على غيره.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤٦٧/٥

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ (١٢)

أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان، والخشية والمحبة والإنابة، والتصديق بالوعد، ورجاء

الثواب، وسقيت مرة بعد مرة، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها، والقيام عليها؛ أثمرت له كل

فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات؛ فاحذر أن تكون ممن

قال الله فيهم: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾

ابن القيم، طريق المهجرتين ٢٧٥

(١) الترمذي ح (٣٥١٣)، وابن ماجه ح (٣٨٥٠)، وأحمد ح (٢٥٣٨٤).

﴿ أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦٨)

﴿ أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ جاءت في سياق الخطاب مع الكافرين؛ لتقرر أن التدبر للكافر هو مفتاح الهداية، فكيف بالمسلم؟!

د. عبدالله الغفيلي

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٦٩)

استجابة الناس للداعية الغريب عليهم ضعيفة غالبًا، ويسهل قبول الطعن فيه من خصومه، وإنكار ما يدعو إليه، بخلاف ما إذا كان معروفًا بشخصه وبأخلاقه؛ فالأولى بمن ذهب لبلد لا يعرف فيه أن يكون هناك من وجهاء البلد من يعرف به ويزكيه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَرَهُمُ لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴾ (٧٠)

تجنب الحكم بالتعميم ما استطعت، وتأمل: ﴿ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَرَهُمُ لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴾ فقد يكون بعضهم يؤمن بقلبه، لكنه ساكت خوفًا على نفسه.

د. محمد الربيعة

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾ (٧١)

(١) ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾ هذا نموذج لصنف من الناس الذين تصيبهم المصائب والنكبات والعذاب، ولكن قلوبهم قاسية لا تتأثر، نسأل الله العافية.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢٤/١) (بتصرف)

(٢) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾، وقال: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أمر طبيعي أن نبتلى، والمطلوب شرعًا أن يسمع ربنا -الغني عنا- تضرعنا حين نبتلى؛ لأن الله عاب على هؤلاء عدم تضرعهم فقط.

متدبر

﴿ادْفَع بِاللَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦)

(١) فقه الآية: اسلك مسلك الكرام، ولا تلحظ جانب المكافأة؛ ادفع بغير عوض، ولا تسلك مسلك المبايعة، ويدخل فيه: سلّم على من لم يسلم عليك، والأمثلة تكثر.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥/٤٧٣

(٢) والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله، فهو يتولى الانتصار لمن توكل عليه، وأنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدرة وأرسخ في نصره، وماذا تبلغ قدرة المخلوق تجاه قدرة الخالق؟ وهو الذي هزم الأحزاب بلا جيوش ولا فيالق.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨/٩٧

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

(١) هل تشعر بنعمة بلوغ رمضان؟

فقط تذكر كلمة ذلك المحتضر الذي قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾! وتذكر صرخة أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ (فاطر: ٣٧).. فيا بشراك يا من بلغت مواسم الخيرات، ووقفت لعمل الصالحات.

د. عمر المقبل

(٢) تقليب النظر في ملف الزمن:

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ طلب الرجوع ليعمل صالحًا، لا ليجمع الدنيا، ويقضي الشهوات، فرحم الله امرءًا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

تفسير السمعاني ٣/٤٩٠

(٣) ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ قال الإمام السمعاني: يعني: سؤال الرجعة، وقد قال أهل العلم من السلف: لا يسأل الرجعة عبدٌ له عند الله ذرة من خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يجب القدوم عليه.

تفسير السمعاني ٣/٤٩٠

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠)

قال رجل لزهير بن نعيم: من أنت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: من أنعم الله عليه بالإسلام؛ قال: إنما أريد النسب، قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾.

حلية الأولياء ١٠/١٤٩

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١١٩)

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (١١٠)

(١) شهدت عددًا من الكتاب الشباب لا زالت خصومتهم مع المتدينين تتماذى بهم؛ حتى تورطوا بمقالات محادة للوحي، كل ذلك بدافع النكاية بالمتدينين وإغاضتهم فقط، وكنت أظنّها صرعة جديدة حتى قرأت قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١١٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

إبراهيم السكران

(٢) ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر: اشتغالهم بالاستهزاء بالمؤمنين، كما أن نسيانهم للذكر يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٦٠



﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بينتٍ لعلكم تذكرون﴾ (١)

(١) تأمل بداية سورة النور ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ ففيه توطئة لما سيأتي في مضامين السورة من الحدود والأحكام والآداب، فينبغي على الناس أن ينقادوا لها انقياداً كاملاً؛ لأنها ليست أفكاراً بشرية، ولا تخضع للاجتهادات، بحيث يدلي كل إنسان بوجهة نظره فيما يتعلق بالاختلاط ولباس المرأة وخروج المرأة؛ فليس لأحد أن يعترض على حدود الله بحجة أنها قضايا شخصية!

د. خالد السبت

(٢) قال تعالى في أول سورة النور: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بينتٍ﴾ (١) فهذه السورة فيها حجج وتوحيد، وفيها دلائل الأحكام، والكل آيات بينات: حجج العقول ترشد إلى مسائل التوحيد، ودلائل الأحكام ترشد إلى وجه الحق، وترفع غمة الجهل، وهذا هو شرف السورة؛ فيكون شرفاً للنبي ﷺ في الولاية، شرفاً لنا في الهداية.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥/٧٨؛

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عداهما طائفة من المؤمنين﴾ (٢)

(١) ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من المعلوم أن ألم العلاج النافع، أيسر وأخف من ألم المرض الباقي.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/٢٩٠

(٢) ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ نهى عن التهاون في إقامة العقوبات عموماً، والفواحش خصوصاً؛ لأنَّ مبناها على المحبة والشهوة، فيزين الشيطان انعطاف القلوب على أهلها، حتى يدخل كثير من الناس في الديانة وقلة الغيرة، وربما ظن أنَّ هذا رحمة ولين جانب، وإنما ذلك مهانة وضعف إيمان، وإعانة على الإثم والعدوان، وترك للتناهي عن الفحشاء والمنكر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/٢٨٧

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى بعد ذكره أحكام القذف: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ قد يقال: إن المتوقع أن يقال: ﴿تَوَّابٌ رَجِيمٌ﴾؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة، لكن ختمت باسم الله (الحكيم) إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة.

السيوطي، الإتيان ٢/٢٧٥

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

(١) ﴿لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هذه الجملة جاءت في أول آية من الآيات التي نزلت في قصة الإفك الذي يحدد طرحه أهل إفك آخرون - هذه الأيام - ممن كذبوا القرآن الذي برأها .
وصدق الله: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فكم كان لهذا الحدث من أثر في يقظة الأمة وتبصيرها بحقيقة القوم، وغيرها من الحكم.

د. محمد الربيعة

(٢) إلى من يتسابق في نشر المقاطع المحرمة في الجوال أو النت:

تأمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ففي الآية دليل على أن من سن شراً أعظم إثماً ممن وافقه عليه؛ لأن المتولي للكبر كان السابق إلى الإفك، وسائرهم صدق قوله، فاستوجب ضعف العذاب.

القصاب، نكت القرآن ٢/٤٣٤

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

(١) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

الفوائد لابن القيم ٢١٧

(٢) من الناس من يتلقف الكلام دون تمحيص، ويلقيه بلا تفكير في صدقه وكذبه، ودون أن يعرضه على قلبه وعقله، ويحسب الأمر هيناً وفي مثلهم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

د. محمد الخضير

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ مع أن القول لا يكون بغير الأفواه، إلا أنه ذكر تمهيداً لقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ وفي هذا من الأدب: أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه وإلا فهو أحد رجلين: ناقص الرأي، يقول الشيء قبل التبين، فيوشك أن يكذب، أو رجل مموه مرء يقول ما يعتقد خلافه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤٣/١٨

٤) يقول أحد الإعلاميين (من دولة خليجية) ممن أوتي قدرة على الكتابة وخصوصاً الوصف، والكتابة في عالم الغزل، والتشبيب بالنساء: كانت تأتيني رسائل ثناء وإشادة كثيرة من المتابعين، وذات يوم جاءت رسالة قصيرة من جوال لا يعرفه، غيّرت مسار حياته الإعلامية وكتاباته، هي: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

من مقابلة مع الكاتب نفسه في قناة المجد الفضائية

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩)

١) لشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين مفسدة عظيمة؛ فإن مما يبعد الناس عن المفسد تهيبهم لها، فإذا تناقل الناس أخبار الفواحش؛ خف وقعها على الأسماع، وأقدمت عليها النفوس؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨٥/٨

٢) العاقل هو الذي يتحسس معائب نفسه، وينظر معائب نفسه ليصلحها، لا أن ينظر معائب الغير ليشيعها -والعياذ بالله-؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات ٥١

٣) ومحة إشاعة الفاحشة تنتظم جميع الوسائل القبيحة إلى هذه الفاحشة: سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا، وهذا الوعيد الشديد ينطبق على دعاة تحرير المرأة في بلاد الإسلام من الحجاب، والتخلص من الأوامر الشرعية الضابطة لها في عفتها وحشمتها وحيائها.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة ٥٢

٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ يدخل في ذلك دعوات ساقطة لإخراج المرأة من خدرها، وقد ينطلي على بعض ممن في قلبه إيمان؛ فيرى مع كثرة الدعوات الآثمة أن لا بأس بمزاولة المرأة أعمالاً يراها الرائي لأول وهلة لا ضير فيها، وهي عند العارفين ذرائع للفاحشة، وإشاعة لها.

عبدالعزیز آل الشيخ

٥ في هذه الآية وعيد رباني لا يتخلف للذين يتبنون مشاريع الفساد والإفساد في الأرض بالعذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة، سواء كان حسياً أو نفسياً؛ علمنا به أم لم نعلم؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وفي ذلك شفاء لصدور المؤمنين، وإذهاب لغيظ قلوبهم.

أ.د. ناصر العمر

٦ إذا زكى إمام من الأئمة أحداً، فهذه منقبة، وإذا كان المزكي هو الرسول ﷺ، فلا سبيل إلى الجرح، فكيف إذا كان المزكي والشاهد بالفضل هو الله ﷻ؟ هذا ما وقع لجميع أمهات المؤمنين، وخصوصاً عائشة ؓ التي أنزل الله في براءتها (١٦ آية) من سورة النور.

د. عمر المقبل

٧ إذا كان الوعيد الذي نزل في شأن من قذفوا عائشة ؓ بهذه الشدة والتهديد، والآيات لم تنزل إلا بعد حدوث الإفك؛ فكيف سيكون الحال فيمن قذفها بعد نزول الآيات الصريحة في براءتها؟! متدبر

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٦)

١) قال شوقي: نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ويكثر هذا في أماكن العمل المختلطة حساً أو معنى: كالمستشفيات، وبعض المنتديات، ومواقع الشبكات، ومن أعظم ما يقطع هذه الخطى الشيطانية تذکر: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانًا﴾ (الرحمن: ٤٦).

٢) كثير من المسلمين -ولله الحمد- يسألون الله من فضله، لكن كثيراً منهم لا يخطر بباله إلا الفضل الدنيوي: كالرزق والصحة ونحوها، ويغيب عنهم أن أعظم الفضل الإلهي إنما هو تزكية النفوس؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾.

إبراهيم السكران

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

١) أتحب أن يعفو الله عنك، ويغفر لك؟ إنه عمل سهل؛ لكنه عند الله عظيم! وهذا يتحقق لك بأن تعفو وتصفح عن كل مسلم أخطأ في حقك، أو أساء إليك، أو ظلمك؛ فإن استثقلت نفسك هذا، فذكرها قول ربها: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

د. محمد العواجي

٢) نزلت في أبي بكر لما حلف ألا ينفق على مسطح بعد قذف عائشة، ولم يشر الله إلى خطيئة مسطح، حيث تم إقامة الحد عليه فطهره.

فهل نتعامل مع أصحاب الذنوب بمثل ذلك إذا تابوا أو طهروا؟ فلا نذكرهم بسوء أبداً؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

١) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الغفلة عن القبائح مانعة من فعلها؛ إذ لا يتأتى فعلها إلا بالعزم عليها، ولا عزم عليها مع عدم الشعور بها، وتحصل هذه الغفلة بإيجاد الأسباب الشاغلة.

العزبن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٩٦

٢) لماذا توصف المؤمنات المحصنات بـ ﴿ الْغَافِلَاتِ ﴾؟ إنه وصف لطيف محمود يُجسد المجتمع البريء، والبيت الطاهر الذي تشب فتياته: زهرات ناصعات، لا يعرفن الإثم، إنهن غافلات عن ملوثات الطباع السافلة. وإذا كان الأمر كذلك، فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة، والأفلام الهابطة؛ لتمزق حجاب الغفلة هذا، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي، وفضح الأسرار وهتك الأستار، وفتح عيون الصغار قبل الكبار؟! ألا ساء ما يزررون!!

د. صالح بن حميد

﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

ولو فليت القرآن كله، وفتشت عما أوعده به العصاة، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفاك عائشة رضي الله عنها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه؛ على طرق مختلفة، كل واحد منها كاف في بابه.

١ - حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً.

٢ - توعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة.

٣ - أن أسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا.

٤ - أنه يوفيههم جزاءهم الحق الواجب حتى يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

فأوجز في ذلك وأشيع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر، وما ذاك إلا لأمر.

الزمخشري، الكشاف ٢٢٣/٣

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: «ارجع»، فأرجع وأنا مغتبط؛ لقوله: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤١/٦

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَّهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ليحذر العاقل إطلاق البصر؛ فإن العين ترى غير المقدور عليه على غير ما هو عليه.

ابن مفلح، الفروع ١٨١/٨

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِحُجْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيَةَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

(١) ومن ذا الذي يجمع الفتیان والفتيات في غرفة وينتظر من الجنسين أن يصرخوا بأبصارهم عن النظر، ولا يتبعوا النظرة بأخواتها؟ وهل يستطيع أحد أن يقول: إن عليهم أن يحتفظوا بأدب غض أبصارهم من حين الالتقاء بين جدران الجامعة إلى أن ينفصوا من حولها؟

الحضر حسين، محاضرات إسلامية ١٩٠ / ٢٠٠

(٢) وليس في حماية الفتاة من الاختلاط بغير محارمها تضييق لدائرة الحياة في وجهها، وإنما هو احتفاظ بكرامتها، وتوفير لهناها؛ إذ بصيانتها عن الاختلاط تعيش بقلب طاهر ونفس مطمئنة، وبهذه الصيانة تزيد الصلة بينها وبين زوجها وأولي الفضل من أقاربها متانة وصفاء.

الحضر حسين، محاضرات إسلامية ١٩٠-٢٠٠

(٣) سد الذرائع: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ يؤخذ من الآية قاعدة سد الذرائع، فإذا كان المباح يفضي إلى محرم أو يُخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، مُنع منه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٦٦

(٤) ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ أيهما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالاً بقدم امرأة لا يدري ما هي؟ وما جماها؟ ولا يدري أشوها هي أم حسناء؟! أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل، ممتلئ شباباً ونضارة، وحسناً وجمالاً وتجميلاً بما يجلب الفتنة، ويدعو إلى النظر إليها؟ ابن عثيمين، رسالة الحجاب ٥

(٥) تدبر هذه الآية ملياً: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ فالقدم هنا مغطاة، ونهى عن أي حركة تظهر ما تحت ستر القدم، وهو الخلخال؛ أفيكون كشف أجمل ما في المرأة -وهو وجهها- مباحاً؟!

أ.د. ناصر العمر

(٦) قف متأملاً لهذه الآية: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضَنْ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ وفي آخرها: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ فشرعية حددت حركة العين، وبينت حكم صوت الخلخال في القدم؛ أينقصها بيان حكم الله في سائر شئون الحياة؟ فلا نامت أعين المنهزمين!

أ.د. ناصر العمر

(٧) في قوله تعالى - في خواتيم آية غض البصر - ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فوائد جليلة، منها: أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق؛ تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غَضِّ البصر، وحَفْظِ الفرج، وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فمستقل ومستكثر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٠٣/١٥

(٨) أتدري من المخاطب بهذه الآية؟ ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لقد خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم.

ابن القيم، مدارج السالكين ١٧٨/١

(٩) تأمل هذا السر العظيم من أسرار التنزيل وإعجاز القرآن الكريم: ذلك أن الله - تعالى - لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنى، وتحريمها تحريماً غائباً، ذكر سبحانه من فاتحتها إلى تمام الآية ٣٣: أربع عشرة وسيلة وقائية: تحجب هذه الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف جماعة المسلمين، وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة ١٥٨

فحاول أن تستخرجها زادك الله فهماً في كتابه .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣٥)

(١) ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فعندما يجتمع المجلساء متحلقين بمجالس القرآن، ويشرعون في الاشتغال بكتاب الله، فإنما هم في الحقيقة يصلون أرواحهم بحبل الله النوراني، ويربطون مصابيح قلوبهم بمصدر النور الأكبر، فإذا بهم يستنبرون بصورة تلقائية، وبقوة لا نظير لها؛ وذلك بما اقتبسوا من نور الله العظيم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٥٧

(٢) ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهلا سألت نفسك -إذا أحسست بظلمة في صدرك أو قلبك- ما الذي يحول بينك وبين هذا النور العظيم الذي ملأ الكون كله؟! ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠) ﴿(النور).﴾

أ.د. ناصر العمر

(٣) تدبر سورة النور له أثر عظيم في علاج التعلق بالصور والرسوم؛ لما في السورة من التزكية والنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والتعلق ظلمة في القلب، فإذا حل النور، انجلي الظلام وزكى الفؤاد.

أ.د. ناصر العمر

(٤) في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «وَأَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيحًا قَلْبِي، وَنُورًا صَدْرِي»^(١) قال ابن تيمية رضي الله عنه: إذا نزل الربيع بأرض أحياءها، أما النور فإنه ينتشر ضوءه عن محله؛ فلما كان الصدر حاويًا للقلب، جعل الربيع في القلب والنور في الصدر لانتشاره كما فسرت المشكاة، في قوله: ﴿مَثَلُ نُورٍ مِثْلُ نُورٍ﴾ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ وهو القلب.

مجموع الفتاوى ٣١٢/١٨

(٥) في قوله تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الله -تعالى- الزجاج بالكوكب، ولم يشبهها بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف، والكواكب لا يلحقها الخسوف.

البعوي، معالم التنزيل ٣٠٠/٣

(٦) ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ تأمل! كم حُرِمَ هذا النور أناس كثيرون هم أذكى منك! وأكثر اطلاعًا منك! وأقوى منك! وأغنى منك! فاثبت على هذا النور، حتى تأتي -بفضل الله- يوم القيامة مع من ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَاْمَنِيهِمْ﴾ (التحریم: ٨).

د. عمر المقبل

﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧)

إغلاق المحلات وقت الصلاة؛ تعظيمًا لهذه الشعيرة وحفرًا للجماعة أمر معروف في زمان السلف، بل استنبطه ابن عمر من القرآن، فقد كان مرة في السوق، فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد؛ فقال: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

تفسير عبدالرزاق الصنعاني ٦١/٣

(١) ابن أبي شيبة ح (٣٢٩)، أحمد ح (٣٧١٢)، الحاكم ح (١٨٧٧).

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

١) المتأمل لما يسمع من تحليلات وتوقعات حول أحداث الأمة يلحظ اضطراباً وغبشاً في الرؤية، والسر في ذلك: عدم الانطلاق من منهج القرآن في تقويم الأحداث، فأصبحوا كمن يسير في ظلمات متراكمة، تدبر آية النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ إلى آخر الآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾

أ.د. ناصر العمر

٢) القرآن لا يفتح كنوز أسراره إلا للمأذون، ولا إذن لمن تعلق بقلبه شيء من كبرياء الهوى، واستعلاء الفهوم، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، فاحضع لربك واخضع قبل طرق الباب.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٥٥

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾

يقف المؤمن خاضعاً، والقلب مستكيناً وهو يتفكر في قدرة ربه القوي العظيم في قلب الجؤ: برودة ودفئاً، صحواً وغيماً، وصفاءً وقتره، كل ذلك في فترات قصيرة يغشاه ذلك وهو يتدبر قول ربه: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

د. محمد الربيعة

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الذين يبحثون عن النصوص الشرعية لمقررات سابقة آمنوا بها قبل أن ينطلقوا من دليل معتبر، فالغالب عليهم عدم الانتفاع بنور الوحي وهداياته؛ لفقد شرط الإخلاص والتجرد لا اتباع الوحي وإن خالف أهواءهم. تدبر هذه الآية: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾

عبد اللطيف التويجري

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٦﴾﴾

قال أبو عثمان الهروي: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ .
مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٠/١١

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

١) ولي الصغير مطالب بتعليم أولاده ومن تحت يده العلم والآداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٧٤ (بتصرف يسير)

٢) حدد الله أوقافاً للصغار لا يدخلون فيها على الوالدين ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ وهم الوالدان! رمز العفة والطهر؛ حفظاً للأبصار، فكيف بمن تركهم أمام الفضائيات التي تكشف فيها العورات، ويعرض فيها ما يغري بالفواحش!؟

متدبر

﴿وَالْفَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَالْفَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ ظهر بذلك فضل التحيب والتستر ولو من العجائز، وأنه خيرٌ لهن من وضع الثياب؛ فوجب أن يكون خيراً للشباب من باب أولى، وأبعد لهن عن أسباب الفتنة. ابن باز، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ١٠

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

١- فهم ثاقب..

سئل الإمام مالك عن رجل أحرم قبل الميقات؟ فقال: أخاف عليه من الفتنة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، فقال السائل: وأي فتنة في ذلك؟ وإنما هي زيادة امتثال في طاعة الله تعالى! قال: وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك خصصت بفعل لم يفعله رسول الله ﷺ؟

سورة الفرقان

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

كيف تتمكن عظمة القرآن من قلبك؟

قال الشيخ فريد الأنصاري: في صدر تدبراته لسورة الفرقان:

«وانما يتعرف المؤمن على عظمة القرآن عندما يتعرف على عظمة المتكلم به: الله رب العالمين؛ إذ قيمة الكلام إنما هي بقيمة من تكلم به، فإذا أبصرت هذا السر، انكشفت لك كنوز القرآن؛ ولذلك قال بعد مباشرة على سبيل التعريف بمُنزَل القرآن: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ فكان المتلقي عندما سمع فاتحة السورة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ولم يُفصح عن اسم الجلالة: الله، تساءل: مَنْ هذا ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾؟ فجاء البيان بأوصاف الربوبية المطلقة، بما تتضمنه من معاني الفردانية والتنزه عن الولد والشريك، وشمولية الخلق والتقدير لكل شيء! إذن أن المنزل للفرقان هو هذا الرب العظيم، الرب المالك وحده لكل شيء، الخالق وحده لكل شيء! فما من شيء في هذا الوجود، من مُلك السماوات والأرض، إلا وهو صادر عن شؤون ربوبيته، خاضع لعظمة سلطانه، تحت قهره وتدبيره، وحكمة تسخيره وتقديره. ومن هنا صدر عنه ﴿ هذا القرآن، على موازين حكمته ورحمته، ذلك هو هذا ﴿ الَّذِي ﴾ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ! »

فأبصر أي فرقانية عظيمة تحمل كلماته للعالمين! وأي عبد كريم هذا الذي بُعث به نذيرًا للناس أجمعين!

إلى أن قال: فإذا رغبت في تلقي القرآن حقيقة؛ لتخلق بفرقانيته فما عليك إذن إلا الدخول في ميثاق التنزيل، والشروع في تلقي برنامج القرآن آية آية؛ حتى يصير لك ذلك منهاج حياة، وتكون - بإذن الله - من الشاكرين لنعمة الفرقان، محققًا لرسالة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ الآية.

مجالس القرآن ١٥٩-١٦١

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكْوِينٌ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾

في القرآن تنبيه المؤمن إلى أن غالب طرق الحصار الإعلامي قديماً وحديثاً قائم -بالإضافة إلى أسلوب الاتهام والسباب- على أسلوب التعجيز ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكْوِينٌ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٧٢

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ أي: عن طريق الهدى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ذلك لأنَّ كلَّ من خرج عن الحق فإنه ضالٌّ حيثما توجه؛ لأن الحق واحد ومنهج متحد، يصدق بعضه بعضاً.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٩٥ / ٦

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾

كنت واقفاً عند إشارة مروريّة بجوار برج من أشهر الأبراج الشاهقة في منطقة الخليج، فحدثتني نفسي: لو أنّ هذا البرج بما فيه لك، ماذا أنت صانع؟! فما هي إلا ثوان معدودة، وقبل أن ينبعث الضوء الأخضر عرضت لي آية في كتاب الله، هي والله أحبُّ إلى قلبي من ملء الأرض ذهباً وأبراجاً: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾.

متدبر

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ المتدبر يخرج من هذا السؤال بحقيقة كبرى، وهي أن التقوى أعظم زاد وجب على المسلم أن يتزود به للأخرة، وأن العاقل هو من شمر عن ساعد الجد للعمل من أجل هذه الحقيقة، وترك ما دون ذلك من القيل والقال، وكثرة السؤال عما لا ينفع ولا يغني من ضروب المحال.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٧٩

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ
وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

هذا يدل على فضل هداية الخلق بالعلم، ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع؛ فإن النبي ﷺ كالطبيب، والطبيب يكون عند المرضى، فلو انقطع عنهم هلكوا.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٩/١

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

(١) اسأل نفسك: أي عمل تستطيع أن تدعي فيه الإخلاص لله وحده؟ لا سمعة ولا رياء مهما خفي! ألا تخشى أن يقال لك أنت أيضاً: كذبت! وتكون المأساة! فالله الله في عملك، والله الله في دينك قبل فوات الأوان!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٢

(٢) في يوم القيامة هباءً منثوراً: للجمال: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الواقعة: ٦)، ولأعمال الكفار والمرائين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)! يا للحسرة حينما تتفرق أعمال كنت تظنها حسنات، فإذا هي لا شيء!

د. عمر المقبل

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

(١) كان بعض الصالحين إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار؛ فإن الساعة تقوم في يوم الجمعة، ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، قاله ابن مسعود، وتلا قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

لطائف المعارف ١٤٧

(٢) استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أن حساب أهل الجنة يسير، وأنه ينتهي في نصف نهار، ووجه ذلك أن قوله: ﴿مَقِيلًا﴾ أي: مكان قيلولة، وهي الاستراحة في نصف النهار.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٧٨/٥

﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزُلِ الْمَلَكِ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

أذهلني يومًا قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزُلِ الْمَلَكِ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ فقلت: يا لطيف! علمت أن قلوب أوليائك الذين تتراءى لهم تلك الأهوال لا تتمالك؛ فلطفت بهم فأضفت «الملك» إلى أعم اسم في الرحمة فقلت: ﴿ لِلرَّحْمَنِ ﴾! ولو كان بدله اسمًا آخر كالعزيز والجبار؛ لتفطرت القلوب.

الزركشي، البرهان ١/٤٧٠ (بتصرف)

﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

(١) الله يكفي من اتقاه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناس بسخط الله، لم يغنوا عنه من الله شيئًا كالظالم الذي يعرض على يده، يقول: ﴿ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٨).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١/٥٢)

(٢) هذه كلمات الندم، هذه آهات الألم، هذه رسالات النذير الإلهي الرهيب، وآيات الفرصة الأخيرة، تمتد إليك من الرحمن بوصف حقيقة الندم الأبدي عند فوات الأوان، لكنها تأتيك الآن قبل فوات الأوان، جامعة مقامات الجلال والجمال، فماذا تراك أنت فاعل بنفسك اليوم يا صاح؟!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٣

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾

هذا الشيطان كلما أغوى أحدًا؛ حتى إذا أيقن بهلاكه، أدبر عنه وخذله وأخلف له كل وعوده الكاذبة، وتلك هي السنة الثابتة في كيد إبليس، كما قررها القرآن الكريم: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾ فعجبًا لمن يقامر بمصيره الأخروي! وبمستقبله الوجودي! فيجعله رهين غواية الشيطان وغروره.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٥

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾

١) ماذا لو قَدَّرَ لك أن تسمع هذا التوجع من رسول الله ﷺ: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾؟

قال ابن كثير ﷺ: «وترك تدبره وتفهمه من هجرانه».

تفسير القرآن العظيم ١٠٨ / ٦

٢) ينبغي لكل مسلم - يخاف العَرَضَ على ربه- أن يتأمل هذه الآية الكريمة، ويمعن النظر فيها مرارًا وتكرارًا؛ ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى، والطامة الكبرى، التي عمت جُلَّ بلاد المسلمين من هذه المعمورة، وهي هجر القرآن الكريم!

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٦٢/٧

٣) هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حُرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول ﷺ، وأخشى أن ينطبق على كثير منهم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

ابن باز، مجموع فتاواه ١٣٣/٢

٤) ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ فالبعد عن القرآن مُؤدِّ بالضرورة إلى قسوة القلب، تمامًا كما تقسو الأرض العطشى بانحباس الغيث عنها، فلا يلبث إلا قليلًا؛ حتى تتطلع نفسه إلى الشهوات المحظورات، وتلك بداية الانحراف والعياذ بالله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٦

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

١) تأمل ما في هذه الآية من سُنَّة المدافعة..؟ نعم: ادع الناس، لكن لا تتصور أنَّ الدنيا ستستقيم بدعوتك، فوالله لو أقام صالح في رأس جبل لقيض الله له من يعاديه في رأس الجبل.

د. عائض القرني

٢) كم في هذه الآية من تسلية وثبیت للمؤمنين؛ فعُدو الأرض يقابله نصير السماء ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾

د. عبد المحسن المطيري

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ أعداء الأنبياء يسلكون في إبطال دعوة الأنبياء مسلكين: مسلك الإضلال والدعاية الباطلة في كل زمان ومكان، ثم: مسلك السلاح؛ ولهذا قال: ﴿ هَادِيًا ﴾ في مقابل المسلك الأول الذي هو الإضلال، وقال: ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ في مقابل المسلك الثاني وهو المجابهة المسلحة.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٥٠/١

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ ﴿٣٢﴾
إذا كنت تجد شتاتًا في قلبك وهمك؛ فعليك بالقرآن ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا ﴾، ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ (ص: ٦) انظر كيف يتصبر أهل الباطل على باطلهم! فما بال بعض أهل الحق لا يصبرون؟
د. عبد المحسن المطيري

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٤﴾

قف مع هذه الآية متدبرًا متأملًا؛ لتدرك الخلل في مقاييس كثير من البشر، وأن الميزان القرآني هو المعبر في تقدير عقل الإنسان قوةً وضعفًا، فبمقدار الالتزام بالشرع وسماع الحق، يكون تمام العقل أو نقصه.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٥٢﴾

(١) هذه الآية في سورة الفرقان، وهي مكّية، ولم يشرع الجهاد بالسيف وقتها، فدلَّ أنَّ طلب العلم من سبيل الله؛ لأنَّ به قوام الإسلام كما أنَّ قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٧٠/١

(٢) إلى الباحثين عن ميادين الجهاد، إليكم ميداناً لا تتوقف فيه هذه العبادة ما دام في الأرض حقٌ وباطلٌ، إنه جهاد أهل الباطل بالقرآن: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ يقول العلامة السعدي رحمه الله: هذا فرض عين على كل مسلم أن يقوم بما يقدر عليه ويعلمه، وعلى أهل العلم من ذلك ما ليس على غيرهم.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٣٠

(٣) الجهاد لا يقتصر على الجهاد بالنفس أو المال، بل إن الجهاد باللسان من أعظم أنواع الجهاد، قال سبحانه: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: جاهد المشركين بالقرآن، ويتأكد في هذا الوقت مع المنافقين الذين عاثوا في البلاد فساداً، وقد سمى الله فضحهم باللسان جهاداً في (التوبة) (التحریم): ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣) (التحریم: ٩).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾

يقول العلامة الشنقيطي: ومن المواضع التي وقع فيها هذا: نهر السنغال بالمحيط الأطلسي بجنب مدينة سان لويس، وقد زرتها عام ١٣٦٦هـ، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم أت محل اختلاطهما، لكن أخبرني بعض المرافقين الثقة أنه جاء إليه، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذبا وفراتا، وبالأخرى ملحا أجاجا، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه ﷻ ما أعظمه، وما أكمل قدرته!

أضواء البيان ٦٥/٦

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ هذا من أطف - أي: أدق - خطاب القرآن وأشرف معانيه، فالمؤمن دائما مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه، وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه، وعبارات السلف على هذا تدور.

ابن القيم، الفوائد ٨٠

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ نُبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾

في أواخر الفرقان: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ﴾ الآية، ثم قال بعدها: ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ الآيات، ومناسبة هذا: أنه لما تجاهل المشركون الرحمن، واستكبروا عن السجود له، عرفهم القرآن بالرحمن: بخلقه، وتدبيره وإنعامه، ثم عرفهم بعباده الذين عرفوه بذلك، فأمنوا به، وخضعوا له، بما اشتملت عليه هذه الآيات من صفاتهم، وفي ذلك تشریف كبير لهم، وتبكيك لأولئك المتجاهلين المتكبرين.

ابن باديس، تفسير ابن باديس ١٩٣/١

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ﴿١٦﴾

(١) تدبر عملي: أطال عمر ﷺ صلاة الضحى فقليل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه! فقال: إنه بقي علي من وردي شيء، وأحبيت أن أتمه - أو قال أقضيه-، وتلا هذه الآية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ .

الدر المنثور ٢٧٠/٦

(٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ قال البخاري: ﴿ خِلْفَةً ﴾ من فاتة من الليل عمل، أدركه بالنهار، أو فاتته بالنهار أدركه بالليل. وشاهد هذا حديث عمر ﷺ: «مَن نام عن حزبه -أي: قيام الليل-، أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل»^(١).

صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن - سورة الفرقان ١٠٩/٦

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ﴿١٦﴾

(١) قال الحسن البصري ﷺ: نعت الله المؤمنين في القرآن بأحسن نعت، فقال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾، حلماء لا يجهلون، وإذا جهل عليهم حلموا، ثم ذكر ليلهم خير ليل، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٤) تجري دموعهم على خدودهم؛ خوفاً من ربهم، لأمر ما سهروا ليلهم، لأمر ما خشعوا نهارهم.

قيام الليل للمروزي ٤٢/١

(٢) كان الحسن البصري إذا قرأ: ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ قال: هذا وصف نهارهم، وإذا قرأ ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ قال: هذا وصف ليلهم.

معالم التنزيل ٩٣/٦ (بتصرف)

(١) مسلم ح (٧٤٧).

(٣) لما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرجل وعثرة اللسان، جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٦٢

(٤) قال تعالى - في وصف عباده المؤمنين -: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ كان التعليق به (إذا)؛ لأن مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقق، ومتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين؟! ابن باديس، تفسير ابن باديس ٨٥/٢

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥)

قال الحسن البصري (رضي الله عنه): كل شيء يصيب ابن آدم لم يدم عليه فليس بغرام، إنما الغرام اللازم له ما دامت السموات والأرض، فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة.

الدر المنثور ٢٧٤/٦

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧)

(١) أكثر من ٩٠٠ بنك أمريكي معرض لخسارة ٢٠٠ مليار دولار، إنها ضريبة الحيدة عن منهج الله في المال.. ولقد أبدع العلامة الشنقيطي في «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، حيث ذكر الأصول الأربعة للاقتصاد، واستدل لكل أصل من القرآن^(١)، فراجعها وفقك الله.

(٢) نشرت بعض وسائل الإعلام أخباراً مفادها: تسجيل أكثر من ١٥٨ ألف حالة إفلاس شخصي في مارس ٢٠١٠م، أي بمعدل ٦٩٠٠ حالة يوميًا في أمريكا^(٢).

إن التزام المنهج القرآني خير عاصم من هذه المآلات المخيفة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، مع تجنب ما يحق البركة: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الْأَصْدَقَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢)

(١) من عمق علم السلف بكتاب الله تنصيبهم على أن حضور أعياد الكفار من جملة الزور الذي مدح الله عباد الرحمن بعدم شهوده، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾؛ لأن الزور هو كل باطل من قول أو فعل، فهل يدرك الذين يشهدون أعياد الكفار - من أبناء المسلمين - أن ذلك إثم ونقص في عبوديتهم؟

الدر المنثور ٢٨٢/٦ (بتصرف)

(١) ينظر: أضواء البيان ٧٦/٦-٧٩.

(٢) نشرته جريدة الاقتصادية السعودية في عددها الصادر يوم الإثنين ١٠/٩/١٤٣٠هـ، الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٩ العدد ٥٨٣١.

٢) مجالس اللغو والباطل أيام العيد: مدح الله عباد الرحمن فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ قال العلامة السعدي رحمه الله: أي: «فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة... وإذا كانوا لا يشهدون الزور، فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه».

تيسير الكريم الرحمن ٥٨٧

٣) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ فهذه الثلاثة المؤمنة ليس بمعنى أنها لا تقترب شهادة الزور عند استشهادها فحسب؛ فهذا من بدهياتهم، بل إنها لا تحضر مواطنه أصلاً، ولا تشهد نواديه وتجمعاته، فالشهادة هنا بمعنى الحضور والشهود والمعاينة والمخالطة.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٦٥

٤) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ كثيرون يحملون معنى هذه الآية على الشهادة بالزور فقط، وهذا فهم قاصر؛ فالمعنى أعم من ذلك وأعظم، فكل منكر زور، فمن علم به ولم ينكره بلا عذر، فقد افتقد صفة عظيمة من صفات «عباد الرحمن»، وكفى بذلك خسراناً مبيئاً.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٧٦)

قال ابن العربي: قال علماءنا: يعني: الذين إذا قرؤوا القرآن؛ قرؤوه بقلوبهم قراءة فهم وثبتت، ولم ينثروه نثر الدقل؛ فإن المرور عليه بغير فهم ولا تثبت صمم وعمى عن معاينة وعيده ووعده. ابن العربي، أحكام القرآن ١٧٦/٦

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٦)

١) تأمل وجه إشارة القرآن إلى طلب علو الهمة في دعاء عباد الرحمن -أواخر سورة الفرقان- ﴿وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، ثم تأمل كيف مدح الناطق بهذا الدعاء! فكيف بمن بذل الجهد في طلبه؟ ثم إن مدح الداعي بذلك دليل على جواز وقوعه، جعلنا الله تعالى أئمة للمتقين.

د. محمد العواجي

٢) لا ترض أن تعيش على هامش الحياة؛ بل عش في مركزها قدوة للمتقين ﴿وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

د. نوال العيد

٣) تدبر علاقة قوله سبحانه: ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ بما قبلها؛ يتضح لك ما يلي:

١- أن صلاح الزوج (يشمل الزوجين) والذرية من أهم ما يعين على تحقيق الإمامة، إذ يحس بالسكن والطمأنينة؛ مما يعينه على الوصول إليها والقيام بحقوقها.

٢- أن من صفات من يكون للمتقين إمامًا: أن يُعنى بزوجه وذريته؛ فهم أحق الناس بإمامته. أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤، إذا كان المتقون هم أكرم الخلق عند الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ (الحجرات: ١٣)، فيا ترى أي منزلة عالية سيحظى بها إمامهم؟! أ.د. ناصر العمر

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾

١) كل هذا الفوز العظيم، وكل ذلك النجاح الكبير، عبر تلك الأشواط الشاقة، وعبر تلك المسافات الطويلة، إنما كان لهؤلاء السادة الكبار ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ نعم، بما صبروا!!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٧٢

٢) يلفت نظرك التركيز على الأخلاق في صفات عباد الرحمن، فقد افتتحت ب: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، ثم ثنت بكرمهم واعتدالهم: ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، ثم ثلثت بمفارقتهم لأراذل الأخلاق: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، ثم بسلامتهم من شهود مجامع السوء: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ فجمعوا أصول الأخلاق؛ فاستحقوا ﴿الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾

د. عبدالله الغفيلي

﴿قُلْ مَا يَعْجُبُ بِكُرِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٦﴾﴾

لما خُتمت سورة الفرقان بذكر جملة من أوصاف عباد الرحمن؛ كان من مقدمة وخاتمة وصفهم: «الدعاء»: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ (الفرقان: ٦٥)، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾﴾ (الفرقان: ٧٤)، ثم ختم السورة ببيان حال من ترك الدعاء، وأن الرب لا يكثرث به ولا يبالي بأي وإد هلك: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُ بِكُرِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾

متدبر



﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٤)

خاف موسى أن يقتلوه به؛ فدلّ على أنّ الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله، وأن لا فاعل إلا هو، إذ قد يسلّط من شاء على من شاء، ولكن هذا خوف طبيعي يدفع بالتوكل والعزم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩٢/١٣

﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّي نَاظِرُكُمْ مِنْ هَاهُنَا وَإِنِّي كُنَّا مِنْكُمْ خَائِفِينَ﴾ (٢٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٥﴾

من هنا أعلن فرعون هزيمته وضعفه، فبعد أن كان شعاره: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ (غافر: ٢٩)، صار يستشير ويسأل قومه؛ ليستميلهم ضد موسى، ولأنّه رأى تأثرهم بما رأوا من موسى، فخاف أن ينقلبوا عليه.

د. محمد الخضيري

﴿فَالْقَوْمَ جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتُمْ وَقَالُوا بَعْزُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْزِهِمْ إِنَّا لَنَنظُرُكُمْ مِنْ هَاهُنَا وَإِنَّا لَنَكُونُ مِنْكُمْ خَائِفِينَ﴾ (٤٤) فَالْقَوْمَ جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتُمْ ﴿٤٥﴾

من علّق أمره بعزة مخلوق، أذله الله، تأمل قوله تعالى: ﴿فَالْقَوْمَ جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتُمْ﴾ -إلى قوله- ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾

د. محمد الربيعة

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١)

الأولية تزيد الخير والشر، قال تعالى في الخير: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال في الشر: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٤١)، واستيعاب هذا المبدأ القرآني يثمر للإنسان معرفة فضل الرّواد في الخير، وخبث الرّواد في الشر.

إبراهيم السكران

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

في سورة الشعراء آية (٥٢) قال تعالى في قصة أصحاب موسى: ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ فسامهم بالاسم الشريف: عبادي، فلما ضعف توكلهم ولم يستشعروا كفاية الله لهم، سلبهم هذا الوصف الشريف، فقال عنهم: ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

د. محمد الفحطاني

﴿ فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢﴾ ﴾

(١) إنها كلمات الواثق بنصر ربه، قال: ﴿ مَعِيَ ﴾ ولم يذكر قومه معه، بينما قال نبينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾^(١) بضمير الجمع، ولم يكن معه إلا أبو بكر ؓ، أليس ذلك يوحي بأن أبا بكر يعدل أمة؟ د. عويض العطوي

(٢) في مثل هذا اليوم العظيم^(٢) -عاشوراء- قال موسى ؑ: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ فما أوجنا إلى مثل هذا الإيمان الراسخ الذي ينبىء عن ثقة بالله وتفاؤل بالمستقبل، وإن هذه الآية لقوة ردع وزجر لمن يجعل ثقته بالأحوال المحيطة، والأسباب الظاهرة أقوى من حسن ظنه بالله، فهل يدرك ذلك ضعاف الإيمان؟ والمنهزمون الذين تزلزل إيمانهم أمام استكبار وطغيان القوى الظالمة؟ إن رب موسى وصحبه، هو ربنا لو كانوا يعقلون ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُشَجِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

أ.د. ناصر العمر

(٣) ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ قالها موسى ؑ والبحر أمامه والعدو خلفه، في لحظات عصبية، وموقف رهيب، لكنه قالها بعد أخذه بكل أسباب النجاة، وقد اهتز في تلك اللحظة من اهتز، وارتاب من ارتاب، فإذا هو يعلن بكل قوة ويقين: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾، فتتحقق الآية الكبرى التي لازالت تدوي أبد الدهر، فلا نامت أعين اليائسين.

أ.د. ناصر العمر

(١) البخاري ح(٣٦٥٢)، ومسلم ح(٢٠٠٩)، وأحمد ح(٣).

(٢) أرسلت هذه الرسالة بمناسبة يوم عاشوراء.

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾
 من حكم الله البالغة ارتباط عاشوراء بابتلاءين: أحدهما قبل هذه الأمة، والآخر في صدر هذه الأمة، أما موسى فنجاه الله بحسن الظن بربه، وقوة يقينه، والعمل الجاد: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾، وأما الحسين فقضى الله في أمره ما قضى، فمن ظن أن نجاة الأمة بالأحزان والطم على مصيبتته؛ فقد أخطأ طريق الأنبياء! فما ثمة إلا اليقين، والفأل، مع العمل الدؤوب.
 د. عمر المقبل

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

مخاطبة العقل:

مهما كان سقوط حجة خصمك؛ فأنت محتاج لخطاب عقله ببعض الأسئلة، ألم تر كيف قال الخليل ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾؟
 د. عمر المقبل

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

من حيل خصوم الحق:

إذا كان ماضي آبائهم باطلاً، قالوا للناصح: ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾، وإن كان ماضي آبائهم حقاً، قالوا: ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (يوسف: ٩٥)!

د. سعود الشريم

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾
 تأدب العارفون فأضافوا النعم إليه والشر إلى محله كما قال إمام الحنفاء: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢٣/١٤

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾

تأمل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾، فإذا كان الخليل طامعاً في غفران خطيئته، غير جازم بها على ربه، فمن بعده من المؤمنين أحرى أن يكونوا أشد خوفاً من خطاياهم.
 القصاب، نكت القرآن ٥٢٩/٣

﴿وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤)

(١) قال الإمام مالك رحمه الله: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً، ويرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله ولم يراء به وهو الثناء الصالح، وقد قال الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ (طه: ٣٩).

أحكام القرآن لابن العربي ١٧٩/٦

(٢) قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ وقال أيضاً عنه وعن بنيه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٠) وقال لنبيه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤) فأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهم، فإنه بعيد من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم.

ابن القيم، الجواب الكافي ٨٠

(٣) الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة، بل الذكر أفضل من الحياة؛ لأن أثر الحياة لا يحصل إلا في مسكن ذلك الحي، أما أثر الذكر الجميل فإنه يحصل في كل مكان وفي كل زمان.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٢٦٩/١٧

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنَ اتَى اللَّهَ يَقْلَبِ سَلِيمٍ﴾ (٨٩)

(١) أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى منها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنَ اتَى اللَّهَ يَقْلَبِ سَلِيمٍ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي ٧٦

(٢) ﴿إِلَّا مَنَ اتَى اللَّهَ يَقْلَبِ سَلِيمٍ﴾ ولا يكون القلب سليماً إذا كان حقوداً حسوداً، معجباً متكبراً، وقد شرط النبي ﷺ في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله الموفق برحمته.

ابن العربي، أحكام القرآن ١٨١/٦

﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠١)

وإنما جمع الشافع؛ لكثرة الشافعين، ووحد الصديق؛ لقلته؛ أي: في العادة.

الزمخشري، الكشاف ٢٢/٥

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥)

من كذب برسول واحد، فهو مكذب بجميع الرسل؛ ولذا قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ مع أنهم لم يأتهم إلا رسول واحد، ولكن كانوا مكذبين بجنس الرسل، ولم يكن تكذيبهم بالواحد بخصوصه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٣٨ / ٩

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

كل بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة؛ فهو عبث ولهو باطل.

ابن باديس، تفسير ابن باديس ٣٩٤

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

نزل القرآن على أعظم عضو في الجسم (القلب)؛ ليستنهض بقية الجوارح للتدبر والعمل، فمن لم يحضر قلبه عند التلاوة أو السماع؛ فلن ينتفع بالقرآن حقاً: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (ق: ٣٧).

متدبر

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

١) كان عمر بن عبد العزيز إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليك نوم والردى لك لازم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الجامع لأحكام، القرآن للقرطبي ١٤١/١٣

٢) ستنسى كل لحظة قاسية:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴾ من ظفر بمأموه من ثواب الله، فكأنه لم يصبه في دهره ما كان يحاذره ويخشاه.

ابن القيم، روضة المحبين ١١

﴿ الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَقْوُمٍ ﴿٣١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّلْجِدِينَ ﴿٣١٩﴾ ﴾

فكرت كيف هو قيامي في الصلاة؟ الله يراني فكيف أقبل عليه في صلاتي؟ فخرجت عند ذلك! ورأيت أن أكثرنا لا يؤدي صلاته كما لو أنه يستشعر أن الله يراه، فهي مجرد حركات رياضية، لا روح فيها.

متدبر

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٣٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٣٣٧﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٣٣٧﴾ ﴾

١) الشعراء يسعون إلى استثارة وجدانك، وتحريك أوتار الشعور حقيقة من نفسك، فلا يبالون بما صوروه لك أن يكون غيياً أو رشداً، وأن يكون حقيقة أو تخيلاً، فتراهم جاديين وهم هازلون، يستبكون وإن كانوا لا يبكون، ويطربون وإن كانوا لا يطربون، ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾.

محمد دراز، النبأ العظيم ١٤٤

٢) عند سبر منهج القرآن في الحكم على فئات معينة؛ تجد الاستثناء بعد التعميم، تدبر: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ثم: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، وقال عن المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٢)، وعن أهل الكتاب: ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٦)، وهذا منهج قرآني مطرد، فما بال بعض الناس يعممون ولا يستثنون؟ ألا تحافون ﴿ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦)؟.

أ.د. ناصر العمر

٣) ما أدق وصف الله للشعراء، تأمل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ ﴾ لغوايتهم ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾ من أودية الشعر، ﴿ يَهِيمُونَ ﴾ فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرّة يمرحون، وآونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٩٩

٤) قال عبد الله بن رباح: كان صفوان بن محرز المازني إذا قرأ هذه الآية: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ بكى حتى أقول: اندق قصيص زوره - وقصيص الزور: هو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين أو ملتي أطراف عظام الصدر -.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/٢١٤

٥) ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين، وذلك قوله: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله: ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وإطلاقه، وقوله: ﴿ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ وإبهامه، وكان السلف الصالح يتواعظون بها.

الزمخشري، الكشاف ٣٥٠/٣



﴿وَأَلِيَّ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّأَتْ كَأَنَّهُمَا جَأْنٌ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾
 (١) ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا﴾ و﴿ثُمَّ وَلِيْتُمُ مَدْبِرِينَ﴾ التوبة: ٢٥ التولية والإدبار بمعنيين مختلفين: فالتولية أن يولي الشيء ظهره، والإدبار أن يهرب منه، فما كل مولٍ مدبر، وكل مدبر مولٌ.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٨

(٢) ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ إشارة إلى استقراره في الهرب وعدم رجوعه، يقال: عقب فلان، إذا رجع، وكل راجع معقب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت؛ وعلى كل حال فليس هنا تكرار أصلاً، بل لكل لفظ فائدة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٨-٣٥٩

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾
 إذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، بدا لك فضل العلم على كثير من نعم الحياة، قال السبكي: «فإن الله آتى داوود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك - في صدر الآية - إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها»^(١).

فيا من أنعم الله عليه بسلوك سبيل العلم، لا زلت تفضل بعلمك أقوامًا، فاشكر الله على ذلك، وقل كما قال: الحمد لله الذي فضّلني...

إبراهيم الأزرق

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

(١) نملة هنا نكرة لم يقل (النملة)، فهي نملة نكرة حملت همّ أمة فأنقذتها، أليس الخطر الذي يُهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم مِنّا من يحس بإحساس النملة ويسعى منقذًا لأمتيه؟
 أ. د. ناصر العمر

(١) فتاوى السبكي ١/٧٣.

(٢) ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام، (نادت وكنت ونهبت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت)، فالنداء (يا) والكناية (أي) والتثنية (ها) ﴿يَا أَيُّهَا﴾، والتسمية ﴿النَّمْلُ﴾ والأمر ﴿ادْخُلُوا﴾ والقصص ﴿مَسْكِنَكُمْ﴾ والتحذير ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ والتخصيص ﴿سُلَيْمَانُ﴾ والتعميم ﴿وَجُنُودُهُ﴾ والإشارة ﴿وَهُمْ﴾ والعذر ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأدت خمس حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان!

السيوطي، الإتيان ٣/ ١٨٤

(٣) من بلاغة القرآن: ما فيه من أسلوب الاحتراس إذا خشي أن يفهم من الآية خلاف المقصود، ولذلك أمثلة، منها: ما حكاه الله عن النملة: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ احتراس يبين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالأباليشعروا.

الزركشي، البرهان ٣/ ٦٥

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾

(١) فيه دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف حاله على سليمان، فكيف بما هو أعظم؟ ويرحم الله عمر؛ فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب، ليسألن عنها عمر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٧

(٢) فيه استحباب تفقد الملك أحوال رعيته، وأخذ منه بعضهم تفقد الإخوان، فأنشده:

تَفَقَّدَ الْإِخْوَانَ مُسْتَحْسِنَ فَمَنْ بَدَاهُ فَنَعَمًا بَدَا
سَنُّ سُلَيْمَانَ لَنَا سَنَةً وَكَانَ فِيمَا سَنَّهُ مَقْتَدَى
تَفَقَّدَ الطَّيْرَ عَلَى مَلِكِهِ فَقَالَ: مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَا

القاسمي، محاسن التأويل ٧/ ٤٩٥

(٣) نبي الله سليمان يتفقد الطير من رعيته، وبعض الآباء يسهر أبناءه خارج المنزل ولا يتفقد حالهم ولا يبالي!

محمد الغرير

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٢)

١) لم ينج الهدهد من وعيد سليمان ﷺ، ولا تجرأ -مع ضعفه- على مخاطبة سليمان -مع قوته وسلطانه- بمثل هذا الخطاب: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ (النمل: ٢٢)؛ لولا سلطان العلم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٧٣/١)

٢) قد يكون عند أدنى الناس علم ما لا يعلمه إمام زمانه، وقد علم الهدهد أمر ما علمه نبي مرسل، فاقراً -إن شئت- قوله تعالى: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين ٥٢/٢، مفتاح دار السعادة ١٧٣/١

والسؤال: هل يدعوننا كلام هذا الإمام إلى الاستعانة بالله، والاجتهاد في استخراج المعاني التدبرية من كتاب الله تعالى؟ فقد يُفتح على رجل ما لا يفتح على من هو فوقه، مع الانضباط في ذلك بالضوابط الشرعية، والرجوع إلى أهل العلم والاستفادة منهم في تنمية هذه الملكة.

٣) انظر إلى الهدهد يقول لنبي: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾. هذا هو الهدهد المخلوق الأقل من سليمان ﷺ يقول له: عرفت ما لم تعرفه، وكأنَّ هذا القول جاء ليعلمنا حُسن الأدب مع من هو دوننا، فهو يهب لمن دوننا ما لم يعلمه لنا، ألم يعلمنا الغراب كيف نواري سواة الميت؟ ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (المائدة: ٣١).

الشعراوي، تفسيره ١٣٥٣

٤) عجيب أمر بعض الدعاة وطلاب العلم، إذ يأنفون من نصح الآخرين، ويرون ذلك انتقاصاً من مقامهم! والخير لهم ولأتباعهم لو تأملوا قصة سليمان -الذي أوتي النبوة والملك- إذ قال له الهدهد: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ فتواضع سليمان ﷺ وقبل الحق؛ فكان سبب إسلام مملكة كاملة.

أ. د. ناصر العمر

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

١) قال الهدهد لسليمان ﷺ متحدثاً عن ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ولم يقل: (..ملكة تملكهم) مع أنها ملكة حقاً!! ولكن كأن الهدهد قد استقبح من رجال أن يملكوا أمرهم امرأة؛ فجاء باللفظ الذي يُقَبِّح ذلك، ويضع المرأة من الحياة موضعها الذي تقتضيه فطرة الخلق.

علي جاسم محمد، مقال: (خواطر قرآنية)

٢) مع قول الهدهد عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الهدهد: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ كيف لم ينهر الهدهد بحضارة كافرة، ولم تأثر به حضارتهم، مع أنها أوتيت من كل شيء، وإنما كان همه: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾؛ فهل يعي هذا المعنى المفتونون بحضارة الغرب؟

د. عبدالمحسن المطيري

٣) عجيب أمر هذا الهدهد: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ حيوان غير مكلف يغار أن يُعصى الله وأن يُشرك به، ويكون سبباً لإسلام أمة كاملة! فماذا عنك يا ابن الإسلام، ماذا فعلت لدينك؟! د. عبدالمحسن المطيري

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِآبِيسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

١) أي نهاية تنتظر مملكة سبأ لو أخذت (ملكتمهم) بالرأي (الخداج) المفعم بالغرور لهؤلاء الملأ: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِآبِيسِ شَدِيدٍ﴾ دون النظر لمنزلة وقوة صاحب الكتاب، وأي حماقة سيرتكبها هؤلاء في حق بلدهم بمثل هذه الآراء المتهورة؟ وهذه نتيجة متوقعة عندما يوسد الأمر لغير أهله كهؤلاء!! أ.د. ناصر العمر

٢) وقفت متعجباً من منطق مستشاري ملكة سبأ إذ قالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ بعد أن طلبت رأيهم بعقل وتجرد، فجوابهم يكرس منهج الاستبداد، بدل أن يرسخ منهج الشورى في مثل هذه الأحداث التي تحدد مصير البلاد.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

حسن الظن بكل من أهدى لك هدية قد يزري ويردي؛ فانظر في القرائن والأحوال قبل أن تردها أو تقبلها^(١).

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

(١) لو كانت مواقف بعض العلماء مع الهدايا التي تقدم لهم كموقف سليمان ﷺ؛ لقويت هيبتهم وتحقق على أيديهم صلاح البلاد والعباد، كما صلحت مملكة سبأ، تدبر: ﴿أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(٢) الموظف المؤمن بالغيب هو الذي يرى زملاءه يمدون أيديهم إلى المال الحرام، فيكونون به من أولي السعة والغنى، وهو يقنع بمرتبه القليل ويصبر على الضيق؛ أملاً بالغنى والسعة في الآخرة ولسان حاله: ﴿فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٦٧-٦٨

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آئِنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

(١) يتأتى بالعلم ما لا يتأتى بالقوة ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آئِنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فكان أسرع من العفريت.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٧١/١٩

(١) استشكل بعض الفضلاء ما ذكره الشيخ ناصر العمر في رسالته، ومع وضوح مراده إلا أننا -لزيادة الإيضاح- ننقل نصين عن إمامي هدى، يتضح بهما مراده لمن أشكل عليه:

الأول: ما قاله ابن عبد البر: في الاستذكار (٥٣١/١): "وكان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويأكلها ولا يأكل الصدقة، والهدية من أفعال المسلمين الكرماء والصالحين والفضلاء ويستحبها العلماء ما لم يسلك بها سبيل الرشوة لدفع حق أو تحقيق باطل أو أخذ على حق يجب القيام به".

الثاني: قول العلامة ابن عثيمين: - كما في فتاوى نور على الدرب (٢٧٣/١) -: "يقول الهدية سنة، ما لم يحش الإنسان أن يكون من المهدي مئة عليه في المستقبل، بحيث يقطع عنقه كلما حصلت مناسبة، فيقول: أنا فعلت بك وفعلت بك، وأهديتك وصنعت إليك معروفاً، وما أشبه هذا، ففي مثل هذه الحال لا ينبغي أن يقبل الهدية لما في ذلك من إذلال نفسه أو التعرض لذلك".

٢) تأمل قوله تعالى - لما جيء بعرش بلقيس لسليمان ﴿﴾: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾، فمع تلك السرعة العظيمة التي حمل بها العرش، إلا أن الله قال: ﴿مُسْتَقِرًّا﴾ وكأنه قد أتى به منذ زمن، والمُشَاهَد أن الإنسان إذا أحضر الشيء الكبير بسرعة، فلا بد أن تظهر آثار السرعة عليه وعلى الشيء المحضر، وهذا ما لم يظهر على عرش بلقيس، فتبارك الله القوي العظيم.

ابن عثيمين^(١)

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

مشاركة من إحدى الأخوات:

قال تعالى - في شأن بلقيس قبل أن تعلن إسلامها - ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلاً ساتراً لساقها، وهي من؟! امرأة كافرة! في حين أن بعض المسلمات - وللأسف الشديد - يتنافسن في خلع جلباب الحشمة والحياء فيما يرتدينه من ملابس، بلا حياء ولا خوف من الله! أليس من المدي أن تكون امرأة كافرة أكثر حشمة وتسترًا من بعض نساء المسلمين!؟

﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

التشاؤم ليس معتقداً اختص به أهل الجاهلية في شهر صفر وغيره، بل هو معتقدٌ تتابع عليه أعداء الرسل، فتأمل كيف سجّل القرآن هذا الخلق السيئ على قوم صالح ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، وقوم موسى ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ (الأعراف)، وأصحاب القرية ﴿قَالُوا طَيَّرْتُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ (يس)، وعلى كفار قريش مع نبيينا ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّرَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ فَهَالِكُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ (النساء).

د. عمر المقبل

(١) سمعها منه د. عمر المقبل.

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (٤٨)

فمع قلة عددهم بالنسبة لسكان مدينتهم، فإن أثر فسادهم أدى إلى هلاك وتدمير تلك المدينة وأهلها. ونفى عنهم الإصلاح؛ لأن هذه دعواهم التي يمدعون بها الدهماء، كما هو ديدن المفسدين في كل زمان ومكان.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٥٨)

لا تجد في القرآن ذكر (المطر) إلا في موضع الانتقام والعذاب بخلاف (الغيث) الذي يذكره القرآن في الخير والرحمة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾ في حين قال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ (الشورى: ٢٨).

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ١٥

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٢)

تأمل كيف جمع الله بين إجابة المضطر، وكشف الضر، وخلافة الأرض، في آية واحدة: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ وتأمل في قصة موسى حين قتل ثم أناب، واضطر إلى ربه؛ فتاب عليه واصطفاه: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤِسُونَ ﴾ (١٠) وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿ فهل بعد هذا ييأس مضطر أو مذنب تائب؟

د. محمد الربيعة

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٦٦)

إنَّ البعض يتعامل مع أخبار الأمراض والأدواء والأحداث في حدودية الزمان والمكان، فنظرته إليها نظرة الغافل المتجاني، فكأنه ماض كان، أو مستقبل لن يكون في زمانه ومكانه، وقد أمر الله بالتأمل والاعتبار بما كان -رغم تباعد الزمان والمكان- بقوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾

أ. د. إبتسام الجابري

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (٧٨)

فيه تنبيه على أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله في نصرته.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢١٧/٤

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩١)

﴿ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَمَهَا ﴾ هي مكة، وإنما خصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو رب البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بنعمته عليهم، وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً.

ابن جرير، جامع البيان ٥١١/١٩

﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٩٢)

جاء في ترجمة عبدالله بن أبي الحسن الحنبلي قال: كنا قوماً نصارى.. وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرؤون القرآن، فإذا سمعتهم أبكي، فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت.

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٤٤٢/١

قد نعجز عن مخاطبة بعض الناس بسبب حاجز اللغة، لكننا لن نعجز أن نسمعهم آيات قد تكون سبباً في هدايتهم.

سورة القصص

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

انظروا العبر، كيف كان فرعون يقتل الأبناء خوفاً من موسى، فترى موسى في بيته.

ابن عثيمين

﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(١) وقد اقتضت حكمته أَنْ خَلَعَ النصر وجوائزه؛ إنما تفيض على أهل الانكسار: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ
عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: ٥-٦).

ابن القيم، زاد المعاد (٤١٧/٣)

(٢) إذا أردت أن ترى كيف تُرسم خريطة النصر في ميدان الضعف والعجز؛ فاقراً صدر سورة
القصص.

د. عمر المقبل

(٣) هاتان الآيتان صدرت بهما سورة القصص التي تحدثت عن المستضعفين - ومنهم موسى في
نشأته صغيراً - وكيف مكن له الله في آخر أمره، وفي ذلك عزاء لإخواننا المستضعفين في فلسطين
وغيرها فيما يلاقونه من بلاء وشدة، يعقبها قوة وتمكين بإذن الله.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا
رَآدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(١) جمع الله تعالى في هذه الآية بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وشاراتين؛ فتأملها فتح الله على قلبك.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/١٣)

(٢) ﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ هذا والله التسليم للشريعة! ألقته دون أن تسأل عن الحكمة مع شدة غرابة الأمر!

د. عبدالله بلقاسم

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

﴿١﴾

(١) تأمل في روعة هذا الخطاب: متانة ورقة وإقناعاً، ثم انظر كيف أثر في أعظم طاغية عرفه التاريخ البشري؟ فأين نساءنا ورجالنا عن هذا الهدى القرآني الرفيع؟

أ.د. ناصر العمر

(٢) عندما تحاك المؤامرات ضد بلد أو مجتمع أو فرد يجب أن يقوم العقلاء رجالاً ونساء بما يقدرون عليه لمنع الإفساد، أو التخفيف منه، كل حسب طاقته ومكانته، تدبر أثر موقف امرأة فرعون عندما أرادوا قتل موسى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾. وتأمل أثر موقف أعقل أولاد يعقوب عندما تمالؤوا على قتل يوسف: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ (يوسف: ١٠)؛ فلا عذر لأحد مهما كان موقعه ألا يقوم بواجبه.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأْتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

قال الحسن البصري رضي الله عنه: من أحسن عبادة الله في شبابه؛ أعطاه الله الحكمة عند كبر سنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأْتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٦٧-١٦٨

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

لما قتل موسى القبطي قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦) قال ابن عطية: إن ندم موسى حمله على الخضوع لربه والاستغفار عن ذنب باء به عنده تعالى، فغفر الله خطاه ذلك، قال قتادة رضي الله عنه: عرف -والله- المخرج، فاستغفر.

المحرر الوجيز ٤/٣٣٢

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٧)

بعض الناس كلما أراد أن يتقدم في حياته، تذكّر بعض زلاته في الماضي، فتراجع، وهذا خطأ؛ فالعبرة بكمال النهاية، انظروا إلى موسى ﷺ قتل نفساً لم يؤمر بقتلها، ولم يمنعه هذا من التصحيح، بل قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾، ونال شرف الرسالة وقام بأعبائها، فإياكم واليأس.

متدبرة

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو عمران الجوني: آية الجبابة: القتل بغير حق.

الدر المنثور ٤٠١/٦

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٠)

(١) فيه دليل على جواز النسيمة لمصلحة دينية.

الألوسي، روح المعاني (١٠/٢٦٨)

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ خطوات أنقذت حياة نبي - يا ذن الله! - اركض! ربّ مشوارٍ تُولد فيه الحياة!

د. عبد الله بلقاسم

(٣) انظر كيف جمعت هذه الآية صفات الدعاة الناصحين: حرص على مصلحة الناس، ودفع ما يضرهم، ويتحملون التعب والمشقة من أجلهم، ويقترحون الحلول المناسبة لحل المشاكل.

د. محمد القحطاني

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٢)

(١) فيها تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم - عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به - إذا لم يترجح عنده أحد القولين؛ فإنه يستهدي ربه ويسأله الهداية للصواب، بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد لقاء مدين، ولم يدر الطريق المعين إليها، فسأل ربه، فهداه الله، وأعطاه ما رجاه وتمناه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦١٨

(٢) ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي﴾، ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا﴾ الآية (البقرة: ٢٥٠) المتأمل لهذه الآيات وأمثالها يلحظ اقتران الدعاء بالعمل، دون الاقتصار على أحدهما، وهو منهج للأنبياء مطرد، كما حدث في بدر وأحد.

أ.د. ناصر العمر

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤)

(١) إخلاص وشهامة، وبعد عن حب الظهور، وترك لطلب المقابل، ومع ذلك جاءه الخير وهو في ظله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

د. محمد الحمد

(٢) في قول موسى ﷺ بعد أن سقى للمرأتين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عباس ﷺ: كان قد بلغ به الجوع ما بلغ، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله. فعلق ابن عطية قائلًا: وفي هذا معتبر، وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى!

المحرر الوجيز ١٨٩/٥

(٣) أيها القلب الحزين: إياك أن تنسى العلي، كن مثل كليم الرحمن، خرج خائفًا، سافر راجلًا، اخضر جوعًا، فنادى منكسرًا: ﴿رَبِّ﴾، فحذف ياء النداء ﴿إِنِّي﴾؛ لتأكيد المسكنة، ولم يقل: أنا، ﴿لِمَا﴾ لأي شيء ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ بصيغة الماضي؛ لشدة يقينه بالإجابة فكأنها تحققت، ﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فكان جزاء هذا الانكسار التام: أهلاً ومالاً، ونبوةً وحفظًا.

د. عصام العويد

(٤) ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إشارة إلى سبب من أسباب إجابة الدعاء، وهو إعلان الافتقار إلى الله، وإظهار المسكنة إليه ﷻ.

د. محمد الحمد، هداية آية ٧

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥)

(١) وصفها بالحياء في مشيها خصوصًا، وهذا فيه توجيه للمرأة المسلمة؛ فالمشي عند المرأة يدل على شخصيتها بل يدل على عفافها من عدمه. فانتبهي أختي الكريمة للمشي فهو ليس أمرًا هامشيًا في حياة المرأة بل هو أمر مهم ذكره الله ﷻ في كتابه. ثم قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾، ولم تقل: إننا ندعوك؛ لأن هذا هو اللائق بالمؤمنة العفيفة حينما تتحدث مع الرجال الغرباء. د. عويض العطوي

﴿ تَمْشَى عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ ﴾ ما أجمله من وصف! فهي كأنها من شدة حياؤها لم تمش على قدميها، بل (على حياؤها)، الحياء في الكلمة والنظرة والحركة بالنسبة للمرأة خصوصًا هو لحاؤها الذي لا تزهر أغصان الورد بدونه.

د. عصام العويد

﴿ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ المكافأة تسبب تألف القلوب، ودفع المنن.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢٠٥

٤) قال ابن كثير في قوله تعالى عن ابنتي شعيب ﴿ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾: وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلبًا مطلقًا؛ لئلا يوهم ريبة.

تفسير القرآن العظيم ٢٢٨/٦

﴿ قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأَبَّأُ اسْتَعِجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

١) أركان الولاية اثنان: القوة، والأمانة، ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا إِنِّيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ النمل: ٣٩، فمن العدل ألا يولى أحد منصبًا إلا وهو أهل له في قوته وفي أمانته؛ فإن ولى من ليس أهلًا مع وجود من هو خير منه، فليس بعاذل.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤٦١/١

٢) تأمل كم تكرر وصف القوة والأمانة في القرآن لسادات الخلق: جبريل، وموسى، ويوسف، وغيرهم! إنها فرصة لتربية أبنائنا على هذا المعنى الشريف - وهم يستعدون للاختبارات - وتذكيرهم بشدة حاجة الأمة للطالب القوي في علمه وتحصيله، الجاد في أداء عمله، وأن التفوق الدراسي ليس مطلبًا اجتماعيًا بل هو - قبل ذلك - مطلب شرعي، فالساحة مملأى بالكسالى!

د. عمر المقبل

٣) اجعل أعمالك وتعاملك يشهدان لك بالقوة والأمانة: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾، ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾. ﴿ قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأَبَّأُ اسْتَعِجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ ءَأَنسِكُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩)

استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ بأن فيها دليلاً على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامه وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمراً فالمؤمنون عند شروطهم، و«أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج»^(١).

القرطبي، أحكام القرآن ٢٨١/١٣

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا فِيهِ رِجَاءً يَصْدَقُ ۖ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤)
﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ فيه إشارة إلى أهمية العناية بالجانب البياني والإعلامي في باب دعوة الآخرين: مسلمين أو غيرهم، وأنه لا يكفي مجرد صدق الداعي، بل يحسن مع ذلك أن يهتم بكل وسيلة تكون سبباً في إبلاغ دعوته، والتأثير بها.

د. عمر المقبل

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجَعَلَ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَّا أَنشَأُوا وَمِنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ (٣٥)
(١) ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ إخوانك هم عُدَّتْكَ للمهمات فاستكثر من الصادقين منهم، ولا تفرط فيهم.

د. عبدالرحمن الشهري

(٢) بون شاسع بين استعلاء فرعون وجبروته وطغيانه، وضعف قوم موسى وذلتهم وقلة حيلتهم، وبرغم ذلك قال الله ﷻ لموسى وهارون ومن معهما: ﴿ بِأَيِّنَّا أَنشَأُوا وَمِنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ أي: بججتنا، وهذه هي حقيقة الانتصار.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠)

(١) والهوى -نعوذ بالله منه- هو أول فتنة طرقت العالم، واتباع الهوى ضلّ إبليس، وبه ضلّ كثير من الأمم عن اتباع رسلهم وأنبيائهم، كما في قصص القرآن العظيم؛ ولهذا حكم الله -وهو أعدل الحاكمين- أنه لا أحد أضلّ ممن اتبع هواه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

د. بكر أبو زيد، تصنيف الناس بين الظن واليقين ٣٧

(١) الترمذي ح(١١٢٧)، والنسائي ح(٣٢٨١)، وأحمد ح(١٧٣٠٢).

(٢) إن لم تنقد للهدى، قادك الهوى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

د. عمر المقبل

﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١)

قال الكاتب والشاعر النصراني أمين نخلة: «كلما قرأت القرآن قلت لنفسي: ويحك انجي؛ فإنك على النصرانية!» انتهى. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

ميراث الصمت والملكوت ١٤٢ (بتصرف)

﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون﴾ (٦٢)

شجرة الإخلاص أصلها ثابت، لا يضرها زعازع: ﴿أين شركاءي الذين كنتم تزعمون﴾ وأما شجرة الرياء، فإنها تجتث عند نسمة: «من كان يعبد شيئاً، فليتبعه»^(١).

ابن القيم، بدائع الفوائد ٣/٢٣٧

﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ (٦٦)

من عيوب النفس: أن تسترسل مع الخواطر السيئة التي تمرُّ بذهنها، فتترسخ فيها، ودواء ذلك: أن يرد تلك الخواطر في الابتداء، ويدفعها بالذكر الدائم، ويتذكر أن الله مطلع على سيرته، وأن يعيش مع قول الله: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾. ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السِّرَّ وأخفى﴾ (طه: ٧).

عبدالعزیز السلیمان، اغتنام الأوقات (١٤١) (بتصرف)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ التِّلَّ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢)

وإنما ذكر السماع عند ذكر الليل والإبصار عند ذكر النهار؛ لأن الإنسان يدرك سمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٤٠

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧)

هي خمس كلمات -أي: خمس جمل - متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألفاً من الشيء المؤلف في الأصل، وأحسن توافقاً من المتطابق في أول الوضع. الباقلائي، إعجاز القرآن ١٩٤

(١) البخاري ح (٦٥٧٣)، ومسلم ح (١٨٢)، وأحمد ح (١٠٩٠٦).

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨)

(١) قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٨/٥

(٢) أيها الطالب! إن أوتيت حفظًا وذكاءً، فانتبه، فقد قال قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ فحُفِّسَ به، والمؤمن حقًا حاله حال المعترفين بالنعمة، كما قال صاحب الجنة: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (الكهف: ٣٩).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠)

(١) إثارة ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء؛ فمن كان هكذا فهو عالم، ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ١٤٩/٢

(٢) بقدر ما أوتوا من العلم؛ يكون زهدهم في الدنيا.

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُتُ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ ۗ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٢)

لما حُفِّسَ بقارون، قال من تمنى حاله: ﴿ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ وهم بالأمس يتضرعون: ﴿ يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٧٧) (القصص)، قف متأملًا متدبرًا: كم دعوة حزنت على عدم استجابة الله لك إياها؟ بل قد يسيء البعض بربه الظن، فيخالطه شك أو ريبة أو قنوط! وما علم المسكين أن خيرة الله خيرٌ من خيرته لنفسه، كما صرف الشر عن أصحاب قارون، ولكن ﴿ وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) (القصص) (١).

أ.د. ناصر العمر

(١) أرسلت هذه الرسالة أيام الاختبارات، فجاء هذا التعليق من أحد الإخوة المشتركين: أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء، فأنا طالب جامعي وقد دعوت كثيرًا في اختباراتي بأن يكون معدلي كاملًا، ثم لما نظرت نتيجتي وجدتني نقصت كثيرًا، فأصابني حزن وغم لعدم استجابة الدعوة، ثم لما قرأت رسالتكم بالأمس حول: ﴿ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ حمدت الله واطمأننت واستبشرت بالدعاء، لن يضيع، ولعل في النقص خيرًا.

سورة العنكبوت

﴿ ١ ﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

(١) دَلَّ كِتَابُ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْفِتْنَةِ لِكُلِّ مَنْ ادَّعَى الْإِيمَانَ، وَالْعُقُوبَةُ لِدَوِي السَّيِّئَاتِ وَالطَّغْيَانِ.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١١٢/٣

﴿ ٢ ﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٣﴾ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا يَتَفَاوَتُ أَهْلُ الْأَلَامِ فِي الْعُقُولِ، فَأَعْقَلُهُمْ مَنْ بَاعَ الْأَمَّا مُسْتَمِرًّا عَظِيمًا بِالْأَمِّ مُنْقَطِعَ سَيْرٍ، وَأَشْقَاهُمْ مَنْ بَاعَ الْأَلَمَ الْمُنْقَطِعَ الْيَسِيرَ بِالْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ.

ابن القيم، زاد المعاد ١١/٣

﴿ ٣ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٤﴾ قَالَ قَتَادَةُ ؓ: لِيَعْلَمَ الصَّادِقُ مِنَ الْكٰذِبِ، وَالطَّاعِ مِنَ الْعَاصِي، وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُضْرَبَ بِالْبَلَاءِ كَمَا يُفْتَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ، وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِثْلَ الْفِتْنَةِ كَمِثْلِ الدَّرْهِمِ الزَّرِيفِ يَأْخُذُهُ الْأَعْمَى وَيَرَاهُ الْبَصِيرُ.

الدر المنثور ٤٥٠/٦

﴿ ٥ ﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾

لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنَّ قُلُوبَ الْمُشْتَاقِينَ إِلَيْهِ لَا تَهْدَأُ إِلَّا بِلِقَائِهِ، ضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا لِلِقَاءِ؛ تَسْكِينًا لِقُلُوبِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ (العنكبوت: ٥).

ابن القيم، روضة المحبين (٤٣٦)

﴿ ١٢ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ
خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكٰذِبُونَ ﴿١٣﴾

نَرَى فِي الْمُتَسَمِّينَ بِالْإِسْلَامِ مِنْ يَسْتَنُّ بِأَوْلِيائِكَ! فَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْجِعَهُ عَلَى ارْتِكَابِ بَعْضِ الْعِظَائِمِ -: أَفْعَلْ هَذَا وَإِثْمُهُ فِي عُنُقِي! وَكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِمِثْلِ هَذَا الضَّمَانِ مِنْ ضَعْفَةِ الْعَامَةِ وَجَهْلَتِهِمْ!.

الزخشي، الكشاف ٤٤٨/٣

﴿ وَيَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١٣)

بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المصرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلاً، والتعبير عن الخطايا بالأثقال؛ للإيدان بغاية ثقلها وكونها فادحة.

الألوسي، روح المعاني ٢٤٥/١٥

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَخُلُوفًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ۖ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٧)

لا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾

ابن خلدون، مقدمته ٦٦/٢

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أَمْرًا تَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴾ (٢٣)

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ لا تلقى المؤمن إلا يرحم المؤمن، ويجوطة حيثما كان.

الدر المنثور ٤٦٢/٦

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١)

فأي معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه؟ حيث قال: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ فأدخل إن، وبنى أفعال التفضيل، وبناه من الوهن، وأضافه إلى الجمع، وعرف الجمع باللام، وأتى في خبر إن باللام!

الزركشي، البرهان ٤٨٤/١

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٤٢)

(١) كان بعض السلف إذا مرّ بمثل في القرآن لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين.

مفتاح دار السعادة ٥١/١

٢) هذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك: أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم، يعرفون أنها أهم من غيرها؛ لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها، وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها -مع أهميتها-، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٣١

٣) من أعجبتة حكمة عظيمة صالحة في قول مفكر أو فيلسوف، فليتحسر على نفسه أن جهلت موضعها من القرآن، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾. عبدالعزيز الطريفي، في العقلية الليبرالية ١١٠

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

١) قال أبو العالية: إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال؛ فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره وبينها.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٨٢٢

٢) الصلاة فيها دفع مكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب، وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإن ذكر الله عبادة، وعبادة القلب مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر فهو مقصود لغيره على سبيل التبع؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ابن تيمية، العبودية ٩٩

٣) بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الحج: ٣٨) وفي القراءة الأخرى: (يدفع).

ابن القيم، طريق الهجرتين ٧٢

٤) هل أبصرت هذه الآية؟ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ تأمل كيف أسند الله النهي إلى الصلاة نفسها!

إن الصلاة تعني أن ترحل عن خطاياك إلى الله؛ لتخرج من دركات العادة إلى درجات العبادة، وليتغير طعم المنكر في قلبك فلا تجد له لذة، فأبصر ثم أبصر فإن الصلاة تصنعك.

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ١١٥

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

١) أما هذه الأمة فقد أرسل الله إليها محمداً ﷺ، وجعله خاتم الأنبياء، وجعل آيته العظيمة الباقية هذا القرآن العظيم، فإن آيات الأنبياء تموت بموتهم، ولا تبقى بعد موتهم إلا ذكرى، أما محمد ﷺ فإن آيته هذا القرآن العظيم، باقية إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، فالكتاب كاف عن كل آية لمن تدبره، وتفعله، وعرف معانيه، وانتفع بأخباره، واتعظ بقصصه، فإنه يغني عن كل شيء من الآيات. لكن الذي يجعلنا لا نحس بهذا الآيات العظيمة، أننا لا نقرأ القرآن على وجه نتدبره، ونتعظ بما فيه.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٤

٢) ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ كل علم دين لا يُطلب من القرآن، فهو ضلال، وكل عاقل يترك كتاب الله مريداً للعلو في الأرض والفساد، فإن الله يقصمه؛ فالضال لم يحصل له المطلوب، بل يعذب بالعمل الذي لا فائدة فيه.

ابن تيمية، الاستقامة ١/٢١

٣) لقد عظمت نعمة الله على عبد أغناه بفهم كتابه عن الفقر إلى غيره: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

ابن القيم، بدائع الفوائد (٥/٢٢٧)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦٠)

التفت حولك، هل ترى نملةً أو حشرةً صغيرةً تحمل رزقها على ظهرها؟ بل ربما دفعته بمقدمة رأسها لعجزها عن حملها، أي هم حملته هذه الدويبة الصغيرة لرزقها؟ وهل كان معها خرائط تهتدي بها؟ كلاً.. إنها هداية الله الذي قدر فهدى، والذي قال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾، فكيف يقلق عبدٌ في شأن رزقه، وهذا كلام ربّه؟

د. عمر المقبل

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٤)

الموقنون بالآخرة لهم سيرة أخرى، إنهم يتقون الشبهات استبراء لدينهم وعرضهم، ويكثرثون بالآخرة أشد من اكرثات غيرهم بالدنيا، هم يفهمون بعمق قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٤٩

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦١)

(١) قال عباس بن أحمد في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾: الذين يعملون بما يعلمون نهديهم إلى ما لا يعلمون.

اقتضاء العلم العمل ٣٠

(٢) قد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عِاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِعِآيَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الروم: ١٠).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٤٠/١٤

(٣) ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ كثرة الممارسات للمواهب تُعطي الملكات؛ فتبقى للنفس هيئة راسخة ومملكة ثابتة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٨٠٥/٢

٤) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ علق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد، فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد.

ابن القيم، الفوائد ٥٨

٥) ثلاث مراحل لمن أراد أن يستمتع بهذا الدين:

١- اترك ما كنت تستمتع به قبل المحبة، وستتجرع ذلك في البداية، وهذه هي المجاهدة.
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

٢- إن ترقيت في المحبة بذلت لدينك رضاً وتطوعاً، وهذا هو التذوق.

٣- إن ترقيت في المحبة بذلت لدينك ذلاً وتضرعاً، وهذا هو الاستمتاع.

أبو إسحاق الحويني

٦) رمضان أعظم ميدان للتنافس، وبلوغ الغايات على قدر التضحيات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

ومن رام العُلا من غير كدٍّ أضع العمر في طلب المحال

د. عبدالمحسن المطيري

سورة الروم

﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

(١) قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: إنه ليلبغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظهره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي !!

الدر المنثور ٤٨٤/٦

(٢) ما الذي جعل العلامة الشنقيطي يقول عن هذه الآية يجب على كل مسلم أن يتدبرها تدبرا كثيرا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس؟ قال ﷺ: اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر آية «الروم» هذه تدبراً كثيراً، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس. وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها.

أضواء البيان ١٦٦/٦

(٣) تفقد قراءاتك: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ لم يذموا لمجرد اشتغالهم بعلوم الدنيا؛ بل لأنها تسببت في الغفلة عن الآخرة.

د. عمر المقبل

﴿ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

جمع الله تعالى الحمد لنفسه في الزمان والمكان كله، فقال: ﴿ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وقال: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾؛ فتبين بهذا أن الألف واللام في ﴿ الْحَمْدُ ﴾ مستغرقة لجميع أنواع المحامد، وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به.

الشنقيطي، أضواء البيان ٥/١

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾

١) ارتفاع نسبة الطلاق بلغ رقمًا مخيفًا - قرابة ٤٠,٠٠٠ حالة طلاق في سنة واحدة - وهذا مخالف لأصل خلق الزوجين: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ فلو تحقق السكن، لما وقع الطلاق - غالبًا -، إذن لا بد من سبب معتبر حال دون تحقق الأصل والغاية، والعلاج: أن تصلح ما بينك وبين الله؛ يصلح لك زوجك، تدبر: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (الأنبياء: ٩٠).
 أ.د. ناصر العمر

٢) أصول الحياة الزوجية وأركانها دون انقطاع:

١- سكن كل واحد منهما للآخر.

٢- المودة.

٣- الرحمة.

وأي نقص في ذلك، فهو خلل في تحقق آيات الله في نفس المقصر، تدبر: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾

أ.د. ناصر العمر

٣) من تأمل القرآن، علم أنّ كلمة (السكن) هي سرُّ الكون الذي هدى إليه القرآن في العلاقة بين الرجل والمرأة ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾؛ ولذا كان الهدف الرئيس للمرأة في الحياة بعد حق الله أن تتعلم كيف تكون سكنًا لزوجها وأسرتها.

د. عصام العويد

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنَائِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٢﴾

أرأيت توأمين متشابهين، لا يتميز عندك أحدهما عن الآخر إلا بجهد؟ عند ذلك تعرف نعمة الله تعالى في الاختلاف التي ذكرها في هذه الآية.

السخاوي، تفسير السخاوي ٦٧/٢

﴿ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِن بَاطِلٌ كَثِيرٌ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠)

يواجه الإنسان في حياته - وخاصة في هذا الزمن - كثيرًا من المتغيرات، التي يتأثر بها كثير من الناس، ولو تدبر المؤمن هذه الآية، لما زهد في طريق الحق ولو انحرف عنه أكثر الناس؛ ولذلك ختم الله الآية بقوله: ﴿ وَلَكِن بَاطِلٌ كَثِيرٌ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٣١)

لم ترد آية في الربا إلا جاء قبلها أو بعدها ذكر الصدقة أو الزكاة، وفي هذا إشارة لطيفة بأن الربح الحقيقي في الصدقة والزكاة لا بالربا، كما يتوهم المرابون، وآية الروم كشفت المكنون.

أ. د. ناصر العمر

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٠)

كنت أعاني من طلب ثناء الناس كثيرًا في عبادتي؛ حتى قرأت هذه الآية، فكررت: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾؟ لا والله! فيا له من حرمان أن يترك المرء طلب ثناء مولاة الذي خلقه، ثم رزقه، ثم يميته، ثم يحييه، إلى طلب ثناء مخلوق مثله.

متدبر

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤١)

يشتكى العالم اليوم من أزمات كثيرة، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: أفعال الله كلها خير وحكمة، وتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة، وتأمل هذه الآية، تجد أنّ هذا الفساد الذي ظهر في البر والبحر كان لما يُرجى به من العاقبة الحميدة وهي: الرجوع إلى الله ﷻ.

القول المفيد ٢/ ٤١٤

﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُهْدُونَ ﴾ (٤٤)

الحيوان البهيم يتأمل العواقب، وأنت لا ترى إلا الحاضر! ما تكاد تهتم بمؤونة الشتاء حتى يقوى البرد، ولا بمؤونة الصيف حتى يقوى الحر، والذر يدخر الزاد من الصيف لأيام الشتاء، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر؛ فهلا هيات لنفسك فراشاً تمهد به الطريق؟ ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُهْدُونَ ﴾.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٤ / ٣٢٢) (بتصرف)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧)

إن صلاح الدين انتصر؛ لأنه دعا بدعوة الإسلام، لم يدع بدعوة الجاهلية، ولا نادى بشعائر الكفار، ولم يرفع راية مذهب باطل ابتدعه أهل الضلال من البشر، بل رفع راية القرآن الذي أنزله رب العالمين وخالق البشر ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٨٨

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿ (٤٩)

أشارت الآية إلى سرعة تقلب قلوب البشر من اليأس إلى الاستبشار، وأعاد لفظه (من قبل - من قبله) دلالة على أن إبلاهم قبل المطر بزمٍ يسير لا كثير.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣٩٦/٤

﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥٠)

﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (١) فإذا كانت حياة الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على سعة رحمته؛ فالدليل في القلب الخلي من العلم والخير حين ينزل الله عليه غيث الوحي فيهتز وينبت العلوم المختلفة النافعة، والأعمال الظاهرة والباطنة أعظم من الأرض بكثير! ودلالته على سعة رحمة الله وواسع جوده وتنوع هباته أكثر وأعظم.

السعدي، المواهب الربانية ٢٢

٢) الموفق من الناس من يجتمع له التفكير في آيات الله الكونية، وتدبر آيات القرآن، فالخارج للبرّ -مثلاً- يحصل له ذلك حين يرى آثار رحمة الله بإحياء الأرض بعد موتها، فيذكره بقدرة الله على إحياء الموتى، فيعتبر عندها بقوله سبحانه: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

لو لم يكن للعلم وأهله العاملين به من شرف إلا أن بركة علمهم تبقى، ويمتد أثرها حتى في عرصات القيامة لكفى، فهم شهود الله على بطلان عبادة المشركين كما في سورة النحل: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّن شُرَكَاءِ عَالَمِ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (النحل)، وشهود على منكري البعث كما في سورة الروم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

د. عمر المقبل

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

١) ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ جاء الحديث عن صدق وعد الله بعد الصبر؛ لأنه «مما يعين على الصبر؛ فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً، هان عليه ما يلقاه من المكروه، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير».

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٤٦/١

٢) رسالة ربانية إلى كل مصلح وداعية ومجاهد: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، أمر في أولها، ونهي في آخرها، وخبر مؤكد في وسطها.

د. محمد القحطاني

٣) سوء فهم معنى الصبر ولوازمه وآثاره؛ يورث اندفاعاً أو تنازلاً أو قنوطاً! ولو تدبر أولئك آيات الصبر في القرآن؛ لأدركوا أنه قرين العمل الجاد واليقين، وبذلك يتحقق الفتح المبين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سُورَةُ لُقْمَانَ

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٦)

(١) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾. قيل: نزلت في النضر بن الحارث، كان يشتري أخبار الأعاجم كـ(رستم واسفنديار) -بعض ملوك فارس-، ويحدث بها قريشاً؛ ليستملحوا حديثه، ويتركوا استماع القرآن.

جامع البيان للطبري ٢٣٨/١٩

ما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه الدور التي تنشر كتباً وروايات تفسد الأخلاق والعقائد، وتزهده في نصوص الوحي؛ امتداد لمسيرة النضر بن الحارث وطريقته!

(٢) أشهد الله، وملائكته، وحملة عرشه الكرام، وجميع خلقه -من غير جدال في تصحيح حديث وتضعيف آخر، بل الأمر تجربة نفسية-: أن الغناء مهما كابر المكابرون يقسي القلب، ويعين على هجر القرآن الكريم وحديث رسول الله وسير الصالحين.

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، جريدة الجزيرة عدد ١٣٥٦٧

(٣) قف متأملاً لبلاغة هذه الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ فمع أن الاشتراء كان لوسيلة اللهو إلا أنه جعل الغاية هي السلعة؛ تقييحاً لفعله، ثم عبر بقوله: ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؛ لبيان الأثر اللازم لهذا السفه، بمزاحمته لمرضاة الله، وصدده عن سبيله، وليس كما يتوهم البعض أنه مجرد تسلية لا تؤثر على دينه وعبادته، والواقع يكذب هذه الدعوى ويفندها.

أ.د. ناصر العمر

(٤) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أفقى أحد العلماء بجرمة المعازف؛ لدخولها في هذه الآية -كما نصّ عليه أكابر المفسرين-، فقال له أحدهم: إنما قال: ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، وأنا لا أفعلها لذلك، فقال له العالم: ألم تسمع بقية الآية: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾؟ فأنت تضل، ولكن بغير علم.

متدبر

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي

﴿١٤﴾ وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾

(١) ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ ألم يبلغك ما تقاسي أمك وما تتعذب بسببك؟ لو سبب لك إنسان عُشر هذا العذاب، لأعرضت عنه وهجرته، -هذا إن لم تنتقم منه!- ولكن الأم تنسى ألمها بعد لحظات من خروج الولد، ثم تضمه إلى صدرها؛ فتحس كأن روحها التي كادت تفارقها قد رجعت إليها.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٩٤/٢

(٢) ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ الأم إن كانت عجوزًا، أو كانت مريضة، فاذكر أنها إن احتاجت لك اليوم؛ فلقد كنت يومًا أحوج إليها، وإن طالبتك أن تقدم لها من مالك؛ فقد قدمت لك من نفسها ومن جسدها.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٩٤/٢

﴿يَبْنَى أَقْرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾
الداعية إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا بُدَّ أن يصيبه أذى، فهو محتاج إلى الصبر على ما يصيبه من أذية الناس له بالقول أو بالفعل، وقد جمع الله بين الأمر والنهي وبين الصبر في وصية لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى أَقْرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾.

د. عبدالعزيز الراجحي، الإيضاح والتبيين ٧٦

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ ﴿١٩﴾

(١) ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ﴾، ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، علاقة حركة الجوارح بالأخلاق قرينة معتبرة لمعرفة أخلاق بعض الناس، وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ﴿٣٧﴾، وفي سورة النور: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ﴿٣١﴾، بل أشدها في سورة لقمان: ﴿وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾.

أ. د. ناصر العمر

(٢) قال ابن زيد رضي الله عنه: لو كان رفع الصوت خيرًا، ما جعله الله للحمير.

الدر المنثور ٥٢٥/٦

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ﴿١٩﴾
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٢١﴾
المأمور وإن كرهته النفس، وعن المحذور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النعمة.

ابن تيمية، دقائق التفسير ٩٧/٥

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ
شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

ربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وأنه لا يغير ما به، ويظن أن ذلك من محبة الله له، وأنه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك، فهذا من الغرور ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي ٣٥

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ
غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

(١) من لطائف التفسير النبوي أنه فسر آيتين من سورة الأنعام بآيتين من سورة لقمان: ففسر آية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)؛ بآية: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)؛ وفسر آية: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ (الأنعام: ٥٩)؛ بآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، ولم أجد له غيرها.

د. مساعد الطيار

(٢) حين يَقْصُرُ بعض الناس قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ على معرفة جنس الجنين، أو القدرة على تحديده -ياذن الله-؛ فإن ذلك يحدث لهم إشكالات، بينما هي تشمل: الرزق، والأجل، والسعادة والشقاء، وغير ذلك مما يتصل بحياة الجنين، وحينها تزول تلك الإشكالات التي يثيرها بعضهم بسبب تقدم الطب في علم الأجنة.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كان البخاري ينشد:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
كم صحيح رأيت من غير سقم
فغسى أن يكون موثك بغتة
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

مقدمة فتح الباري ١/٤٨١

وهكذا كان البخاري، فقد كان من أهل الركوع، وكان موته ليلة عيد الفطر بغتة.



سورة السجدة مشتملة على تقرير أمر القرآن بما تضمنته من أصول الإيمان الستة إلا القدر، بذلك فتحت وبذلك ختمت، كما أن سورة الشورى بدأت بالوحي وختمت بالوحي المتضمن للقرآن والإيمان.

ابن تيمية، جامع المسائل ١٤٣/١

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تُتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ يقرن الله تعالى استواءه على العرش باسم (الرحمن) كثيراً؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها. والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٥٦، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات؛ فذلك وسعت رحمته كل شيء.

ابن القيم، مدارج السالكين ٣٣/١

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكُسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

(١) ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكُسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ وجواب (لو) متروك، تقديره: لو رأيت حالهم؛ لرأيت ما يُعتبر به، ولشاهدت العجب.

ابن الجوزي، زاد المسير ١١٥/٥

(٢) إِنَّ عَلِمًا لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يبعدك غدًا عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تتدارك أيامك الماضية؛ فستقول غدًا يوم القيامة: ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾، فسيقال لك: يا أحمق! أنت قد جئت من هناك!!

أبو حامد الغزالي، أيها الولد ١٠٨

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ المؤمن يتذكر الآخرة، فإذا رأى حرَّ الدنيا تذكر نار الآخرة، وإذا سمع باختبار الدنيا تذكر اختبار الآخرة، وهكذا شأن الأخيار ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (ص: ٤٦).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾

من وعظ بالله، كان من تمام اتعاطه إتراب جبينه بالسجود لله؛ تواضعاً له، وتذللاً لجلاله، وهو مندوب إليه بهذه الآية -والله أعلم-، خلافاً على الجبارة والكفار، ومن تأخذه العزة بالإثم.
القصاب، نكت القرآن ٦٣٦/٣

﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

(١) المؤمن يكون جسده في مضجعه، وقلبه قد قطع المراحل مسافراً إلى حبيبه، فإذا أخذ مضجعه، اجتمع عليه حبه وشوقه، فيهزه المضجع إلى مسكنه، كما قال الله تعالى في حق المحبين: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٠٥-٣٠٦

(٢) إن غاية الحياة تتحقق كلها في الصلاة؛ فالصلاة اتصال بالله واستعداد لحياة الخلود، ثم إنها لذة لا تعدلها -إذا أقيمت على وجهها- لذة من لذائد الحياة، تدبر حال المحبين للصلاة: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٣٤

(٣) تأمل حالك في الليالي المباركة هل تشعر بلذة النوم وحب الفراش؟ أو أنك تأوي إلى فراشك قدر حاجتك؛ لتستعين بذلك على العبادة، فتلاحظ أنك كلما استغرقك النوم قمت فزعاً؛ خوفاً من فوات هذه المغانم؟ تدبر هذه الآية؛ لتكتشف أي (عابد) أنت: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية، فمن ضيع الليالي المباركة، فهو لما سواها أضيع.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخراً، بله ما اطلعت عليه» (أي: مَدْخِراً لهم فوق النعيم الذي أخبرتم به)، قال: اقرؤوا - إن شئتم -: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

(٢) قال الحسن البصري رضي الله عنه: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٥/٦

(٣) ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هذه لذة الخبر، فكيف بلذة النظر؟! د. عادل الزريقي

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ (٢٠)

قال الفضيل بن عياض: والله ما طمعوا في الخروج؛ لأنَّ الأرجل مقيّدة والأيدي موثّقة، ولكن يرفعهم لها، وتردُّهم مقامها - نعوذ بالله من النار -.

الدر المنثور ٤٤٥/١٠

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢٤)

(١) قال ابن عيينة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ﴿ لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوساً، وقال بعض العلماء: بالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٢/٦

(٢) سر عجيب في قوله تعالى عن أئمة المتقين: ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (السجدة: ٢٤) ليعلم أن هدايتهم بما أمر به سبحانه على لسان رسوله، لا بمقتضى عقولهم وآرائهم وسياساتهم وأذواقهم، وتقليد أسلافهم بغير برهان من الله؛ لأنه قال: ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾.

ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٨)

(١) أخرجه البخاري ح (٤٥٠٢)، ومسلم ح (٢٨٢٤).

٣) الطريق إلى الله خال من أهل الشك، ومن الذين يتبعون الشهوات، وهو معمور بأهل اليقين والصبر، وهم على الطريق كالأعلام: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

ابن القيم، الفوائد ٥٥

٤) ما رأيناه في سير الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين يؤكد أن عظم المنزلة مع ثقل الأحمال ومعاناة الصعاب ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٢

٥) من ظن أن التربية تتوقف عند سن معين فقد وهم، بل هي مستمرة إلى زمن متقدم من عمر المؤمن؛ فإن القرآن أخبرنا أن أئمة الدين لم يبلغوا منزلتهم من الإمامة إلا بعد ابتلاء وتمحيص، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

أ.د. عبدالكريم بكار، ١٧٥ بصيرة في تربية الأسرة

٦) عندما ترى الآخرين قد تخلوا عن تحمل مسؤولياتهم في أشد الأزمات التي تمر بها بلادهم وأمتهم؛ فاعلم أن الفرصة قد أصبحت مواتية لك لتكون من أئمة المتقين، فأقبل متدبراً: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة الأحزاب

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتَى اللَّهِ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتَى اللَّهِ﴾ ناداه بوصفه دون اسمه تعظيمًا له؛ فإن مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق.

القنوي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٥٥/٧

﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾﴾

كان يقال لزيد بن حارثة: زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾، فلما نزع عنه هذا الشرف، وعلم الله وحشته من ذلك؛ شرفه بخصيصة من بين الصحابة، فقال: ﴿فَلَمَّا فَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧)، ومن ذكره الله باسمه في كتابه حتى صار اسمه قرآنًا يتلى في المحارب، نوه به غاية التنويه؛ فكان هذا تأنيس له، وعض من الفخر بأبوته ﷺ له.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٤ (بتصرف)

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

عامي في بلدنا ينتسب إلى مذهب ضال - معروف بشتم الصحابة وأمهات المؤمنين - قرأ قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، فتوقف قليلاً عند قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ فقال بفطرته: كيف نشتم أمهاتنا إن كنا مؤمنين؟ فكان ذلك سبباً في هدايته لمذهب أهل السنة والله الحمد.

عادل المعاودة

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ (١٠)

(١) تأمل في وصف الله لحال المسلمين في غزوة الأحزاب: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾، ثم تأمل كيف قابلوا هذه الحال: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٢٢)، ثم انظر النتيجة: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الآيات (الأحزاب: ٢٥)).

الشنقيطي، أضواء البيان (٦/٢٣٤-٣٢٥) (بتصرف)

(٢) ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ الظنون من الهواجس والخواطر التي لا يمكن لبشر أن يدفعها، فلا تعتبر منقصة في حق الصحابة، بل هم مؤمنون صادقون واثقون من نصر الله، لكن الله ذكر ذلك؛ ليبين الموقف النفسي الذي أصاب سكان المدينة عموماً على اختلاف طبقاتهم الإيمانية آنذاك.

صالح المغامسي، سورة الأحزاب (شريط)

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١١)

من تدبر سورة الأحزاب، وجد طائفة من صفات مرضى القلوب، والتي تبرز عند ضعف المسلمين وقدم الأحزاب عليهم، فمنها: التكذيب: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾، التخذيل: ﴿ يَتَأَهَّلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ (الأحزاب: ١٣)، الخوف: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾، البخل: ﴿ أَشْحَاةٌ عَلَيْكُمْ ﴾، اتهام المسلمين بأنهم سبب المشكلة: ﴿ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَارٍ ﴾ (الأحزاب: ١٩).

د. عبد الله الفوزان

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٦)

أخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل، والتجربة تدل على ما دل عليه القرآن؛ فإن هؤلاء الذين فروا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا وهكذا سنة الله قديماً وحديثاً.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٥٣/٢٨

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٨)

الواثق بربه لا يصدده المخذلون، ففي سورة الأحزاب: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

د. سعود الشريم

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١)

(١) كان معاوية يستلم جميع أركان الكعبة، فقال له ابن عباس: إن النبي ﷺ لم يكن يستلم إلا الركنين! فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجور! فقال ابن عباس: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فسكت معاوية ووافق ابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين^(١). ويستفاد من هذا الموقف: أن فهم السنة من أعظم ما يعين على التدبير الصحيح.

د. عمر المقبل

(٢) ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ من هدي هذه الآية أن وارث مقام التعليم يجب أن يكون قدوة في سمته وأخلاقه وسيرته، تقيًا ورعًا، مجتنبًا للمحرمات بعيدًا عن الشبهات؛ فإذا كان كذلك، نفعهم بسيرته وأخلاقه أكثر مما ينفعهم بعلمه.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٢٩

(٣) ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ هذا القرآن لن يكون له أثره في البشرية من النذارة والإنارة إلا من خلال نماذج بشرية حية، تشتعل قلوبها بحقائقه الإيمانية؛ حتى تستنير وتتوهج، ثم تنير.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٦٢

(٤) لن نتقدم مرة أخرى إلا إذا استعدنا ثقتنا بأنفسنا، ولن نصل إلى هذا الهدف بتدمير نظمنا الاجتماعية، وتقليد حضارة أجنبية عن ديننا وليس عن محيطنا التاريخي والجغرافي فحسب، وقد بين الله لنا الطريق في كتابه المبين: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾.

د. صالح الحصين

(١) الطحاوي ح (٣٨٥٤).

٥ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ معلوم أن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وإنما جيء بكلمة (حسنة)؛ لتأكيد الأمر، وزيادة في الإيضاح، ودفعاً لأهل الهمم، حتى يقتدوا برسولهم ﷺ فقد كان يحمل التراب، ويرابط ويقاتل، ويبدأ بنفسه قبل أن يبدأ بغيره صلوات الله وسلامه عليه.

صالح المغامسي، سورة الأحزاب (شريط)

٦ من أعظم ما يسهل الاقتداء بالنبي ﷺ: خوف الله وتذكر الآخرة وكثرة الذكر ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

د. عبد المحسن المطيري

٧ تأس في كل حال:

إذا ضمنت قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ إلى ندائه ﷺ في حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم»^(١)؛ هان عليك ما تجده من مشقة ونصب -غير مقصود- في سبيل تتبع سنة نبيك ﷺ، بل ستجد في ذلك لذة يعجز الوصف عنها.

د. عمر المقبل

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا﴾

تأمل سورة الأحزاب، فقد ذكر الله فيها أنواعاً من (الأحزاب) التي اجتمعت لعداوة المسلمين، فذكر فيها: الكافرين، والمنافقين، وأهل الكتاب، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفين، والمعوقين، وأهل الجبن والبخل عن نصر الله وغيرهم، لكن لما استمسك المؤمنون بربهم، كانت النتيجة: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا﴾

متدبر

﴿وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوْهُا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

لما أهوى المسلمون الأولون مجباههم إلى الأرض -حيث تطأ النعال- خضوعاً لله، جعل الله رؤوس الجبارين تنحني خضوعاً لهم، وتيجان الحكام تتهاوى على نعالهم، وجعلهم بالإسلام سادة الدنيا وأساتذتها. تدبر: ﴿وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوْهُا﴾

علي الطنطاوي، نور وهداية ٤١

(١) مسلم ح(١٢٩٧)، وأبو داود ح(١٩٧٠)، والنسائي ح(٣٠٦٢)، وأحمد ح(١٥٠٤١).

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتَن تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعَكُنَّ
وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتَن تَرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

فيها وجوب تحديد الهدف والغاية، وما يلزم تجاه ذلك، وبيان العاقبة عاجلاً وآجلاً.

أ.د. ناصر العمر

﴿يَنسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا
رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

تأمل كيف عبر عند العذاب بقوله: ﴿يُضْعَفُ﴾ فلم يصرح بالمعذب، فلما ذكر إتياء الأجر، قال: ﴿نُؤْتِيهَا﴾؛ للتصريح بالمؤتي وهو الله، إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، ولأن الكريم عند النفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضر لا يذكر نفسه.

الرازي، مفاتيح الغيب ١٨٠/٢٥

﴿يَنسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِن أَنْقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

(١) علامة القلب المريض: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ الذي في قلبه مرض شهوة الزنا مستعدٌ ينتظر أدنى محرك يحركه؛ لأنَّ قلبه مريض لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، وأدنى سبب يدعو إلى الحرام يجيب دعوته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٦٣ (تصرف يسير)

(٢) ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ إذا كان هذا الطمع في أمهات المؤمنين، فلا بد أن يكون في غيرهن بطريق الأولى؛ فإن الله اختار لنبيه أفضل النساء وأعفهن، ومع ذلك أمرهنَّ بالحجاب ونهاهنَّ عن الخضوع بالقول صيانةً لهن، فغيرهنَّ أولى بالصيانة والتحفظ والبعد عن أسباب العهر والفتنة.

ابن جبرين، فتاواه ١٠٢/٥

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٣)

سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة؛ ففيه استقرار لنفسها، وراحة لقلبها، وانسراح لصدرها، فخرجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها، وقلق وضيق صدرها، وتعرضها لما لا تحمد عقباه.

ابن باز، خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ٢٦

﴿ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسْلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٣١)

(١) إذا كمل خوف العبد من ربه، لم يخف شيئاً سواه، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسْلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾، وإذا نقص خوفه، خاف من المخلوق، وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩٤/١)

(٢) حمل رسالة الإسلام لا يسلم من تهديدات القوى الدنيوية: ﴿ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسْلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾.

إبراهيم السكران

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧)

(١) من التطبيق العملي الذي كان يمارسه النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنه كان يبشر أصحابه بمرضان، ويقول: «قد جاءكم شهر رمضان مبارك، افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم»^(١).

(٢) قال ابن عطية: قال لي أبي: هذه أرجى آية عندي في كتاب الله؛ لأن الله قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلاً كبيراً، وقد بين الله تعالى الفضل الكبير في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾.

المحرر الوجيز ٤٥٠/٤

(١) ابن أبي شيبه ح (٨٨٦٧)، وأحمد ح (٧١٤٨).

٣) أبشر.. أبشر بأعظم بشارة أنزلها ربك أمراً نبيك ﷺ أن يبشر بها المؤمنين: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾؛ فلنحقق الإيمان في قلوبنا.

متدبر

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٤٩﴾

سمى الله الطلاق سراحاً، ووصفه بالجميل، وقيده بالإحسان، وأمر فيه بالتمتع فقال: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، ﴿أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩) فهل تدبر المطلقون ذلك؟

أ.د. إبراهيم الدوسري

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلْنِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةَ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٥٠﴾

١) قال تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ﴾ فذكر العم مفرداً، ثم لما ذكر العمات قال: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ﴾ بالجمع، وكذلك قال: ﴿وَبَنَاتِ خَالَكَ﴾ فرداً ﴿وَبَنَاتِ خَلْنِكَ﴾ جمعاً، والحكمة في ذلك أن العم والخال - في الإطلاق - اسم جنس، كالشاعر والراجز، وليس كذلك في العمة والخالة، وهذا عرف لغوي؛ فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع الإشكال، وهذا دقيق فتأملوه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥٩٣/٣

٢) قال تعالى في شأن المرأة التي وهبت نفسها: ﴿وَأُمَّرَةَ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ قال الزجاج: ولم يقل: (إن وهبت نفسها لك)؛ لأنه لو قال: (لك) جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العم وبنات العمات - والله أعلم -.

ابن الجوزي، زاد المسير ٤٧٤/٣

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٧﴾﴾

(١) ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ البعد عن مظان الريب حزم ديني، وقد يجب في بعض المواطن، ويستحب في بعضها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٧٠

(٢) ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فلا يقل أحد غير ما قال الله! لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعون على تصريف الغريزة المكبوتة.. إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين، لا يقل أحد هذا والله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتناول إليهن وإليهم الأعناق!

سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٨٧٨/٥

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾
وعبر بالنبي دون اسمه ﷺ، على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه ﷺ؛ إشعاراً بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر، وأكد ذلك الإشعار بـ(أل) إشارة إلى أنه المعروف الحقيقي بهذا الوصف.

الألوسي، روح المعاني ٢٠٤/١٦

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُمْ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُمْ﴾ كتنقص أحد منهم وازدرائه لنسبه، أو بلده، أو خلقته، -وكل ذلك ليس من كسبه-؛ لذا كان العقاب شديداً أليماً: ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، ويدخل في هذا اتهامه فيما هو بريء منه؛ فلنتفقد قلوبنا ولنحفظ ألسنتنا.

أ.د. ناصر العمر

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَيَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْنَيْكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

والجلباب الذي يكون فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها وجوههن وصدورهن، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾؛ لأنهن إن لم يحتجن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٧١

﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

لما ذكر الله تعالى الحجاب: ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ أعقبها بقوله: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ﴾، وهكذا تجد آيات الحجاب مصاحبة لآيات التحذير من المنافقين ومرضى القلوب، وقد تعدد هذا في سورة الأحزاب، وسورة النور، والواقع شاهد بذلك. باسل الرشود

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

عند زيارتي لبعض البلاد التي تخلصت من الظالمين، وجدت أن بعض أعوان الطغاة يعيشون ندامة وبؤسًا، بسبب وقوفهم مع الظالمين، حيث أصبح ذلك مسبة وعارًا عليهم وعلى أهلهم، فطفقوا يتبرؤون منهم، ولكن هيهات وقد سجل التاريخ! فتدبرت حال أمثالهم يوم القيامة. أ.د. ناصر العمر

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

(١) إن اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان، يصرف صاحبه كيف يشاء! ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

الغزالي، خلق المسلم ٦٨

(٢) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ما رأيت شيئاً أذهب بالرشد، وأجلب للضر، وأقتل للتقوى، من اللسان السائب!

الغزالي، المحاور الخمسة ٢٠٩

(٣) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧١) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) وعد من الله لمن قال قولاً سديداً أن يصلح عمله، ويغفر ذنبه، فهل ترانا نشترى إصلاح أعمالنا وغفران ذنوبنا بتسديد أقوالنا؟

متدبر

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢)

(١) تحدث ابن تيمية عن صفات الفرق الناجية قائلاً:

ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس؛ فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم، وجماع الشر: الجهل والظلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

مجموع الفتاوى ٣/٤٨٨

(٢) عجباً لأناس يتسخطون من أقدار الله، مع أنهم يعرفون أنه الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وأنه العليم الحكيم الخبير، بينما هم لا يجزنون لتقصيرهم وسوء تصرفاتهم، ولا يعاتبون أنفسهم على ذلك، تدبر هذه الآية التي تشخص طبيعة النفس البشرية لتتعامل معها وفق ذلك: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

أ.د. ناصر العمر



﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾

هذا دليل ظاهر أن الذي نراه مُعارضًا للنقل، ويقدم العقل عليه، ليس من الذين أُوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير.

ابن القيم، الصواعق المرسله (٨٥١/٣)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْيٍ مَعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾

ذكر ابن العربي من معاني الفضل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ حسن الصوت، ثم قال: والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى وزيادة في الخلق ومنة، وأحق ما لبست هذه الحلة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب الله؛ فنعمة الله إذا صرفت في الطاعات، فقد قضي بها حق النعمة. أحكام القرآن (٣/٧)

﴿ وَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَّرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ، عَيْنَ القَطْرِ وَمِنَ الجِنَّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾

تأمل في قول الله في قصة سليمان: ﴿ وَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَّرَوْاحُها شَهْرٌ ﴾، ولم يقل: (غدوها ورواحها شهران..؟) لعل السرَّ في ذلك -والله أعلم-: أن في هذا تحديدًا لمدة سيرها من أول النهار إلى منتصفه، ومن منتصفه إلى نهايته، بينما لو قيل: غدوها ورواحها شهران، لم يتضح هذا الفرق الدقيق.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٧٠/٣) (بتصرف)

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٣)

١) قال بعض السلف: لما قال الله ﷻ: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾، لم يأت عليهم ساعة من ليل أو نهار إلا وفيهم مصلٌ يصلي.

جامع العلوم والحكم (٢/٨٥)

٢) قد تسلف أيادي بيضاء لبعض الناس، وتبذل جهدًا محمودًا في سوقها؛ حتى إذا استقرت في أيديهم، نظروا إليك جامدين، أو ودعوك بكلمات باردة، ثم ولوا عنك مدبرين! هل يغضبك هذا المسلك؟ هكذا صنعوا قبلاً مع ربك وربهم فقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾.

محمد الغزالي، جدد حياتك (١٠٤)

٣) فيما قصه الله - في سورة سبأ- من شأن داود واشتغاله بالصناعات عبرة! ذلك أن «الفقه في الدنيا جزء من العقل الذي يفقه الآخرة، ولن يستطيع نصرته الإيمان أبله ولا قاعدا»

وعندما تحول المسلمون إلى عالم ثالث أو رابع، نال منهم خصومهم، وأمساو معرفة لدينهم!!!
محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي (٣٢٧)

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ (١٥)

إنها -والله- عبرة العبر، في وصل المبتدأ بالخبر، أين الجنتان عن يمين وشمال؟ وأين البلدة الطيبة؟ إنها رمال! وأين القرى الظاهرة والعمارة المتكاثرة؟ إنها اليوم قفار! وأين تقدير السير بالأميال لتيسير الاتصال؟ إنها اليوم مجاهل يضل فيها القطا، أجذبت الخمط والأثل، فضلاً عن العنب والنخل.
البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي (٣/٥٣١)

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠)

إياك أن تكون عند حسن ظن إبليس فيك!

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤٤)

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فاستعملت (على) في جانب الحق، و(في) في جانب الباطل؛ لأنَّ صاحب الحقِّ كأنه مُستَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء؛ ظاهرةً له الأشياء، وصاحب الباطل كأنه منغمسٌ في ظلام، ولا يدري أين توجّه.

الزركشي، البرهان (١٧٥/٤)

﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٣٩)

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ من توقع أن تخلف عليه نفقته، سهل عليه بدلها، سواء وقع عليه إخلافها عاجلاً أو آجلاً.

العزبن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (١٧٩)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ وَمَنْ يُنْفَكِرْهُمَا فَعَلَىٰ غُرَابٍ مِمَّا خَلَفَ بِقَدْحٍ يُؤْتِيهِ مِنَ الْغَيْثِ وَمَا يُغْنِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ لَئِنْ كَانُوا يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٦)

(١) قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ﴾ أن يكون قيامكم خالصاً لله ﷻ، لا لغلبة خصومكم؛ فحينئذ تفوزون بالهدى.

ذيل طبقات الحنابلة (١٤٨/٢)

(٢) من أسرار هذا الدين ولطائفه أن باب عقيدته هو: التفكير! ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ﴾ آية في غاية الجمال والسمو! وإني أشهد أني مذ ذقتها، وجدت أنها بحر من الأسرار التربوية لا يعلم مداه إلا الله.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٦)

(٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ﴾ فائدة ذلك أن التفرغ لله تعالى في خلوة لا يكدر صفوها أحد من الخلق، يتيح للقلب أن يتفاعل - في صفاء - مع معطيات التفكير، والشعور بمعية الله، وحقائق الكون الكبرى، ومثل ذلك لا يحصل في لغط النقاش الجماعي، ووضواء الجدل المتعدد!

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٧)

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ (٥٤)

(١) شرب عبد الله بن عمر رضي الله عنه ماء باردًا، فبكى فاشتد بكاءه، فقيل له: ما يبكيك؟! قال: ذكرت آية في كتاب الله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠).

تفسير ابن أبي حاتم (٢٨/١٢)

(٢) وأعظم العذاب أن يُمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾؛ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم.

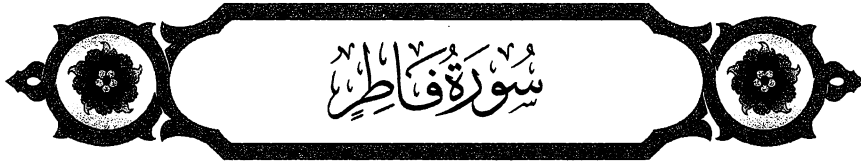
أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤٩٦/٤)

(٣) موتٌ وفوتٌ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فسرهما بعض السلف: بأنهم اشتهاوا التوبة ساعة الرحيل، قال الحسن البصري رضي الله عنه: «اتق الله يا ابن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت».

تفسير ابن رجب (٣٠٤/١)

(٤) إذا جاء الموت، وطويت صحائف الأعمال، ووجدت عظم ثواب الحسنات وعظم عقاب السيئات، تمنيت أن تُسبَّح تسبيحة واحدة أو تصلي ركعة فلا تستطيع ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٤٩)



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ ﴾

تضمنت الآية غرورين:

- غروراً يغتره المرء من تلقاء نفسه ويزين لنفسه من المظاهر الفاتنة التي تلوح له في هذه الدنيا ما يتوهمه خيراً ولا ينظر في عواقبه بحيث تخفى مضاره في بادئ الرأي ولا يظن أنه من الشيطان.

- غروراً يتلقاه ممن يغره وهو الشيطان.

وكذلك الغرور كله في هذا العالم بعضه يمليه المرء على نفسه وبعضه يتلقاه من شياطين الإنس والجن.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٢٢/٢٥٩)

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾

الأمر باتخاذ عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في محاربتة، ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٦/٣)

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(١) بقدر ضعف الإيمان ونقص الإخلاص؛ ستبدو الأشياء التي حرم الله جميلة في العين والقلب، مهما كان قبحها في الواقع: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾، والذي زينها هو الشيطان؛ إذ تعهد بذلك أمام ربه: ﴿ لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣١) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ (الحجر: ٣٩-٤٠).

أ.د. ناصر العمر

٢) قد يعجب الإنسان من استمرار بعض الناس على خطأ ظاهر كيف خفي عليه؟ لكن يزول عجبه حين يقرأ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾؛ فحري بالعبد أن يسأل ربه أن يريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، وأن يدخله في عباده المهتمدين.

متدبر

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ۝١٠﴾

١) المعصية تورث النذل ولا بد؛ فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليطلبها بطاعة الله؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله.

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٩)

٢) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ من أطاع الله، فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من النذل بحسب معصيته.

ابن القيم، الجواب الكافي (١٨٠)

٣) كل قول - ولو كان طيباً - لا يصدِّقه عمل، لا يرفع إلى الله، ولا يحظى بقبوله، ودليل ذلك: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهذا يبين لك سرّاً من أسرار قبول الخلق لبعض الواعظين، وإعراضهم عن آخرين.

د. محمد الحضيري

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾

تأمل هذه الآية: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ قف قليلاً، وتفكر! كم في هذه اللحظة من أنثى آدمية وغير آدمية؟ وكم من أنثى تزحف، وأخرى تمشي، وثالثة تطير، ورابعة تسبح! هي في هذه اللحظة تحمل أو تضع حملها؟! إنها بالمليارات! وكل ذلك لا يخفى على الله تعالى! فما أعظمه من درس في تربية القلب بهذه الصفة العظيمة: صفة العلم.

د. عمر المقبل

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ تأمل كيف بين شدة الاختلاف والتباين بين البحرين، ثم صرف أنظارنا إلى أجمل وأفضل ما فيها ﴿وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ الآية. فلو أننا ركزنا على الوجه المشرق لما نعايشه في حياتنا واستثمرنا ذلك بإيجابية وواقعية، لاختلفت نظرنا للحياة مهما كانت الظروف المحيطة بنا.

أ. د. ناصر العمر

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْمَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

(١) العبد له في كل نفس ولحظة وطرفة عين عدة حوائج إلى الله، لا يشعر بكثير منها؛ فأفقر الناس إلى الله من شعر بهذه الحاجات، وطلبها من معدنها بطريقها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

ابن القيم، طريق المهجرتين (٨٨)

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الفقر إلى الله ﷻ هو عين الغنى به؛ فأفقر الناس إلى الله أغناهم به، وأذلهم له أعزهم، وأضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله.

ابن القيم، طريق المهجرتين (٦٥)

(٣) تدبر آية ينقل قري رافضية عراقية إلى السنة:

صرح أحد المهتدين إلى السنة بأن سبب هدايته هو تدبره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴿١٤﴾﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﷻ لكن كيف تأثر بها؟

يقول هذا الأخ المهتدي: فلما تأملت قوله تعالى: ﴿بَتَّيْنَاهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ قلت: يا ناس علي فقير! والأئمة فقراء! ونحن فقراء إلى الله، فلماذا ندعوهم من دون الله؟ ومن هنا ابتدأت قصة الهداية للسنة، فلما ذاق طعمها، دعا إليها؛ فاهتدى على يده قري شيعية بأكملها، فما أعظم بركات التدبير؟^(١)

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾

شبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور، وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور قلوبهم! فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١ / ٢٢)

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾﴾
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

(١) قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وقال في سورة البينة: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٧-٨)، فاقترضت الآيتان: أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية؛ فتبين بهذا: أن العلماء هم خير البرية.

ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم (٦)

(٢) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إذا أراد الإنسان أن يعرف أن علمه نافع، فلينظر إلى كسر هذا العلم لقلبه لله، فإن وجد أنه يزداد خشية لله ومعرفة به، ويذهب عنه طفرة الغرور، فقد انتفع بعلمه.

د. محمد الشنقيطي، شرح زاد المستقنع، باب صلاة التطوع

(١) صرح بذلك أحد الإخوة في قناة صفا الفضائية.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ ﴿٢٩﴾

(١) قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: فضل الله صلى الله عليه وسلم أهل التلاوة للقرآن بتلاوته، وأخبر أنهم يقومون بأمره فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ يخبرهم أن تجارتهم في الآخرة هي الراجحة، وأنها لا تكسد عنده؛ حتى يوفيههم أجورهم من الجنة.

فهم القرآن للمحاسبي (٢٩٧)

(٢) تجارة لا يمكن سرقتها..

تأمل قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ماذا يرجون؟ ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ يرجون تجارة لا يسطو عليها لص ولا سارق، ولا يخاف عليها من كساد، إنما هي راجحة لن تبور ﴿ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ ﴾ (فاطر: ٣٠)، فهي تجارة راجحة -أيها الإخوان- فأين المشترون؟

د. عبدالكريم الحضير

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿٣٢﴾

(١) قيل في سبب تقديم الظالم لنفسه على السابق بالخيرات -مع أن السابق أعلى مرتبة منه-؛ لئلا ييأس الظالم من رحمة الله، وآخر السابق؛ لئلا يعجب بعمله.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٤)

(٢) قدم الظالم لكثيرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، فإن قلت: لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٤)

(٣) قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيْدِينَ اللَّهُ ﴾ عند ذكر السابق إلى الخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته؛ فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٦٨٩)

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤)

(١) قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (الطور: ٢٦).

حلية الأولياء (٤/٢١٥)

(٢) قال الحسن البصري رضي الله عنه: إن المؤمنين قوم ذلت - والله - منهم الأسماع والأبصار والأبدان؛ حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم - والله - أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار.

التخويف من النار لابن رجب (٣٤)

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (٣٧)

(١) إلى من عاش إلى هذه اللحظات:

تأمل! ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ من عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرط في لحظة منه؛ فلينظر الشاب في حراسة بضاعته، وليحتفظ الكهل بقدر استطاعته، وليتزوج الشيخ للحاق جماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته.

ابن الجوزي، تنبيه النائم الغمر على موسم العُمْر (٥)

(٢) ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ قال ابن الجوزي: إذا انتصف شهر رمضان، فقد ذهب نصف البضاعة في التفریط والإضاعة، والتسوييف يحق ساعة بعد ساعة، والشمس والقمر بحسبان، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (البقرة: ١٨٥) يا واقفاً في مقام التحير، هل أنت على عزم التغيير؟ إلى متى ترضى بالنزول في منزل الهوان، و﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾.

التبصرة لابن الجوزي (٢/٨٩)

٣) إنما حسن طول العمر ونفع؛ ليحصل التذكر والاستدراك، واغتنام الفرص، والتوبة النصوح، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ نَعْمَ لَكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ﴾، فمن لم يُورثه التعمير وطول البقاء إصلاح معائبه، واغتنام بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا؛ فلا خير له في حياته.

ابن القيم، الفوائد (١٨٩)

٤) هو حديث يتكرر عن مضي عام وقدم آخر، لكن انظر إلى بعض طرق القرآن وهو يربي أهله -حين يتحدث عن الزمن-! ﴿أُولَئِكَ نَعْمَ لَكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ﴾؟!
يا له من سؤال! والחסرة المفرطين!

د. عمر المقبل

﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

١) قال علي ؑ: ثلاث هن راجعات إلى أهلها: المكر، والنكث، والبغي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، وقوله: ﴿فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠)، وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣).

محاضرات الأدباء (٣٥٤/١)

٢) ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ قال ابن القيم ؒ: «وقد شاهد الناس عياناً أنَّ مَنْ عاش بالمكر مات بالفقر»، ثم ذكر أمثلة كثيرة ومهمة كأنها تحكي واقع الناس اليوم، تحسن مراجعتها في أواخر المجلد الأول من «إغاثة اللهفان».

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٣٥٨/١)



﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَانْتَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٢)

١) هل وقفت مع هذه الآية شارحاً للناس أثر الوقف في دعم مشاريع الأمة الخيرية باستقلال وحرية، ومبيناً عظيم أجر الواقفين وديمومتهم؟ بل هل وضعت لك برنامجاً لإقامة وقف ينفعك في حياتك وبعد مماتك، كما تخطط بجد ومثابرة لبناء مسكن لك ولأولادك؟

أ.د. ناصر العمر

٢) تدبر كلمة: ﴿ وَءَانْتَرَهُمْ ﴾ تجد أنّ للأعمال أثراً بعد موت صاحبها حسنة كانت أم سيئة، وستكون ظاهرة له يوم القيامة؛ فاحرص أن يكون لك أثرٌ في دنياك ترى نفعه يوم القيامة.

د. عبدالمحسن المطيري

٣) ابحث عن آثارك بعد موتك؛ فإن ربك يقول: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَانْتَرَهُمْ ﴾! يموت اثنان، فتأمل الفرق بين آثارهم: قارئ ومغن؛ ظالم وعادل؛ داعية للسنة وآخر للبدعة!

د. عمر المقبل

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢٠)

كثيرٌ من أبناء الإسلام يرى أنه لا يصلح لخدمة الدين إلا العلماء والدعاة الذين لهم باعٌ طويل في العلم والدعوة، فإذا قارن حاله بحالهم، وجد مسافةً بعيدةً؛ فلا يلبث أن يضعف عزمه، وتفتر همته؛ فيعيش سلبياً لا يقدم لدينه! لا، بل كل فرد مهما كانت حاله يصلح لنصرة دينه إذا سلك الطريق الصحيح في ذلك. قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ .. فاعتبر.

د. محمد العواحي

﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٢١)

فيها دلالة إلى أن تشوّف الداعي إلى ما في أيدي القوم، وتطلعه إلى أن ينال من وراء إرشاده شيئاً من متاع هذه الحياة؛ قادح في صدقه، وداخل في الريبة في إخلاصه.

محمد الخضر حسين، مجموعة مؤلفاته (٢٢٩٨/٥)

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) ﴿يَا عَفْرَى لِي رَبِّيَ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٧)

(١) كم في هذه الآية من معان سامية؟ كظم للغیظ، وحلم عن الجهال، ورأفة بمن آذوه، والاشتغال عن الشماتة بهم والدعاء عليهم! ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام؟

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٥) (بتصرف)

(٢) فليعلم المؤمن أن هذه الوحشة لا تدوم، بل هي من عوارض الطريق فسوف تبدو له الخيام وسوف يخرج إليه المتلقون يهنئونه بالسلامة والوصول إليهم؛ فيا قرّة عينه إذ ذاك ويا فرحته إذ يقول: ﴿ قَالِ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) ﴿يَا عَفْرَى لِي رَبِّيَ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾.

ابن القيم، طريق المهجرتين (٢٨٦)

(٣) أعظم أمنيات الداعية الصادق تحقيق السعادة للمدعويين، قال قتادة رضي الله عنه: لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً، لا تلقاه غاشاً؛ لَمَّا عاين ما عاين من كرامة الله؛ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٨٦/٣)

﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (٤٩) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٥٠)

(١) أما تستحي من استبطائك هجوم الموت، اقتداء برعاع الغافلين، الذين ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾، فيأتيهم المرض؛ نذيراً من الموت فلا ينزجرون، ويأتيهم الشيب؛ رسولاً منه فما يعتبرون، ﴿ يَنْحَسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (يس: ٣٠).

الغزالي، الإحياء (٤/ ٦٥)

(٢) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ كأن الوصية أهم ما يعني به من يفجؤه الموت، فبادر إلى كتابة وصيتك من الآن؛ فإنك لا تدري ما يعرض لك.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

كنت في طريقي في هذه الإجازة لفعل الفاحشة وفجأة، تذكرت وقوفي بين يدي الله وتذكرت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فغيرت مساري، ورجعت لبيتي، فحمدت الله على فضله أن عصمني من كبيرة من كبائر الذنوب بسبب تدبر هذه الآية.

متدبر

﴿أَوْلَٰئِ يَرَوُا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٦١﴾﴾

ما الحكمة في التنصيص على الأنعام في هذه الآية؟ يقول القاسمي رحمته الله: «والسر في إفراده هذه النعمة، والتذكير بها دون غيرها من نعمه وأياديه، أن بها حياة العرب وقوام معاشهم؛ إذ منها طعامهم وشرابهم ولباسهم وأثاثهم وخبأؤهم وركوبهم وجمالهم، فلولا تفضله تعالى عليهم بتذليلها لهم، لما قامت لهم قائمة».

محاسن التأويل (٢٤١/٧)

سورة الصافات

﴿ وَقَفُّهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٤٤)

قال رجل لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ: كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال علي ؑ: يحاسبهم في يوم كما يرزقهم في يوم.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣٥/٢)

﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ (٤٢)

إذا قرأت قصص الكرم في التاريخ القديم أو الحديث، فإنك تتعجب جدًا من ذلك! وحينما قرأت قوله تعالى -عن أهل الجنة-: ﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ تصاغرت في عيني كل قصص الكرم وذهب الذهن كل مذهب، وإذا كان الذي سيكرمهم رب العالمين، فأى عبارة يمكن أن تصف هذا الكرم؟! د. عمر المقبل

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ﴾ (٤٨)

من نعيم أهل الجنة: وصف نسائهن بأنهن: ﴿ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ ﴾؛ لِمَا لغض البصر من جميل الأثر وهو جمال المرأة المعنوي، فكيف مع كثرة الفتن في هذه الدنيا؟! د. عبدالله الغضيلي

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴾ (٥٦)

كثير من الآباء لا يدركون خطورة القراء على أبنائهم؛ فلا يتحققون من أفكارهم وتوجهاتهم، بل قد يكتفون بمظاهر قد نخدعهم، أو أسباب قدرية للعلاقة لا تنفعهم: كالقراءة والزمالة والجوار، وينسون أنَّ الحمو الموت، فتدبر قصة هذا القرين: ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴾، وتحقق من قراء ابنك قبل فوات الأوان.

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠)

ختمت قصة نوح بـ: ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ فكل من أحسن فالله يجزيه كما جزي نوحًا ؑ، والذي جزاه الله بأمرين: بما ترك عليه في الآخرين، وبما سلمه في العالمين.

وكذلك من كان مؤمناً بالله، محسناً في عبادته، وإلى عبادته، فالله يجزيه كما جزي نوحاً: ينجيه من الهلاك، ويُسلم عرضه من الذكر السيئ، ويلقي محبته وثناء الناس على السنة الخلق.

ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (١٨٢-١٨٨)

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

لن يكمل جمال مظهرك في العيد إلا بتحقيق جمال مخبرك، ولن يتم ذلك إلا بسلامة القلب وخلوصه من الضغائن والبغضاء والآثام؛ فلنكن كأبينا إبراهيم ؑ ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، وبذلك أمر الله نبينا محمد ﷺ: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر:٤)؛ أي: قلبك.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

١) من تأمل هذا الموضوع حق التأمل، علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه؛ فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها ويتقبلها منه، فالذي حمله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه، حسن عمله.

ابن القيم، الجواب الكافي (٢٧)

٢) الثقة بالله شقت لموسى ؑ البحر، وبردت النار على إبراهيم ؑ، ونجت محمداً ﷺ في الغار.. هذه الثقة بالله لا يدوق حلاوتها إلا من عرف الله!

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَا بَتِئْتَ

أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

تأمل قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ ﴾ فقوله: ﴿ مَعَهُ ﴾ تبين أهمية مرافقة الأب لابنه ومصاحبته له، والذي يثمر - غالباً - سمعاً وطاعة واستجابة؛ ولذا قال هذا الابن البار - لما عرض عليه أبوه أمر الذبح -: ﴿ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾.

متدبر

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة؛ إن يونس ؑ كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت، سأل الله؛ فقال الله: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق، قال: (أمنت)؛ فقال الله: ﴿ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (يونس: ٩١)؛ فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى، تجد تأثيرها.

زاد المسير (٦٠/٤)

سورة ص

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾

هنا ملمح جميل: تأمل كيف أضيفت كلمة ﴿ذِي﴾ إلى الذكر، والذكر هو القرآن، وكلمة (ذِي) لا تضاف إلا إلى الأشياء الرفيعة التي يقصد التنويه بشأنها، أما قرأت قوله تعالى: ﴿بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾؟ (الرحمن: ٧٨)، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾؟ (الكهف: ٥٨)، ولا نجد وربك الغفور صاحب الرحمة؛ لأن الكلام عن الله ﷻ.

د. عويض العطوي

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ أعداء الرسل لا يعادونهم عداءً شخصياً، وإنما عداءً منهجياً؛ ويتفرع على هذا أن الكافرين سيكونون أعداءً لكل من يتبع الرسول ﷺ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (٢٦)

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْعِهْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

(١) ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْعِهْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: له قصد ونية غير صالحة، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء؛ فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله بالحجج والبراهين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٠٩)

(٢) عندما تنتصر في جولة مع الباطل، فاحذر أن تتصور انتهاء المعركة معه؛ فأهل الباطل أصبر على نصر باطلهم من صبر كثير من أهل الحق على نصره الحق، وهذه الآيات تكشف الحقيقة: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْعِهْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ الْعِهْتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (الفرقان: ٤٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلَاقٌ ﴾ (٧)

هذه حجة من ليس عنده علم شرعي، تنهاه عن المنكر، فيقول: ما سمعنا بهذا، هذا دين جديد، ما زال الناس على عكس ما تقول... إلخ، والحجة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (٤٤)

﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَيِّخْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (١٨)

قال ابن عباس ﷺ: كان في نفسي شيء من صلاة الضحى، حتى وجدتها في القرآن: ﴿ يُسَيِّخْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٠/١٥)

تعليق: وهذا محمول على أن ابن عباس لم تبلغه أحاديث صلاة الضحى.

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (٣٣)

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ لباقه هذين الخصمين حيث لم تثر هذه الخصومة ضغينتهما؛ لقوله: ﴿ هَذَا أَخِي ﴾ مع أنه قال في الأول: ﴿ بَعَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ ﴾ (ص: ٢٢)، لكن هذا البغي لم تذهب معه الأخوة.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (١١٦)

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَيَّ نَجَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٢٤)

الإيمان والعمل الصالح من أعظم ما يضبط مسار المعاملات المالية؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، فأين دعاة الفصل بين الدين والحياة؟!

د. عمر المقبل

﴿ كَتَبَ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩)

(١) فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي، لم يقف على الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٣٨٩/٢٦)

(٢) يجب على من علّم كتاب الله أن يزدجر بنواهيته، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحيه؛ فإنه حمّل أعباء الرسل، وصار شهيداً في القيامة على من خالف من أهل الملل، فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه: أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه.
القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٢/١)

(٣) التأمل في القرآن: هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره، وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم، ولا تدبر.

ابن القيم، مدارج السالكين (٤٠٥/١)

(٤) لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه؛ كررها ولو مائة مرة ولو ليلة؛ فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمه بغير تدبر وتفهم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٧/١)

(٥) لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٧/١)

(٦) قال السعدي رحمه الله معلقاً على قوله تعالى: ﴿لِيَذَّبَرُواْ بِآيَاتِهِ﴾: هذه الحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة؛ تدرك بركته وخيره، والقراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

تيسير الكريم الرحمن (٧١٢)

(٧) فما أولانا بتدبر كتابه الكريم تدبر من يريد العلم ومن هو مؤمن بهذا الكتاب العظيم وأنه كلام الله حقاً، قاصدين معرفة مراد ربهم ﷻ، والعمل بذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ الْكِتَابَ أَنْ يَلْقَى فِيهَا الْحُكْمَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُواْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ مستشعرين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ نَبِيَّكَ وَشَفَعَا﴾ (فصلت: ٤٤).

ابن باز، مجموع فتاواه (٣٠٢/٢)

٨) سئل الشيخ ابن باز: هل هناك فرق في الأجر بين قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب؟ فأجاب: لا أعلم دليلاً يفرق بينهما، وإنما المشروع التدبر وإحضار القلب، فإذا كانت القراءة عن ظهر قلب أخشع لقلبه وأقرب إلى تدبر القرآن، فهي أفضل، وإن كانت القراءة من المصحف أخشع لقلبه وأكمل في تدبره، كانت أفضل.

مجموع فتاوى ابن باز (٣٥٢/٢٤)

فتأمل - وفقك الله - كيف دار جواب الشيخ على حضور القلب والتدبر، فليتنا نتدبر هذا الجواب؛ لنتدبر أعظم كتاب.

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣)

لما ألهمت الخيل سليمان بن داود عليه السلام عن صلاته، دعا بتلك الخيل، فجعل يقتلها، ويضرب أعناقها وسوقها؛ انتقاماً من نفسه لنفسه، فانتقم من نفسه التي لهت بهذه الصافنات الجياد عن ذكر الله؛ فإذا رأيت شيئاً من مالك يصدك عن ذكر الله، فتباعد عنه قدر استطاعتك، قبل أن يبعدك عن الله.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١٤٨/١ - ١٤٩)

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥)

١) فبدأ بطلب المغفرة قبل طلب الملك العظيم؛ وذلك لأنَّ زوال أثر الذنوب هو الذي يحصل به المقصود، فالذنوب تتراكم على القلب، وتمنعه كثيراً من المصالح، فعلى المؤمن أن يسأل ربه التخلص من هذه الذنوب قبل أن يسأل ما يريد.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (١٦٧)

٢) في هذه الآية أدب من آداب الدعاء: وهو تعظيم الرغبة، وعلو الهمة في الطلب، فسليمان عليه السلام لم يكتب بسؤال الله المغفرة، ولكنه - لعلو همته وعلمه بسعة فضل ربه - سأله مع ذلك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأجاب الله دعاءه، وسخر له الريح، والشياطين، بل وله في الآخرة زلفى وحسن مآب.

د. محمد الحمد

﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٤٤)

(١) قال الإمام سفيان بن عيينة رضي الله عنه: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان فيها: ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ووجدت صفة أيوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه: ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾، فاستوت الصفتان، وهذا معافي، وهذا مبتلي، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر.

تهذيب الكمال ١٩٣/١١

(٢) قال تعالى في الثناء على أيوب عليه السلام: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ فأطلق عليه: ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ ﴾ بكونه وجده صابراً، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي، فإنه: بئس العبد.
ابن القيم، عدة الصابرين (٦٠)

﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ (٤٦)

قال تعالى عن خيار رسله: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾، تذكر الدار الآخرة والتذكير بها، والعمل لها؛ من نعم الله الخالصة على أوليائه المصطفين الأخيار.
قال قتادة رضي الله عنه: كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١/٤)

﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ (٥٠)

(١) إنما قال: ﴿ مَّفْنَحَةٌ ﴾ ولم يقل (مفتوحة)؛ لأنها تُفتح لهم بالأمر لا بالمس.
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢١٩/١٥)

(٢) ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ تأملها، تجد تحتها معنىً بديعاً، فهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها بل تبقى مفتحة، بعكس أبواب النار فهي موصدة على أهلها.
وفي تفتيح الأبواب إشارة إلى:

- ١- ذهابهم وإياهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا.
- ٢- دخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطف.
- ٣- أنها دار أمن، لا يحتاجون إلى غلق الأبواب كما في الدنيا.

ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٣٩)

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (٧٦)

١) ليحذر كل الحذر من طغيان: (أنا، ولي، وعندى)؛ فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها (إبليس، وفرعون، وقارون): ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ لإبليس، و﴿ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ ﴾ (الزخرف: ٥١) لفرعون، و﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: ٧٨) لقارون.

ابن القيم، زاد المعاد (٤٢٨/٢)

٢) في قول إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ علق الشنقيطي على ذلك فقال: بل الطين خير من النار؛ لأن طبيعة النار الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعة الطين الرزانة والإصلاح، تودعه الحبة فيعطيكها سنبله، والنواة فيعطيكها نخلة، فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من الثمار اللذيذة، والأزهار الجميلة، والروائح الطيبة؛ تعلم أن الطين خير من النار.
أضواء البيان (٣٣/١)

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢)

تعهد الشيطان أمام الله سبحانه: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فتدبر كيف وصلت الحال: فمع أن الشيطان يعترف بالله رباً، بل ويدعوه: ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ (ص: ٧٩) ثم يأتي (من بني آدم) من تعداه في الإجرام والغواية ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤) بل وينفي الألوهية مطلقاً: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨)!

فأي أمان بعد ذلك إلا لمن اصطفاه الله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الحجر: ٤٢).
فَاللَّهُمَّ سلم سلم.

أ.د. ناصر العمر

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

(١) انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكت إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكت إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكت إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٣٦٢/٤)

(٢) حرارة الإخلاص تنطفئ رويداً رويداً، كما هاجت في النفس نوازع الأثرة، وحب الشناء، والتطلع إلى الجاه وبعده الصيت، والرغبة في العلو والافتخار ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .

محمد الغزالي، خلق المسلم (٦٣)

﴿ قُلْ يٰٓعِبَادِ الدِّينِ ءَأَمِنُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

(١) قال عمر بن عبدالعزيز: ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه، فعاذه من ذلك الصبر إلا كان ما عاذه الله أفضل مما انتزع منه، ثم قرأ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

البيان والتبيين (٤٥٦/١)

(٢) ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ذكر بعض المفسرين أنها في الصائمين؛ لأن رمضان شهر الصبر.. وليس المراد الصبر عن المفطرات فحسب، بل يشمل الصبر عن كل ما يؤثر على الصيام، وبالأخص اللغو والمعاصي كما في الحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»^(١). فاحذر أن تفرط بوعده الله: «الصوم لي وأنا أجزي به»^(٢).

أ.د. ناصر العمر

(١) البخاري ح (٦٠٥٧).

(٢) البخاري ح (٧٤٩٢)، ومسلم ح (١١٥١)، والنسائي ح (٢٢١١)، وأحمد ح (٩١١٢).

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۖ وَوَلَّيْنَاكَ هُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾

١) أهل العقول الراجحة والقلوب الزاكية يحسنون الاستماع لما ينفعمهم، ويميزون بين الحسن والأحسن، ويتبعون الأحسن، وهؤلاء هم الذين استحقوا البشرى من ربهم، فما أعظمه من ثناء! وما أشد غفلة الكثير عن تدبر مثل هذه الآيات!

د. محمد القحطاني

٢) قال وهب بن منبه: من أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٧٦)

٣) كثيراً ما يصفُ الناسُ الرَّجَلَ الماهر في جمع حطام الدنيا بالذكاء، ورجاحة العقل، بخلاف الرجل الذي يجتهد في تحصيل أجور الآخرة بالعمل الصالح، والله سبحانه وصف المتقين والمتذكرين والعاملين والمهتدين بأنهم هم أصحاب العقول حقاً: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۖ وَوَلَّيْنَاكَ هُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾

فهد العيبان

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ۖ نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ﴾

هَادٍ ﴿٢٣﴾

١) وصف الله كتابه بأنه ﴿مَثَانِي﴾ أي: تثني فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وتثني فيه أسماء الله وصفاته، وكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، فينبغي لقارئ القرآن، المتدبر لمعانيه، ألا يدع التدبر في جميع المواضع منه؛ فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٢٢)

٢) قال ابن جريج: إذا سمعوا ذكر النار والوعيد اقشعروا، ثم تلين جلودهم إذا سمعوا ذكر الجنة.

فهم القرآن للمحاسبي (٢٧٩)

٣) لما كان القرآن في غاية الجزالة والبلاغة، اقشعرت الجلود منه؛ إعظاماً له، وتعجباً من حسن ترصيعه، وتهيباً لما فيه.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٥)

٤) ما قرأ العبدُ الآيات حاضراً القلب متفكراً متأملاً، إلا وجدت العين تدمع والقلب يخشع، والنفس تتوهج إيماناً تريد المسير إلى الله، وإذا بأرض القلب تنقلب خصبة طرية، قد اقشعرت جلده وقلبه من خشية الله تعالى.

د. محمد المختار الشنقيطي، مجموعة دروس للشيخ على الشبكة

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي

عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ ﴿٢٨﴾

ومن تدبره وتدبر ما خلفه، عرف أن القدر كله فيما خلفه.

ابن القيم، الصواعق المرسله (١١٢٧/٣)

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

١) تأمل في نفرة كثير من غلاة المدينة من نصوص القرآن والسنة، وابتهاجهم بذكر الأعلام والمفاهيم الغربية وقارنها بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

إبراهيم السكران، مآلات الخطاب المدني (١٢٧)

٢) القلوب الميتة لا تطيق حب الله؛ فتتسلى بحب من سواه.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

١) قام ابن المنكدر يصلي من الليل، فكثرت بكاءؤه في صلاته، ففزع أهله، فأرسلوا إلى صديقه أبي حازم، فسأله: ما الذي أبكاك؟ فقال: مررت بقوله تعالى: ﴿ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾! فبكى أبو حازم معه واشتد بكاءؤهما، فقال أهل ابن المنكدر: جئنا بك؛ لتفرج عنه فزدته! فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

صفوة الصفوة (١٤٢/٢)

(٢) قال بكر العابد: سمعت الفضيل بن عياض يقول في قول الله ﷻ: ﴿وَبَدَأْتُمْ مِنْ آلِهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ قال: أتوا بأعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات! قال بكر: فرأيت يحيى بن معين بكى!

تاريخ بغداد (١٣/٢٦٢)

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣)

(١) قال ابن مسعود ﷺ: ما في القرآن آية أعظم فرجًا من آية في سورة الغفر -أي: الزمر-: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. الإتيان في علوم القرآن (٤/١٤٩)

يقول أحدهم: كلما ضاقت بي الدنيا صليت وقرأت هذه الآية، فأتسع كل ضيق، وانفرج كل مضيق.

(٢) قال ابن عباس ﷺ لابن عمرو بن العاص: أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال: قول الله: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾، فقال ابن عباس: لكن أنا أقول: قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فرضي من إبراهيم قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ فهذا لما يعرض في الصدور، ويوسوس به الشيطان.

تفسير ابن أبي حاتم (٢/٢٨٨)

(٣) قال حميد بن هشام: قلت لأبي سليمان بن عطية: يا عم، لم تُشدد علينا، وقد قال الله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؟ فقال: اقرأ بقية الآيات، فقرأت: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ قال: اقرأ، فقرأت: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ الآيات، فمسح رأسي، وقال: يا بني، اتق الله وخفه وارجه.

تاريخ دمشق (١٥/٣٠٥)

٤) إنها الرحمة التي تسع كل معصية مهما كانت، إنها دعوة العصاة المبعدين في تيه الضلال إلى الأمل والثقة بعفو الله، فإذا ما تسلطت عليه لحظة يأس وقنوط، سمع هذا النداء الندي اللطيف الذي يعلن أنه ليس بين المسرف على نفسه إلا الدخول في هذا الباب الذي ليس عليه بواب يمنع، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٠٥٨/٥)

٥) كثيرون يتلون هذه الآية فتتنصرف أفئدتهم إلى بعض من يعرفون ممن أسرف على نفسه، دون أن يشعروا أنهم معنيون بذلك ابتداءً! وهذا من أخطر أنواع الإسراف؛ لما في ذلك من التزكية للنفس، والغفلة عن محقرات الذنوب حتى يهلك.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا سَوَّيْتُمُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

١) في خواتيم سورة الزمر: قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بينما قال في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ السبب: أن في هذه الآية إشارة إلى الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ التي يشفع فيها لأهل الجنة حين يأتون فيجدون باب الجنة مغلقاً؛ فيشفع لهم ﷺ في دخولها، فيدخلونها.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٨٤/٣)

٢) قال في قدوم المتقين إلى الجنة زمراً: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: أنهم بعدما أذن الله لهم بدخول الجنة جاؤوها وقد وجدوا الأبواب مفتوحة تهيئة وترحيباً بقدومهم، كما تفتح الأبواب قبل قدوم ضيف عزيز كريم.

فهل نحن قد استعدنا لقدوم رمضان وفتحنا له قلوبنا، وهياناً أنفسنا للقيام بحقه، كما يستعد المضيف لتكريم ضيفه العظيم!؟

أ.د. ناصر العمر



﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴾ (٧)

(١) بشراك أيها التائب! ها هم حملة عرش الرحمن يدعون لك، وهم في السماء، وأنت في الأرض!
د. عمر المقبل

(٢) ماذا نفع مع من أساء إلينا ثم اعتذر؟

أنعفو عنه ثم ندعوه ونثني عليه فيمن حولنا!

انظر هذا الكرم والعفو والرحمة، ثم تأمل حالك ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ﴾ الآية.

أ.د. ناصر العمر

(٣) قال تعالى عن الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفيها فائدتان:

١- أن الله لم يذكر عن الملائكة استغفاراً؛ لعدم حاجتهم له، بل هم يسبحون.

٢- أنهم قدّموا بين يدي استغفارهم للمؤمنين تسبيحاً وتحميداً، وهكذا ينبغي للداعي أن يكون.

أ.د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر - فصلت (٣٦)

(٤) قال خلف بن هشام: أتيت سليم بن عيسى؛ لأقرأ عليه، فكنت أقرأ عليه حتى بلغت يوماً سورة غافر، فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بكى بكاءً شديداً، ثم قال لي: يا خلف ألا ترى ما أعظم حقّ المؤمن؟ تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له.

وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٤٢/٢)

(٥) ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ تأمل كيف قدم حملة العرش في دعائهم الرحمة على العلم!

بقدر يقينك أن علمه وسع كل شيء؛ كن على يقين أن رحمته كذلك.

د. عبد الله بلقاسم

(٦) في الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم.

السخاوي، تفسيره (٢٥٠/٢)

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣)
مئات القتلى في تشيلي، ومئات الآلاف يجلبون من مساكنهم في اليابان، ورعب في عدة دول من تسونامي جديد. لكن ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: ما يتعظ بهذه الآيات ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ «والإنابة: الرجوع عن الكفر والمعاصي، إلى الإيمان والطاعة» (١) (٢).

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢٠)

(١) سوء الظن مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك؛ فإن الله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

الغزالي، الإحياء (١٥٠/٣)

(٢) روى الأعمش، عن ابن جبير، عن ابن عباس ؓ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ إذا أنت نظرت إليها تريد الخيانة أم لا ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ إذا أنت قدرت عليها تزني بها أم لا قال: ثم سكت الأعمش، فقال لتلميذه: ألا أخبرك بالتي تليها؟ قال: قلت: بلى! قال: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ قادر أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، إن الله هو السميع البصير.

حلية الأولياء (٣٢٣/١)

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧)
حينما هدد فرعون موسى بالقتل، قال موسى ؑ: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ فخص صفة الكبر وعدم إيمانه بالآخرة؛ لأنه إذا اجتمع في المرء التكبر والتكذيب بالجزاء، قلّت مبالاته بعواقب أعماله؛ فكمّلت فيه أسباب القسوة، والجرأة على الناس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨٣/٢٤)

(١) الشنقيطي، أضواء البيان (٣٧٨/٦).

(٢) تعليقًا على أحداث الزلزال العنيف الذي ضرب «تشيلي» ١٣ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق: صبيحة يوم السبت ٢٧ فبراير ٢٠١٠ وكان مركز الزلزال قبالة شاطئ منطقة ماولي التشيلية على عمق ٣٥ كم تحت سطح البحر. وقد بلغت قوته ٨,٨ على مقياس «ريختر»، وقد خلف الزلزال مئات القتلى وأكثر من مليوني مشرد.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٨)

(١) قصة مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون آسية، فيها رسالة للرجال والنساء: أنه يمكن أن نكون إيجابيين فاعلين حتى في أكثر البيئات طغيانًا؛ فلنكف عن كثرة التشكي، ولنقبل على العمل.

د. محمد السيد

(٢) من التجارب النافعة لبعض العقلاء: عدم الانزعاج من النقد، أو إشغال النفس بقصد الناقد ونيته؛ وإنما يفيد مما فيه -بغض النظر عن قائله وأسلوبه-، وقد تأملتُ عموم دلالة آية غافر وتقسيما العقلي؛ فازددت قناعة بهذا المنهج، فتدبرها: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(٣) في قصة مؤمن آل فرعون - المذكورة في سورة «غافر» - إشارة إلى أن على كل واحد الإسهام في برامج الإصلاح، دعمًا وتسهيلًا، كل حسب موقعه، وبجسب استطاعته، فهذا شخص واحد لم تمنعه الظروف المحيطة به من أن يقول كلمة حق.. ف «لا تحقرن من المعروف شيئًا»^(١).

﴿ وَيَقْوِمُوا مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١)

أرأيت أعقل من هذا السؤال؟ فإما نجاة وإما هلاك! لا طريق آخر: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَ أَوْ يَتَّخِرْ﴾ (المدثر: ٣٧).

د. محمد العواجي

﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ فوقه
﴿ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (٤٥)

﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ هذا ما قاله ذلك الرجل المؤمن في زمن الاستكبار والإعراض من قومه، بعد أن صدع بالحق، غير هائب ولا وجل، فماذا كانت العاقبة؟ ﴿فوقه الله سيئات ما مكروا﴾، فمتى يدعو أناس في زمن أحوج ما تكون الأمة إلى علمهم ومواقفهم، قبل أن يحل بهم وبمجتمعهم سوء العذاب!؟

أ.د. ناصر العمر

(١) مسلم ح(٢٦٢٦)، وأبو داود ح(٤٠٨٤)، وأحمد ح(١٥٩٥٥).

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤٦)

قال ابن سيرين رحمه الله: كان أبو هريرة رضي الله عنه يأتينا بعد صلاة العصر فيقول: عرجت ملائكة، وهبطت ملائكة، وعرض آل فرعون على النار! فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار.

تفسير ابن رجب الحنبلي (٢٢٨/٢)

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ (٥٥)

١) العبد مأمور أن يصبر على المقدور، ويطيع المأمور، وإذا أذنب استغفر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٢٦/٢)

٢) لا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به؛ فإنه سبحانه أمر بالحق، وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر.

ابن تيمية، الاستقامة (٣٩/١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥٦)

﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ ﴾ فالتكبر يريد أن يصل بتكبره ورده للحق إلى منزلة لم يصل إليها بعمله ومواهبه؛ حسداً وبغياً، وهذا وعد من الله بأنه لن يحقق ذلك، بل إنه بمقدار تكبره سينزل عن مرتبته التي هو فيها قبل تكبره، بخلاف ما كان يؤمله ويرتجيه من علو! جزاءً وفاً.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧)

الإنسان إذا قاس نفسه بعالم الذرة فأخذته العزة لكبره، فليقسها بعالم الكواكب بالسماء؛ ليستشعر الهوان من صغره وضآلته، ولكن من طبيعة البشر الغرور: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٥٨)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠)

قال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، ويجعل دونها حجاباً، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه ووعدك بالإجابة.

جامع العلوم والحكم (٥٧٢/٢)

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥)

الإخلاص يذكر في كتاب الله ﷻ كثيراً: تارة يأمر الله تعالى به: ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾، وتارة يخبر أن الجنة لأهله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿ (الصفوات: ٤٠-٤١)، وتارة يخبر أنه لن ينجو من شرك إبليس -يعني: مصيدته- إلا من كان مخلصاً لله، ﴿ وَلَا غُورِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ (الحجر: ٣٩-٤٠).

د. خالد السبت

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٨٣)

﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ في إضافة الرسل إليهم ما يفيد أنهم يعرفونهم ويعرفون صدقهم، ثم إن كلمة ﴿ جَاءَتْهُمْ ﴾ تفيد أن هؤلاء الرسل لم يقولوا شيئاً من عند أنفسهم، وإنما جاؤوا بما جاؤوا به كما يجيء حامل الرسالة والأمانة.

أ. د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر، فصلت (٣٠٠)

سُورَةُ فَصَّلَتْ

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا ﴿٥﴾ ﴾

الحجاب يمنع رؤية الحق، والأكنة تمنع من فهمه، والوقر يمنع من سماعه.

ابن القيم، حادي الأرواح (٦٩)

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنِ وَيَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ﴾

وخلقها في يومين أدل على القدرة والحكمة من خلقها دفعة واحدة في طرفة عين؛ لأنه أبعد من أن يظن أنها خلقت صدفة، وليرشد خلقه إلى الأناة في أمورهم.

الماوردي، النكت والعيون (١٧٠/٥)

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

لما احتج قوم عاد بقولهم: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾، قيل لهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾، وهكذا كل ما في المخلوقات من قوّة وشدة تدل على أن الله أقوى وأشد، وما فيها من علم يدل على أن الله أعلم، وما فيها من علم وحياء يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة؛ فمن تمام الحجة الاستدلال بالأثر على المؤثر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٥٧/١٦)

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(١) قال الحسن البصري: ﴿ إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة! ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بري وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. ﴾

الجامع لأحكام القرآن (٣٥٣/١٥)

(٢) التشاؤم أشعة مقطعية تكشف مقدار الخلل في قلب المتشائم: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ﴾

أ.د. ناصر العمر

(٣) عندما يفقد الإنسان التفاؤل، سينطلق في تصرفاته من قاعدة التشاؤم؛ وهنا يكون قد أساء الظن بربه، وجلب على نفسه من المصائب ما لا تطيق، قف متدبراً هذه الآية، تدرك ماذا جنى المتشائمون عاجلاً وأجلاً: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ﴾

أ.د. ناصر العمر

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ (١٥)

إذا رأيت الإنسان على باطل ويتحدث عن ماضيه وحاضره بلغة المعجب والمفتخر وكأنه محسن؛ فاعلم أنه ممن احتوشته الشياطين، قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٧٤/٧) (بتصرف)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢٦)

(١) اشتهر عند مشركي العرب أن القرآن ما خالط قلباً إلا وجذبه إلى الحنيفية، وقاده إلى جنة الإسلام بسلاسل الإقناع والبرهان، فحملهم الحرص على عقائدهم، وحب البقاء على تقاليدهم على مقاومته بما يمكنهم، فكان أمثل رأي ارتأوه في ذلك ما قصه الله علينا بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ فإذا كان القرآن قد أحيا أولئك الأقسام - مع شدة كراحتهم لهذا النوع من الحياة ومقاومتهم له بما علمنا من المقاومة، وكانوا منه في أمر مريب - فكيف لا يحمينا؟ ونحن نوقن بأنه كلام الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

محمد رشيد رضا، مجلة المنار (٣٠٦/٢)

(٢) في سماع القرآن تأثير عجيب، وقوة لا تقهر، اعترف بها الكفار، وأعلنوا أن إمكانية غلبتهم مرهونة برد هذا التأثير بطريقتين:

١- عدم السماع.

٢- إشاعة اللغو ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

فتأمل -يا مؤمن- كيف قالوا: لا تسمعوا، ولم يقولوا لا تستمعوا؟ لماذا؟ لأن في ذلك اعترافاً منهم بقوة تأثير أدنى درجات الاستماع، وهو (السماع)، فكيف بما فوقه؟ وقالوا: ﴿ وَالْغَوَا فِيهِ ﴾ فأشعر ذكر اللغو (وهو الصياح والصفير) وذكر حرف الجر (في) بأن المقصود تداخل ذلك مع أصوات القرآن حتى يكون في أثنائه وخلالها! فأين نحن من هذا المؤثر العظيم؟ ولم لا نجاهدهم به جهاداً كبيراً؟

د. عويض العطوي

(٣) في قول المشركين: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ كل هذه المحاصرة لصوت القرآن؛ حتى لا يصل إلى قلوبهم ولا إلى قلوب غيرهم، وهو متضمن الاعتراف بأن هذا القرآن قادر على اقتحام قلوبهم، وأن ينتزعهم من أنفسهم، وأنه هو هذا الدين، وأن الإفلات منه إفلات من هذا الدين.

أ.د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت (٣٩٩)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

(١) قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا - والله - لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب!

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٦/٧)

(٢) من كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

ابن القيم، طريق الهجرتين (٣٠٨)

٣) إنها آية من الروعة بمكان! فهي تصل - في إحساس المؤمن - الدنيا بالآخرة، وتملؤه سكينَةً وسلامًا، فإنما قبضة الأرواح بالنسبة للمؤمن المستقيم رسل سلام من السلام! ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ (النحل: ٣٢).

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٦٨)

﴿ نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

وصف الله نعيم أهل الجنة بقوله: ﴿ نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ وختمت الآية بهذين الاسمين: الغفور الرحيم؛ للإشارة إلى أن الله غفر لهم أو لأكثرهم اللمم وما تابوا منه، وأنه رحيم بهم؛ لأنهم كانوا يخبونه ويخافونه ويناصرون دينه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٨٧/٢٤)

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

١) ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ سبحان الله! إنسان بينك وبينه عداوة، وأساء إليك، فيقال لك: ادفع بالتي هي أحسن، فإذا استجبت لأمر الله ودفعت بالتي هي أحسن، يأتيك الثواب: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾!؟ الذي يقوله من؟ هو الله ﷻ مقلب القلوب، ما من قلب من قلوب بني آدم إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يصرفه كيف يشاء.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢٧٨/١)

٢) ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الدفع بأحسن الأقوال والأعمال موجب لحصول الألفة والاتفاق المقتضي للتعاون على مصالح الدنيا والدين.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٠٩)

٣) وجدت هذه الآية في حياتي: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فكلما وقعت خصومه أو سوء فهم، تذكرت هذه الآية، واجتهدت في الإحسان، فأجد تسامحًا عجيبيًا، وقناعة ورضا عن نفسي ولله الحمد.

متدبر

٤ ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ هذا أثر حسن الخلق مع الذي بينك وبينه عداوة؛ فكيف يكون أثره مع من لم يكن بينك وبينه عداوة، بل كيف أثره مع من لك معه إلفة وعشرة كزوج وأخ؟ فليكن بذل الخلق الحسن، بل الأحسن سجية لنا في مختلف أحوالنا.

٥ تأملوا أيها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بإذا الفجائية؛ لأن (إذا) الفجائية تدل على الحدوث الفوري في نتیجتها، ولكن ليس كل أحد يوفق لذلك: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥).

ابن عثيمين، مكارم الأخلاق ٢٩

﴿وَمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦)

١ أن يخضع لك عدوك كأنه صديق؛ فهذا انتصار! وأن يعصمك الله من الشيطان؛ فهذا انتصار أكبر! قال ابن عباس ؓ: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوا ذلك، عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

جامع البيان لابن جرير (٤٣٢/٢٠)

٢ الله يأمر بملاينة العدو الإنسي والإحسان إليه؛ لأن ذلك يؤثر فيه، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني؛ لأنه لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم؛ لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١١٠/١

٣ قال عمرو بن عثمان المكي: لقد علم الله نبيه ﷺ ما فيه الشفاء، وجوامع النصر، وفواتح العبادة، فقال: ﴿وَمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

تاريخ بغداد (٢٢٣/١٢)

٤ ﴿وَمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ الله طرد إبليس من سماواته، ورحمه بالشهب الشواقب؛ فتفرغ اللعين لهذا الكيد العظيم، لا يدع للخير بداية إلا أربكها بقاصف الوسواس ونيران الفتن؛ فجعل الرحمن الاستعاذة لعباده المؤمنين نجاة وأماناً من كل شيطان رجيم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١١٩)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾

(١) ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ القرآن عزيز فأعطه أعز الأوقات، لا تكتف بما بين الأذان والصلوات، وأعرف بعض مشايخي يقف في طريق سفره؛ ليقراً ورد.

د. عبدالكريم الخضير

(٢) قد تمر أوقات تنهزم فيها الأمة وتضعف، لكن لا يمكن أن تمر لحظة واحدة ينهزم فيها هذا الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾.

د. محمد الراوي، سورة هود (شريط)

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

تأمل إخباره ﷺ عن القرآن بأنه نفسه شفاء: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، وقال عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ النحل: ٦٩، وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٥٠)

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ﴾

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ﴾ (الإسراء: ١٥).

﴿وَمَنْ تَرَكَّنْ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ ۗ﴾ (فاطر: ١٨).

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ﴾ (العنكبوت: ٦).

أي شيء أبلغ من هذا الحشد من الآيات في تربية القرآن لأهله ليعتنوا بتربية نفوسهم، وتعييدها لرب العالمين؟

أ. د. عبدالعزيز العويد

سُورَةُ الشُّورَى

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١٣)

من طرق التدبر: الاستدلال المركب من آيتين فأكثر، كهذا النموذج:

في قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ مع قوله: ﴿ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان: ١٥)، مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصاً الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٤)

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْنُونٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٦)

فيها أكبر برهان على أن من آمن بالله ورسوله إيماناً تاماً، وعلم مراد الرسول رضي الله عنه قطعاً، تيقن ثبوت جميع ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك فهو باطل، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (١٧٠)

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١٩)

أوصى ابن قدامة رحمته الله أحد إخوانه قائلاً: واعلم أن من هو في البحر - على اللوح - ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله؛ فإذا حققت هذا في قلبك، فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله.

الوصية المباركة (٧٧)

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ (٢٠)

قال قتادة رضي الله عنه: من يُؤثر دنياه على آخرته، لم يجعل الله له نصيباً في الآخرة إلا النار، ولم يزد بذلك من الدنيا شيئاً، إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾.

الدر المنثور (٣٤٣/٧)

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢٣)

يتساءل كثيرون عن الدليل الشرعي على مقولة: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، والجواب هو: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٠٤/٧)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴾ (٢٥)

لما كانت التوبة عملاً من الأعمال العظيمة التي قد تكون كاملة، وقد تكون ناقصة، وقد تكون فاسدة إذا كان الغرض منها دنيوياً، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله؛ ختم هذه الآية بقوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٨) (بتصرف يسير)

﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (٢٦)

﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي: يستجيب دعاء المؤمنين لأنفسهم، ﴿ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فيستجيب دعاءهم لإخوانهم، وهذا من بركة الصالحين، ومن سعة فضل الله ورحمته وكرمه، إذ يغري المؤمنين بالدعاء لأنفسهم وإخوانهم؛ ليتفضل عليهم، قال سفيان: يا من أحب عباده إليه من سألته فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب (١).

د. عبدالله السكاك

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٣/٧

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢٧)

(١) قال قتادة رحمه الله: يقال: خير الرزق ما لا يطغيك، ولا يلهيك.

جامع البيان للطبري (٥٣٦/٢١)

(٢) الآية دليل على أن كثرة المال سبب لفساد الدين إلا من عصمه الله، فهو معصوم مخصوص بالكرامة، كما كان أغنياء الصحابة، ومن لم يعصمه؛ فكثرة المال له مهلك.

القصاب، نكت القرآن (١١٢/٤)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٨)

(١) كم في القرآن من بشارات ومفاتيح تفاعل! ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ فيها هي الأرض تسقى بعد جذبها؛ فلنتنظر بشارات عزة الأمة ونصرها ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ يوسف: ١١٠، ولنتفاعل بعودة الغائب بعد طول عناء ﴿ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ يوسف: ٨٧، فأملوا خيراً ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣ مهما طال الزمن واستحكم البلاء.

أ.د. ناصر العمر

(٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾؛ أي: يتيسوا من نزوله، ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، لنقف وقفة تدبر، ولنتذكر حالنا في العام الماضي حين قل المطر، والله لولا ربنا ومولانا ما نزلت قطرة واحدة من السماء، إنها وقفة تورث ذلاً، وافتقاراً، وإخباتاً للملك الرزاق الكبير. (٣) ومناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: ﴿ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ دون غيرهما؛ لمناسبتهمما للإغاثة؛ لأنَّ الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحمد عليه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥٨/٢٥)

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣٠)

(١) قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عن أساءهم؟ قال: إنهم علموا أن الله إنما ابتلاهم بذنوبهم، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٩٥/٢)

(٢) المعاصي كلها إذا ظهرت ولم تنكر، ضرت العامة، وهي من أسباب الخذلان، وتسليط الأعداء، وحصول الكثير من المصائب، كما أنها من أسباب قسوة القلب وانتكاسه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠)، ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ١٦).

ابن باز، مجموع فتاواه (١٨/٧)

(٣) أثر المعاصي في الحرمان من العلم النافع معلوم بالنص والواقع، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾، ولا ريب أن حرمان العلم النافع من أعظم المصائب.

ابن باز، فتاواه (٢٤٢/٦)

(٤) يثير البعض جدلاً حول صحة الأثر: «ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة»^(١)، ومهما تكلم في سنده، فمعناه صحيح قطعاً، ألم يتدبر هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾؟ ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَعَدَّ بِهُمْ وَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣٧)

﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ أذكر أنني في ليلة اختلفت مع زوجي وغضبت، وبعد أن خرج من المنزل أخذت المصحف؛ لأقرأ وبدون تعمد فتحت صفحة وبدأت أقرأ، حتى مررت بهذه الآية، ووالله لكأنني لأول مرة أعلم أنها آية من كتاب الله، فأعدتها مراراً فوجدت بردها على قلبي، وهذا غضبي وقررت الصفح عن شريك حياتي استجابة لأمر ربي.

متدبرة

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢٨)

(١) قال الحسن رضي الله عنه: ما تشاور قوم قط إلا هُدوا، وأرشد أمرهم، ثم تلا: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾

الدر المنثور (٣٥٧/٧)

(١) المجالسة وجواهر العلم ح (٧٢٧).

(٢) ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ حين يقرأ بعض الناس هذه الآية لا يكاد ينصرف ذهنه إلا إلى المجال العسكري أو السياسي! إن الشورى أسلوب حياة، ينبغي أن يمارس في الأسرة، والعمل وفي كل المجالات.

أ.د. عبدالكريم بكار، التواصل الأسري (١١)

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

مدحهم بالانتصار؛ لأنهم لم يزيدوا عليه، إذ لو زادوا عليه، لكان تعدياً ولم يكن انتصاراً.
العزبن عبدالسلام، شجرة المعارف (٣٢٥)

﴿وَجَزَّوْا سَنِيَّةً سَنِيَّةً مِّثْلَ مَا فَمَّنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قلوب أصلحها القرآن:

كان الحسن البصري يدعو ذات ليلة: اللهم اغف عمن ظلمي، فأكثر في ذلك؛ فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك! حتى تمنيت أن أكون فيمن ظلمك، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ابن بطال، شرح البخاري (٥٧٥/٦)

﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

المظلوم وإن كان مأذوناً له في دفع الظلم عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فذلك مشروط بشرطين: أحدهما: القدرة على ذلك، والثاني: ألا يعتدي، فإذا كان عاجزاً، أو كان الانتصار يفضي إلى عدوان زائد؛ لم يجز.

ابن تيمية، الاستقامة (٤٠/١)

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

كتب عمر إلى عامل له: أما بعد؛ فلتجف يداك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك عن أعراضهم، فإذا فعلت ذلك، فليس عليك سبيل، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾.

حلية الأولياء (٣٠٧/٥)

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٤٢)

العفو من أعظم وسائل التربية للنفس وإعدادها، والعفو تهيئة للقيادة، فالذي لا يستطيع أن يقود نفسه بالحلم والعفو والتجاوز، كيف سيستطيع أن يقود غيره من المسلمين؟ فلو التزمنا العفو -والله- لوجدنا من الخير ما لا يخطر على بال.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴾ (٤١)

١) بدأ بذكر الإناث، فقدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات؛ حتى كانوا يثدونهن؛ أي: هذا النوع المؤخر عنكم، مقدم عندي في الذكر، وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث، وعرف الذكور؛ فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف فإن التعريف تنويه.

ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود (٢١)

٢) في العطفية من الله قُدمت الأنثى، وحق لها أن تفتخر بهذا التكريم، فمن رزق البنات، فعليه أن يشكر الله تعالى؛ لأنه سمي ذلك هبة، وفي هذا في رد على أولئك الجاهليين الذين كانوا ينتقصون من حق الأنثى، وينزعجون عندما يبشر أحدهم بها.

د: عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ

مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢)

لا يموت قلب خالطت نبضه آيات القرآن، كما أنه لا حياة لقلب خلي منها: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية (٤١)

سورة الزخرف

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

تدبرُ الكلام إنما يُنتفع به إذا فهمَ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فمن عرف الخير والشرف فلم يتبع الخير ويحذر الشر، لم يكن عاقلاً؛ ولهذا لا يُعد عاقلاً إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠٨/١٥)

﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

(١) ليستعد المؤمن - وهو يقرأ هذه الآية - من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يسقون حتى تميل ظلالهم - أعناقهم - وهم على ظهور الدواب، أو في بطون السفن وهي تجري بهم، لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمثلون إلا أوامره!

الزمخشري، الكشاف (٢٤٠/٤)

(٢) لما كان الركوب مباشرة أمر خطر واتصالاً بسبب من أسباب التلف؛ كان من حق الراكب ألا ينسى أنه منقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه؛ حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه.

الزمخشري، الكشاف (٢٤٤/٤)

(٣) لما ذكر الباري نعمته على العباد بتيسير الركوب للأنعام والفلك، قال: ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ذكر فيها أركان الشكر الثلاثة، وهي:

- الاعتراف والتذكر لنعمة الله.
- والتحدث بها، والثناء على الله بها.
- والاستعانة بها على عبادته.

السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٣٤٥/١)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٦٧﴾ ﴾

١) قال إبراهيم ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ولم يقل (إلا الله)؛ لفائدتين:

١- الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة؛ لأنه كما أنه منفرد بالخلق، فيجب أن يفرد بالعبادة.

٢- الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حتى تعبدوها، وهذه من البلاغة

التامة في تعبير إبراهيم ﷺ.

ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (١٥٠/١)

٢) من العدل وكمال العقل: عدم رد ما عليه المخالف جملة، إذا كان عنده شيء من الحق ولو

كان كافرًا؛ تأمل دقة استثناء إبراهيم ﷺ في خطابه لقومه: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي

فَطَرَنِي﴾، وكذلك قال الفتية: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (الكهف: ١٦)، على القول

بأن الاستثناء متصل في الموضعين.

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِيَسْخَذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

١) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

فتلقاه ضعيف الحيلة، عي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان،

وهو مقتور عليه، قال الله -جل ثناؤه-: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، كما قسم

بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

جامع البيان ٥٨٤/٢٠

٢) قال حاتم الأصم: رأيت الناس يذمُّ بعضهم بعضًا، ويغتاب بعضهم بعضًا، فوجدت أصل ذلك

من الحسد في المال والجاه والعلم، فتأملت في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛

فعلمت أنَّ القسمة كانت من الله في الأزل، فما حسدت أحدًا، ورضيت بقسمة الله تعالى.

أيها الولد للغزالي (١٢١ - ١٢٨)

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: ليس مثل من أمثال العرب إلا وأصله في كتاب الله تعالى، قيل له: فأين قول الناس: أعط أخاك تمرة، فإن أبي فجمرة؟ قال: في قوله: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾.

بحر العلوم (١١١/٤)

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

(١) ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحًا بالجملة والطبع، فالرعيل منهم -وهم الصحابة- كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكموه في أنفسهم، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبرية، وقادة في غير عنف.

البشير الإبراهيمي، آثاره (٢٢٧/٤)

(٢) إذا أمر الرسول ﷺ بالاستمسك بالحق -وهو المؤيد بالوحي وبالآيات، المضمون له أعلى المقامات-، فكيف بمن ليس له مؤيدات ولا ضمانات، وقد احتوشته الشهوات والشبهات؟!

د. عبدالله السكاكر

(٣) هل يظن عاقل -بعد هذه الآية- أنه ينجو أو يهتدي للحق أو يثبت على الصراط المستقيم بغير القرآن والسنة؟

فهد العيبان

﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(١) قال الحسن البصري رضي الله عنه: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن الرجل منهم يشفع في قريبه وصديقه، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾.

تفسير معاني القرآن للنحاس (٢١٢/٦)

(٢) مر بعض المتعطفين على جارية تغني، فأعجبت وطرب، وقال: والله إني أحبك! فقالت: نفسي بين يديك فما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾، وأخاف أن تكون خلتنا اليوم عداوة يوم القيامة.

محاضرات الأدباء (٢٤٩/٢)

٣) سألتني بعض من له دراية بعلوم الفلسفة، فقال: إن الحكماء يقولون: إن الصداقة لا تدوم إلا بين الفضلاء، فهل يوجد هذا المعنى في القرآن؟ فقلت له: نعم!.. هو في قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فهذا يدل على أن الفضلاء يستمرون على صداقتهم رغم الأهوال العظيمة.

محمد الحضر حسين، المجموعة الكاملة (٧٥/٢)

٤) الإسلام لم يهدب الحبَّ ويزكيه فحسب، بل جعله عبادة يتعبد بها المؤمن، ويستشعر لذتها، ويرجو بها رضوان ربه، فما أسوأ أن تزول هذه المعاني العظيمة، وتختزل هذه المحبة في وردة حمراء سرعان ما تذبل، ويختصر زمن التعبير عنها في يوم واحد، تأمل في خلود حبِّ المتقين: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

أ.د. إبتسام الجابري

٥) ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ إنها قاعدة مُطَّردة في بيان مصير أي نوع من العلاقات، فتخير أيها الطالب ويا أيتها الطالبة كيف تكون النهاية؟! فتش في زملاء الفصل، وفيمن ينشئ العلاقة أثناء الفسح، ونهاية الدوام، واختر اليوم صديقاً لا يعاديك يوم القيامة، وتذكر أن صحبة التقوى ثمارها تمتد إلى عالم الآخرة، ألا ما أجمل التقوى حين تزين علاقاتنا، بل حياتنا كلها.

د. عمر المقبل

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٧٨)

القرآن يتلى على الناس في دنياهم قبل أن يصلوا إلى آخراهم؛ لكي يسارعوا إلى اتباعه والعمل به، ولا يكونوا من أولئك الذين يقال لهم -وهم في عذاب جهنم خالدون-: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾

د. محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (١٤)

سورة النخائل

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (٢)

(١) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ في كثرة خيراتها، مباركة في سعة فوائدها ومبراتها، ومن بركتها: أنها تفوق ليالي الدهر، وأن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، أما يحق لك -أيها المؤمن- أن تجرد قلبك في هذه الليلة من جميع الأشغال؟ وأن تقبل بكليتك إلى طاعة ذي العظمة والجلال؟ وأن تعترف بذنوبك وفاقتك وافتقارك؟ وأن تتوسل إليه مخلصًا في خضوعك وانكسارك؟

السعدي، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية (٢١٤)

(٢) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ تدبر كيف جمع الله في ليلة القدر أنواع البركات: فالقرآن مبارك، ونزل في ليلة مباركة، وفي شهر مبارك، ومكان مبارك، ونزل به أكثر الملائكة بركة على أكثر البشر بركة، وواهب البركات كلها هو الله ﷻ؛ فحري بالمؤمن أن يجتهد لعله يدرك بركة هذه الليلة، فينعم ببركتها في الدنيا والبرزخ والآخرة.

د. عبدالله الغفيلي

(٣) تأمل العلاقة الوثيقة بين الليل وبين القرآن في آيات كثيرة، وتؤكد في رمضان ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١)، ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨)، ﴿ قُرْآنًا نَزِيلًا ﴾ (المزمل: ٢)، فهل أنت تقضي ليلك في رمضان مع القرآن تاليًا متدبرًا؟ ﴿ وَرَبِّ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٤) وتأمل حال كثيرين في ليالي رمضان تحزن!!

أ.د. ناصر العمر

(٤) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ كم مرت بك هذه الآية من مرة؟ وكم مرة توقفت قليلًا؛ لتعدد ما تستطيع من بركاتها؟ فماذا أنت قائل؟!

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ فتأمل في قوله (حكيم)؛ ليتبين للمؤمن أن أوامره محكمة متقنة، ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفه ولا باطل، ذلك تقدير العزيز العليم.

ابن عثيمين، مجالس شهر رمضان (١٠٤/١)

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قال سعيد بن جبیر: لم تبك عليهم السماء؛ لأنهم لم يكونوا يرفع لهم فيها عمل صالح، ولم تبك عليهم الأرض؛ لأنهم لم يكونوا يعملون فيها بعمل صالح.

الدر المنثور (٤١٢/٧)

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤١﴾ ﴾

السياق يرشد إلى بيان المجل، وتعيين المحتمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقيقير.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٤)

سورة الجاثية

﴿وَخَلِّفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ءآيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾

(١) ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ءآيَاتُ﴾ في تنوع جهاتها، وفي قوتها، فلو أن جميع مكائن الدنيا كلها اجتمعت، وصارت على أقوى ما يكون من نفث هواء لا يمكن أن تحرك ساكنًا إلا فيما حولها فقط، لكن أن تصل من أقصى الشمال إلى الجنوب، أو بالعكس فلا.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢١٦/٢)

(٢) ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ءآيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ألا إن العاقل حقًا إذا شاهد قدرة الله في تصريف هذه الرياح وتقليبها شمالًا وجنوبًا، وليلاً ونهارًا، وما تحمله من أمطار وأخطار؛ أورثه ذلك تعظيمًا لله، وخوفًا من عذابه، ولم يأمن مكر الله: ﴿أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ (الملك: ١٧).

د. عبدالله الغفيلي

﴿يَسْمَعُ ءآيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةً بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾
وهذه الصورة البغيضة -مع أنها صورة فريق من المشركين في مكة- إلا أنها تتكرر في كل عصر، فكم في الناس من يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصِرُّ مستكبرًا كأن لم يسمعها! لأنها لا توافق هواه، ولا تسير مع مألوفه، ولا تتمشى له مع اتجاه.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٢٢٥/٥)

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾
زرت أحد العباد -في سن السبعين-، فذكر موقفًا حصل له أيام شبابه، حيث دخل سجن التوقيف مع خصم له، في قضية حقوقية، قال: والحق معي، وكان خصمي سفيهاً، وكنت أوقظه للصلاة، فقد كان مقصرًا فيها، وعندما أتى علينا وقت السحر؛ توضأت وأخذت المصحف وصليت، وبدأت بالجاثية، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ تأثرت بها كثيرًا، وبكيت منها بكاءً طويلًا، وعفوت عن خصمي بسببها.

متدبر

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١١)

(١) قال مسروق عن رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/١٦)

(٢) قال عبد الرحمن بن عجلان: بثُّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة، فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/١٦)

(٣) هل تعرف الآية التي تُسمَّى مبكاة العابدين؟ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ قال الثعلبي: «هذه الآية تُسمَّى: مبكاة العابدين».

كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول لنفسه: «ليت شعري! من أيِّ الفريقين أنت؟!»، فما يقول أمثالنا؟

المحرر الوجيز (٥٠/٧٥)

(٤) يا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح، هيهات هيهات: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

ابن رجب، اختيار الأولى (١١)

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَٰمِرٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣)

(١) علق الحسن البصري رحمه الله على هذه الآية: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ ﴾ فقال: هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه!

ذم الهوى لابن الجوزي (١٧)

(٢) مخالفة ما تهوى الأنفس شاقة، وكفى شاهداً على ذلك حال المشركين وغيرهم ممن أصّر على ما هو عليه؛ حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى، حتى قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

الشاطبي، الموافقات (١٥٣/٢)

(٣) آية من كتاب الله كانت سبباً بعد -توفيق الله- في تركي لمعصية طالما نغصت علي حياتي، هي قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾.

متدبر

﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢٧)

﴿يَوْمِذِ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ دخل سفيان الثوري المدينة يوماً، فوجد شيخاً اسمه «المعافري» يحدث الناس بما يضحكهم به، فقال له يا شيخ: اتق الله! أما تعلم أن لله يوماً يحسر فيه المبطلون؟! قال الراوي: فما زالت تُعرف في وجه المعافري حتى لقي ربه.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٠/٧)

فهل يعي هذا المعنى المبطلون، ومن ضيعوا أوقاتهم مع المبطلين؟

سورة الأحقاف

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

١) قال مالك بن مغول: شكى أبو معشر أحد أبناءه إلى طلحة بن مصرف، فقال: استعن عليه بهذه الآية: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.
حلية الأولياء (١٩/٥)

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا﴾ فلم يكتف بذلك، بل قال: (ترضاه) فيا لتلك الهمم العالية، ويا لعلو رغبات المخلصين!
متدبر

٣) ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ تأمل كيف جعل صلاح الذرية من صلاح النفس؛ لعظيم أثر الذرية على الإنسان في دنياه وآخرته.
أ.د. عبدالعزيز العويد

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ فحظ كل واحد من صلواته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه؛ فإن موضع نظر الله - سبحانه - القلوب، دون ظاهر الحركات.
أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (١٦٣/١)

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبَتْهُمُ طِينَتُهُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ
الْأَلْهُونَ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنتُمْ فَتَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

أبي عبد الرحمن بن عوف بطعام - وكان صائماً -، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّن في بُرْدَةٍ، إن عَطِيَّ رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ، وقد خشينا أن تكون حسنائنا عُجِّلَتَ لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام^(١).
وابن عوف من العشرة المبشرين بالجنة، لكن المؤمن يهضم نفسه.

(١) البخاري ح (١٢١٦).

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لَوْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ

فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

(١) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لَوْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾ من حكمة الله تعالى أن الريح لم تأتهم هكذا، وإنما جاءتهم وهم يؤملون الغيث والرحمة؛ فكان وقعها أشد، ومجيء العذاب في حال يتأمل فيها الإنسان كشف الضر يكون أعظم وأعظم.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/٣٣٤)

(٢) التحولات السلبية الكبرى التي تمر بالبلدان والأمم كالرياح، تسبق يارهاص وإنذار، وما لم يتعامل مع تلك المقدمات بجدية وحكمة وحزم؛ كان الدمار والبوار: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لَوْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾

أ.د. ناصر العمر

(٣) عندما تُصرف القلوب عما فُطرت عليه بمؤثرات الشبهات والشهوات؛ ستفسر الأحداث تفسيراً مضاداً لأسبابها وآثارها، فلا تتعظ بالآيات والنذر؛ حتى يجل بها العذاب والهلاك، قف متدبراً: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لَوْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾ ثم تأمل سبب ذلك: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى

قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٢٩﴾

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ (الجن: ١)، حين تقرأ كلام أولئك الجن عن القرآن يتملكك العجب! أفي جلسة واحدة صنع بهم القرآن كل هذا؟ مع أنهم يقيناً لم يسمعوا إلا شيئاً يسيراً من القرآن! إنك -لو تأملت- لانكشف لك سر هذا: إنه استماعهم الواعي وتدبرهم لما سمعوه، وشعورهم أنهم معنيون بتلك الآيات، فمتى قال أحدنا: إنا سمعنا قرآناً عجباً؟

د. عمر المقبل

سورة محمد

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوا رُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَرْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّسَأَلُوا بِعَصَٰكُمُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤)

ما أعظم ما تسكبه هذه الآية في قلب المتدبر لها من طمأنينة ويقين بحكمة الله وعلمه، وأنه سبحانه لا يعجل لعجلة عباده، وأن من وراء ما يحصل حكماً بالغه، تتقاصر دونها عقول البشر وأفهامهم.
د. عمر المقبل

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧)

من استشعر التقوى في مقاصده، وأخلص النية لله في أعماله، لم يسلمه الله إلى عدوه، ولم يُعَلِّه عليه، وكان الظفر له على من ناواه.

القصاب، نكت القرآن (٤/١٥٠)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْكٰفِرِينَ أَمَثَلَهَا ﴾ (١٠)

أمر الله بالسير، والسير ينقسم إلى قسمين: سير بالقدم، وسير بالقلب. أما السير بالقدم: فبأن يسير الإنسان في الأرض على أقدامه، أو راحلته لينظر ماذا حصل للكافرين وما صارت إليه حالهم. وأما السير بالقلب: فبالتأمل والتفكير فيما نقل من أخبارهم.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/٥٨٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (١٣)

١) فوا أسفاه ووا حسرتاه! كيف ينقضي الزمان، وينفذ العمر، والقلب محبوب عن ربه؟ وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، الذين ﴿يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢١١)

(٢) هل يتميز الإنسان من الحيوان إلا بأنه يدرك غاية الحياة؟ أما من يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب، ويولد كما تلد، فهو مثلها أو أضل منها سبيلاً ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآنَعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾

الطنطاوي، نور وهداية (٣٣)

(٣) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآنَعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ساووا الأنعام في العاجلة، وفاقتهم في الآجلة.

د. محمد الحمد

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَنْنٌ هُوَ خَلْدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥)

لا يحتمل الإنسان ارتفاع حرارة جسمه ولو درجات قليلة! فكيف إذا جلبها لجوفه؟ تأمل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ هذا ما حدث للأمعاء وهي في آخر الجوف؛ فما ظنك بما فوقها من أعضاء الجسم؟! نسأل الله العافية.

متدبر

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ (١٧)

(١) ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ مثال تولد الطاعة كمثل نواة غرستها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأكلت ثمارها، وعرست نواها، فكلما أثمر منها شيء، جنيت ثمره، وعرست نواه، وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبر اللبيب هذا المثال، فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها.

ابن القيم، الفوائد (٣٥)

(٢) الذي أوصي به أبناي الطلاب: تقوى الله في جميع الأحوال، والحرص على العلم، والعناية بالمقررات والمذاكرة فيما بينهم، والإصغاء للمدرسين، والسؤال عما يشكل في الدرس بأسلوب حسن، ومن أهم أسباب التحصيل: إصلاح النية، وحفظ الوقت، والعمل بما عَلِمَ، وفي بعض الآثار: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(١)، وشاهده في كتاب الله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾

ابن باز، فتاواه (٢٤٢/٦)

(١) حلية الأولياء (١٦٣/٦).

٣) تأمل كيف يكون الجزاء من جنس العمل في أمرين عظيمين يغفل عنهما أكثر الخلق: الزبيغ والاهتداء، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا رَادَّهُمْ هُدًى وَآنَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥).

د. محمد الخضيرى

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٩)

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾ بالتوحيد يقوى العبد ويستغني؛ فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا به، وإذا لم يحصل له، لم يزل فقيراً محتاجاً مُعذَّباً في طلبه، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٦/١)

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (٢١)

استعد! فبعد أن تفتح قلبك، فلتكن عازماً على تنفيذ ما يمر بك من أوامر، والكف عما يمر بك من نواه، فهذا الصدق في البداية له أثره في النهاية، وتذكر: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وتذكر أنك إن تقدمت خطوة في هذا الطريق، فربك أكرم.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤)

١) قرأ قارئ عند عمر: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وعنده شاب فقال: اللهم عليها أقفالها، وبيدك مفاتيحها، لا يفتحها سواك، فعرفها له عمر، وزادته خيراً.

جامع البيان للطبري (٥٨/٢٦)

٢) وإنك لتجد في بيت الله الحرام خمسين ألفاً بأيديهم المصاحف يقرؤون القرآن، ولكنك لا تجد خمسين منهم يفهمون معاني ما يقرؤون، وإني لا أنكر أن لقارئ القرآن أجراً على كل حال، لكن الله يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ فمتى نكسر هذه الأقفال؛ حتى نفهم ما يقال؟.

علي الطنطاوي، روائع الطنطاوي (٤١/١)

﴿ ٣ ﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿﴾ إِنَّ الْمُنَادِينَ بِعِزْلِ الْقُرْآنِ عَنْ نِظْمِ الْحَيَاةِ قَوْمٌ أَصَابُوا بِمَرِيضٍ فِي قُلُوبِهِمْ، وَتِلْكَ وَرِثَةٌ مِنْ إِخْوَانِهِمْ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَالنِّفَاقِ، فَلَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَهْزَؤُوا بِهِ: ﴿﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَتِلْكَ آيَاتُ الْكُفْرِ كَانُوا لَمْ يَسْمَعُوهَا كَأَنِّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴿﴾ (لقمان: ٧).

الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، خطب الشيخ (١٦٥)

﴿ ٤ ﴾ حتى هذه الآية: ﴿﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿﴾ نَقَرُوهَا وَتَجَاوَزَهَا كغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ دُونَ أَنْ نَشْعُرَ بِهَا، فَأَيُّ حَرَامٍ هَذَا!؟

متدبر

﴿﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿﴾ (٣٠)

١) قال عثمان بن عفان: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه، وقد قال تعالى عن المنافقين: ﴿﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴿﴾، ثم قال: ﴿﴾ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴿﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١٠/١٤)

٢) قال تعالى عن المنافقين: ﴿﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴿﴾، ثم قال: ﴿﴾ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴿﴾، فمعرفة المنافق في لحن القول لا بد منها، وأما معرفته بالسيما فموقوفة على المشيئة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١٠/١٤)

﴿ ٣ ﴾ ﴿﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴿﴾ وقال: ﴿﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴿﴾ (الحج: ٧٢). وهذا أمر محسوس لمن له قلب؛ فإن ما في القلب من النور والظلمة والخير والشر يسري كثيراً إلى الوجه والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطاً بالقلب.

ابن تيمية، الاستقامة (٣٥٥/١)

٤) قال الله عن المنافقين: ﴿﴾ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴿﴾ فهذا مقسم عليه، محقق لا شرط فيه؛ وذلك أن ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره في وجهه، لكنه يبدو في الوجه بدواً خفياً يعلمه الله.

ابن تيمية، الاستقامة (٣٥٥/١)

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ في مقالاتهم.. في مجوئتهم.. في خطبهم ومحاضراتهم.. في نتائج مراكز أبحاثهم.. تتبعها فقط؛ فستجد الكثير من خطبهم ومكرهم.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلِّغُنَّكُمْ﴾ (٣١)

علق الحافظ الذهبي على الابتلاء الذي تعرض له الإمام مالك -وربطه بهذه الآية- فقال: فالمؤمن إذا امتحن صبر، واتعظ، واستغفر، ولم يتشاغل بدم من انتقم منه، فالله حكم مقسط؛ ثم يمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

سير أعلام النبلاء (٨١/٨)

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٥)

مظاهر الضعف في الأمة ينبغي ألا تعميها عمّا لها من عناصر القوّة، وأقواها: علو مبادئها ومعية الله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، وهذا ما أدركه أعداؤها على أرض الواقع في ميادين الجهاد، مما جعلهم يسعون للحوار بزخم غير مسبوق، وما ذاك إلا ليحصلوا في ميدان الحوار ما عجزوا عنه في ميدان القتال.

أ.د. ناصر العمر

﴿هَاتِنْتُمْ هَتُولَاءَ تُدْعُونَ لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨)

انتصار الدين لا ينتظر أحدًا: كسر الغرور في العمل للإسلام يكون حين يدرك كل عامل بأن انتصار الدين ليس متوقفًا عليه أبدًا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾.

محمد المنجد

سُورَةُ الْفَتْحِ

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ ﴾ و﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (الكهف: ٥) فيقال: حيث ذكر الله سبحانه (يقولون بالسننتهم) و﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٦٧) فالمراد به أنه قول باللسان مجرد لا معنى تحته، فإنه باطل، والباطل لا حقيقة له، وإنما غايته وقصاره أنه حركة لسان مجرد عن معنى، فليس وراء حركة اللسان به شيء.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام (٣٤٠)

(٢) انتبه! ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلب، ليس بعمل صالح كما قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره (٩)

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

(١) ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ دليل على أن الله قد يثيب المؤمن رزقاً في الدنيا على العمل الصالح، ولا يحط ذلك من درجة فضله، ويجعل ذلك من أطيب وجوهه، ألا ترى أن الغنائم أطيب وجوه الكسب، وأمطر الله على نبيه أيوب حين عافاه من بلائه جراداً من ذهب لم تبنتله الأيدي.

القصاب، نكت القرآن (١٦١/٤)

(٢) إذا أردت أن تعرف قيمة عمل القلب ومنزله عند الله، فتأمل هذه الآية: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾، فماذا ترتب على صدقهم وإخلاصهم؟ ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾، فما أحوجنا لتفقد قلوبنا.

د. عمر المقبل

﴿ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

لن تتخلف سنته عنّا أو تتبدل، لكن نحن الذي بدلنا!

محمد الفراج

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢١)

١) قال أبو عروة: كُنَّا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص الصحابة، فقرأ مالك هذه الآية:
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ﴾، حتى بلغ: ﴿ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾، فقال مالك: من
أصبح في قلبه غيظٌ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته الآية.

حلية الأولياء (٣٢٧/٦)

٢) تناقلت بعض وسائل الإعلام خبر موجة الجفاف والمسغبة التي أصابت المسلمين في بعض
جهات أفريقيا (أثيوبيا، والصومال، وتشاد)، إنها داعية لحقّ الأخوة بالاهتمام والدعاء، وفي جوع
الصائم ذكرى ياخوانه، وهي فرصة للكرام المقتدين بخير الأنام في شهر الصيام؛ ليكونوا «أجودَ
بالخير من الرّيح المرسلة»^(١)، ويكونوا كما كان أسلافهم: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

د. محمد الحضيري

٣) وصف الله الصحابة بقوله: ﴿ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ولم يقل: (يبتغون
أجراً) ففيه اعتراف منهم بالتقصير، وطمع بالفضل الإلهي الذي لا منتهى ولا حد له، والذي هو
أعظم من الأجرة التي يستحقونها على عملهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٨٩ / ٢٨)

٤) طوي لمن تشبه بما نعت الله به نبيه ﷺ وأصحابه فقال: ﴿ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ «قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها - في وجوههم
حتى استنارت، فلما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم».

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥)

٥) ليس المزارع الحاذق من ينثر الحب في الفلاة؛ ليسقيه المطر أو تذرره الرياح! وإنما هو من
يحسن اختيار الحب والتربة والماء، ويتعاهده حتى يؤتي أكله بإذن ربه: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ
فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾. أ. د. ناصر العمر

(١) البخاري ح (١٩٠٢)، ومسلم ح (٢٣٠٨)، والنسائي ح (٦٩٠٢)، وأحمد ح (٦١٦٢).



لما أثنى الله على أصحاب رسوله في خاتمة سورة الفتح؛ جعل سورة الحجرات في تكميل إيمانهم وتأديبهم، فبدأ بالأدب مع الله، ثم مع رسوله، ثم مع المؤمنين، سواء من حضر منهم، ومن غاب، ومن تلبس بفسق.

د. محمد الخضيري

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

(١) يقول ابن عقيل الحنبلي: ما أخوفني أن أساكن معصية فتكون سبباً في سقوط عملي وسقوط منزلي - إن كانت عند الله تعالى - بعدما سمعت قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾؛ فإن هذا يدل على أن في بعض التسبب وسوء الأدب على الشريعة ما يوجب الأعمال، ولا يشعر العامل إلا أنه عصيان ينتهي إلى رتبة الإحباط. وقد علق ابن مفلح قائلاً: هذا يجعل الفطن خائفاً وجلاً من الإقدام على المآثم، وخوفاً أن يكون تحتها من العقوبة ما يماثل هذه.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٣١٧/٢)

(٢) إن كلمة واحدة من سوء الأدب مع الله أو مع رسوله ﷺ قد تحرق رصيد العبد الإيماني كله!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٤٠٠)

(٣) الأدب مع أهل الفضل من العلماء والأتقياء والمربين والحكماء الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين - تعليماً ودعوة - يقتضي التوقير والاحترام، سواء في معاملتهم أو في طرق أبوابهم، ومراعاة أوقاتهم؛ لما في ذلك من مصلحة عامة للمسلمين.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣٦٩)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۗ﴾

وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الذين يشتهون المعاصي ولا يعملون بها رضي الله عنه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .. كم بين حال الذي: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف: ٢٣)، وبين شيخٍ ضعيفٍ يُدعى لمثل ذلك فيجيب؟!»

تفسير ابن رجب ٣١٨/١

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قارن بين تأدب السلف بهدي القرآن وبين فعل بعض الناس مع علمائهم: قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: ما استأذنت قط على مُحدِّث! كنت أنتظر حتى يخرج إليّ، وتأولت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾

الآداب الشرعية لابن مفلح (٦٩/٢)

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا

فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾

(١) لا ترو للناس كل ما تسمعه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الواجب على من شرح الله صدره للإسلام أن إذا بلغته مقالةً ضعيفةً عن بعض العلماء أن لا يحكيها لمن يعمل بها، بل يسكت عنها وإن تيقن صحتها، فما أكثر ما يحكى عن الأئمة من ما لا حقيقة له.

ابن تيمية، بيان الدليل (١٥٧)

(٢) في هذه الآية قاعدة من قواعد تدقيق الأخبار، ومن أولى ما يكون تبين ما تنشره بعض وسائل الإعلام عن أهل الحسبة وغيرهم من القائمين بشؤون الناس، فمع إمكانية وقوع الخطأ من كلِّ أحد، ألا ينبغي التبيين في أخبار تلك الوسائل:

١- لتلبس كثير منها بالفسق الفكري والأخلاقي.

٢- لأن بعض الكتاب قد تكون له مواقف شخصية، فيجد في المنفذ الإعلامي فرصةً

للتنفيس عما في نفسه.

٣- ثبوت الكذب أو التحريف والمبالغة في كثير من تلك الأخبار التي تذكر عن هذه الجهة أو تلك.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَتَّبَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾﴾

قال أبو سعيد الخدري: لما قبض رسول الله ﷺ، أنكرنا أنفسنا، وكيف لا نُنكر أنفسنا، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾.

الدر المنثور (٥٦٠/٧)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

١) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال محمد بن منذر: كنت أمشي مع الخليل بن أحمد، فانقطع نعلي، فمشيت حافيًا، فخلع نعليه وحملها يمشي معي، فقلت له: ماذا تصنع؟ فقال: أواسيك في الحفاء.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٤٢/٢)

٢) إذا مرض المسلم عاده المسلمون، وإذا افتقر أعانوه، وإذا أحسن شكره، وإذا كان مظلومًا نصره، وإذا ظلم ردعوه؛ دينهم نصيحة وأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾؟

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٨٩)

٣) إن الإسلام لم يضع للمسلم الخيار في الوحدة، بل وضع هذه الوحدة الإسلامية موضع الأسس الكبرى من الدين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٢٨٦)

٤) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ بقدر طاقة الإيمان في قلوبنا؛ نتخطى الحدود والجنسيات ونحبهم.

د. عبدالله بلقاسم

٥) يقول أحدهم: لقيت بمنى شابًا غير عربي، يحمل شيخًا كبيرًا فوق ظهره، فأردت أن أشكره لبرّه، فقلت: جزيت خيرًا لبرك بأبيك، فقال: لكنه ليس أبي، ولا من بلدي، قلت: فمن إذن؟ قال: وجدته بعرفة ليس معه أحد، فحملته على ظهري إلى مزدلفة، ومنها إلى منى، قلت: لم فعلت ذلك؟! فقال: سبحان الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

(٦) من أعظم حواجب الرحمة: عدم القيام بحق المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٠)

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(١) هل المستهزئ يستشعر هذا المعنى؟

قال القرطبي معلقاً على قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ :

وبالجملة فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو إذا عاهة في بدنه، أو غير لبيق في محادثته؛ فلعله أخلص ضميراً، وأنقى قلباً من هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقيق من وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله.

الجامع لأحكام القرآن (٣٢٥/١٦)

(٢) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ عسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، وهو الغالب والواقع؛ فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٠١)

(٣) ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ من أعظم التعيير: إظهار التعيير وإشاعته في قالب النصح، وقد عدَّ الله من خصال المنافقين إظهار أمرٍ حسنٍ ويراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن.

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٢٧٢/١)

(٤) أركان الأخلاق:

١ - حفظ المراتب: كحفظ مرتبة النبي ﷺ: ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾

٢ - مراعاة العواقب: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾

٣ - تحري المناقب، وتجنب المثالب: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

د. مصطفى البجاوي، تفسير سورة الحجرات (شريط)

(٥) قال بعض السلف: «أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين». علق ابن رجب قائلاً: يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة؛ فإنه لا يدري متى يفجأه الموت، فمن أصبح أو أمسى على غير توبة، فهو على خطر؛ لأنه يخشى أن يلقي الله غير تائب؛ فيحشر في زمرة الظالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

تفسير ابن رجب الحنبلي (١/٣١٤)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢)

(١) التحذير من الذنب وسببه واضح في كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فانظر لهذا الترتيب: إذا ظن الإنسان بأخيه شيئاً، تجسس عليه؛ فإذا تجسس، صار يغتابه.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢/١٢١)

(٢) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ هذه الآية أصل في سد الذرائع وتعليم الورع؛ فلأجل بعض الظن نجتنب كثيره!

د. عبدالمحسن المطيري

(٣) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أمر الله المؤمنين أن يجتنبوا الظن، وكأنه شيء مائل للعيان يمر عليه الإنسان، فعلى العاقل أن يجتنبه تماماً؛ لأن بعض هذا الظن أي القليل منه إثم، فلأجل هذا القليل يُترك الكثير، ولو أن الناس أخذوا بهذا التوجيه واجتنبوا الظن -إلا فيما غلبت أدلته- فلم يفكروا فيه؛ لأراحوا واستراحوا.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

(٤) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ جرّبت سوء الظن بالناس وحسن الظن بهم؛ فوجدت الأول قطعة من لهب النار، والثاني نسيماً من نعيم الجنة، تمشي به بين الناس محبوباً متفائلاً نشيطاً باذلاً.

د. محمد الخضير

(٥) ﴿يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تأمل كيف نَفَّرَ القرآن من الغيبة على أبلغ وجه، إذ جعل المحبة متجهة إلى ما لا يميل إليه الطبع - وهو أكل لحم الميت-، وزاد الصورة شناعة أن جعل الميت إنسانًا، وأخًا لمن يأكله! ولا يقارف ذلك إلا حيوان متوحش، لا يخضع لتشريع، ولا عهد له بتهديب.

الخضر حسين، المجموعة الكاملة (٨١٩/٢)

(٦) كم هدمت الظنون السيئة من بيت؟ وكم حطمت من قلب؟ يعمد الواحد مئًا عند وجود أدنى شك بالتجسس أو الاختبار برسالة جوال أو بتدبير اتصال، وهذا كله بنص القرآن محرم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وفي الحديث: «وَلَا تَحَسَّسُوا»^(١).

د. عصام العويد

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدًا بنسبه، ولا يذم أحدًا بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٣٠/٣٥)

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

إلى من عاش مواسم الطاعة: تفقد قلبك عند كل عبادة تقترب بها إلى الله؛ خوفًا من أن يخالطها إعجاب أو منة بأن هذا منك فتهلك، فنعمة الله عليك ومنته بأن وفقك لهذه القرية، أعظم من أداءك لها! ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

أ.د. ناصر العمر

(١) البخاري ح(٥١٤٣)، ومسلم ح(٢٥٦٣)، وأبو داود ح(٤٩١٧)، وأحمد ح(٧٨٥٧).



سورة ﴿ق﴾ ما من أحد يرددها، فيفتح مسامع قلبه لها إلا فتحت كل السدود التي تراكت بسبب الذنوب. إن الأمر بقوله: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ (ق: ٢٤)، هو نفسه القائل ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلْوَةٍ﴾ (الحجر: ٤٦)، هو أيضًا الأمر: ﴿تَخُنُّ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥)، فيا قارئ ﴿ق﴾ ق: ١، قد لا تنجو من الأولى وتظفر بالثانية إلا بالثالثة.

د. عصام العويد

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (١)

قسم بالقرآن، والقسم به دلالة على التنويه بشأنه؛ لأن القسم لا يكون إلا بعظيم عند المقسم، فكان التعظيم من لوازم القسم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٦/٢٦)

﴿بَلْ يَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٢)

عندما تخضع العقول تفكيرها: للإلف، والعادة، والتقليد، والهوى، دون تجرد لاتباع الحق، فإنها ستنكر البدهيات، وتعارض المسلمّات.

أ.د. ناصر العمر

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ﴾ (٤)

عبر بالانتقاص دون التعبير بالإعدام والإفناء؛ لأن للأجساد درجات من الاضمحلال تدخل تحت معنى النقص، فقد يفنى بعض أجزاء الجسد ويبقى بعضه، وقد يأتي الفناء على عامة أجزائه، وقد صح أن عجب الذنب لا يفنى، فكان فناء الأجساد نقصًا لا انعدامًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٨٣/٢٦)

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ (٥)

(١) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ هكذا كل إنسان يرد الحق أول مرة، فليعلم أنه سيبتلى بالشك والريب في قبول الحق في المستقبل؛ ولهذا يجب علينا من حين نسمع أن هذا الشيء حق أن نقول: سمعنا وأطعنا.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (٧٥-٧٦)

(٢) في هذه الآية: أن مما يفتح الله به على العبد في معرفة الأحكام الشرعية أن يكون مصدقاً موقناً، فكلما كنت مصدقاً موقناً، فاعلم أن الله سيفتح لك ما لا يفتحه لغيرك، وعليه: فالواجب على المرء أن يقبل الحق فور علمه به؛ لئلا يقع في أمر مريج.

ابن عثيمين، اللقاء الشهري (١/٥)

(٣) في وصف رأي الكفار فيما جاء به النبي بأنه ﴿مَرِيجٍ﴾ دلالة على أن رأيهم باطل ليس بصحيح؛ لأن الجزم الصحيح لا يتغير ولا يتبدل أما هم فكان أمرهم مضطرباً فهم كما قال الله: ﴿إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ تُخَلِّفُ﴾ (الذاريات: ٨).

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣٣/٢٨)

(٤) إذا رأيت الرجل يتناقض في مواقفه وآرائه، فاعلم أنه لا ينطلق من قاعدة صلبة، أو رؤية واضحة، وإنما يعيش لحظته، وتتحكم به الظروف المحيطة؛ تأمل قوله سبحانه: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، ثم تدبر ما بعدها من آيات تجد عجباً!

أ.د. ناصر العمر

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦)

قد يقول قائل: إن كلمة ﴿فَوْقَهُمْ﴾ لا فائدة منها، لأن السماء معروفة أنها فوق، والحكمة في التنصيص عليها هنا؛ إشارة إلى عظمة هذه السماء، وأنها مع علوها وارتفاعها وسعتها وعظمتها تدل على كمال خلقه وقدرته ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (٧٧)

﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾

(١) شرط الله الإجابة في الفهم والتذكير؛ فقال تعالى: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ وقال: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة، فليس من ذوي الأبواب؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٥٢/٢)

(٢) قيد الله التبصرة والذكرى للعبد بوصفه ﴿ مُّنِيبٍ ﴾ وهو -الراجع إلى مولاه-؛ لأنه هو المنتفع بالذكرى، وفي قوله تعالى بعدها: ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ﴾ ق: ١١، أطلق الوصف بغير تقييد؛ لأن الرزق حاصل لكل أحد، غير أن المنيب يأكل ذاكراً شاكراً للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام!

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣٦/٢٨)

(٣) ذكر الله تعالى بعض آياته في الأرض، ثم قال: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ أي: قدرنا الأرض، وألقينا فيها الرواسي، وأنبتنا فيها أصناف النبات الحسنة؛ لأجل أن نبصر عبادنا كمال قدرتنا على البعث وعلى كل شيء، وعلى استحقاقنا للعبادة دون غيرنا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٢٤/٧)

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾؟ هذه من براهين البعث؛ لأن من لم يعي بخلق الناس، ولم يعجز عن إيجادهم الأول لا شك في قدرته على إعادتهم وخلقهم مرة أخرى؛ لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من البدء.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٢٥/٧)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾

فإياك أن تضمير في قلبك شيئاً يحاسبك الله عليه، أما الوسواس التي تطرأ على القلب، ولا يميل الإنسان إليها -بل يحاول دفعها- فلا تضره بل هي دليل إيمانه، فالشيطان إنما يلقي الوسواس على القلب السليم، أما غير السليم، فالشيطان لا يوسوس له؛ لأنه قد انتهى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد (٣٦٣)

﴿ إِذْ بَلَغَى الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ إِذْ بَلَغَى الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ أي: الملكين الذين يكتبان الحسنات والسيئات، وفي بعض الآثار: أنت تجري في معصية الله وفيما لا يعينك، ألا تستحي من الله ولا منهما؟!
ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد (٢٦٩/٧)

﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

(١) في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداها لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها.
ابن القيم، الجواب الكافي (١٦١)
(٢) فإذا كانت الأقوال تكتب، فالأفعال من باب أولى؛ فعليك أن تتقي الله ﷻ، ولا تخالفه، إذا سمعت الله يقول خبرًا، فقل: آمنت به وصدقت، وإذا سمعت الله يأمر بأمر، فقل: آمنت به وسمعتًا وطاعة، أو نهياً فقل: آمنت به وسمعتًا وطاعة.
ابن عثيمين، تفسير سورة القمر (٢٩٧)

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾

(١) لما احتضر أبو بكر، تمثلت عائشة ببيت من الشعر، فكشف أبو بكر عن وجهه، وقال: ليس كذا، ولكن قولي: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾
الإمام أحمد، الزهد (١٠٩)

(٢) وصف الله تعالى شدة الموت في أربع آيات:

١ - ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾

٢ - ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ (الأنعام: ٩٣).

٣ - ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الحُلُقُومَ ﴾ (الواقعة: ٨٣).

٤ - ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (القيامة: ٢٦).

فرحم الله عبداً أعد لذلك المصرع!

القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١٨١)

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

(١) ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ ﴾ قال الفضيل بن عياض: هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله منها.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٦/٧)

ومما يدخل في هذا المعنى أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(١) أي: من تذكره لعظمة الله ولقائه، ونحو ذلك من المعاني التي ترد على القلب.
(٢) من رجع عن المخالفات خوفاً من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياءً فهو منيب، ومن رجع تعظيماً لجلال الله سبحانه فهو أواب.

ابن علان، دليل الفالحين (٩٠/١)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٣٦) **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴿٣٧﴾

(١) من أوضح ما يكون لذوي الفهم: قصص الأولين والآخرين، قصص من أطاع الله وما فعل بهم، وقصص من عصاه وما فعل بهم، فمن لم يفهم ذلك ولم ينتفع به، فلا حيلة فيه. كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾؛ ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول (٨)

(٢) من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين: إما رجل رأى الحق بنفسه فقبله واتبعه؛ فذلك صاحب القلب، أو رجل لم يعقله بنفسه، بل هو محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه؛ فهذا أصغى فألقى السمع وهو شهيد، أي: حاضر القلب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣١١/٩)

(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ ولم يقل: (استمع)؛ لأن إلقاء السمع، أي: يرسل سمعه ولا يمسكه وإن لم يقصد السماع، أي: تحصل الذكرى لمن له سمع، وهو تعريض بتمثيل المشركين بمن ليس له قلب وبمن لا يلقي سمعه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٠/٢٦)

(٤) وفي قوله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ إشارة إلى أن مجرد الإصغاء لا يفيد، ما لم يكن المصغي حاضراً بفطنته وذهنه. وفي الآية ترتيب حسن؛ لأنه إن كان ذا قلب ذكي يستخرج المعاني بتدبره وفكره؛ فذاك، وإلا فلا بد أن يكون مستمعاً مصغياً إلى كلام المنذر؛ ليحصل له التذكير.

النيسابوري، غرائب القرآن (١٧٩/٦)

(١) البخاري ح (٦٦٠)، ومسلم ح (١٠٣١)، والترمذي ح (٢٣٩١)، ومالك ح (٣٥٠)، وأحمد ح (٩٦٦٥).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٣٨)
 ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٣٩)

فتأمل قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ فإن أعداء الرسول ﷺ نسبوه إلى ما لا يليق به، وقالوا فيه ما هو منزعه عنه، فأمره الله ﷻ أن يصبر على قَوْلهم، ويكون له أسوة بربه سبحانه، حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٣٤٠/٢)

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ (٤٢)

من السنة قراءة سورة (ق) في صلاة العيد، ومناسبة ذلك قوله تعالى فيها: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (ق:١١)، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا لِيََسِّرَ ﴾ (ق:٤٤)، فخرج المرء للعيد يوم الزينة ينبغي أن لا ينسيه خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم بطراً فخوراً، ولا يرتكب فسقاً ولا فجوراً.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٢٥/٢٨)

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا لِيََسِّرَ ﴾ (٤٤)

جعل الله لهذا المنظر مثلاً مقرباً - مع بعد ما بين المثلين -، فالحج مظهر مصغر ليوم الحشر، يعيشه المرء، فيدفعه للعمل الصالح، وينشطه في مجال الخير، ويهزم باعث المعصية في نفسه، ويبقى ذكر الموت وما بعده بين عينيه، وفي هذا من الآثار العظيمة ما يلمسه كل حاجج مع نفسه.

د. ناصر الأحمد

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (٤٥)

﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ دعاء القنوت لا ينبغي الإطالة فيه، وجعله موعظة في سجع متكلف، وترنيم وتطريب، يستثير به عواطف الناس، ويستدعي بكاءهم، بما لا تجد معشراه أثناء قراءة القرآن، والقرآن أعظم واعظ.

علوي السقاف، مأخذ على بعض الأئمة (مقال على الشبكة)

سورة الداريات

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

هذه سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم، ويستقله، ويعتذر من التقصير.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧٥/٢٨)

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(١) قال قتادة في الآية: من تفكر في خلقه، علم أننا لئنت مفاصله للعبادة.

الدر المنثور (٦١٩/٧)

(٢) تأمل كيفية خلق الرأس، وكثرة ما فيه من العظام، حتى قيل إنها خمسة وخمسون عظامًا، مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع، وكيف ركبه ﷻ على البدن، وجعله عاليًا علو الراكب على مركوبه؟ ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٩/١)

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

لقد أقسم ربنا في كتابه بكثير من مخلوقاته: أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالليل، وبالفجر، فلما ذكر الرزق أقسم بذاته ﷻ فقال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴾ .

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٨)

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

في الآية ترغيب في أن يكون أهل الإنسان -ومن يتولى شؤون بيته- حازمين، مستعدين لكل ما يراد منهم من الشؤون والقيام بمهمات البيت؛ فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله، فوجد طعام ضيوفه حاضرًا لا يحوج إلا إلى تقديمه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (٣٧٧)

﴿ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (٣١)

سئل الضحاك عن قوله تعالى: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، و﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الذاريات: ٤١، و﴿عَذَابٌ يَوْمِ عَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٥)، فقال: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ التي لا ولد لها، و﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ التي لا بركة فيها ولا منفعة ولا تلتفح، وأما ﴿عَذَابٌ يَوْمِ عَقِيمٍ﴾ فيوم لا ليلة له.

الدر المنثور (٦٢٠/٧)

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنَ طِينٍ ﴾ (٣٣)

استقراء عالم:

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ متى اتصلت (أرسل) ب (على) فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب، ومتى اتصلت ب (إلى) فهي أخف.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٦١/٥)

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦)

(١) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دون أن يقول: فأخرجنا لوطًا وأهل بيته؛ قصدًا للتنويه بشأن الإيمان والإسلام، أي: أن الله نجّاهم من العذاب لأجل إيمانهم بما جاء به رسولهم، لا لأجل أنهم أهل لوط.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩/٢٧)

(٢) قال قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: لو كان فيها أكثر من ذلك، لنجاهم الله؛ ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله.

الدر المنثور (٦٢٠/٧)

(٣) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فانتبه يا أخي الداعية، لا تجزع إذا دعوت، فلم يستجب لك من المائة إلا عشرة، فالرسل صلوات الله عليهم يبقون في أمهم دهورًا كثيرة، ولا يتبعهم إلا القليل.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٥٠)

﴿ وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا يَأْتِيهِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧)

آيات ثلاث قلبت حياتي وقادت قلبي للإسلام:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا يَأْتِيهِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّهُمَا ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبا: ٦-٧).

لا يمكن لأحد أن يكتشف هذه الحقائق قبل (١٤ قرناً!) إن وراءها قدرة إلهية بلا شك..
فقادني ذلك للغوص في أعماق القرآن؛ حتى اكتشفت جملة من الحقائق أنارت أمامي الطريق^(١).

ريتشارد فيرلي، كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب البريطانية

﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥٠)

(١) وسمى الله الرجوع إليه فراراً؛ لأنَّ في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المحابِّ والأمن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨١١)

أفرُّ إليك منك وأين إلا إليك يفرُّ منك المستجير

(٢) ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ هكذا يطمئن المؤمن؛ لأنه يعرف إلى أين يفر حين تصيبه مصيبة، أو يداهمه همٌّ، فأما في عالم الأشقياء فهم يهربون إلى المخدرات، فلا يجدون إلا الوبال، وإلى الشهوات المحرمة، فلا ينالون إلا الأوبئة التي حرمتهم الشهوات، فأين يذهبون؟! هم والله لا يدرون.

د. سفر الحوالي

﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٥٢)

دلالة على أنهم إنما اتفقوا؛ لأن قلوبهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطغيان، فتشابهت مقالاتهم للرسول لأجل تشابه قلوبهم.

الشنقيطي، أضواء البيان (٦٧٠/٧)

(١) نشره عدد من الصحف، منها: الشرق الأوسط في عددها الصادر يوم السبت ٢٨ صفر ١٤٣١ هـ الموافق ١٣ فبراير ٢٠١٠ العدد ١١٤٠٠.

﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

١) هنا فتش عن نفسك؛ هل أنت إذا دُكرت بآيات الله وحُوفت من الله ﷻ، هل أنت تتذكر أم يبقى قلبك قاسياً؟ إن كانت الأولى، فاحمد الله؛ فإنك من المؤمنين، وإن كانت الثانية، فحاسب نفسك، ولا تلومن إلا نفسك، وعليك أن ترجع إلى الله؛ حتى تنتفع بالذكرى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٦٦)

٢) إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى فاتهمه؛ لأن الله يقول: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالذكرى لا بد أن تنفع المؤمنين.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (١٨١)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

أي: إلا لأمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي، وأبتليهم وأختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية؛ لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.

الشنقيطي، أضواء البيان (٦٧٣/٧)

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ ﴾

انظر كيف سمي الله تعالى السابقين بأزمان بعيدة أصحاباً لهؤلاء؛ وذلك لاتفاقهم في التكذيب، ورمي الرسل بما لا يستحقون، فهم أصحاب في الواقع، وإن تباعدت الأزمان والأماكن.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٧٠)

سورة الطور

﴿ وَالطُّورِ ١ ﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ ﴿﴾

أقسم سبحانه بسيد الجبال، وسيد الكتب، ويكون ذلك متضمنًا للنبتين المعظمتين: نبوة موسى ونبوة محمد، وكثيرًا ما يقرن بينهما وبين محلها كما في سورة «التين».

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٢٦٥)

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ ﴾

١) وهذا البيت هو كعبة أهل السماء؛ ولهذا رأى نبيُّنا محمد ﷺ نبيَّ الله إبراهيم الخليل ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٨٨/٤)

٢) إذا قرأت هذه الآية، وعلمت أن الله يقسم بهذا البيت الذي في السماء السابعة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، تيقنت أن في السماء والأرض عباداً غيرك يعبدون الله، لكن ليس لك ولا لغيرك إلا الله، وأنه سبحانه غنيٌّ عن كل خلقه، وكل خلقه -بلا استثناء- فقير إليه شاء أم أبى، وهذا الذي يتركه أثر القرآن في نفوسنا إذا تلوناه وتدبرناه.

صالح المغامسي

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفِعٌ ٧ ﴾

هذه والله جملة عظيمة مؤثرة، لكنها لا تؤثر إلا على قلب لين كلين الزبد أو أشد، أما القلب القاسي فلا يهتم بها، تمر عليه وكأنه حجارة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الطور (١٧٨-١٧٧)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آَلَتْهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلِّ
أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

دلت هذه الآية على أن شفقة الأبوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة؛ ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يؤلَّهُم بأولادهم بل يجمع بينهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠٨ / ٢٨)

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

يقول جبير بن مطعم ؓ سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآيات: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال: كاد قلبي أن يطير^(١)!

والسؤال: كم مرة توقفنا عند هذه السورة، وهذه الأسئلة العظيمة القائمة لكل شبهة؟!

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾

هذه الآية ينبغي أن يقرها كل مؤمن في نفسه؛ فإنها تفسح مضائق الدنيا.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٩٤/٥)

(١) البخاري ح (٤٨٥٤)، وابن ماجه ح (٨٣٢).

سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾

(١) الضلال يكون من غير قصدٍ من الإنسان إليه، والغى كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، فنفى الله تعالى عن نبيه ﷺ هذين الحالين، فلا هو ضل عن جهل، ولا غوى عن قصدٍ، تأمل:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٧٧/٥)

(٢) فوصفه بأنه ليس بضال وهو الجاهل، ولا غاوي وهو الظالم؛ فإن صلاح العبد في أن يعلم الحق ويعمل به، فمن لم يعلم الحق، فهو ضالٌّ عنه، ومن علمه فخالقه واتبع هواه، فهو غاوي، ومن علمه وعمل به، كان من أولي الأيدي عملاً ومن أولي الأبصار علمًا.

ابن تيمية، جامع المسائل (٨٥/٣)

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾

جرت العادة أن الإنسان إذا دخل منزلاً غريباً، تجده ينظر يميناً وشمالاً في هذا المنزل، وخصوصاً إذا تغير تغيراً عظيماً، في هذه اللحظة لا بد أن ينظر ما الذي حدث، لكن لكمال أدب النبي ﷺ ورباطة جأشه، وتحمله ما لا يتحملة بشر سواه، صار في هذا الأدب العظيم؛ ولهذا قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ابن عثيمين، تفسير سورة النجم (٢١٢-٢١٣)

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

(١) افتراءات المشركين وكذبهم على رب العالمين إنما يدفعهم إليها أمران: الظن والهوى، وقد جمعا في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، وهما ما يصد المشركين عن اتباع الحق.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٦٣)

(٢) كل من خالف الرسول ﷺ، فلا بد أن يتبع الظن وما تهوى الأنفس: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٧/١٣)

(٣) نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب، فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾. الغزالي، خلق المسلم (٣٢)

﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ (٢٥)

بدأ بالآخرة؛ لأن ملك الله في الآخرة يظهر أكثر مما في الدنيا، فالدنيا فيها ملوك، وفيها رؤساء، وفيها زعماء، يرى العامة أن لهم تدبيراً، لكن الآخرة لا يوجد فيها هذا ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

ابن عثيمين، تفسير سورة النجم (٢١٨-٢١٩)

﴿ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَمَاءٍ فِي صُحُفٍ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزَرُ وَإِرْزَ وَذَرَأُخْرَى ﴿٣٨﴾ ﴾

طلب بعض الولاة رجلاً، فأفلت منه، فأخذ أخاه، وقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، قال الرجل: أرايت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين، تحلّي سبيلي؟ قال الوالي: نعم، قال الرجل: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين: موسى وإبراهيم: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَمَاءٍ فِي صُحُفٍ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزَرُ وَإِرْزَ وَذَرَأُخْرَى﴾ قال الوالي: خلّوا سبيله.. هذا رجل لقن حجته.

الوافي بالوفيات (٢٤٦/٧)

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ (٤٢)

متضمنة لكثرة عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يُرد لأجل الله، ويتصل به، وإلا فهو مضمحل، منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يجب لأجله فمحبتته عناء وعذاب.

ابن القيم، الفوائد (٢٠٢)

سُورَةُ الْقَمَرِ

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾

خطب حذيفة بن اليمان بالمدائن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق.

الدر المنثور (٦٧٢/٧)

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾﴾

كل شيء إلى غاية؛ فالحق يستقر ظاهراً ثابتاً، والباطل يستقر زاهقاً ذاهباً.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢١٢/٥)

﴿حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ هذا من أدق التشبيهات؛ لأن الجراد المنتشر تجده يذهب يميناً ويساراً، لا يدرى أين يذهب، فهم سيخرجون من الأجداث على هذا الوجه، بينما هم في الدنيا لهم قائد، ولهم أمير، ولهم موجه يعرفون طريقهم، وإن كان طريقاً فاسداً.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٦٦)

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ ولم يقل: (وفجرنا عيون الأرض)، فكأن الأرض كلها كانت عيوناً متفجرة، حتى التنور الذي هو أبعد ما يكون عن الماء لحرارته وبيوسته صار يفور، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ (هود: ٤٠).

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٧٠)

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

إنما ذكر الله تعالى مادة صنع السفينة، وأنها من الأخشاب والمسامير، أو الروابط التي تربط بين تلك الأخشاب؛ ليكون ذلك تعليماً للبشر أن يصنعوا السفن على هذا النحو.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٧١)

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾

(١) أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم، فمن فتشه بيد الفهم، وحادثه في خلوة الفكر؛ استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٢٣)

(٢) هو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم، لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، ميسر لكل من أراد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾.

د. محمد دراز، النبأ العظيم (١٤٣)

(٣) القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد، ولا مرآة لعقلية شعب، ولا سجلاً لتاريخ عصر، وإنما هو كتاب الإنسانية المفتوح، ومنهلها المورد، فهما تتباعد الأقطار والعصور، ومهما تتعدد الأجناس والألوان واللغات، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات، سيجد فيه كل طالب للحق سبيلاً ممهّداً، يهديه إلى الله، على بصيرة وبينة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾.

د. محمد دراز، الذين ١٧٢

(٤) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ قوله: ﴿لِلذِّكْرِ﴾ قيل في معناه أقوال، وأقربها للصواب: الادكار والاتعاظ، أي: أن من قرأه ليتذكر به ويتعظ به، سهل عليه ذلك واتعظ وانتفع، ومما يرجح هذا: قوله بعد ذلك: ﴿فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ يعني: هل أحد يذكر؟ مع أن الله سهل القرآن للذكر، أفلا يليق بنا وقد سهله الله للذكر أن نتعظ ونتذكر؟ بلى!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٧٣)

(٥) ابذل من نفسك، واتعب في تحصيل القرآن، أما أن تتمنى وتسترخي وتخطط ولا تنفذ، فلا يمكن أن تحفظ بهذه الطريقة، أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ فالتيسير هذا لا ينافي المشقة عند بعض الناس، والله ﷻ إذا علم صدق النية من الشخص، أعانه عليه ويسره له.

د. عبد الكريم الحضير

٦) يا قائم رمضان: استجمع الفؤاد، وعش مع هذه الآيات في عظاتها! عش مع أهل الجنة في نعيمهم وسرورهم؛ حتى تتحرك النفس إلى الجنان، وعش مع أهل النار في جحيمهم وسعيرهم، فإن هذا يزيك الفؤاد حال تذكركما، ويكسبه الرقة والخوف من رب العباد، فما تفكر عبد في آيات القرآن إلا تذكر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ فكن ذلك المدكر!

د. محمد المختار الشنقيطي

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٨)

ما فائدة تكرار قوله تعالى عن قوم عاد: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، في ابتداء القصة وفي آخرها؟ الجواب: أن الأولى تخبر عن عذابهم في الدنيا والثانية عن عذابهم في الآخرة؛ وذلك أن الله اختص عادًا بذكر عذابين لها في قوله تعالى: ﴿لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْجَزَاءِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦)، ويصح أن تكون الأولى قبل وقوع العذاب والثانية بعد وقوعه؛ توبيخًا لهم.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٦٤)

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَبْنَاهُمْ وَأَصْطَرِبْنَا﴾ (٢٧)

١) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله تعالى قد يظهر للإنسان من الآيات ما يؤمن على مثله البشر؛ حتى إذا استكبر كان استكباره عن علم، فكان عقابه أشد وأوجع؛ ولهذا جعل الله الناقة فتنه؛ لأنها أظهرت الحق لهم، ولكن لم يقبلوه.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٨١)

٢) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ انتبه لهذا الاستدراج من الله ﷻ، إذا يسر لك أسباب المعصية، فلا تفعل؛ فإن الله ربما ييسر أسباب المعصية للإنسان فتنه له.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٨١)

﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْرِي مَن شَكَرَ﴾ (٣٥)

الشكر وقت الرخاء من أهم أسباب النجاة وقت الشدة، تأمل منة الله على نبيه لوط ﷺ بنجاته: ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْرِي مَن شَكَرَ﴾.

د. عمر المقبل

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾﴾

عن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ﴾، يرددّها ويبكي ويتضرع.

تاريخ بغداد (٤٨٩/١٥)

والسؤال: كم مرة مررنا بهذه الآية ولم تحرك فينا ساكنًا؟

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ إن شئت أن ترى عجائب ذلك فانظر إلى الزلازل التي تصيب مئات القرى، بل آلاف القرى، وبلحظة واحدة تعدمها! لو جاءت المعاول والآلات والقنابل، لم تفعل مثل فعل لحظة واحدة من أمر الله ﷻ!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٩٤)

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾

حتى الشوكة يشاكيها الإنسان تكتب، حتى ما يزن مثقال ذرة من الأعمال يكتب، وإذا أمنت بذلك- ويجب عليك أن تؤمن به- فإنه يجب عليك الحذر من المخالفة، فإياك أن تخالف بقولك، أو فعلك، أو تركك؛ لأن كل شيء مكتوب.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٩٧)

﴿إِنَّ اللَّئِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾

من بركة الإقبال على القرآن حسن الخاتمة: فقد مات ابن تيمية ﷻ وقد وقف في القراءة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّئِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾، وأخر آية فسرّها العلامة الشنقيطي هي: ﴿أَوْلَيْتِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢) وغير ذلك كثير جدًا، فنسأل الله تعالى حسن الختام.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

تأمل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۙ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ (٤)﴾ كيف جعل الخلق والتعليم ناشئاً عن صفة الرحمة، متعلقاً باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: ﴿بَنَزَلْنَا آتَمَّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۙ (الرحمن: ٧٨)﴾، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذُكر عليه، بورك فيه، وكل ما خلي منه، نزعته منه البركة.

ابن القيم، مختصر الصواعق (١٢٤/٢)

﴿الرَّحْمَنُ ۙ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۙ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ (٤)﴾

(١) في تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان إيذاناً بمكانته، وإعلاماً بشأنه وهدايته، ولولا فضل الله بتعليم القرآن، لكان الإنسان أسيراً وعبداً لذنياه، فليكن القرآن مقدماً في حياتنا؛ لنبصر -على هداه- جميع أمرنا.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (٤٦٣)

(٢) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ (٤)﴾ الإنسان بالأمس نطفة، واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام يجادل في ربه، وينكر قدرته على البعث، فالمنافاة العظيمة التي بين النطفة وبين الإبانة في الخصام -مع أن الله خلقه من نطفة وجعله خصيماً مبيئاً-: آية من آياته ﷻ، دالة على أنه المعبود وحده، وأن البعث من القبور حق.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧٣٥/٧)

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۙ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۙ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۙ (٩)﴾

(١) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۙ﴾ اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفى لك؛ فإن العدل يصلح الناس.

الدر المنثور (٦٩٢/٧)

(٢) تقدم الميزان وتكرر في ثلاث آيات متتابعات في سورة الرحمن: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾؛ لأنه دين العدل، وبه قامت السماوات والأرض!

د. عبدالله الغفيلي

﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

(١) لما جاءت سورة الرحمن بذكر نعم تجل عن الإحاطة بالوصف ويعجز العارف بها عن شكرها، تكرر قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، في عامة السورة؛ وذلك أنها نعم ظاهرة مشاهدة لكل مخلوق، ولا طمع لأحد في نسبتها لغير الله تعالى، فتتابع التكرار واشتد الإنكار على من كذب بشيء من ذلك.

الغرناطي، ملاك التأويل (١٠٦١)

(٢) إذا تأملت سورة القمر بسورة الرحمن؛ تنبيهًا للثقلين، وإعذارًا إليهم، وتقريرًا على ما أودع سبحانه في العالم من العجائب، والبراهين الساطعة، فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ خطابًا للجنسين، فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان.

ابن الزبير الغرناطي، نظم الدرر (٢٩٣/٨)

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الإنس والجن والملائكة وكل المخلوقات ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ وفي هذا حفاوة بالدعاء والسؤال، والتعرض لنفحات ذي الجلال؛ فإنها مظنة تعجيل التبديل والتغيير، فإذا سألوه وألحوا في سؤالهم، كان من شأنه أن يجيب سائلهم، ويغير أحوالهم من الهوان والتخلف والجهل والمرض والفرقة والضياع إلى الرفعة والمجد والعلم والعافية والاتحاد، وهذه مناسبة اتصال أول الآية بآخرها.

د. سلمان العودة

﴿يُعَرَّفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤَخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١)

في الآخرة لا تسجل القضية ضد مجهول! ﴿يُعَرَّفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾ بعلامات تظهر عليهم: كالزرقة: ﴿وَنَحْشُرُ الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طه: ١٠٢، وسواد الوجه: ﴿وَسَوْدٌ أُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦).
د. سعد العتيبي

﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦)

يقول أحد الإخوة: كم من معصية في الخفاء منعي منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦)، إنها آية واحدة تغني عن كثير من المواعظ^(١).

﴿فِيَن قَصِرَتُ الْأُطْرَفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٥٦)

قال الحسن رضي الله عنه: قاصرات الطرف على أزواجهن لا يردن غيرهم، والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.

الدر المنثور (١٤٣/١٤)

وفي هذا دلالة على عظم خلق الحياء، وأنه ممتد إلى عالم الآخرة.

(١) من آثار وبركات هذه الرسالة على إخواننا المشتركين، ما سطره بعض المشتركين - بارك الله فيه - حيث قال: (سبحان الله! أوشكت على أن أقترف معصية، فجاءت رسالتكم وفيها: ﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) فأعانتني على تركها، فجزاكم الله خيراً، ولا تنسوننا من دعائكم) انتهت رسالته.
ونقول: هكذا فليكن التدبر، وهل يراد من القرآن إلا تدبره والعمل به؟ فأكثر الله في المسلمين من أمثاله.



١) قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٩٤)

٢) هل تأملت كيف تحدّثت (الواقعة) عن ثواب المؤمنين وعقوبة أصحاب الشمال؟ ففي الحديث عن ثواب المؤمنين لم يذكر سبب الثواب، وحينما ذكر عذاب أصحاب الشمال بين سبب تعذيبهم. والحكمة في ذكر سبب عذابهم، مع أنه لم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم، فلم يقل: إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مدعنين؛ التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل، لا تستوجه طاعة مطيع، وشكر شاكر، وأن العقاب منه تعالى عدل، فإذا لم يعلم سبب العقاب يظن أن هناك ظلمًا. روح البيان، إسماعيل حقي (٩/٣٢٨)

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١ ﴾

ابتداء الله هذه السورة بجملة شرطية عن وقوع الساعة، حذف جوابها؛ ليذهب الذهن في تقديره كل مذهب، ويسلك في تفخيمه كل طريق!

ابن عثيمين، الضياء اللامع (٢/٣٦١)

﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ٣ ﴾

١) قال زيد بن أسلم: من انخفض يومئذ؛ لم يرتفع أبدًا، ومن ارتفع يومئذ؛ لم ينخفض أبدًا. الدر المنثور (٨/٥)

٢) في الآية تعظيم لشأن يوم القيامة، وترغيب وترهيب؛ ليخاف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فيطيعوا الله، ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضًا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧/٧٦٤)

٣) قال تعالى عن القيامة: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ يعني: هي خافضة رافعة، فأهل العلم والإيمان هم الذين لهم الرفعة في الدنيا والآخرة، ومن سواهم فإنهم موضوعون بحسب بعدهم عن العلم والإيمان، وتخفّض أهل الجهل والعصيان، وكم من إنسان في الدنيا رفيع الجاه، معظم عند الناس، يكون يوم القيامة من أحقر عباد الله!؟

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٢٧، ٣٢٨)

﴿وَفَكَهْمَةٌ مِمَّا يَنْخَيْرُونَ ﴿٢٠﴾ وَالْحَمِيرُ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

قدم ذكر الفاكهة على اللحم؛ لأن الفواكه أعز، ولذلك جعل التخيير للفاكهة، والاشتهاء للحم؛ ولأن الاشتهاء أعلق بالطعام منه بالفواكه، فلذة كسر الشهية بالطعام لذة زائدة على لذة حسن طعمه، وكثرة التخيير للفاكهة فيه لذة أخرى هي لذة تلوين الأصناف فهم من لذة عظمى إلى مثلها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩٥/٢٧)

﴿عُرْيَا أَرَابًا ﴿٣٧﴾﴾

قال المفسرون: العروب هي العاشقة المتعشقة لزوجها، الغنجات حسنات الكلام مع أزواجهن على الفراش فالصالحة تجمع ولا بد صفتين وهما: تمام الحياء عند غير زوجها، وكمال اللعب والتكسر والتغنج والتعشق والخضوع إذا خلت ببعلمها ولهن مثل الذي عليهن.

د. عصام العويد

﴿أَفْرَاءَ يَتَمَّ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴿٦٥﴾ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

١) ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ حتى الكلمة الطيبة تلقيها، فالله يزرعها في القلوب.

متدبر

٢) ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي: بعد أن يخرج وتتعلق به النفوس يجعله الله حطامًا، ولم يأت التعبير بـ (لو نشاء لم ننبته)؛ لأن كونه ينبت وتتعلق به النفس، ثم يكون حطامًا أشد وقعًا على النفس من كونه لا ينبت أصلًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٤٣)

﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٧١﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

لم يقل: لو نشاء لم نزل؛ لكن قال: لو نشاء جعلناه أجاجًا - أي: مالخًا لا يمكن أن يشرب-، فما الحكمة في اختيار هذه اللفظة: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾؟ لم يقل: لو نشاء لم نزل؛ لأن حسرة الإنسان على ماء بين يديه، ولكن لا يستطيعه ولا يستسيغه أشد من حسرته على ماء مفقود.
ابن عثيمين، الباب المفتوح (٥/١٤٢)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

(١) في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ لطيفة، وهي: أن الله تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعًا؛ ليعلم العبد أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم.
الرازي، مفاتيح الغيب (١٦١/٢٩)

(٢) كلما أوقدت نارًا تتدفأ بها، فتذكر قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ قال الشنقيطي: أي: أن في دار الدنيا إذا أحسوا شدة حرارتها، تذكروا بها نار الآخرة التي هي أشد منها حرًا؛ لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار.
أضواء البيان (٧٩٦/٧)

(٣) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ خص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر.
ابن القيم، طريق الهجرتين (١٤٢)

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

(١) ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بها يهتدى في ظلمات البر والبحر، ثم أتبعها بما يهتدى به في ظلمات الشرك والجهل: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ يهتدى به، فتأمل بين القسم وجوابه.

متدبر

(٢) وصف القرآن بأنه كريم في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ فيه ميزة وهي: أن الكلام إذا قرئ وتردد كثيراً، يهون في الأعين والأذان؛ ولهذا ترى من قال شيئاً في مجلس الملوك لا يذكره ثانياً ولا يكرره، فقوله تعالى: ﴿كَرِيمٌ﴾ أي: لا يهون بكثرة التلاوة بل يبقى أبداً الدهر كالكلام الغض والحديث الطري.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٩)

(٣) القرآن كريم في ثوابه؛ فالحرف بعشر حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وهو كريم في آثاره على القلوب وصلاحتها؛ فإن قراءة القرآن تلين القلب، وتوجب الخشوع لله ﷻ، وكريم في آثاره بدعوة الناس إلى شريعة الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٤٧)

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩)

(١) كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسّه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٤٢/١٣)

(٢) علق البخاري على قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾، فقال: «لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمّله بحقه إلا الموقن المؤمن». قال ابن حجر: «والمعنى: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وأيقن بأنه من عند الله، فهو المطهّر من الكفر، ولا يحمّله بحقه إلا المطهّر من الجهل والشك، لا الغافل عنه الذي لا يعمل».

فتح الباري (٥٠٨/١٣) (بتصرف)

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠)

إشارة إلى أنه يجب علينا أن نعمل به؛ لأن الذي أنزله هو الرب المطاع الخالق الرازق، الذي يجب أن نطيعه بما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٤٩)

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾

ذكر الله الحلقوم دون المريء؛ لأن الحلقوم مجرى النفس، وبانقطاعه يموت الإنسان، فإذا بلغت الروح الحلقوم وهي صاعدة من أسفل البدن إلى هذا الموضع، حينئذ تنقطع العلائق من الدنيا، ويعرف الإنسان أنه أقبل على الآخرة، وانتهى من الدنيا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٥١)

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

عندما أقرأ وصف المحتضر- وهو على عتبات الآخرة- وروحه تودع الدنيا، أترك رهبة الصورة تغزو نفسي، وأنا مستكين: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم (١١)

سورة الحديد

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

إنما خلقها الله في ستة أيام -والله أعلم- لحكمتين:

١- أن هذه المخلوقات يترتب بعضها على بعض، فرتب الله تعالى بعضها على بعض حتى أحكمها، وانتهى منها في ستة أيام.

٢- أن الله علم عبادة التوادة والتأني، وأن الأهم لإحكام الشيء لا الفراغ منه.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٦٥)

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إذا كنت تصدق بذلك، فهل يمكن أن تضمر في قلبك ما لا يرضاه الله؟ إن كنت مؤمناً لا يمكن، فظهر قلبك من الرياء والنفاق، والغل على المسلمين، والحدق والبغضاء؛ لأن قلبك معلوم عند الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات- الحديد (٣٧٣)

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أقرب الخلق إلى الله تعالى أعظمهم رافة ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته.

ابن القيم، الروح (٢٥١)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكُمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

(١) بالشجاعة والكرم في سبيل الله فُضِّل السابقون، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥٨ / ٢٨)

(٢) إنزال الناس منازلهم، ومراعاة مراتبهم في الفضل منهج قرآني، تأمل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾؛ فليحذر أولئك الذين يتجاوزن من لهم سابقة في علم أو دعوة بحجة أنهم بشر، وأنهم غير معصومين... إلخ، تلك الدعاوى التي نهايتها أن لا يبقى للأمة أئمة يقتدى بهم.

د. عمر المقبل

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ حيث كان منهجم الخداع للمؤمنين في الدنيا، فكان الجزء من جنس العمل، إذ لن يجدوا نورًا، وإنما سيجدون نارًا، وتأمل دقة اللفظ ممن خاطبهم، حيث قال: ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ولم يقل: (فستجدون نورًا).

أ.د. ناصر العمر

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَئِنْ كُنْتُمْ فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَفَرَّقْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكَم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿١٤﴾﴾

(١) مرارة الانتكاس: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَئِنْ كُنْتُمْ فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أشد ما يكون من الحسرة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح؛ حتى إذا ظن أنه ناج ورأى منازل السعداء، اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٨٨١/٢-٨٨٢)

(٢) ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكَم بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾ كم من شارف مركبه ساحل النجاة، فلما هم أن يرقى، لعب به موج الهوى، ففرق.

ابن رجب، لطائف المعارف (٣٤٠)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (الحديد: ١٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين
إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين ^(١).
فكم سنة لنا في الإسلام، وربما في الاستقامة!؟

٢) أحضر قلبك.. فالقرآن أول ما نزل على القلب، فإن أنصت القلب وانفتح لخطاب الله؛ أنصتت
تبعاً له بقية الجوارح، وإن أعرض؛ كانت كالرعية بلا راع، ويوضح هذا لك أن الله عاتب المؤمنين
بعدم خشوع قلوبهم عند سماع القرآن: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾

﴿ إِنَّ الْمُضْذِقِينَ وَالْمُضْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾
﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وصف الله القرض بأنه حسنٌ، وليكون كذلك فلا بد أن يجمع شرطين:
١- الإخلاص لله صلى الله عليه وسلم.

٢- المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالمرائي الذي ينفق ماله رياء لم يقرض الله قرضًا حسنًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٣٩٢)

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسِيحُ فترثه مصفرًا ثم يكون حطماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله
ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿٢٠﴾ ﴾

العاقل إذا قرأ القرآن وتبصر عرف قيمة الدنيا، وأنها ليست بشيء، وأنها مزرعة للآخرة، فانظر
ماذا زرعت فيها لآخرتك؟ إن كنت زرعت خيراً، فأبشر بالحصاد الذي يرضيك، وإن كان الأمر
بالعكس، فقد خسرت الدنيا والآخرة.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣/٣٥٨)

(١) مسلم ح (٣٠٢٧).

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، وفي الأثر: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك»؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٤١/١٠)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

فيه إشارة لأولي الأبواب إلى الوسائل التي تتيح الغلبة والقوة، وإشارة أخرى إلى أن الحق لا ينتصر بالحماس الجاهل، فمن فقد عدالة المبدأ وخبرة التقدير المدرب، فلا يلومن إلا نفسه!
محمد الغزالي، المحاور الخمسة (٦٥)

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَتَأْتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال عبد الرحمن بن عمر: ذكر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع، واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة؛ ثم قرأ: ﴿ وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾، فلم يقبل ذلك منهم، ووبخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسنة.

حلية الأولياء (٨/٩)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

تأمل حيث جعل الله تحقيق التقوى من أجل غايات الصيام، ثم انظر لأثر التقوى في حياتك، ومن أعظم ذلك أن يجعل الله لك نوراً تمشي به في الظلمات، مع الرحمة وتكفير السيئات، وقف ملياً مع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. أ.د. ناصر العمر

سورة المجادلة

سورة المجادلة ورد في كل آية منها اسم الجلالة (الله)، دون الربوبية (رب)، وقد ورد (٤٠) مرة، وهو -أي اسم الجلالة (الله)- يغلب وروده في مقام الأحكام الشرعية، ومقام تربية المهابة.

د. مساعد الطيار

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾
بينما عمر بن الخطاب يسير على حمارة لقيته امرأة، فقالت: قف يا عمر! فوقف، فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيت كالיום! فقال: وما يمنعني أن أستمع إليها وهي التي استمع الله لها، فأنزل فيها ما نزل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

الدر المنثور (٧٠/٨)

﴿فَمَنْ لَمْ يُجِدْ فِصْيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتُوتًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾
١) ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتُوتًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؟ الفرق أن الكافرين على نوعين: فالكافر غير المحاد لله ورسوله له عذاب أليم، أما الكافر المحاد والمعادي لله ورسوله فله مع العذاب الأليم الكبت والإذلال والقهر والخيبة في الدنيا والآخرة، فناسب كل خاتمة ما ذكر قبلها.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٧٢)

٢) وصف الله عذابه للكفار بأنه ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ فإن قيل: وهل هناك عذاب غير مهين؟ قيل: المهين هو المورث صاحبه ذلة وهواناً، ويخلد فيه صاحبه لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبداً، وهو المختص بالكفار، وأما الذي هو غير مهين، فهو ما كان تمحيصاً لصاحبه، كأهل الكبائر الذين يعذبون في الآخرة ليمحصوا، فإن ذلك وإن كان عذاباً فهو غير مهين؛ لأن الغاية تمحيصه من آثامه ثم يورد معدن العز والكرامة ويخلد في نعيم الجنان.

الطبري، جامع البيان (٢٥٤/٢)

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

١) لورمى العبد بكل معصية حجراً في داره، لامتلات داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي، والمملكان يحفظان عليه ذلك: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤٠٦/٤)

٢) اجتمعت كلمة إلى نظرة، إلى خاطر قبيح وفكرة، في كتاب يحيى حتى الذرة، والعصاة عن المعاصي في سكرة؛ فجنوا ما جنوا ثمار ما غرسوه: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾.

ابن الجوزي، التبصرة (٣٥٩)

٣) إن المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة، فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه؛ فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٢٠٥)

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ

فَلْيَسْتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فالحزن مرض من أمراض القلب، يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢٧٩)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَأَنشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

١) دل قوله تعالى: ﴿فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح والتوسع في المجلس، بل المراد منه إيصال أي خير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٣٤/٢٩)

(٢) إذا كان جزاء الفسح في المكان، هو توسعة الرزق في الدنيا، وتوسعة المنازل في الجنة، وهي لا تضر الفاسح شيئاً، ولا تكلفه جهداً، فكيف بمن فرج عن مسلم كربة، أو دفع عنه مسغبة، أو قضى له حاجة؟!

د. صالح البهلال

(٣) كيف بمن يسعى لإخوانه؟!

﴿فَأَسْحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يوسع الله حياتك بجرعة يسيرة تتحركها ليقعد أخوك؛ كيف بمن يسعى ويركض من أجلهم؟!

د. عبدالله بلقاسم

(٤) ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا﴾ لا يبعد أن يدخل في إشارات هذه الآية فسح المجال للمتحدث، وترك الاستئثار بالحديث في المجلس، والبعد عن مقاطعة من يشرع بحديث، أو تكذيبه، أو إكمال كلامه، والله أعلم.

د. محمد الحمد، هداية آيات (٤٣)

(٥) لما أمر الله عباده بأدبين من آداب المجالسة فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ أعقبهما بقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فدل على أن أهل العلم أولى من أخذ بهذين الأدبين، وأنهم أولى من تؤدب معهم بهما، وأن مجالسهم أولى المجالس بالقيام بهما.

د. محمد الخضيرى

(٦) قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ولم يقل (يرفعكم)؛ ليدل ذلك على فضيلة الإيمان والعلم عموماً، وأن بهما تحصل الرفعة في الدنيا والآخرة، ويدل على أن من ثمرات العلم والإيمان: سرعة الانقياد لأمر الله، وأن هذه الآداب ونحوها إنما تنفع صاحبها، ويحصل له بها الثواب إذا كانت صادرة عن العلم والإيمان.

السعدي، المواهب الربانية (٢١)

(٧) من عمل بهذا القرآن تصديقاً وطاعة وتخلقاً، فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا وفي الآخرة؛ وذلك لأن هذه القرآن هو أصل العلم، ومنيع العلم، وكل العلم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٤/٦٤٦)

٨) كم من عالم لا يرتفع بعلمه! وذلك لضعف إيمانه، وقلة إخلاصه، وضعف عنايته بأمر قلبه، لا لقلة علمه، وذلك أن الله وعد بالرفعة من جمع الإيمان والعلم فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وهذا سر ارتفاع قدر أفراد من العلماء من بين سائر أهل العلم.

د. محمد الخضيرى

﴿بَنَاتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢)

من أبين النَّسخ في القرآن: نَسُخٌ وجوب الصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ وقد أجمع العلماء عليه. ويبقى السؤال: ما حكمة ذكره وقد نسخ وزال المقصود منه بموت الرسول؟

فيقال: ليبقى لورثة رسول الله ﷺ من أهل العلم هيبه وقدر فلا يجترأ عليهم ولا يؤذون بكثرة الأسئلة، والمناجاة في كل وقت فلا جفاء ولا غلو.

د. محمد الخضيرى

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَلْفُظُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ءَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾ (١٨)

قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَلْفُظُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾ وهذا يقتضي توغلبهم في النفاق ورسوخه فيهم وأنه باق في أرواحهم بعد بعثهم؛ لأن نفوسهم خرجت من عالم الدنيا متخلقة به، فإن النفوس إنما تكتسب تزكية أو خبثًا في عالم التكليف.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٢/٢٨)

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ءَأُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ءَأُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢)

١) ﴿ءَأُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ إنما يثبت الإيمان بملاحظة أسبابه وأدلتها، وبملازمة الطاعات وأنواع القربات.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٥٩)

(٢) وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى؛ عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم والفضل العميم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٩٦/٤)

(٣) تدبر هذه الآية كاملة:

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

حيث جعل جزاءهم عظيمًا مقابل البراءة من أقرب الناس إليهم، إذ لا تفعل ذلك إلا النفوس المؤمنة القوية: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ فكان العطاء سخياً وافراً، توج ذلك برضوانه عليهم، وبأن جعلهم من حزبه المقربين، عوضاً عن تركهم لتحزبات الجاهلية بالباطل: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة الحشر

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَوْمَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾

الاعتماد في الحماية والنصرة على المخلوقين من أعظم أسباب الخذلان في أخرج الأوقات، تدبر: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾
أ.د. ناصر العمر

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ يؤلني جداً عندما يقال لشخص: قال رسول الله كذا وكذا، فيقول لك: هل فيه خلاف؟ سبحان الله! المخالف قد يكون معذوراً في مخالفة النص لتأويله، أو عدم علمه، لكن أنت غير معذور، وإذا عذر المتبوع، فليس للتابع عذر.
ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (الجلسة الأولى من عام ١٤١٣هـ)

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(١) قال أبو بكر بن عياش: أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو خليفة رسول الله في القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٨) ﴿ فمن سماه الله صادقاً، فليس يكذب، وقد ناداه الصحابة: فقالوا: يا خليفة رسول الله!

سير أعلام النبلاء (٢٨/١٦)

٢) والصادقون في هذه الآية الذين جمعوا بين صدق اللسان وصدق الأفعال؛ لأن أفعالهم في أمر هجرتهم إنما كانت وفق أقوالهم.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢٦١/٥)

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

١) إذا أردت أن تعرف بعض مزايا الأنصار النادرة، فقف وتأمل: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ فعبر بـ(الحب) دون غيره كـ(القبول والرضا والإكرام)؛ لأن الناس -غالبًا- يتضايقون ممن يفد إليهم من بلاد أخرى، بل قد لا يتحمل بعضهم ضيفًا عزيزًا بضعة أيام، فكيف بمن سيشاركهم الإقامة والمعيشة؟.

أ.د. ناصر العمر

٢) سئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة -أي: الرجولة التي يتفاخر بها بعض الناس- فقال: الفتوة عندي في آية من كتاب الله، وخبر عن النبي ﷺ، فالآية قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، والخبر: «لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، فمن اجتمعتا فيه، فله الفتوة.

شعب الإيمان للبيهقي (٢٦١/٣)

٣) ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ أحسن ما قيل فيه: لا يحسدون إخوانهم على فضل ما أعطاهم الله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩/٨)

٤) يؤسفنا كثيرًا أن يقع المسلمون في التكالب العظيم على جمع الدنيا وهم يقرؤون قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ فإن هذه القضية العامة الكلية تدل بمنطوقها على حصول الفلاح لمن وقاه الله شح نفسه، وتدل بمفهومها على حصول الخسارة لمن لم يوق شح نفسه، وهذا هو الواقع.

ابن عثيمين، فتاوى نور على الدرب (٥/١)

(١) البخاري ح(١٣)، ومسلم ح(٤٥)، والترمذي ح(٢٥١٥)، والنسائي ح(٥٠١٦)، وأحمد ح(١٢٨٠١).

٥) عندما يذكر الله فضل قوم أو كرامة لأحد أوليائه يبين أن من أراد أن يسلك طريق هؤلاء، فله مثلهم، فحين ذكر فضل الأنصار قال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وبعد أن بين سبب نجاة يونس قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنبياء: ٨٨، وفي سياق ذكر سبب شفاء أيوب قال: ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِ﴾ الأنبياء: ٨٤. فما أكرمه من إله!

أ.د. ناصر العمر

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠)

١) قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة:

١- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ (الحشر: ٨) هؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة قد مضت.

٢- ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الحشر: ٩)، وهؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت.

٣- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فأحسن ما أنتم عليه كاثنون، أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

مختصر منهاج السنة (١/٢٣٤)

٢) بلغ ابن عمر أن رجلاً نال من عثمان فدعاه فأقعده بين يديه فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر: ٨، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجوا أن أكون منهم، قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم.

الدر المنثور (٨/١١٣-١١٤)

٣) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ لا يعرفون وجوههم ولا أسماءهم ولا متى وأين وفي أي زمن ولدوا، ويدعون لهم، ويسمونهم إخواننا.

د. عبد الله بن بلقاسم

٤) في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ إشارة إلى أنه يحسن بالداعي إذا أراد أن يدعو لنفسه ولغيره أن يبدأ بنفسه، ثم يُثني بغيره، ولهذا الدعاء نظائر كثيرة في الكتاب والسنة.

د. محمد الحمد

٥) ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبحان الله! أخوة الإيمان تبقى حتى بعد الوفاة، فتذكر أموات المسلمين بالخير، فتترحم عليهم، وترجو لحسنهم، وتدعو لمسيئهم أن يشملهم الله بعفوه، ومن تدبر القرآن، وجدته يهدي إلى هذه المحبة.

د. محمد المختار الشنقيطي، مجموعة دروس للشيخ على الشبكة

٦) ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذكر الله في هذا الدعاء نفي الغل عن القلب الشامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى، ثبت ضده وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٥١)

٧) إن الخصومات إذا غارت جذورها، وتفرعت أشواكها، شلت زهرات الإيمان الغض، وأذوت ما يوحى به من حنان وسلام ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٧٥)

٨) من عظمة منهج أهل السنة في حبهم لجميع الصحابة ﷺ أنهم ليس في قلوبهم غل على أحد منهم؛ لأن الله أنزل في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، مع ما سبق في علمه سبحانه أن يقع بينهم ما يقع، فسلمت قلوب أهل السنة من ذلك، ومرضت قلوب آخرين.

د. عمر المقبل

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

المنافق يُخَوِّفُ بالناس، والمؤمن يُخَوِّفُ بالله، تأمل: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٢٦١/٤)

﴿لَا يَقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤)

١) قال تعالى عن اليهود: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني: أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما يكون إذا كان بعضهم مع بعض، فأما إذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة؛ لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله، كما قال تعالى قبلها: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣).

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٥٢/٢٩)

٢) وحدة الحق على قتلها ستكون أعلى وأعز من وحدة الباطل على كثرتها؛ ذلك أن وحدة المحقين تستند إلى مبادئ باقية خالدة، وأن وحدة المبطلين قد أسست على جرف هار من المنافع الوقتية الزائلة: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

محمد دراز، من خلق القرآن (٥)

٣) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: كذلك أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواءهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

الدر المنثور (١١٦/٨)

٤) تفرق القلوب واختلافها من ضعف العقل، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ وعلل ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ولا دواء لذلك إلا بإنارة العقل بنور الوحي؛ فنور الوحي يجبي من كان ميتاً، ويضيء الطريق للمتمسك به.

الشنقيطي، أضواء البيان (٥٣/٣)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨)

النظر في سالف الأعمال وسيلة إلى الشكر على ما حسن منها، وإلى الاستغفار والتوبة مما قبح منها. العزبن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٦٨)

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١٩)

(١) التعريف بالله من أهم عوامل نجاح الخطاب الدعوي، وإنما الغفلة تقع للناس بسبب نسيانهم ربهم الذي خلقهم، فبدل أن يعبدوه يعبدون أهواءهم ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣٠٧)

(٢) (٤٠) عامًا عشتها مع المخدرات، لم أعرف فيها للحياة طعمًا، وتقطعت حبالى بينى وبين ربي، وبين أكثر عبادته، ولم يردني إلى الله إلا آية واحدة سمعتها، فوقرت في قلبي، فشعرت أنها تختصر معاناتي طوال هذه السنين كلها، إنها قول العليم الخبير: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾.

أحد التائبين من المخدرات

(٣) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، ثم قال بعدها: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١، ذكر هذه الآية بعد بيان حال الفاسقين ينبه على أن ما أوقع الفاسقين في الهلكة إنما هو إهمالهم القرآن الكريم والتدبر فيه، وذلك من نسيانهم الله تعالى.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١٦/٢٨)

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢٠)

فهم لا يستون في حياتهم ومماتهم.. لا يستون في أخلاقهم.. لا يستون في أقوالهم وأفعالهم.. لا يستون في نياتهم.. لا يستون في همهم وهمتهم.. فتفقد نيتك وأقوالك وأفعالك.

د. عمر المقبل

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١)

(١) قال الضحاك في الآية: لو أنزل هذا القرآن على جبل فأمرته بالذي أمرتكم به وخوفته بالذي خوفتكم به إذا لخشع وتصدع من خشية الله، فأنتم أحق أن تخشوا وتذلوا وتلين قلوبكم لذكر الله.

الدر المنثور (١٢١/٨)

(٢) فهذا حال جبال الحجارة الصلبة، وهذه رِقَّتْهَا وخشيتها وتدكدكها من جلال ربِّها، فيا عجبًا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويذكر الرب ﷻ فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب فليس بمستنكر على الله ﷻ ولا يخالف حكمته أن يخلق لها نارًا تذيبها إذ لم تلتن بكلامه وذكره وزواجه ومواعظه، فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلاً فإن أمامه الملمين الأعظم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢٢١/١)

(٣) ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ المقصود من ذكر الجبل وخشوعه هنا تنبيه الإنسان على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبر زواجه.

زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (٥٥٩/١)

(٤) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لأجل أن يتفكروا. ويستفاد من هذه الآية فائدة أصولية وهي: أن كل مثل في القرآن، فهو إثبات للقياس؛ لأن المقصود بالمثل: انتقال الذهن من هذا إلى هذا.

ابن عثيمين، شرح أصول في التفسير (٥١)

سُورَةُ الْمُتَحَنِّةِ

﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ۗ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾ إرشاد إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يفرط في العداوة، وأن لا يقطع حبال الصلة مع المخالفين والمناوئين، بل يحسن به أن يعتدل في ذلك، وأن يترك فرصة للتصالح والتقارب ولو كانت ضئيلة.

د. محمد الحمد، هداية آيات (١٣)

﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾

من كَفَّ أذاه من الكفار، فإن المسلمين يقابلونه بالإحسان والعدل ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأنَّ الله قال: ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ ولم يقل: توالونهم وتحبونهم، بل قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢)، فالصلة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر.

د. صالح الفوزان

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَلَوْنَهَا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤْنَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾

كلما تراكمت الذنوب، طبع على القلوب، وعند ذلك يعى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستهيئ بأمر الآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهم عليها ﴿ قَدْ يَسُؤْنَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾

الغزالي، الإحياء (٣/ ١٢)

سورة الصف

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾

(١) كما يستدل بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وما بعدها، على أن من تكلم بالحق وعمل بخلافه أنه ممقوت مذموم، فهو -أيضاً- دليل على أن الحمد والعيوب الحميدة لمن توافق ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (١٦٩)

(٢) أنزل الله القرآن؛ ليكون دستوراً نتبعه، ونظاماً نطبقه، فاكتفى أناس منا بتلاوة ألفاظه والتطريب في قراءته، وافتتاح الحفلات واختتامها به، وبين تلاوة الافتتاح وتلاوة الاختتام، ما لا يرضي الله ولا يوافق الإسلام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٠٦)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي

مِن بَعْدِي ءَأْتِيهِمْ أَحَدٌ مِّنكُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

قال عمرو بن مرّة: خمسة سُموا قبل أن يكونوا: محمد ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِن بَعْدِي ءَأْتِيهِمْ أَحَدٌ﴾، ويحيى

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ءَأَسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ (مريم: ٧)، وعيسى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ءَأَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ﴾

(آل عمران: ٤٥)، وإسحاق ويعقوب ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١).

الإتقان في علوم القرآن (٦٧/٤)

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨)

لا تتعب ذهنك بهذيانات الملحددين؛ فإنها عند من عرفها من هوس الشياطين، وخيالات المبطلين، وإذا طلع فجر الهدى، وأشرقت النبوة، فعساكر تلك الخيالات والوساوس في أول المنهزمين ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢١٥)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَمَا مَنَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (١٤)

هذه الآية حجة واضحة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا يشك أحد أن نصر الله إنما هو نصر دينه، ولا يكون نصره إلا بالمعونة على إقامة أمره ونهيه وعلوهما، والأخذ على يدي من يريد ذله وإهانته.

القصاب، نكت القرآن (٤/٢٩٤)



﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾

(١) في قوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ فائدتان:

الأولى: أنه كأمته الأمية، لم يقرأ كتابًا، ولا خطه يمينه، ومع ذلك أتى بهذا القرآن الذي ما سمعوا بمثله، وهذا برهان صدقه.

والثانية: التنبيه على معرفتهم بنسبه، وشرفه، وعفته، وصدقه، بل لم يكذب قط، فمن لم يكذب على الناس، أفيكذب على الله؟!

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٤٢٧/٢) (بتصرف)

(٢) رَبَّ الله أتباع الرسول في الذكر على مراتبهم في الفضل، تأمل: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَالسَّيِّفُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

حافظ الحكمي، معارج القبول (١٢٠١/٣)

(٣) ابتدئ بالتلاوة في قوله تعالى: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾؛ لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وتثني بالتزكية؛ لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك وما يعلق به من مساوئ الأعمال والطباع.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠٩/٢٨)

(٤) ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ هذه الأمة حرر القرآن أرواحها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية، وحرر أبدانها من الخضوع لجبروت الكسروية القيصرية، وجلأ عقولها على النور الإلهي، وطهر نفوسها من أدران الإسفاف.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره (١٥٩/١)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايِعَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾

(١) قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زليل، فهكذا اليهود. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٥٦/٢٠)

(٢) ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه، وفيه إشارة إلى أن من موجبات نقل النبوة عن بني إسرائيل كلبية: أنهم وصلوا إلى حدّ الإياس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعمل، فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها.

عطية سالم، تمة أضواء البيان (١٩٦/٨)

(٣) ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ قال الضحاك: كتباً لا يدري ما فيها؛ ولا يدري ما هي! هذا مثل ضربه الله لهذه الأمة، أي: وأنتم إن لم تعملوا بهذا الكتاب، كان مثلكم كمثلهم.

الدر المنثور (٤٥٧/١٤)

(٤) قاس من حمّله - سبحانه - كتابه ليؤمن به ويتدبره، ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك - ولم يحمله إلا على ظهر قلب -، فقراءته بغير تدبر ولا تفهّم ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه؛ كحمار على ظهره زاملة أسفار، لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا.

ابن القيم، إعلام الموقعين (١٢٧/١)

(٥) ضرب الله مثل الذي لا ينتفع بما أوتي؛ بالحمار يحمل أسفاراً، ولعل من حكم ذكر هذا المثل في سورة الجمعة ألا يكون حظّ الخطيب والمأموم من خطبة الجمعة كحظهما قبلها!

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

لما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباءه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، دعوا إلى المباهة والدعاء على أكذب الطوائفتين منهم أو من المسلمين، فلما نكلوا عن ذلك، علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك؛ فلما تأخروا، علم كذبهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٣٢/١)

﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَوتَ الَّذِي تَفْرُوتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

(١) إننا نرى الأموات تمر بنا مواكبهم كل يوم، ولكننا نظن أن الموت كُتب على الناس كلهم إلا علينا، ونبصر القبور تملأ الأرض، ولا نفكر أننا سننزل يوماً إلى القبر.

(الطنطاوي، نور وهداية (١٢)

(٢) فيا صاح! إنك راحل إلى الله حتماً، وما عمرك هذا المتناثر بين يديك صباح مساء، إلا دلالة صريحة على السير الحثيث، فبعد قليل ستنتهي الرحلة، ونقف على محطة القبر -أنا وأنت- لنلج عالم البرزخ، في انتظار أجيال الخلائق لليوم الموعود.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١٤٧-١٤٨)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

(١) قال الشافعي: السعي في هذا الموضع: العمل، لا السعي على الأقدام -أي: الإسراع-، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ٤)، وقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (الإسراء: ١٩)، وقال: ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢)، وقال: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩)، وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٦٣/٥)

(٢) ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ إذا أمر الله بترك البيع الذي ترغب فيه النفوس، وتحرص عليه؛ فترك غيره من الشواغل من باب أولى، كالصناعات وغيرها.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن (١٥٣)

(٣) في سورة الجمعة مثال لقاعدة شرعية، وهي: (الوسائل لها أحكام المقاصد) أي: إنه قد يمنع من المباح إذا كان يفضي لترك واجب أو فعل محرم، مثاله: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

السعدي، القواعد الحسان (١٣٨)

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

(١) روي عن عمر أنه قال: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضةً، وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

وصية نافعة للشيخ فيصل المبارك (٤)

(٢) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ينبغي للمؤمن الموفق وقت اشتغاله في مكاسب الدنيا أن يقصد بذلك الاستعانة على قيامه بالواجبات، وأن يكون مستعينًا بالله في ذلك، طالبًا لفضله، جاعلاً الرجاء والطمع في فضل الله نصب عينيه؛ فإن التعلق بالله والطمع في فضله من الإيمان ومن العبادات.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن (١٥٤)

(٣) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ كأنك ذهبت للمسجد؛ لتأخذ شحنة إيمانية تعينك وتسيطر على كل حواسك في حركتك في التجارة، وفي الإنتاج، وفي الاستهلاك، وفي كل ما ينفعك وينمي حياتك، وحين يأمرك ربك أن تفرغ لأداء الصلاة لا يريد من هذا الفراغ أن يعطل لك حركة الحياة، إنما ليعطيك الوقت اللازم لتصبح حركة حياتك على وفق ما أَرَادَهُ اللهُ.

الشعراوي، تفسير الشعراوي (١٧/١٠٢٧٩)

(٤) إذا فتح الله لك باب رزق، فلا تعجب بذكائك، أو تظن أنك رزقت بحذقك، بل تذكر أن ذلك من فضل الله عليك، تأمل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾، فإنما هو فضل الله ورزقه، وكم من بليد رزق من حيث لا يحتسب، وذكي جنى عليه ذكاؤه؟

د. عمر المقبل

(٥) الشريعة جامعة بين القيام بحق الله تعالى كالصلاة والذكر، وبين القيام بمصالح النفس كالسعي في الرزق، وذلك ظاهر من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

متدبر

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ

وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾

١) المشروع أن يخطب يوم الجمعة قائماً - خلافاً لبعض من ابتدع الجلوس -، واستدل الشافعي على ذلك، فقال: «قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾، فلم أعلم مخالفاً أنها نزلت في خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة».

الأم (٢٢٩/١)

٢) دلت الآية على أنه ينبغي للعبد -المقبل على عبادة الله- وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات والشهوات أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٣)

٣) ذكر الله التجارة في معرض الحظ من شأنها حيث شغلت عن طاعة: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾، ولما أخذوا بأدب الشريعة في إثارة الواجبات الدينية، ذكرها ولم يهضم من حقها شيئاً، فقال سبحانه: ﴿ رَجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (النور: ٣٧).

محمد الخضر حسين، الحرية (٣٢)

٤) المال غاد ورائح، فرحم الله عبداً كسب فتطهر، واقتصد فاعتدل، ورزق فأنتق، ولم ينس نصيبه من الدنيا، ويا خيبة من طغى عليه ماله، وأضاع دينه وكرامته، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾.

د. سعود الشريم

٥) ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ ﴾ أطلق العنان لخيالك، واستعرض ما شئت من أنواع اللهو والتجارة التي ملأت دنيا الناس اليوم.. كلها -والله- لا تساوي شيئاً أمام هبة إلهية، أو منحة ربانية تملأ قلب العبد سكينته وطمأنينة بطاعة الله، أو قناعة ورضا بمقدور الله، هذا في الدنيا، وأما ما عند الله في الآخرة فأعظم من أن تحيط به عبارة.

د. عمر المقبل

٦) من تدبر قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ ﴾، استحى من الله أن تكون أيام عشر ذي الحجة كغيرها من الأيام.

د. عمر المقبل

سورة المنافقون

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ شَجَرٍ مُّسْنَدٍ يَّحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنُلَهِمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا ﴿٤﴾ ﴾

(١) ما حرمه الله وكرهه مما فيه جمال إنما حرم وكره؛ لاشتماله على مكروهه يبغضه الله أعظم مما فيه من محبوبه، وكذلك الصور الجميلة من الرجال والنساء، فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئاً - بأن يكون فاجراً، أو كافراً معلناً أو منافقاً -، كان البغض أو المقت لخلقه ودينه مستعلياً على ما فيه من الجمال، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ .

ابن تيمية، الاستقامة (٤٤٥/١)

(٢) في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ شَجَرٍ مُّسْنَدٍ ﴾ شُبِّهوا بالخشب لذهاب عقولهم، وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكتف بجعلها خشباً، حتى جعلها مسندة إلى الحائط؛ لأن الخشب لا ينتفع بها إلا إذا كانت في سقف أو مكان ينتفع بها، وأما إذا كانت مهملة فإنها مسندة إلى الحيطان أو ملقاة على الأرض.

أبو حيان، البحر المحيط (٢٧٦/١٠)

(٣) إن الرجل فاسد الذمة، أو ساقط المروءة، لا قوة له ولو لبس جلود السباع، ومشى في ركاب الملوك ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ شَجَرٍ مُّسْنَدٍ ﴾ .

الغزالي، خلق المسلم (٩٠)

(٤) ما الحكمة من قراءة سورة «المنافقون» في الجمعة؟ مناسبتها ظاهرة، ومنها:

- ١- أن يُصَحَّحَ النَّاسُ قُلُوبَهُمْ وَمَسَارَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ أُسْبُوعٍ.
- ٢- أن يقرع أسماع الناس التحذير من المنافقين كل جمعة؛ لأن الله قال فيها عن المنافقين:

﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾

ابن عثيمين، الشرح الممتع (٦٨/٥)

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ يتعجب المرء لأول وهلة من هذا الوصف! فكأنه لا عدو سواهم! مع أنهم يصلون، ويصومون، ويحجون، وقد يتصدقون، ويزول التعجب إذا عرفت حقيقتهم، فقلوبهم انطوت على حقد وبغض لهذا الدين وأهله، وحب لأعدائه، يدرك ذلك بكرههم للجهاد ولزهم للعلماء والمصلحين، مع إعجاب وإشادة برؤوس الضلال والمنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (البقرة: ١١ - ١٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ ظنوا أنهم لولا أموالهم لما اجتمع المسلمون لنصر دين الله! فمن أعجب العجب أن يدعي أحرص الناس على خذلان الدين مثل هذه الدعوى، ولا يروج هذا إلا على من لا علم له بحقائق الأمور: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٥)

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

عزة المؤمن مهما خبت نارها، فإن جذوتها باقية إذا هبت عليها ريح الإيمان توقدت، وعلا هببها، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (١٣٣/١)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾﴾

(١) اختار لفظ ﴿تُلْهِكُمْ﴾ ولم يقل (تشغلكم)، والحكمة في ذلك أن من الشغل ما هو محمود؛ فقد يكون شغلاً في حق، كما جاء في الحديث: «إن في الصلاة لشغلاً»^(١)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ (يس: ٥٥)، أما الإلهاء فمما لا خير فيه؛ وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية (١٧٩)

(٢) قال أبو حازم رضي الله عنه: «كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد، فهو عليك شؤم»!

تفسير ابن رجب (٤٧٥/٢)

(٣) في الآية تحذير من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر ربهم، إذ هذه علامتهم؛ ولذا فإن كثرة ذكر الله أمان من النفاق، والله تعالى أكرم من أن يبتلي قلباً ذا كراً بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله ﷻ.

ابن القيم، الوابل الصيب (١١٠)

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

الآية فيها دليل على أن المرء ممنوع من ماله عند حضور أجله، وغير مسلط على إنفاذ إرادته فيه، كهيئة ما كان في صحته، وأن لا سبيل له على أكثر من ثلثه الذي أباح الله له على لسان رسوله.

القصاب، نكت القرآن (٣٠٤/٤)

(١) البخاري ح (١٢١٦)، وأبو داود ح (٩٢٣)، وابن ماجه ح (١٠١٩)، وأحمد ح (٣٥٦٣).

سُورَةُ التَّغَابُنِ

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾﴾

اشتر نفسك اليوم؛ فإن السوق قائمة، والثلث موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير ﴿يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن: ٩)، وذلك يوم ﴿يَعْضُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ (الفرقان: ٢٧).

ابن القيم، الفوائد (٤٩)

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

١) قال إبراهيم الحربي: «أجمع عقلاء كل ملة: أنه من لم يجر مع القدر، لم يتهنأ بعيثه»، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾.

سير أعلام النبلاء (٣٦٧/١٣)

٢) ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأصل الثبات: ثبات القلب وصره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧)

٣) تأمل: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ بعد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمن حزن حزنًا غير مشروع، فلينقص إيمانه؛ إذ الإيمان موجب لاطمئنان القلب وثباته عند المصائب، وعد من الله لا يتخلف؛ فتفقد إيمانك وقلبك.

أ.د. ناصر العمر

٤) ما يحدث في بعض مدن وقرى منطقة المدينة وما حولها من زلازل، إنما هي بقدر الله، ومن أعظم ما يُسلي المؤمن - وهو يعيش هذه المصيبة، أو يسمع عنها - علمه ويقينه بذلك؛ فإن هذا مما يطمئن القلب، كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ قال بعضهم: يهد قلبه، ويهدأ قلبه^(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا
وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤)

١) ﴿عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس: أنها عداوة البغضاء والمحادة، بل إنما هي عداوة المحبة الصادقة للأباء عن الهجرة، والجهاد، والتعلم، والصدقة، وغير ذلك من أمور البر وأعمال الخير.

ابن القيم، عدة الصابرين (٥١)

٢) في الآية عزاء لمن بُلي بزواج مؤذ، أو ولد عاق، فصبر على أذاهما، وعفا وصفح عن زلاتهما، وفي موعود الله من الغفران ما يُهون عليه ذلك.

القصاب، نكت القرآن (٢٩٤/٤)

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٥)

١) سؤال يحتاج إلى تدبر: عزي أحدهم صديقاً له أصيب في وفاة ابن له، فقال له: أيسرك وهو بلية وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة؟

وقصد المعزي بقوله (بليّة وفتنة): أن الله وصف الأولاد بقوله: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾. وقصد بقوله (صلاة ورحمة) أن الله تعالى قال - عن الصابرين على المصائب -: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (البقرة: ١١٥).

برد الأكباد عند فقد الأولاد (٣٥)

٢) ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فلما ذكر فتنة الأموال والأولاد التي مالت بأكثر الخلق عن طريق الاستقامة، قال مذكراً لهم ما يفوتهم إن افتتنوا بها، وما يحصل لهم إن سلموا من فتنتها ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

السعدي، القواعد الحسان (١١٨)

(١) أرسلت إبان الزلازل التي أصابت مناطق العيص شمال غرب المدينة.

٣) تأمل كيف وصى الله الأبناء ببر والديهم والإحسان إليهم في آيات عديدة، وبأسلوب عظيم، بينما لا نجد مثله بتوصية الآباء بأبنائهم إلا فيما يخص إقامة الدين وتحقيق العدل، بل نجد التحذير من عداوتهم وفتنتهم: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ لأن الآباء جبلوا على حب أبنائهم حباً فطرياً قد يوصل إلى الإضرار بدينهم، فهل نقوم بحق آبائنا براً وإحساناً كما أمرنا الله؟

أ.د. ناصر العمر

﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦)

هل قوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ تخفيف أم تكليف؟ يحتمل الأمرين، فإن قلنا المعنى: لا تقصروا عما تستطيعون؛ فهذا تكليف، وإن قلنا إن المعنى: لا يلزمكم فوق ما تستطيعون؛ فهو تخفيف، وأكثر الناس يستدلون بهذه الآية في التخفيف دون التكليف.

ابن عثيمين، التعليق على السياسة الشرعية ١٤٨

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧)

إذا كان في الزراعة موسم للبذار، وفي التجارة موسم للاستيراد، وفي السنة المدرسية موسم للاستعداد للامتحان، ففي سوق الصدقات موسم تزيد فيه الأرباح، هو رمضان، فاغتنموه: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية (٥١)

سورة الطلاق

(١) أكد تعالى ذكر التقوى وثمراتها بين آيات الطلاق والعدد في سورة الطلاق؛ لأن أحكام الطلاق وضبط العدة من أحق الأشياء بالمراعاة وتأکید الوصية؛ لكثرة ما فيها من الانتصار للنفس وقصد الإضرار وتعدي حدود الله تعالى.

الإسكافي، درة التنزيل (١٢٨٤) (بتصرف)

(٢) من نظر في آيات القرآن الكريم وجد أن البيوت مضافة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو أولياتهن؛ وإنما حصلت هذه الإضافة -والله أعلم- مراعاة لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان ولزوم للمسكن والتصاق به، لا إضافة تمليك. د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة (١٢٧)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

(١) ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ إن الذي يجري حين الغضب من خروج المرأة من بيتها أو إخراجها من قبل زوجها؛ مخالفة سافرة لهذا الأمر الإلهي، قد يقول الزوج أو الزوجة: كيف نجتمع في بيت واحد وقد جرحت وأهنت؟ فالجواب: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

د. عصام العويد

(٢) أضاف البيت إلى المرأة، وكما أن فيه دلالة على قرار المرأة ببيتها؛ ففيه أهمية إعطائها مزيداً من الصلاحية في تدبير أمور البيت، واتخاذ القرارات فيه من أثاث ومطبخ وزينة، وهذا نوع من العدل، إذ هو المناسب مع الأمر بقرارها في البيت، حتى في حال طلاقها طلاقاً رجعيًّا.

متدبرة

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾

(١) ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ ﴿ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٩) في حسن المصاحبة والمفارقة حفظ للوداد، وبعد من البغضاء والعداوة، إذ جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٠٢)

(٢) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: مخرجه أن يعلم أنه من قبل الله، وأن الله هو الذي يعطيه، وهو يمنعه، وهو يبتليه، وهو يعافيه، وهو يدفع عنه.

فتح القدير (٣٤٠/٥)

(٣) قيل لرجل من الفقهاء: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ فقال الفقيه: والله إنه ليجعل لنا المخرج وما بلغنا من التقوى ما هو أهله، وإنه ليرزقنا وما اتقينا، كما ينبغي، وإنه ليجعل لنا من أمرنا يسرًا وما اتقينا، وإننا لنرجو الثالثة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٥).

حلية الأولياء (٢٤٩، ٢٤٨/٤)

(٤) كثير من الناس لا يفهم من الرزق - في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ - إلا الرزق المالي ونحوه من المحسوسات، ولكن الرزق أوسع من ذلك؛ تأمل ماذا يقول ابن الجوزي: «ورزق الله قد يكون بتيسير الصبر على البلاء».

صيد الخاطر (٣٠٣)

(٥) ضاق بي أمر أوجب غمًا لازماً دائماً، وأخذت أفكر في الخلاص منه بكل حيلة، فما استطعت، فعرضت لي هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾، فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج!.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٤٣)

(٦) قال بعضهم: ما افتقر تقي قط، قالوا: لم؟ قال: لأن الله يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾، والآية اقتضت أن المتقي يُرزق من حيث لا يحتسب، ولم تدل على أن غير المتقي لا يرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة، وقد لا يرزقون إلا بتكلف، وأهل التقوى

يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة، والتقوى لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يُحمى من فضول الدنيا، رحمةً به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢/١٦)

(٧) قد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجاً مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون؛ فإذا لم يحصل ذلك، دل على أن في التقوى خللاً، فليستغفر الله، وليتب إليه^(١).

ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية (٤١١)

(٨) حُكي عن بعض العلماء أنه قيل له: اقرأ سورة الواقعة؛ ليأتيك الرزق! فقال: لولا أن أهدر سورة من القرآن، لم أتلها في المستقبل إذا كنا لا نقرأ إلا لجلب الرزق!

علق الشيخ الخضر حسين قائلاً: وقد تكون قراءة القرآن للتعبد والتدبر مؤدية إلى تيسير ما عسر؛ من حيث إنها طاعة خالصة لله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾.

الموسوعة الكاملة (٦٢/٢)

(٩) ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾ كل من تدبر موارد التقوى في القرآن والسنة، علم أنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة ومفتاحه، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتهما، أو إضاعة جزء منها.

ابن باز، مجموع فتاواه (٢٨٣/٢)

(١٠) من أهم أسباب تحصيل العلم: تقوى الله، والحذر من المعاصي، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾، والمخرج من الجهل من أهم المخارج المطلوبة، كما أن العلم من أفضل الرزق الذي ينتج عن التقوى.

ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ (٢٩٤/٢٧)

(١١) ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾ إذا رأيت أموراً متيسرة ومسهلة، وأن الله يعطيك من الخير - وإن كنت لا تحتسبه - فهذه لا شك بشري، وإذا رأيت عكس ذلك، فصحح مسارك، فإن فيك بلاء، وأما الاستدراج فيقع إذا كان العبد مقيماً على المعصية.

ابن عثيمين، تعليقه على القواعد الحسان (٥٣)

(١٢) حَقَّقْ لنفسك التقوى كي تنقلب أمامك المعادلة فجأة؛ فتحظى بالفرج والرزق من حيث لا تدري ولا ترجو ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾.

د. سعود الشريم

(١) قد يظن البعض أن ها هنا تناقضاً، وليس كذلك، فلكل رسالة محمل: فالأولى غلب على صاحبها الرجاء فقال ما قال، والثانية غلب على قائلها التحقيق والخوف، والله أعلم.

﴿أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلَا تُنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ وَأَنْتُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضْ لَهُنَّ أُخْرَىٰ ۗ﴾ (٦)

القرآن يرسم منهجاً مطرداً للتعامل فيما بين الناس من حقوق، وذلك بأن يكون بـ (المعروف)، ﴿وَأَنْتُمْ وَأَنْتُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ وكثيرون يفقهون هذا الأصل، بل ويحتجون به إذا طالبهم الآخرون بحقوقهم، فما بالهم لا يراعونه عندما يطلبون حقوقهم من الآخرين؟! أفلا يتدبرون: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (النور: ٤٩ الآيات).

أ.د. ناصر العمر

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ فَمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۗ﴾ (٧)

١) ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق: ٧، لو استجمعت يأس العالم في قلبك، لذهب به الإيمان بهذه الآية.

د. عبدالله بلقاسم

٢) ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ لا ينقضي عجبك من مجيء هذه الآية بعد تلك الأحوال الصعبة، والمضائق التي يمر بها الزوجان من طلاق، ونزاع على رضاع، وضيق في الرزق، فهي بشارة جلية، وطمأنة إلهية؛ فهل بعد هذا يسيطر اليأس أو القنوط على من قدر عليهما الطلاق؟ إنها آية تسكب الأمل، وتبعث على الفأل، فما على العبد إلا أن يحسن الظن بربه، ويفعل الأسباب، ثم ليبشر.

د. عمر المقبل

﴿أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۗ﴾ (١٠) ﴿رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۗ﴾ (١١)

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۗ﴾ (١٠) ﴿رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا دين رفيع لا يعرض عنه إلا مطموس، ولا يعيبه إلا منكوس، ولا يجاربه إلا موكوس؛ فإنه لا يدع شريعة الله إلى شريعة الناس إلا من أخذ إلى الأرض واتبع هواه.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٢٣٥/٧)

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ فيه جواز إسرار بعض الحديث للزوجات، وأنه يلزمهن كتمانها، وإذا أذنب أحد في حقه، فلك أن تعاتبه، ولكن ينبغي عدم الاستقصاء في التثريب وذكر الذنب.

د. محمد الحضيبي

(٢) الكريم يتغافل عن تقصير أهله وصحبه، ولا يستقصي حقوقه، قال الحسن البصري رضي الله عنه: ما استقصى كريم قط! قال الله تعالى عن نبينا - لما أخطأت بعض أزواجه -: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

معالم التنزيل للبغوي (١٦٤/٨)

(٣) الخوض في التفاصيل الدقيقة في الحوار حول أي موضوع كثيرًا ما يسبب الحرج لبعض الحاضرين؛ ولهذا كان التغافل والإغضاء من صفات النبلاء، وهو شيء نتعلمه من نبينا ﷺ.

أ. د. عبدالكريم بكار، التواصل الأسري (٥٣)

﴿إِنْ نُنُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الله وجنوده في السماء والأرض مع النبي ﷺ في مشكلة أسرية! ما أعظم قدره عند ربه!

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادًا مَوْتًا وَهُمْ لَهَا كَالْحَمِيرَةِ وَالْحَمِيرَةُ عَلَيْهِا مَلِكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

(١) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادًا مَوْتًا وَهُمْ لَهَا كَالْحَمِيرَةِ نَارًا﴾ إن من أكبر أسباب الانحراف التي وجدت خلال اشتغالي بالقضاء واطلاعي على الآلاف المؤلفة من القضايا، ومما رأيت وما سمعت من أحوال الناس، من أكبر هذه الأسباب: غياب الأب عن أولاده أكثر النهار، فلا يكاد يراهم ولا يرونه إلا يوم الجمعة.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٤٧)

(٢) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ جاءت كلمة ﴿نَارًا﴾ منكرة؛ دلالة على عظمها وفظاعتها؛ كونها نارًا كاف للخوف منها، لكنها مع ذلك وُصفت بوصفين عظيمين: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾، ألا ما أشد هذا الوصف وما أفظعه؛ حتى قيل: إنه أعظم وصف للنار فيما يتعلق بالمؤمنين.

د. عويض العطوي

(٣) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ما أشد هذا الوصف وأفظعه! ولو تأملنا لوجدنا أن هذه النار الفظيعة لم تكن عقابًا على تقاعس في الجهاد، ولا على ترك شيء من أركان الإسلام، وإنما جاءت في مسئولية التربية، مسئولية النفس والأهل، فهل يعي المربون ذلك؟! د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا أَوْثَانًا لَّنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨)

قال ابن عباس: ليس أحد من الموحدين إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهو يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا نُورًا﴾

الدر المنثور (٨/ ٤٢٨)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُم جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ (٩) وهذا في الحقيقة من رحمة الله بعباده؛ فإن الله إنما أرسل محمدًا رحمة للعالمين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، لكن قد تكون الرحمة المطلوبة لا تحصل إلا بنوع من ألم وشدة تلحق بعض النفوس.

ابن تيمية، الاستقامة (١/ ٤٤٠)

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ تُوْجُّ وَامْرَأَتٍ لُّوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (١٠)

قوله سبحانه: ﴿تَحْتَ﴾ إعلام بأنه لا سلطان للمرأة على زوجها، وإنما السلطان للزوج عليها، فالمرأة لا تجعل في مقابل الندية بالرجل، فضلًا عن أن تعلو عليه، ففي ذلك خلاف الفطرة والشرع.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة (١٩)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾

١) لكل أخت تشكو كثرة المغريات حولها، أو تعاني من ضعف الناصر على الحق، اعتبري مجال امرأة جعلها الله مثلاً لكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، إنها امرأة فرعون، التي لم يمنعها طغيان زوجها، ولا المغريات حولها، أن تعلق قلبها بربها، فآثرت ذلك: الثبات، ثم الجنة، بل وصارت قدوة لنساء العالمين.

د. عمر المقبل

٢) لا عذر لامرأة مسلمة أن تبرر تقصيرها وعدم استقامتها بفساد أهل بيتها، أو بيئتها، وما تواجهه من ضغوط؛ فهذه امرأة فرعون بلغت الكمال لثباتها - مع ما بلغه فرعون وملأه من إسراف وظلم عظيم- فتدبر قصتها في سورة التحريم؛ تجد تلك الحقيقة المذهلة.

أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ كم قرأت هذه الآية وسمعتها؟ هل استوقفك فيها أمر قل أن نتدبره؟ سألت هذه المرأة الصالحة أن يكون البيت عند ربها قبل أن تسأله أن يكون في الجنة، أو أن تقتصر عليه، وقد جعلها الله مثلاً للمؤمنين، وشهد لها نبينا بالكمال، وأنها من خير نساء العالمين؛ فهل دعونا بمثل ذلك؟

أ.د. ناصر العمر

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

لقوة يقين مريم ﷺ وتبتلها للعبادة، وتحصين فرجها، جعلها الله قدوة لنبي كريم، بل وأجرى لها من الكرامات ما جعلها أسوة ومضرب مثل للمؤمن، ورفع ذكرها في العالمين، وجعل لها لسان صدق في الآخرين.

أ.د. ناصر العمر

سورة الملك

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

فإذا ظهر للعبد من سر الربوبية أن الملك والتدبير كله بيد الله كما قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلا يرى نفعاً ولا ضرراً، ولا حركة ولا سكوناً، ولا قبضاً ولا بسطاً، ولا خفصاً ولا رفعاً إلا والله فاعله وخالقه، وقابضه وباسطه، ورافعه وخافضه، فهذا الشهود هو سر الكلمات الكونيات.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨٩/١)

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ابتلانا الله بحسن العمل، لا بالعمل فقط، ألم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه: أي العمل أفضل؟ ففهمهم ﷺ يدل على التنافس في جودة العمل لا مجرد كثرته.

﴿ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَيْنًا يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

إنما قال ﴿ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَيْنًا﴾؛ ولم يقل (مرتين)؛ لأن كلمة (مرتين) تحصر النظر في مرتين، بينما ﴿كَرَيْنًا﴾ تفيد التكرار مرة بعد مرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/٢٩)

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

من سنن أهل الباطل وعاداتهم الذميمة: أنهم يرمون أهل الحق بما هم أولى به، انظر إلى قوله سبحانه عن أهل النار: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.

د. عبدالمحسن العسكر

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾

العقل الصحيح هو الذي يعقل صاحبه عن الوقوع فيما لا ينبغي، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾، أما العقل الذي لا يزر صاحبه عما لا ينبغي، فهو عقل دنيوي يعيش به صاحبه، وليس هو العقل بمعنى الكلمة.

الشنقيطي، العذب النمير (١٦١/١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾

الشاب المؤمن بالغيب هو الذي يرى رفاقه يسلكون طريق الفسوق، وهو يميل إليه، بل يعالج في نفسه مثل حر النار من الرغبة فيه، ويقاوم نفسه ويكبت رغبته، ويترك هذه اللذة الحاضرة؛ طمعاً باللذة الموعودة في الآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٦٧)

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

(١) إن الله هو الذي قسم الأرزاق، وكتب لكل نفس رزقها وأجلها، ولكنه ما قال لنا اقعدوا حتى يأتي الرزق إليكم، بل قال: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٨)

(٢) نحن لا نتوكل التوكل الذي لم يأمر به الإسلام، بل نمشي في مناكب الأرض، نمشي مشياً لا نسعى سعياً؛ لأن الله قال في مجال الرزق: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ وقال في مجال العبادة: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة: ٩)، هذا هو الفهم الصحيح لمسألة الرزق.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٣٢-١٣٣)

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

(١) شبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل بمن يمشي في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض، فيتعثر ويسقط على وجهه، كلما تخلص من عثرة، وقع في أخرى.

الجمل، حاشية الجمل على الجلالين (٤٢٧٧)

٢) «استطلاعات الرأي» تعمل في أي مجتمع كعلامات طريق تُرشد وتلفت نظر المسؤولين للصالح العام.. وفي المقابل يؤدي فقدها إلى انتشار العشوائية في المجتمع، والفرق بين الطريقتين يمثلته قوله تعالى: ﴿أَفَنْ يَمْسِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْسِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

الكاتب فهد الأحمد

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ۚ اٰمَنَّا بِهٖ ۚ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُوْنَ ۗ مَنْ هُوَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

لما كانت الأعمال - وجودها وكما لها - متوقفة على التوكل؛ خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٨)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

قال صالح بن أحمد بن أحمد بن حنبل: كان أبي ﷺ إذا خَرَجَتِ الدُّلُ مَلَأَى، قال: الحمد لله، قلت: يا أبت، أي شيء الفائدة في هذا؟ فقال: يا بني، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾؟

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد (٣٨٢)

سورة القلم

﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾

قال قتادة رضي الله عنه: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم، ما قام دين ولم يصلح عيش، والله أعلم بما يصلح خلقه.

الدر المنثور (٨/٢٤٢)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

(١) سبحان من أعطى ثم أثنى..

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وأتم امتنانه، انظر إلى عميم لطفه، وعظيم فضله، كيف أعطى ثم أثنى، فهو الذي زينه بالخلق الكريم، ثم أضاف إليه ذلك، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

الغزالي، الإحياء (٢/٣٥٨)

(٢) من المعلوم أن أحب خلق الله إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً؛ كان أعظمهم محبة له -سبحانه- أحسنهم خلقاً، والخلق الدين، كما قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٤٤٣)

(٣) ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: دين وهدى عظيم؛ وذلك أنه ﷺ كان خلقه القرآن، تلاوة وتدبراً، وعملاً بأوامره، وتركاً لنواهيه، وترغيباً في طاعة الله ورسوله، ودعوة إلى الخير، ونصيحة لله ولعباده، إلى غير ذلك من وجوه الخير.

ابن باز، مجموع فتاواه (٩/١٧)

﴿ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوْا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾

(١) قوله تعالى لنبيه: ﴿ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ أبلغ في الإكرام والاحترام؛ فإن قوله: لا تكذب، ولا تحلف، ولا تشتم، ولا تهمز، ليس هو مثل قوله: لا تطع من يكون متلبساً بهذه الأخلاق؛ لما فيه من الدلالة على تشريفه وبراءته من تلك الأخلاق.

ابن تيمية، دقائق التفسير (٥/١٥٠)

(٢) ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ من فوائدها: أن النهي عن طاعة المرء نهي عن التشبه به بالأولى؛ فلا يطاع المكذب والحلاف، ولا يعمل بمثل عملهما.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٣/١٦ - ٦٤)

(٣) امتهان الحلف والإكثار منه مذموم، فقد وصف الله بها أقوامًا مقبوحين فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ وبين في مواطن كثيرة أن ذلك من أبرز صفات المنافقين: ﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا﴾ (المنافقون: ٢) ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية (التوبة: ٥٦) وما يزالون على ذلك إلى يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ (المجادلة: ١٨) فعظم ربك، واحفظ يمينك.

د. محمد الخضير

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (١٦)

عبر بالوسم على الخرطوم - وهو الأنف - عن غاية الإذلال والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه؟!

الزمخشري، الكشاف (١١٧/٤)

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (١٧)

نيران النوايا الرديئة التي عصفت بقلوبهم أحرقت جنتهم، فعلينا أن نتأكد من خلو قلوبنا من تلك النوايا.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩)

ما أجمل أن ينطلق اللسان بالاعتراف بالذنب، وإن كان صاحبه نادماً في قلبه، تأمل قول أصحاب الجنة الذين أقسموا على حرمان حق الفقراء: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

القصاب، نكت القرآن (٣٨٣/٤)

﴿ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

إياك أن يكسر الذنب حسن ظنك، فسيعطيك الله بعد الذنب والتوبة أكثر.

د. عبدالله بلقاسم

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾

أضيفت الجنات إلى النعيم؛ لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا، فساكنها منعم في بدنه، ومنعم في قلبه، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر: ٤٨).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَأَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

لقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكان المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعا بالأمان: ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَأَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾

ابن القيم، الجواب الكافي (٩٢)

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾

(١) كل أمة عذبت بنوع عذاب على أيدي الملائكة: كصيحة جبريل ﷺ بثمود، وإرسال الريح على عاد، والخسف بقارون، وقلب جبريل ديار قوم لوط، إلا من كذب بهذا القرآن، فقد تولى الله عقابهم بنفسه، قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٩٧)

(٢) الباطل مهما انتفش، فهو مستدرج: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

د. محمد الراوي، تعليق على سورة هود (شريط)

٣) الانهيار الكبير في الاقتصاد الربوي الرأسمالي تجلت فيه آية عظمى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، فالآن أين دعاة الليبرالية الذين زخرفوا للدول والشعوب اللهث خلف الدولار واقتصاد الغرب الغني؟ فأراهم الله بأبصارهم حقيقة ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرَّبُوبَ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، وتأمل كلمة ﴿يَمَحُوقُ﴾، إنه الإعجاز حتى في اللفظ.

د. عصام العويد

٤) تأمل: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، فيتدرجون في طغيانهم، ويستمرثون ذلك؛ حتى يوقنوا أن سياستهم عين العدل، فإذا أمنوا العقوبة، أخذهم الله ﴿بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ٤٤ ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٤ - ٤٥).

أ.د. ناصر العمر

﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ٤٩ ﴿

هذا نبي الله، ومع هذا فلم ينبج من كربته إلا بنعمة الله وفضله ورحمته، فمن الناس بعده؟

د. عمر المقبل

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ ٥١ ﴿

أي: يعينونك بأبصارهم، بمعنى يحسدونك؛ لبغضهم إياك.. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٠١/٨)

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ ﴾

عادة القرآن تقديم ذكر عاد على ثمود إلا في بعض المواضع، ومنها: في سورة الحاقة فإنه قال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾، وسبب ذلك - والله أعلم - أن السورة لما ابتدأت بذكر ﴿ بِالْقَارِعَةِ ﴾ - وهي التي تفرع أسماع الناس من شدة صوتها - قدم ذكر ﴿ ثَمُودُ ﴾؛ لأن العذاب الذي أصابهم من قبيل القرع إذ أصابتهم الصواعق المسماة في بعض الآيات بالصيحة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٥ / ١٥)

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ، بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَٰؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ ﴿١٩﴾ ﴾

للنجاح لذة وله نشوة، تأمل نداء الناجحين ﴿ هَٰؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ ﴾ إنه نداء بصوت عال تغمره البهجة: تعالوا جميعاً هذا كتابي خذوه فاقرووه! وبمثلها يصدق المجتهد حين يستلم شهادة التفوق على الأقران، فإن أردت إكسير النجاح الذي لا ينضب في الحياتين؛ فقف طويلاً مع التعليل في قوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحاقة: ٢٠).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١١﴾ ﴾

(١) تأمل سر التعبير عن العيشة بأنها راضية في قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾، فالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية؛ فإنها اللاتقة بهم، فكأن العيشة رضيت بهم كما رضوا بها، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط، فتأمل.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٦٤)

(٢) ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ عبر عن تمام رضى صاحب العيشة برضى عيشته على الحقيقة؛ وذلك أن رضى من يلقاه ويحيط به ويخدمه مؤثر في رضاه، فكما أن رضى الوالدين في الدنيا والأولاد والزوج بل والخدم يجعل الإنسان في غاية الرضا؛ فكيف بأثر رضى من حوله عليه في الآخرة، وتاج ذلك رضى الله عنه: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (التوبة: ٧٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿كُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

(١) خرج ابن عمر ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة لهم، فمر بهم راعي غنم، فدعاه ابن عمر؛ ليأكل، فقال: إني صائم! فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سموه وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال: إني والله أبادر أيامي الخالية!

الدر المنثور (٢٧٢/٨)

(٢) قال قتادة رضي الله عنه: أيامكم هذه أيام خالية فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدموا خيراً إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

الدر المنثور (٢٧/٨)

﴿خَذُوهُ فَعُولُهُ ﴿٣٠﴾ تَمْرَ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ تَمْرٌ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟!

رموز الكنوز للرسعني (٢٦٥/٨)

سورة المعارج

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾

الحقيقة واحدة، ولكن بقدر صفاء النفوس وخلصها تكون قدرتها على التعامل الإيجابي مع الأحداث مهما عظمت، وبمقدار ما فيها من غبش تعمي عن رؤية الواقع والمستقبل على وجهه الصحيح!

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾

إذا أردت معرفة الرجل الهلوع فهو: الذي إذا أصابه الجوع مثلاً أظهر الاستجاعة، وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية، وإذا أصابه القهر أظهر الاستكانة، فلا احتمال لديه ولا إفضل.

ابن القيم، بدائع التفسير (١٩٧/٣)

﴿ وَالذِّبِّ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾

١) قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩)، وقال في سورة المعارج: ﴿ وَالذِّبِّ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾، فزاد في الآية الثانية كلمة ﴿ مَعْلُومٌ ﴾؛ فلماذا؟ لعل السبب - والله أعلم - أنه في سورة المعارج: ﴿ وَالذِّبِّ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾ (المعارج: ٢٤)، قال: ﴿ مَعْلُومٌ ﴾؛ لأن المقصود الزكاة المحددة، والحديث قبلها عن الفرائض والواجبات: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج: ٢٢)، أما في سورة الذاريات: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الذاريات: ١٩)، فالآيات قبلها في بيان فضل المتطوعين زيادة على الواجب: ﴿ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ﴾ (الذاريات: ١٦ - ١٧)، فناسب الإطلاق في الإنفاق بلا تقييد؛ حيث المراد ما زاد على الواجب.

الغرناطي، ملاك التأويل (١٠٣٦)

٢) هكذا نقل الإسلام إسعاف البائسين من أن يكون منة تذلل كرامتهم إلى أن يكون حقًا يأخذونه مرفوعي الرأس، موفوري الكرامة.

د. مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية (٤٨)

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنِنِ ﴾ (٢٨)

إياك أن تأمن من عذاب الله، وتطمئن من محاسبته؛ فإنه سبحانه لما ذكر صفات المؤمنين في سورة المعارج، أعقبها بقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنِنِ ﴾، فلا يأمن عذابه أحد، ولو بلغ من العبادة ما بلغ، إلا من آمنه الله.

د. عبدالمحسن العسكر



﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾

من أدب النصيحة وأساليبها النافعة: أن يضيف الناصح المنصوح إلى نفسه؛ لياخذ قوله مأخذ الجد والصدق المتطلب الخير له؛ لأن المرء لا يريد لمنصوحه إلا خيراً؛ ولذا قال نوح ﷺ حين دعوته لقومه: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

د.عبدالمحسن العسكر

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾

تنويع أسلوب الدعوة: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ من الحكمة الجمع بين الإعلان والإسرار؛ إزالة لما يقع في نفس المدعو من اتهام الداعي بأنه ما أراد من دعوته علانيةً إلا تلوين عرضه، والإزراء بسمعته.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة (٥/٢٣٠٠)

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ

وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

(١) صعد أمير المؤمنين عمر ﷺ المنبر؛ ليستسقي فلم يزد على الاستغفار، وقراءة آيات الاستغفار، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾، ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديع السماء التي يستنزل بها المطر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٣٣)

٢) انهارت الأسهم، وغلت الأسعار، وأعدمت ملايين الطيور، ونفقت آلاف الإبل، وأجذبت الأرض، كل هذا من البلاء، ولو تحققنا بهذه الآية، لجا الفرج من لا يخلف الوعد: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾

متدبر

﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوهُمُ فَأَرَأَى فَلَاحٌ يُجَادُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

هذه الآية ومثيلاتها دالة دلالة صريحة على أن ما يُصيبنا من كوارث إنما هو بسبب خطايانا. ومحاولة بعض الناس الهرب عن معاني مثل هذه الآيات والتشكيك فيها إنما هو مصادمة لصريح القرآن، وغفلة عن تدبر معانيه والانتفاع بها، وتطمين للمذنبين، وادعاء للكمال في النفس والمجتمع، وهو علامة على قسوة القلب، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنعام: ٤٣).

فهد العبيان



﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ جعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه: ما علموه من إرشادات القرآن، المشتملة على المصالح والفوائد واجتناب المضار، فهذا هو الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربي والإلف ونحو ذلك؛ فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٠)

﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾

من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال: يقول تعالى: ﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ قال أبو سليمان الداراني: «من صَقَّى صَقِيَّ لَهُ، ومن كَدَّر كُدَّرَ عَلَيْهِ». علق ابن الجوزي فقال: «وإنما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه؛ فاحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر ببساط الحلم؛ فربما عجل انقباضه».

صيد الخاطر (٦)

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

في بعض الأمكنة والأزمنة: كان القرآن يُقرأ على الأموات دون الأحياء، ويعد تفسيره خطيئة، إذ ساد عند بعضهم أن تفسير القرآن صوابه خطأ وخطأه كفر، فالقارئ يقرأ: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون بأعلى أصواتهم: يا سيدي مدد! ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ﴾ ﴿٢٤﴾ (محمد)؟

أبو بكر الجزائري، الدعاء ومنزلته (٣١٥)

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾

انظر إضافة النبي باسم العبودية إلى الله في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (الإسراء: ١)، ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ (الفرقان: ١)، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣)؛ لأن كل ما نُسب إلى المحبوب فهو محبوب؛

لما انتسبت إليك صرث معظمًا وعلوت قدرًا دون من لم يُنسب

ابن القيم، روضة المحبين (٢٧٠)

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢١ إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِّن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٧﴾

١) قال الواحدي: وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة، أو موت، أو غير ذلك؛ فقد كفر بما في القرآن.

مفاتيح الغيب للرازي (٦٧٨/٣٠)

٢) إنك قد لا تتعجب أن يدعي الغيب بعض السحرة، أو من ينتسب إلى مذهب ضال يتكسب من ورائه، وربما غلّف دعواه تلك باسم الدين، لكن تتعجب ممن يصدّق هؤلاء في كذبهم، وهم يقرؤون قول ربهم: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢١ إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِّن رَّسُولٍ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

د. عمر المقبل

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾

تفخر أكبر مراكز الإحصاء العالمية بجمع المعلومات في جانب معين، وبفوتها أنواع كثيرة من المعرفة، ولا تتجاوز بضعة قرون من الزمن، وربما بنّت معلوماتها المستقبلية على توقعات تصيب وتخطئ، وكل هذا يتضاءل جدًّا حين يقرأ المؤمن كلام ربه الذي أثنى على نفسه، فقال: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، فلا ماضٍ، ولا حاضر، ولا مستقبل يخرج عن هذه الآية.

د. عمر المقبل



اختبر حفظك..

إن الذي لا تلتهب مواجيده بأشواق التهجد لا يكون من أهل سورة المزمل حقًا!
كما أن الذي لا تحترق نفسه بجمر الدعوة والندارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛
ليس من المتحققين بسورة المدثر!

د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها (مقالة)

﴿قُرْآنٌ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾

إذا كان الله ﷻ قد سعى الصلاة تسبيحًا، فقد دل ذلك على وجوب التسبيح. كما أنه لما سماها قيامًا في قوله تعالى ﴿قُرْآنٌ إِلَّا قَلِيلًا﴾ دل على وجوب القيام، وكذلك لما سماها قرآنًا في قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ دل على وجوب القرآن فيها، ولما سماها ركوعًا وسجودًا في مواضع؛ دل على وجوب الركوع والسجود فيها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٥١/٢٢)

﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾

(١) تدبر عملي:

قال الحسن البصري رضي الله عنه: مر رجل من أصحاب النبي ﷺ على رجل يقرأ آية ويبكي ويردها، فقال: « ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، قال: هذا الترتيل».

مصنف ابن أبي شيبة ٢٢٦/٧

(٢) حتى يرق قلبك!

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: تمهل وفرّق بين الحروف لتبين، والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر، وفهم المعاني، وبذلك يرق القلب، ويفيض عليه النور والرحمة.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣٨٧/٥)

٣) في هذه الآية دليل على أنه لا بد للقارئ من الترتيل؛ لتقع قراءته عن حضور القلب، وذكر المعاني، فلا يكون كمن يعثر على كنز من الجواهر عن غفلة وعدم شعور.

النيسابوري، غرائب القرآن (٣٧٨/٦)

٤) والحكمة في الترتيل: التمكن من التأمل في حقائق الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ويستنير القلب بنور الله، وبالعكس هذا فإن الإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني.

المراغي، تفسير المراغي (١١٢/٢٩)

٥) إنما أمره بالترتيل؛ لأن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكير، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣)

﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَفِيلاً ﴾

١) سئل مالك عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير، وكان السائل ذا قدر؛ فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة؟ ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَفِيلاً ﴾.

الشاطبي، الموافقات (٤٧٠/٥)

٢) ﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَفِيلاً ﴾ هذه الجملة معترضة بين الأمر بالقيام والترتيل، وبين التعليل بذكر صفة صلاة الليل، ففيها دليل على أن قيام الليل من أعظم ما يعين على القيام بالتكاليف الشاقة، وهذا شأن الصلاة فرضها ونفلها؛ فإنها مما أمر بالاستعانة به كما قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (البقرة: ٤٥).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾

١) مدرسة جبريل للنبي ﷺ كانت ليلاً، فدلّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف (١٦٩)

(٢) صلاة الليل أعون على تذكر القرآن، والسلامة من النسيان، وأعون على المزيد من التدبر؛ ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ قال ابن عباس ؓ: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أدنى أن يفقهوا القرآن، وقال قتادة ؓ: أحفظ للقراءة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٤٦/٢٩)

(٣) أمر الله نبيه ﷺ في بداية سورة المزمل بترتيل القرآن في قيام الليل، وهي دعوة لتدبر القرآن، إذ لا يخفى عظم أثر الترتيل في إحداث التدبر، خصوصاً في ظلمة الليل، حيث السكون، وحضور القلب، والاعتبار.

أ. د. إبتسام الجابري

(٤) رمضان بإطلالته المباركة فرصة ومنحة لأن يطهر المسلم نفسه بالنهار؛ ليعدها لتلقي هدايات القرآن في قيام الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾، وناشئة الليل: ساعاته، فهي أجمع للقلب على التلاوة، فكان الصيام في النهار تخلية، والقيام بالقرآن في الليل تخلية.

د. سعود الشريم، خطبة: رمضان شهر القرآن

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠)

(١) ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ الصبر على ما يقولون يتضمن شيئين: الأول: عدم التضجر مما يقول هؤلاء، وأن يتحمل ما يقوله أعداؤه فيه، وفيما جاء به، والثاني: أن يمضي في الدعوة إلى الله، وأن لا يتقاعس.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (١١١)

(٢) أمر الله تعالى في كتابه بالصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه.

ابن القيم، مدارج السالكين (١٦٠/٢)

(٣) ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ الله جميل يحب الجمال، حتى في الهجر والقطيعة مع الكفار، فأبي عذر لمن يكدر صفو الوصل بالمنة والأذى مع الأقارب والأرحام؟!؛

أ. د. ناصر العمر

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا﴾ (١٢)

قرأها سليمان التيمي فقال: قيودًا والله ثقلاً لا تُفكُّ أبداً، ثم بكى.

الدر المنثور (٣١٩/٨)

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي الثَّيْلِ وَيَصِفُّهُ وَأُتْلِيهِ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَبَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠)

١) قال عمر بن الخطاب: ما من حال يأتيني عليه الموت -بعد الجهاد في سبيل الله- أحبُّ إلي من أن يأتيني وأنا بين شعبي رحلي أتمس من فضل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

الدر المنثور (٣٢٣/٨)

٢) بشرى لمن يسعى في طلب الرزق الحلال بالتجارة ونحوها، ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقد كان بعض الصحابة يتأول من هذه الآية فضيلة التجارة والسفر لأجلها، حيث قرن الله بين المجاهدين والمكتسبين المال الحلال؛ يعني أن الله ما ذكر هذين السببين لنسخ تحديد القيام إلا تنويهاً بهما؛ لأن في غيرهما من الأعدار ما هو أشبه بالمرض، ودقائق القرآن وطائفه لا تنحصر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦٦/٢٩)

٣) ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عبر الله بالقرض، وهو الغني، والحكمة في أن يقول هذا ﴿لِيُبَيِّنَ أَنْ أَجْرَهُمْ مَضْمُونٌ، كَمَا أَنَّ الْقَرْضَ مَضْمُونٌ، وَسِيرِدٌ عَلَيْهِ الْحَسَنَةُ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٌ، إِلَى أضعاف كثيرة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد (٣٩٣)

٤) تأمل آخر آية من سورة المزمل، وما فيها من التأكيد على قراءة القرآن مهما كانت الظروف، من مرض وسفر وقتال في سبيل الله! فهل يعتبر المقصرون في قراءة القرآن بسبب أعمال لا تداني هذه الأعدار؟

متدبر

سورة المدثر

﴿يَتَأْتِيَ الْمَدْيَنَ ١﴾ ﴿قُرْآنِزَّرَ ٢﴾

من أول ما نزل بعد ﴿أقرأ﴾ قوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الْمَدْيَنَ ١﴾ ﴿قُرْآنِزَّرَ ٢﴾، فانظر كيف قدم ذلك على تشريع أشياء كثيرة من العبادات وغيرها، فقف عندها، ثم قف، ثم قف، ترى العجب العجيب، ويتبين لك ما أضع الناس من أصل الأصول، وهو التوحيد والدعوة إليه.

محمد بن عبد الوهاب، رسائل الشيخ الشخصية (١٧١/١)

﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ ٦﴾

هل أعجبتك كثرة عملك؟

تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ قال الحسن رضي الله عنه: لا تستكثر عملك الصالح.

جامع البيان للطبري ٤١٥/٢٣

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ٢٣﴾ (١) الوليد بن المغيرة كان يفكر: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، لكن أين قاده تفكيره؟ الفكر الذي لا يقود للجنة، وينقذ من النار؛ وبأل على صاحبه!

د. عمر المقبل

(٢) مع أهمية (التفكير) وأثره في الحياة، فيجب أن يُبنى على أصول صحيحة، ومنطلقات شرعية، وتجرد سالم من المؤثرات الصارفة؛ وإلا كان وبالاً على صاحبه في العاجل والآجل. تدبر: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ٢٣﴾.

أ. د. ناصر العمر

(٣) إذا لم ينطلق التفكير من عقل حر متجرد للحق، عازم على الرشد، وإنما كان محاطاً بأسوار من الحسابات الأرضية والتخوفات الوهمية، فلن يصل بصاحبه إلى نتيجة سوية، وإنما سيضطرب في تفكيره ويزداد (توهماً) بصواب مسيره، وصحة طريقه، تدبر هذه الآية وما بعدها: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾؛ لترى إلى أي نهاية صاحبها وصل؟

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدِيَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

(١) إذا رأيت أن (علم الغيب) لا يزيد إيمانك ويقينك وثباتك، فراجع قلبك؛ خشية أن يكون قد أشرب فتنة، تدبر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدِيَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(٢) الجنود التي يخذل بها الباطل، وينصر بها الحق، ليست مقصورة على نوع معين من السلاح، بل هي أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل في ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش عظيم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

الغزالي، فقه السيرة (١٧٥/١)

﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

تدبر هذه الآية، يتضح لك أنه لا مجال للتوقف بحال، فتتقَدَّم إيمانك وعملك، فإن لم تكن تتقدم، فإنك يقينًا تتأخر.

أ.د. ناصر العمر

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾

أي: كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذرايعهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَابْتَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ أي: أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِن لَّمْ يَكُونُوا قَدْ شَارَكُوهُمْ فِي الْأَعْمَالِ، بَلْ فِي أَصْلِ الْإِيْمَانِ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٨٤/٣)

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

شبه هؤلاء في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمير رأت أسودًا، أو رماة ففرت منهم، وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمير، وهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء.

ابن القيم، إعلام الموقعين (١٦٤/١)

سورة القيامة

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾

قال الحسن البصري رحمه الله: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بجديتي نفسي؟ ولا أراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

الدر المنثور (٣٤٣/٨)

﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴿٤﴾﴾

(١) قرأ الحسن رحمه الله هذه الآية، فقال: إن الله أعفَّ مطعم ابن آدم ولم يجعله خفًا ولا حافرًا، فهو يأكل بيديه ويتقي بها، وسائر الدواب إنما يتقي الأرض بغمه.

الدر المنثور (٣٤٤/٨)

(٢) ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ أي: أطراف أصابعه وعظامه، وذلك مستلزم لخلق جميع أجزاء البدن؛ لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٨)

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾

(١) استحضار العبد لخطاياهم وذنوبهم؛ تجعله لا يرى لنفسه على أحد فضلًا، فيرى أن من سلّم عليه أو لقيه بوجه منبسط، فقد أحسن إليه، فما أطيب عيشه! وما أنعم بالله! خلًا لمن يرى لنفسه على الناس حقوقًا من الإكرام يطلبها منهم، ويذمهم على ترك القيام بها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٨٤٣/٢-٨٤٤)

(٢) حين يقرؤك الآخرون؛ يرون فيك جانبك الظاهر، ولن يغوص إلى ذاك الخفي سواك، ولن تكون هناك قناة أخرى تبث تردداته إليك ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾.

د. سلمان العودة، طفولة قلب (٣٦٣)

(٣) عند تلاوة هذه الآية: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ۗ﴾، قف متدبراً متأملاً، ثم اسأل نفسك بصدق وتجرد: هل جميع همومك خاضعة لهم هذا الدين؟ أو (هو) مجرد هم من تلك الهموم؟ أ.د. ناصر العمر

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ ﴿١٧﴾﴾

(١) من الآداب التي أدب الله بها نبيه ﷺ أن أمره بترك الاستعجال على تلقي الوحي؛ فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى ينتهي، ثم يسأل عما أشكل عليه منه.

ابن القيم، بدائع التفسير (٢٣٠/١)

٢- إذا كان الله تعالى نهى نبيه ﷺ عن الاستعجال بقراءة القرآن مع وجود سبب معتبر، فماذا يقول من يهتد بلا فهم ولا تدبر، أو علة لها حظ من النظر؟

أ.د. ناصر العمر

(٣) رتل ولا تعجل!

تأمل هذه الآية التي خوطب بها نبيك ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ﴾ فالترتيل هو الطريقة الشرعية للدخول إلى عالم التدبر، وقد كرر الله الأمر به في مواضع: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۗ﴾ (المزمل: ٤)، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ۗ﴾ (الإسراء: ١٠٦)، فإياك والهدرمة وسرعة القراءة التي تفقدك لذة التدبر!

﴿كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

اختيار ﴿وَتَذَرُونَ﴾ على (تدعون) له سببه؛ ذلك أن الفعل (وذر) في عموم معانيه يفيد الذم، والموقف موقف ذم، فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، فاختار الفعل الذي يقال في عموم معانيه للذم، وهو اختيار فني رفيع.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية (٢١٧-٢١٨)

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿٢٤﴾﴾

(١) قال ابن عقيل: تسمع: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ فتعش لها كأنها فيك نزلت، وتسمع بعدها: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ﴾ فتطمئن أنها لغيرك، ومن أين ثبت هذا الأمر؟ ومن أين جاء الطمع؟ الله.. الله.. وما هذه إلا خدعة تحول بينك وبين التقوى.

الآداب الشرعية (١٧٧/١)

(٢) إن روح الإنسان لتستمتع بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، فكيف بها وهي تنظر- لا إلى جمال صنع الله- ولكن إلى جمال ذات الله؟
ألا إنه مقام يحتاج أولاً إلى مد من الله، ويحتاج ثانيًا إلى تثبيت من الله؛ ليملك الإنسان نفسه، فيثبت، ويستمتع بالسعادة التي لا يحيط بها وصف، ولا يتصور حقيقتها إدراك!

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٧٧٠/٦-٣٧٧١)

(٣) إن في اليوم الآخر لموعداً يملؤه ضياء ونورًا، موعداً عمل له الأنبياء والصديقون! وتعلق به العاملون أولاً وآخرًا! إنه: رؤية الله ذي الجلال والجمال! ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾
د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٨٧)

﴿وَأَلْفَتَتْ أَلْسَانُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾

لنستعد! ﴿وَأَلْفَتَتْ أَلْسَانُ بِالسَّاقِ﴾ يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلاع. قال الضحاك ؓ: «هو في أمر عظيم، الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه».

تفسير السمعاني (١٠٩/٦)

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

من لك إذا ألمَّ الألم وسكت الصوت، وتمكَّنَ الندم، ووقع الفوت، وأقبل لأخذ الروح ملك الموت، وجاءت جنوده، وقيل: من راق؟ ونزلت منزلًا ليس بمسكون، وتعوضت بعد الحركات السكون، فيا أسفًا لك كيف تكون؟ وأهوال القبر لا تطاق، أكثر عمرك قد مضى، وأعظم زمانك قد انقضى، أي أفعالك ما يصلح للرضا إذا التقينا يوم التلاق؟

ابن الجوزي، التبصرة (٢١٧/١) (بتصرف)

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

هذا ليس من باب التكرار، بل هو وعيد ودعاء، يعني: قرب منك ما يهلك قربًا بعد قرب، كما تقول: غفر لك ثم غفر الله لك، أي: غفر لك مغفرة بعد مغفرة، فليس هذا بتكرار محض، ولا من باب التأكيد اللفظي، بل هو تعدد الطلب لتعدد المطلوب، ونظيره: اضربه ثم اضربه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام (٣٥٦-٣٥٧)

سورة الإنسان

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ١ ﴾

كان السلف لعظم خوفهم من الله، وشدة قلقهم من لحظة وقوفهم أمام الله ﷻ، يتمنون أنهم لم يخلقوا، كما قال الفاروق ﷺ: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾، فقال عمر: ليتها تمت، أي: ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً!

معالم التنزيل للبغوي (٢٨٩/٨)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٢ ﴾

جمع بين الشاكر والكفور، ولم يقل: إما شكورًا، وإما كفورًا مع اجتماعهما في صيغة المبالغة، فنفي المبالغة في الشكر وأثبتها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدي مهما كثر، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فإن أقل الكفر مع كثرة النعم على العبد يكون جحدًا عظيمًا لتلك النعم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤٥٠/٢١)

﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِئْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ ﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِيُوجِبَهُ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ٩ ﴾

١) اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِئْرِ ﴾ والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ ﴾.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٢٢ / ١٦)

٢) نعم القدوة هم:

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ ﴾ كان حماد بن أبي سليمان يفطر في كل ليلة في شهر رمضان خمسين إنسانًا، فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا وأعطاهم مائة مائة.

الإخوان لابن أبي الدنيا (٢١١)

(٣) ﴿ وَيُطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَىٰ حَيْدِهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ فمن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء، خرج من هذه الآية؛ ولهذا كانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسول: اسمع ما دعوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا، ويبقى أجرنا على الله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١/١١١)

(٤) هل تريد بابًا من أبواب العمل الخالص؟ إنها محبة المساكين والإحسان إليهم؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا، تأمل قال تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَىٰ حَيْدِهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾.

ابن رجب، اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملاء الأعلى (١٠٢)

(٥) ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ قال ابن عباس ؓ: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا.

وقال مجاهد: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله منهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/١٣٠)

(٦) ولا يزال في أمة محمد ﷺ أناس يؤثرون على أنفسهم، ويعرفون للسائل والمحروم حقه في أموالهم، ويعطون لا يريدون جزاء ولا ثناء، ما انقطعوا ولا ينقطعون إلى يوم القيامة، لسان حالهم: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (٢/٦٨)

(٧) ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ الإرادة عمل قلبي؛ فاحذر أن تقول بلسانك: لا أريد شكرًا، وقلبك يتلظى على من أحسنت عليه؛ لأنه لم يشكر.

د. صالح البهلال

﴿ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْم نَصْرَةً وَسُرُورًا ۗ ﴿١١﴾ ﴾

(١) من خاف الله في الدنيا، وأخذ أهبطه من طاعة ربه، أمّنه من أهوال يوم القيامة، ووقاه الفزع الأكبر، تأمل قوله سبحانه عن طائفة من عباده المحسنين في سورة الإنسان: ﴿ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٤/٤٦٢)

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرًا وَسُرُورًا﴾ فالنصرة تعلقو صفحة الوجه، والسرور لذة قلبية لا ترى، فجمع الله أكمل النعيم وأتمه، ظاهرًا وباطنًا، وإذا كان الرائي لأهل الدنيا المترفين - ممن تنعموا واختلطوا بأسيادهم وكبرائهم - يرى أثر ذلك عليهم، فكيف بحال من تنعم بصحبة النبيين، وتلذذ برؤية وجه رب العالمين؟

د. محمد الخضيرى

﴿وَجَزَّئِهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢)

١) قرأ رجل على أبي سليمان الداراني سورة الإنسان، فلما بلغ: ﴿وَجَزَّئِهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ قال أبو سليمان: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٠/٨)

٢) دخل في ذلك: الصبر على كل مصيبة ورزية، بفقد مال، وموت حميم وقريب، ومضض الفقر، والأوجاع والأمراض، وأشبه ذلك إذا جرع غصصه، وصبر على آلامه، وسلّم فيها لحكم ربه.

القصاب، نكت القرآن (٤٦٣/٤)

٣) من فسح لنفسه في اتباع الهوى، ضيق عليها في قبره ويوم معاده، ومن ضيق عليها بمخالفة الهوى، وسع عليها في قبره ومعاده، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله: ﴿وَجَزَّئِهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ فلما كان في الصبر - الذي هو حبس النفس عن الهوى - خشونة وتضييق، جازاهم على ذلك نعمة الحرير وسعة الجنة.

ابن القيم، روضة المحبين (٤٨٠)

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (١٣)

شدة البرد من زمهري جهنم - كما صح بذلك الخبر عن النبي - ولكمال نعيم أهل الجنة؛ فإن الله تعالى نفى عنهم الحر المزعج، والبرد المؤلم، فقال سبحانه: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾، فهل يتذكر صاحب القرآن هذا حينما يقرصه البرد؟! جعلنا الله وإياكم من أهل ذلك النعيم^(١).

(١) أرسلت في وقت شدة البرد التي مرت بالبلاد عام ١٤٢٩هـ.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا نَذِيلًا﴾ (١٤)

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا نَذِيلًا﴾ أدنيت منهم يتناولونها، إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى يتناولها، وإن اضطجع تدلت حتى يتناولها، فذلك تذليلها.
الدر المنثور (٣٧٤/٨)

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾ (١٩)

١) ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾ قال بعضهم: هذا من التشبيه العجيب؛ لأنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقاً كان أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض.

الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣٧٣/٤) (بتصرف)

٢) تأمل.. هذا وصف الخدم، فما ظنك بالمخدومين؟! لا شك أن حالهم ونعيمهم أعظم وأعلى! جعلنا الله وإياك من أهل ذلك النعيم.

د. عمر المقبل

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا﴾ (٢٠)

من أساليب القرآن البديعة: الإيجاز، تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً لا غاية بعده في السعة والجمال والدوام، ففي الآية إيجاز بليغ تذهب فيه النفس كل مذهب! د. عبدالمحسن العسكر

﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْاْ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١)

لما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي، قال بعده: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، فحلَّى الظاهر والباطن.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤)

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٢٢)

لم يُكْتَفَ في إكرام أهل الجنة وثوابهم بالإكرام بالفعل، والثواب المحسوس، بل إنهم يكرمون بالقول؛ ولذلك لما قال سبحانه: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١)، قال لهم على سبيل الحفاوة والإكرام: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾، وهذا له نظائر في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَتُودُواْ أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣). د. عبدالمحسن العسكر

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ
وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣٧﴾﴾

(١) من طال وقوفه في الصلاة ليلاً ونهاراً لله، وتحمل لأجله المشاق؛ خف عليه الوقوف في ذلك اليوم، وإن أثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة؛ طال عليه الوقوف هناك، واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣٧﴾﴾.

ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية (٣٧)

(٢) يوم القيامة يوم ثقيل، لا ينجو فيه -برحمة الله- إلا صاحب العمل الدؤوب في ليل طويل:
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا
ثَقِيلًا ﴿٣٧﴾﴾ وقيام رمضان فرصة للتعود عليه.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾

إنما بين الله ذلك في كتابه من أجل ألا يعتمد الإنسان على نفسه وعلى مشيئته، بل يعلم أنها مرتبطة بمشيئة الله؛ حتى يلجأ إلى الله في سؤال الهداية لما يحب ويرضى، فلا يقول الإنسان: أنا حر، أريد ما شئت، وأتصرف كما شئت. نقول: الأمر كذلك، لكنك مربوط بإرادة الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٧)

سورة المرسلات

﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾﴾

قال قتادة رضي الله عنه: عذراً لله على خلقه، ونذراً للمؤمنين ينتفعون به، ويأخذون به.

جامع البيان للطبري ٢٦ / ٦٥٣

﴿لَأَنِّي بَوْمٍ أَجَلْتُ ﴿١٣﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾

من المؤكد أنه لن يتم حسم كل القضايا هنا، سيبقى الكثير منها عالماً ليوم الفصل!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

(١) فلا أحسن من هذا التكرار في هذا الموضوع، ولا أعظم منه موقعاً، فإنه تكرر عشر مرات، ولم يُذكر إلا في أثر دليل أو مدلول عليه عقيب ما يوجب التصديق به، فتأمل!

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص ١٤٧

(٢) ومن الويل عليهم؛ أنهم تنسد عنهم أبواب التوفيق، ويُجرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩٢٦

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قال قتادة رضي الله عنه: عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان!

الطبري، جامع البيان ٢٦ / ٦٧٨

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إن القرآن أحسن حديث؛ في بيانه، وحججه، ومواعظه، ووعده، ووعيدته، وشرائعه، وأخباره، فمن لم يهتد بالقرآن، لم ينفعه أي حديث بعده، فلا هدى بعد هدى القرآن، ولا بيان بعد بيانه!

د. عبدالمحسن العسكري، تفسير جزء تبارك، ص ٣٩٠

سُورَةُ النَّبَاِ

﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ ﴾

قال عبد الله بن عمرو: ما نزلت على أهل النار آية قط أشد منها ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾، فهم في مزيد من عذاب الله أبدًا.

الدر المنثور ٨ / ٣٩٧

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ٣٥ ﴾

من ترك اللغو وابتعد عنه، فقد استعجل شيئًا من نعيم الجنة.

د. عبدالمحسن المطيري

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤٠ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ٤١ ﴾

(١) قال حاتم الأصم: رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤٠ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾، وتيقنت أن القرآن حق صادق، فبادرت إلى خلاف نفسي، وتشمرت بمجاهدتها، وما تمتعتها بهواها؛ حتى ارتاضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

أيها الولد للغزالي (١٢١ - ١٢٨)

(٢) ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤٠ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله، وينهى النفس عن الهوى، ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه - إذا لم يتسبب فيها - بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها، كان نهيه عبادةً لله، وعملاً صالحاً، و﴿ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ أي: قيامه بين يديه تعالى للجزاء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠/٦٣٥)

﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ إذا سمعت من الإذاعة حديثًا دينيًا، وسمعت من الأخرى أغنية لفنان أو فنانة، وتركت الأغنية للحديث، فأنت قوي الإرادة؛ لأنك سلكت الطريق الصعب، إنك تكون قد صعدت، والصعود إلى العلى صعب، أما الهبوط فهو هين.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٢٤٠)

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أتنظن أن المسلم وهو يغالب شهواته، ويجاهد نفسه على الطهر والعفاف لا يجيش في نفسه الهوى؟ كلا، بل يتحرك في نفسه من النوازع مثل ما في نفوس الفجار أو أشد، ولكنه يخاف مقام ربه؛ فينهى النفس عن الهوى.

د. سلمان العودة

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٢﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ إلى صاحب القلب القاسي! إلى متى وأنت تعبد هواك، تعبد الدرهم والدينار؟ فمتى يصفو لك توحيد؟ سارع قبل فجأة الموت.

صالح المغامسي

﴿ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا تَرَبُّبْتُمْ أَوْ لَابَسْتُمْ إِلَىٰ آعِشَةٍ أَوْ ضَحَّتُمْ ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا تَرَبُّبْتُمْ أَوْ لَابَسْتُمْ إِلَىٰ آعِشَةٍ أَوْ ضَحَّتُمْ ﴾ قال: ابن آدم! هذه الدنيا إنما هي غدوة أو روحة، أما تصبر عن المعصية؟

آداب الحسن البصري (١٠٠)

﴿ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا تَرَبُّبْتُمْ أَوْ لَابَسْتُمْ إِلَىٰ آعِشَةٍ أَوْ ضَحَّتُمْ ﴾ تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها! أفرن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟ ألا إنها الحماسة الكبرى التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرى!

سيد قطب، في ظلال القرآن (٧ / ٤٥٠)

﴿ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا تَرَبُّبْتُمْ أَوْ لَابَسْتُمْ إِلَىٰ آعِشَةٍ أَوْ ضَحَّتُمْ ﴾، فكيف لبليال معدودات من عمر الدنيا كلها؟ والمؤمن يستعمل هذا المعنى في أمثال مواسم الطاعات؛ ليغتتم كل لحظة فيها، ويغار أن يمضي وقت منها في غير قرينة، ولسان حاله يقول: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (طه: ٨٤).

د. عمر المقبل



﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ (٢)

ذكر ابن أم مكتوم في قصته في سورة عبس بوصفه ﴿ الْأَعْمَى ﴾ ولم يذكر باسمه؛ تريقاً لقلب النبي عليه؛ وليبيان عذره عندما قطع على النبي حديثه مع صناديد مكة؛ وتأصيلاً لرحمة المعاقين، أو ما اصطاح عليه في عصرنا بذوي الاحتياجات الخاصة.

د. محمد الخضيري

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ (٢٢)

إنما قال: ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾؛ لأن وقت البعث غير معلوم لأحد، فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى، متى شاء أن يحيي الخلق أحياءهم.

القاسمي، محاسن التأويل (٤٠٩/٩)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (٢٤)

تدبر عملي..

ألم يمر بك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾؟ فكم مرة نظرت إلى طعامك؟ جرّب لترى أثر ذلك في قلبك! وكم مرة سمعت: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية: ١٧)؟ ثم بادرت لتنظر في عظمة خلقها!

إن تنفيذها لسهّل ويسير، وإن أثرها في القلب لعظيم.

د. عمر المقبل

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾

ابتدأ بالأخ! ومن عادة العرب أن يبدؤوا بالأهم، والحكمة في ذلك أن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه، فتارة يقتضي الابتداء بالأعلى، وتارة بالأدنى، وهنا المناسبة تقتضي الابتداء بالأدنى؛ لأن المقصود بيان فراره عن أقاربه مفضلاً شيئاً بعد شيء، فلو ذكر الأقرب أولاً، لم يكن في ذكر الأبعد فائدة طائلة، فإنه يعلم أنه إذا فر من الأقرب، فر من الأبعد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٧٤) (بتصرف)

﴿وَجْوهٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةً ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجْوهٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتْرَةٌ ﴿٤١﴾﴾

(١) قدّم الله في (سورة عبس) ذكر الوجوه المسفرة على الوجوه التي وصفها بالغبرة والقتر، بعكس ما وقع في (سورة النازعات) من تقديم أهل الهوى على أهل الهدى، وسرّ التقديم المذكور؛ لأن سورة عبس أقيمت على عماد التنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين، والتحقير لشأن عظيم من صنديد المشركين، فكان حظّ الفريقين مقصوداً مسوقاً إليه الكلام، وكان حظ المؤمنين هو الملتفت إليه ابتداءً، وأما «النازعات» فقد بُنيت على تهديد المنكرين للبعث، فكان السياق للتهديد والوعيد وتهويل ما يلقونه يوم الحشر.

ابن عاشور، التحرير التنوير (٣٠/١٣٧)

(٢) قسامات وجوه الطلاب بعد تسليم ورقة الاختبار تشعرك بما تُكثّته صدورهم، وهو شيء مؤقت.. فما ظنك بالوجوه حين تؤخذ الكتب -يوم القيامة- باليمين والشمال؟ إما وجوه ﴿مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، أو ﴿عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتْرَةٌ﴾ (عبس: ٤٠-٤١)، وما بعد ذلك: نعيم لا ينفد، أو عذاب مؤبّد، فهل من معتبر؟

سُورَةُ التَّكْوِيْرِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾

قرأ قارئ هذه الآيات، وفي الحاضرين أبو الوفاء بن عقيل، فقال له قائل: قد نشر الله الموتى للبعث والحساب، وزوج النفوس بقرنائها بالشواب والعقاب، فلم هدم الأبنية وسير الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكور الشمس؟ فأجابه ابن عقيل: إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتفكر، والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار، خرَّبها؛ لانتقال الساكن منها.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢٦٩/٤)

﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ﴿٨﴾ ﴾

سؤال المؤودة لا يعارض الآيات النافية السؤال عن الذنب؛ لأنها سئلت عن أي ذنب كان قتلها؟ وهذا ليس من ذنبيها، والمراد بسؤالها هنا توبيخ قاتلها وتقريعه؛ لأنها تقول: لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً.

الشنقيطي، أضواء البيان (٥٠٤/٧)

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٣٨﴾ ﴾

١) فيها إشارة إلى أن الذين لم يتذكروا بالقرآن ما حال بينهم وبين التذكر به إلا أنهم لم يشاؤوا أن يستقيموا، بل رضوا لأنفسهم الانحراف، ومن رضي لنفسه الضلال حُرِمَ من الهداية: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥).

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦٦/٣٠)

٢) ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ وفي الآية إشارة إلى أن من الخطأ أن يوزن حال الدين الإسلامي بميزان أحوال بعض المسلمين أو معظمهم - كما يفعله بعض أهل الأنظار القاصرة من الغربيين وغيرهم - إذ يجعلون وجهة نظرهم التأمل في حالة الأمم الإسلامية، ويستخلصون من استقرارها أحكاماً كلية يجعلونها قضايا لفلسفتهم في كنه الديانة الإسلامية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦٧/٣٠)



﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٢﴾ ﴾

في الكوارث الطبيعية من سيول ونحوها تذكرة ببعض ما سيكون يوم المعاد! لقد رأى الناس أثر تهدم بعض السدود فيما يقع من فواجع! فإذا كان هذا أثرًا لاجتماع سيل عارض من ماء، فكيف سيكون الحال إذا جاء زمان: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾؟ هي مواقف نحياها، فالموفق يعتبر، ومن لم يعتبر، فليبحث عن قلب؛ فإن برودة الحس في أمثال هذه الأحداث علامة على قسوة القلب.
أ.د. إبتسام الجابري

﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾

(١) حدثني أحد طلابي من الجنسية الفرنسية عن رحلته إلى الإسلام، فقال: حين سمعت قوله ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ ﴾ شدني براعة الاستهلال، والعلو والثقة والقوة المطلقة التي يمتلكها قائل هذا الكلام، فأيقنت أنه ليس خطابًا بشريًا، فكانت هذه الصدمة البلاغية أول خطوات رحلتي إلى الإسلام.

أستاذ في جامعة أم القرى

(٢) تأمل في سر التعبير بقوله: ﴿ بِرَبِّكَ ﴾ دون قوله: (بالله) في قوله سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴾؛ فإن في هذه اللفظة من معاني الملك والرعاية والرفق التي تناسب تذكر الإنسان بنعم الله عليه، وتذكير باستحقاقه تعالى لطاعة مربييه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٧٥/٣٠)

(٣) أعد النظر في نفسك، وتأمل حكمة اللطيف الخبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء مواضعها منه، وإعدادها لما أعدت له، وإعداد هذه الأوعية المعدة لحمل الفضلات وجمعها؛ لكيلا تنتشر في البدن فتفسده، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٢)

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

(١) كل من عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان؛ فهو من الأبرار الصالحين، وكل من ظلم وعمل فيها بجهل؛ فهو من الفجار الظالمين، إنما الضابط قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٨)

(٢) لا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة: الدنيا، والبرزخ، والآخرة، وأولئك في جحيم في دورهم الثلاثة؛ وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى، ومحبتة، والعمل على موافقته؟!

ابن القيم، الجواب الكافي (٨٤)



﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ﴾ (١)

(١) قال سلمان الفارسي: «الصلاة مكيال، من وثق، ووثق له، ومن طفف، فقد علمتم ما قال الله في المطففين»، وهذا من عمق علم السلف بالقرآن، حيث عمم معنى الوعيد الوارد في قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ﴾، ولم يقصره على التطفيف في البيع والشراء فحسب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٣٥/١٥)

(٢) نزل قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ﴾ في تطفيف المكايل والموازين الحسية، ويدخل في هذا الوعيد التطفيف المعنوي كمن يعتذر لنفسه ولا يعتذر لغيره، ويمدح طائفة بشيء لا يمدح به الأخرى، ولا يذكر للفاضل إلا العيوب والهفوات، وهذا القياس تطبيق لقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (الشورى: ١٧)، فالقرآن توزن به الأمور، ويقاس ما لم يذكر على ما ذكر. د. محمد الخضير

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)

(١) قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: القلب مثل الكف، فيذب الذنب فينقبض منه، ثم يذب الذنب فينقبض منه؛ حتى يجتمع، فإذا اجتمع طبع عليه، فإذا سمع خيراً دخل في أذنيه؛ حتى يأتي القلب فلا يجد فيه مدخلاً، فذلك قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الدر المنثور (٤٤٦/٨)

(٢) قال علي رضي الله عنه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات، نمت، فزادت؛ حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكته سوداء، فإذا انتهك الحرمات، نمت وزادت؛ حتى يسود القلب كله، فيطبع عليه، فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الإحياء للغزالي (٢٣٥/١)

٣) انتبه قبل أن يموت قلبك!

قال الحسن البصري في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الذنب على الذنب حتى يعى القلب؛ فيموت.

جامع البيان للطبري (٢٠١/٢٤)

٤) كلما تراكمت الذنوب، طبع على القلوب؛ وعند ذلك يعى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستتهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الغزالي، الإحياء (١٢/٣)

٥) قست القلوب وغلب عليها حب الدنيا، وملأتها مشاغل الحياة وهمومها ولذاتها، فلا بد أن نختال عليها حتى نذكرها بربها وبآخرتها، وأن ندور من حولها لنجد الباب الموصل إليها؛ لئلا نكون ممن قال الله فيهم: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٠٥)

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥)

١) قال الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ. فعلق ابن كثير على كلمة الشافعي قائلاً: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣).

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥١/٨)

٢) قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيد، حجبهم في الآخرة عن رؤيته. معالم التنزيل للبغوي (٣٦٦/٨)

٣) حجاب دنيوي وأخروي!

أعظم عذاب أهل النار هو حجابهم عن ربهم ﷻ، ولما كانت قلوبهم قاسية لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان، كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن، والعارفون خوفهم في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم، وفي الآخرة من احتجابه عن نواظرهم.

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٥٥٠/٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا
 انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ
 تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

الدنيا ليست نهاية المطاف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ هل انتهى الأمر؟
 لا: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾.

سورة الانشقاق

﴿ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلِّقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾

لا أرى أن نسمي الإجازة عطلة؛ لأنه ليس في أيام الإنسان المسلم المؤمن عطلة، بل ولا غير
 المؤمن، كل يعمل، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلِّقِيهِ ﴾ نعم هي عطلة من
 الدراسة النظامية، لكن لو سُمِّيت بدلاً من العطلة إجازة، فهذا جيد.

ابن عثيمين، لقاءات الباب المفتوح (١٧/٢٩)

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ ﴾

كما أنه جعل كتاب الله وراء ظهره في الدنيا، جعل الله كتاب عمله وراء ظهره في الآخرة
 خزيًا وعارًا.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٧)

سورة البروج

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

(١) يقول أحد الدعاة: رأيت مغنياً مشهوراً طالما فتن الشباب والفتيات، فقررت ألا أدعه؛ حتى أنصحته، فسلمت عليه، وألهمني الله أن ألقى في أذنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، ثم ذهبت، فوالله ما مرت أيام إلا وقرأت خبر توبته في الصحف، فما أجمل الوعظ بالقرآن إذا صادف انتقاء حسناً، وقلباً واعياً!

(٢) قال الحسن رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة! تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٦)

(٣) لا تياس من التوبة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ انظر إلى سعة حلم الله تعالى؛ فهؤلاء يحرقون أولياءه ثم يعرض عليهم التوبة بقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾.

محمد بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (٣٣٦/١)

(٤) الذين أحرقوا المؤمنين في الأخدود سيحرقون، ولكن أين؟ في جهنم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أحرقوا المؤمنين في الدنيا؛ فأحرقوا في الآخرة، وما أعظم الفرق بين حريق وحريق.

د. عبدالوهاب الطريي

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾

أوضاع أهلنا المستضعفين في أنحاء الأرض أمر يستوجب منا الفزع لرَبِّنا والتضرع إليه أن يفرج كربتهم، وأن ينتقم من عدوهم؛ فإن عدوهم مهما بلغت قوته فليس بشيء أمام قوة الجبار رضي الله عنه، ألسنا نقرأ قوله تعالى في سورة البروج: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَفُوُّ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنثِقُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾، إذا لم تسكُب هذه الآيات -وأمثالها- القوة في قلوبنا لترجمها إلى دعاء صادق، فأى شيء إذا؟ ألا فلننطرح بين يدي ربنا، ونستنصر لإخواننا في صلواتنا ودعواتنا.

سُورَةُ الطَّارِقِ

﴿يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ﴾ (١)

١) وفي التعبير عن الأعمال بـ(السر) لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر، فمن كانت سريرته سالحة كان عمله سالحاً، فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً لسريرته، فتبدو سريرته على وجهه سواداً وظلمة، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٦٤)

٢) صدرك صندوق لأكثر أعمالك، وسيفتح هذا الصندوق: ﴿يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ﴾ فانظر ما الذي سيفتح عليه الصندوق؟ أيسرك أن يفتح وفيه رياء أم حسد أم شيء يكدر سلامته؟ هنيئاً لمن قيل له أنت ممن: ﴿أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩).

د. عمر المقبل

٣) هل يسرك أن يعلم الناس ما في صدرك - مما تحرص على كتمانها ولا تحب نسبته إليك -؟! قطعاً لا تحب، بل ستتبرأ منه لو ظهر. إذن قف مع هذه الآية متدبراً، وتأمل ذلك المشهد العظيم: ﴿يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ﴾ (١)، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠) (العاديات: ١٠)، أتريد النجاة من هذا كله؟ إذن حاول أن تأتي ربك كما أتى الخليل ﷺ ربه تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤) (الصافات: ٨٤)، وهنأ؟ «لن ترى ما يسوؤك!».

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠)

تأمل كيف نفت هذه الآية كل سبب يمكن أن يكون للإنسان يوم القيامة، فإنه نفى القوة وهي ما عند الإنسان من داخله، ونفى الناصر وهو ما له من خارجه.

البعوي، معالم التنزيل (٣٩٥/٨) (بتصرف)

سورة الأعلى

١) قرأ ابن مسعود ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه، فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا؛ لأننا رأينا زينتها ونساءها، وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل.

الدر المنثور (٤٨٧/٨)

٢) اتفقت سورتا الأعلى والغاشية في كلمة ﴿فَذَكِّرْ﴾ مما يدل على أن السورتين تركزان على التذكير بعظم حق الله، استدلالاً بآياته، وتخويفاً من شدة عذابه؛ ولذا قال: ﴿النَّارَ الْأَكْبَرَى﴾ (الأعلى: ١٢)، ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (الغاشية: ٢٤)، مما يبعث المؤمن على الحرص على تزكية نفسه، والحذر من الإعراض عن شرع ربه.

د. محمد الربيعة

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾﴾

هذا مثل للحياة الدنيا، ولعاقبة الكفار ومن اغتر بالدنيا، فإنهم يكونون في نعيم وزينة وسعادة، ثم يصيرون إلى شقاء في الدنيا والآخرة، كالمرعى الذي جعله غثاء أحوى - أي هشيمًا متغيرًا -.

ابن تيمية، دقائق التفسير (٧٥-٧٤/٥)

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿١﴾﴾

١) أي: ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله^(١).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٨٠/٨)

٢) ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ من مفهوم هذا أنها إن ضرت، فترك التذكير الموجب للضرر الكثير هو المتعين.

السعدي، القواعد الحسان (٨٢)

١- وليس مراد الحافظ - فيما يظهر - أن التذكير لا يفعل إلا إذا ظنَّ قبوله، بل المراد: أن يذكر الإنسان بما يفهمه الشخص المقصود بالتذكير؛ حتى لا يترتب على ذلك تكذيب الموعظة أو ردها بسبب عدم فهمها، كما يدل لذلك إيراد ابن كثير لأثر علي رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم).

٣) من الخطأ أن يبرر البعض ترك القيام بالدعوة استدلالاً بهذه الآية: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ دون النظر في الآية الأخرى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥). فالدعوة نافعة حالاً أو مآلاً، لكن قد تطرأ أسباب يكون من الحكمة تأخير التذكير لعارض، وبهذا نجمع بين الآيتين.

أ.د. ناصر العمر

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ۖ وَيَنْجِنَهَا الْأَشَقَىٰ﴾ (١١)

قال قتادة رضي الله عنه: والله ما خشي الله عبد قط إلا ذكره، ولا يتنكب هذا الذكر زهداً فيه وبغضاً لأهله إلا اشقى بين الشقاء.

جامع البيان للطبري (٣١٧/٢٤)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ (١٥)

استنبط بعضهم زكاة الفطر والتكبير والصلاة من هذه الآية، قال السعدي في هذا: إنه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٠)

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٦)

١) قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفتى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى، على ذهب يفتى؛ فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفتى؟!

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤/٢٠)

٢) السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول: لا شيء غيرها، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته، لم يجرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا، ولم ينقصه من سروره فيها، والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول: لا شيء غيرها، فيجعل الله له التنغيص في الدنيا التي آثر، مع الخزي الذي يلقي بعدها. ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير (٩)

سورة الغاشية

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٢﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾

مرَّ الفاروق براهب، فوقف ونودي الراهب، فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطلع فإذا بالراهب من الضرِّ والاجتهاد وترك الدنيا شيء عظيم، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: إنه نصراني، فقال: قد علمتُ، ولكني رحمته، ذكرت قوله الله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٢﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار.

الدر المنثور (٤٩١/٨)

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً ﴿١١﴾﴾

في وصفه تعالى للجنة بقوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾ دلالة على أن نقاء الجو الذي يعيش المرء فيه من العبارات الخادشة والقبيحة من أنواع النعيم؛ فينبغي على المسلم أن يُنزّه لسانه وسمعه عن اللغو، ويربي نفسه وأهله على الطيب من القول.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾

من الجهلة من يضع هذه الآية في غير موضعها، فيريد أن يتخذها حجة على حرية التدين بين جماعات المسلمين! وشتان بين أحوال أهل الشرك وأحوال المسلمين، فمن يلحد في الإسلام -بعد الدخول فيه-، يستتاب، فإن لم يتب، قتل، وإن لم يقدر عليه، فعلى المسلمين أن ينبذوه، ويعاملوه معاملة المحارب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٢/٣٠)

﴿فِعَذَابِ اللَّهِ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾

قال أهل العلم: وإنما قال: الأكبر؛ لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل.
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٧/٢٠)

سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَليَالِ عَشْرِ ٢﴾

١ ﴿وَلِيَالِ عَشْرِ﴾ يا عبد الله؛ لئذ بالجناب ذليلاً، وقف على الباب طويلاً، واتخذ في هذه العشر سبيلاً، واجعل جناب التوبة مقيلاً، واجتهد في الخير تجد ثواباً جزيلاً، قل في الأسحار: أنا تائب، ناد في الدجى: قد قدم الغائب.

ابن الجوزي، التبصرة (١٢٧/٢)

٢ ﴿وَلِيَالِ عَشْرِ﴾ سبحانه من فضل هذه الأمة، وفتح لها على يدي نبيها نبي الرحمة أبواب الفضائل الجمية، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعذر عنه آخرون إلا وقد جعل الله عملاً يقاومه، أو يفضل عليه، فنتساوى الأمة كلها في القدرة عليه.

ابن رجب، لطائف المعارف (٢٤٩)

٣ من أسرار التعبير بهذه الجملة: ﴿وَلِيَالِ عَشْرِ﴾: هي ليال معلومة للسامعين، موصوفة بأنها عشر، ولم يقل (الليالي العشر)؛ لأن في تنوينها تعظيماً، وليس في ليالي السنة عشر ليال متتابعة عظيمة مثل عشر ذي الحجة التي هي وقت مناسك الحج، ففيها غالباً الإحرام، ودخول مكة، وأعمال الطواف، وفي ثامنها ليلة التروية، وتاسعها ليلة عرفة، وعاشرتها ليلة النحر، فتعين أنها الليالي المرادة بليال عشر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣١٨/١٦)

٤ هذه الأيام التي كان الصحابة يجتهدون فيها بالعبادة، فهي أفضل الأيام على الإطلاق؛ لأنه يجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها من أمهات العبادات: من صلاة وصيام وصدقة، ولا يتأتى هذا الاجتماع في غير هذه الأيام، وعلى رأس العبادات التي فيها الحج.

محمد المنجد، عشر ذي الحجة (محاضرة)

﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾

١) في قوله تعالى في أول سورة الفجر: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾ أي: عقل، فنأخذ منها معنى يحسن التنبيه إليه: وهو أن القرآن يخاطب العقول، وبالتالي فلا تناقض بين هداية القرآن ودلالة العقل، بل العقل الرشيد الصادق لا تخطئ دلالته؛ ولهذا أحالنا القرآن عليه: ﴿ لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة)، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

د. سلمان العودة

٢) سمي العقل حِجْرًا؛ لأنه يعقل صاحبه ويحجره عما لا يليق به شرعًا وعرفًا، لكن مهمة العقل ليست مجرد المنع والحجر، بل إن من لوازم منعه عما لا يليق به: أن يصرفه إلى ما خلق له من الإبداع والتفكير والإنتاج؛ ولذا أكد القرآن على ذلك: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٨).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

قال مجاهد في الآية: ظن الإنسان كرامة الله في كثرة المال، وهوانه في قِلته، وكذب؛ إنما يُكرم بطاعته من أكرم، ويهين بمعصيته من أهان.

الدر المنثور (٤١٨/١٥)

﴿ وَلَا تَحْضُوتْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾

تأمل الإتيان بصيغة الجمع في قوله: ﴿ وَلَا تَحْضُوتْ ﴾ ففي ذلك إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون هناك جهود جماعي في الحث على الإطعام، ويؤكد هذا أن القرآن - في الفترة المكية - أبرز قضية العناية بحقوق الناس، وخاصة الضعفاء؛ لأن حفظ الحقوق يحفظ المجتمعات، وبالإطاحة بها تنهار المجتمعات من داخلها.

د. سلمان العودة

﴿ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ جِبَا جَمًّا ﴾

القرآن يضع أيدينا من أول يوم على موطن الداء، وممكن المرض العضال، إنه مرض ذو شعبتين: شعبة تنخر في نفسية الفرد، وشعبة تفتت في كيان الأمة والدولة.

محمد دراز، من خلق القرآن (٣٥)

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾

حدثني أحد الإخوة بقصة ثلاثة أطفال من أسرة واحدة، كان أكبرهم حافظًا للقرآن ويتحدث الفصحى، وفي لحظة لعب فتحت أمهم الإذاعة، فإذا القراءة لسورة الفجر، فتفاجأت بأن الابن الأكبر ترك اللعب، وجلس يستمع التلاوة، بينما استمر البقية يلعبون، فسألته عن ترك اللعب فقال: أشعر أنني أطير في السماء، وسمعتُ قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ فخفتُ واقشعر جلدي فتركتُ اللعب.

د. محمد الربيعة

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

من أهمته ذنوبه، صارت نصب عينيه ولم ينسها، ومن لم تهمة ذنوبه، هانت عليه فنيها ولم يذكرها إلى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾.

ابن رجب، مجموع رسائل ابن رجب (٣٦٣/١)

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾

١) إنما قال: لحياتي، ولم يقل: (لهذه الحياة) على معنى أن الحياة كأنها ليست إلا الحياة في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: لهي الحياة.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦٠/٣١)

٢) العبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غبًا إضاعتها يوم يقول: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٥)

﴿يَتَأَيَّنُهُ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

١) من لم تطمئن نفسه في هذه الدنيا بشريعة الله وحكمه، فلن يكون مطمئنًا في الآخرة، ولن يستمتع لذلك النداء العظيم: ﴿يَتَأَيَّنُهُ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ فاطمئن هنا؛ لتطمئن هناك.

د. عمر المقبل

٢) ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ هل تأملت سر تقديم ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي﴾؟ رفقاً بعباد الله نعيم في حد ذاته، فكيف إذا كانت هذه الرفقة في جنة الله؟

د. محمد القحطاني

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ (٧)

أي موعظة هذه التي تقول للمرائي: قِف! وللزاني: عِف! وللسارق: كُف! ولكل عاص: خِف ثم خِف! أما تستشعر نظر من لا يخفى عليه شيء جَلُّ أو لطف؟

د. عمر المقبل

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

تدبرُ ترجمه الدموع: قرأ الفضيل رضي الله عنه هذه الآية: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾، فبكى، فسئل عن بكائه، فقال: هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يعددُ من هذا الضرب.

جامع العلوم والحكم (٧٥ / ٢)

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١٠)

اختيار كلمة (النجدين) في هذه السورة بينما في السور الأخرى جاء التعبير ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ (الإنسان: ٣) و ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (عبس: ٢٠) وغيرها؛ لمناسبتها جو السورة، فإن سلوك النجد فيه مشقة وصعوبة؛ لما فيه من صعود وارتفاع، فهو مناسب للمكابدة والمشقة التي خلق الإنسان فيها، ومناسب لاقتحام العقبة وما فيه من مشقة وشدة.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٢٦٤)

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ (١٥)

فيها تعليم أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/٢٢)

﴿ تُدْرِكَانِ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (١٧)

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ التخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليها؛ حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها. ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٣٣/٣٠)

سورة الشمس

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ١ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ١٠ ﴾

النفس إن تركتها، كانت سفيرة إبليس لديك وعونه عليك، وإن أزمته الموعظة الدائمة والندم على كل ذنب، صارت لوامة، وإن استمر ذلك منها؛ حتى صار عادة لها، ابتعد الشيطان عنها؛ فصارت نفساً مطمئنة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ١ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ١٠ ﴿

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٥)

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ١٣ ﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم

بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ ﴿

إذا كان هذا عذابه لهؤلاء، وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم؛ فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم، كان أشد عذاباً.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٥٠/١٦)

سورة الليل

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ ﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ٧ ﴾

١ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨ هذان الأصلان هما جماع الدين العام كما يقال، التعظيم لأمر الله، والرحمة لعباد الله؛ فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وذلك أصل التقوى، والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢١٤/١٤)

٢ قال الشيخ السعدي: ﴿ هَذِهِ الْآيَاتُ جَمَعَتْ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنَالُ بِهَا السَّعَادَةُ؛ فَأَسْبَابُهَا ثَلَاثَةٌ: فَعَلُ الْمَأْمُورِ ﴿ أَعْطَى ﴾، وَاجْتِنَابُ الْمَحْظُورِ ﴿ وَاتَّقَى ﴾، وَتَصَدِيقُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾. فَمِنْ جَمْعِهَا ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

تيسير اللطيف المنان (٣٣٢)

﴿ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْتَظِي ﴾ (١٤)

قال الإمام مالك: قرأ عمر بن عبد العزيز في الصلاة سورة الليل، فلما بلغ: ﴿فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْتَظِي﴾، خنفته العبرة، فسكت، ثم قرأ فنابه ذلك، ثم قرأ فنابه ذلك، وتركها وقرأ: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٤٤/٢)

﴿ لَا يَصَلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ (١٥)

قال أبو أمامة: لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا أدخله الله الجنة، إلا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله، فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَصَلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي كذب بما جاء به محمد ﷺ وتولى عنه.

الدر المنثور (٥٣٧/٨)

﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْأَنْفَى ﴾ (١٧) ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ (١٨)

(١) ومما يبين الحب لله والحب لغير الله: أن أبا بكر ﷺ كان يحب النبي ﷺ مخلصاً لله، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَنْفَى﴾ الآيات، وأما أبو طالب فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار؛ لأنه كان مشركاً عاملاً لغير الله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٥/١١)

(٢) دل القرآن على تفضيل أبي بكر ﷺ، فإن قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَنْفَى﴾ (١٧) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٨)، نزل في أبي بكر بإجماع المفسرين، والأنتقى: أفعل تفضيل، فإذا ضمنت إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، تبين لك أن أبا بكر أفضل هذه الأمة بعد رسول الله.

الرازي، التفسير الكبير (٢٠٤ / ٣١)

(٣) تدبر سورتي: (الليل) و(الحجرات)؛ حيث وصف الله أبا بكر بأنه: (الأنتقى)، و(الأكرم)، فكان جزاؤه بأنه: (سيرضى)، مع أن عمره في الإسلام قرابة: (٢٥) سنة.

فماذا حققت من تلك الصفات، التي أهلتها لأن يدخل من أي أبواب الجنة شاء؛ لتفوز بالدخول من أحد هذه الأبواب؟

أ.د. ناصر العمر

سورة الضحى

﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) ﴾

نزلت على النبي ﷺ نورًا وأنسًا.. صلاة الضحى والليل تبعثان في النفس سرورًا وأنسًا، وهما من أعظم العلاجات لكشف الهموم.

د. محمد الربيعة

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) ﴾

انقطع الوحي عن النبي ﷺ ليلتين أو ثلاثًا فحزن كثيرًا؛ لأن القرآن كان زاده في الطريق الطويل، ونوره في الظلمات، فأنزل الله تسليته له: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾. فعجبًا لمن يودع القرآن ويهجره أيامًا وأسابيع بحجة انشغاله عنه! ما أقل بركة عملٍ يشغلك عن كتاب ربك!

أ. د. ناصر العمر

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٤) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٥) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٦) ﴾

(١) فلم يقل: فأواك فهداك فأغناك؛ لأنه لو قال ذلك، لصار الخطاب خاصًا بالنبي ﷺ، وليس الأمر كذلك، فإن الله آواه وأوى به، وهداه وهدى به، وأغناه وأغنى به.

ابن عثيمين، تعليق على القواعد الحسان (٥٢)

(٢) ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ وقد أغناه الله غناءين: أعظمهما غنى القلب إذ ألقي في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال حين ألهم خديجة مشاركته في تجارتها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٧٨/١٦)

٣) تذكر جيداً عظمة هذا القرآن الذي تقرأه، وأنه لا حياة لقلبك، ولن يرى النور، ولن ينفك من الجهل، ولن ينعم بالهداية إلا بهذا الكتاب، فأنت بدونه: ميت، وأعمى، وجاهل، وضال.

تأمل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾، و ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى: ٥٢).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ ﴿١٠﴾﴾

١) السائل منكسر بالفقر وذل السؤال؛ فإذا ضمنت إلى ذلك سوء الرد، تضاعف كسره، فإن لم تحسن إليه بالبذل، فلا أقل من حسن الرد.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٣٨)

٢) كم يفوت علينا من الخير عندما نقصر المعنى على بعض أفراده، ومن ذلك هذه الآية حينما نحصر معناها في سائل المال! بينما المعنى أشمل من ذلك وأعم، وأعظمه السؤال عن العلم والدين، فهل يدرك المفتون والمعلمون أنهم مخاطبون بهذه الآية؟ فليترفقوا بالسائلين؛ استجابة لأمر الله، وتحديثاً بنعمة الله عليهم.

أ.د. ناصر العمر

سورة الشرح

المتدبر لمناسبة مجيء سورة الشرح بعد «الضحى» ينكشف له كثير من المعاني المقررة في السورة، ومنها ما في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾، فمجموع السورتين يعطيان مثالاً حياً لتقرير هذه السنة، فسورة الضحى تمثل جوانب العسر التي عانها نبينا ﷺ؛ ليعقبها جوانب اليسر في (الشرح) حتى إذا انتهى المثل، يأتي التعقيب بأن مجيء اليسر بعد العسر سنة لا تتخلف. د. فلوثة الراشد

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾

(١) عن حفص بن حميد قال: قال لي زياد بن حدير: اقرأ علي، فقرأت عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ فقال: يا ابن أم زياد، أنقض ظهر رسول الله؟! - أي: إذا كان الوزر أنقض ظهر الرسول فكيف بك؟! - فجعل يبكي كما يبكي الصبي.

حلية الأولياء (١٩٧/٤)

(٢) هل تشعر بثقله؟ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ هكذا الذنب: يثقل الظهر ويوهنه لمن بقي في قلبه إحساس.. أما رسولنا ﷺ فقد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فماذا عني وعنك؟ تحسس مفاصل روحك، هل تشعر بصريرها؟

د. عمر المقبل

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

(١) قال قتادة ﷺ: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٠/٨)

(٢) أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾، وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٥﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦)

(٣) من القواعد العامة (التخلية قبل التحلية)، وقد وردت في القرآن كثيراً في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، وهذا مقام التخلية، فلما خلاه بوضع الوزر عنه، خلاه برفع الذِّكْر: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، واعتبر هذا في القرآن في كلمة التوحيد وغيرها، تجده كثيراً الوقوع في القرآن.

د. مساعد الطيار

(٤) كما أن الشانئ والشاتم هو الأنقص والأبتر، فإن من حمى جناب النبي ﷺ، ودافع عنه، له نصيب وافر من الرفعة وعلو المكانة؛ نظراً لعلو ورفعة منزلة من دافع عنه، تدبر: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. أ.د. ناصر العمر

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾

(١) أشد عسر واجهه النبي ﷺ كان عناد قومه وعدم استجابتهم له، فوعده الله ببسرين مقابل عسر واحد، فجاء اليسر الأول متدرجاً بإسلامهم آحاداً، ثم اكتمل اليسر الثاني بالنصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا؛ فلا تياس مهما واجهك من عسر وشدة، فهي محنة في طياتها منح. أ.د. ناصر العمر

(٢) تمر بنا أحياناً ضائقة قد تبكيها أو حتى تدمينا الماء، ولكني أعزي نفسي بهذه الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فوجدت الراحة التامة، حتى وأنا في أحلك الظروف أبتسم؛ لأنني أعلم يقيناً أن بعد العسر يسرين.

متدبر

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

(١) هذه خطة لحياة المسلم وضعت للنبي، وهي: فإذا فرغت من عمل ديني، فانصب لعمل دنيوي، وإذا فرغت من عمل دنيوي، فانصب لعمل ديني أخروي، فالمسلم يحيا حياة الجد والتعب، فلا يعرف وقتاً للهو والبطالة قط.

أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (٥/٥٨٩)

(٢) في آخر يوم من الاختبارات كنت أفكر بما سأفعله في الإجازة -من نوم وراحة زائدة-، فلم يقطع هذه الأفكار إلا صوت الإمام وهو يقرأ في صلاة المغرب: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، فعلمت أن المؤمن لا عطله له عن طاعة الله، بل ينتقل من طاعة إلى طاعة.

متدبر



سورة التين يتجلى فيها الحسن والكمال: في شمار، والبلدان، والخلقة والفطرة؛ فما ذكر فيها هو الأحسن في بابه وجنسه.

د. محمد القحطاني

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾

من تدبر قول الحكيم جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ لم يتجرأ أن يسخر من إنسان خلقه الله، ولا أن يحتقر خلقه مدحها الله.

د. محمد القحطاني

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

(١) وهذا تقريرٌ لمضمون السورة؛ من إثبات النبوة، والتوحيد، والمعاد، وحُكمه بتضمن نصره لرسوله على من كذّبه.. بالحجة والقدرة والظهور عليه.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص ٤٧

(٢) فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سُدى لا يؤمرون ولا يُنهون، ولا يثابون ولا يُعاقبون؟! أم الذي خلق الإنسان أطواراً بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه لا بُدَّ أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم!؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩٨١

سورة العلق

١) إذا جهل القلب عظمة الرب، تجرّأ فحاض ثم انغمس؛ فافتح لقلبك أبواب المعرفة ببريك من خلال: إدامة النظر في كونه، وإطالة التدبر في أي كتابه، بهذا افتتح العليم كتابه في سورة العلم (اقرأ).

د. عصام العويد

٢) سورة العلق بدئت بـ: ﴿أَقْرَأْ﴾ (العلق: ١)، مفتاح العلم الذي بيّن بآية: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٥)، وختمت بآية: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩)؛ ففيها بيان المنهج الحق الذي ضل عنه اليهود الذين لم يعملوا بعلمهم، والنصارى الذين عبدوا الله على جهل وضلال، فالطريق المستقيم: عبادة الله وحده على علم وبصيرة، مع توحيد مصدر التلقي المشار إليه بقوله: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾ (العلق: ١٩).

أ.د. ناصر العمر

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾

١) في هذه الآيات الخمس تسع مسائل مرتبطة ببعضها ارتباط السبب بالمسبب، والعام بالخاص، والدليل بالمدلول عليه، وكلها من منهج هذا الكتاب المبارك، وكلها مسائل عظيمة الدلالة، وأشار ابن تيمية أنها وأمثالها من السور التي فيها العجائب؛ لما جاء فيها من افتتاح الرسالة.

عطية سالم، تنمة أضواء البيان (٤٣٤/٢)

٢) في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾ إشارة إلى أن مركز القوة والحضارة والتقدم انتقل -من خلال الرؤية الإسلامية- من القوة المالية والبدنية إلى العلم والمعرفة.

أ.د. عبدالكريم بكار

٣ ﴿أَقْرَأْ﴾ أول كلمة نزلت، تأمل في دلالتها، وحرورها: قراءة، ورقى، ورقية، فالقراءة: بوابة العلم. وهو رقى ورفعته: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، ويوم القيامة يقال: «اقرأ وارق»^(١). وهو أيضًا: رقية وشفاء. فما أعجب هذا القرآن! أربعة أحرف حوت سعادة الدارين.

أ.د. ناصر العمر

٤) من تدبر القرآن تبين له أن الرب العظيم يذكر عباده كثيرًا بنعمة الخلق والإيجاد، وأن تذكر هذه النعمة، يثمر ثمرات جليلة، منها: استحقاق الخالق ﷻ للعبادة بجميع أنواعها، والإيمان بالبعث والنشأة الآخرة، وإثبات حكمة الله وعلمه في شرعه وقدره، ولزوم التواضع وترك الكبر؛ ولعل هذا من أسرار بدء الوحي بقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾. د. محمد القحطاني

٥) من لطائف اسم الربوبية (رب): أنه يظهر في بداية الوحي لمحمد ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، ولموسى ﷺ: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (طه: ١٢).

د. مساعد الطيار

٦) من أسرار التنصيص على صفة الخلق في قوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: أن ينبه الإنسان إلى أنه بهذا العلم (وهو القرآن) تكتمل في شرك وباطنك، كما كمل الله صورتك، فالذي كمل صورتك بخلقه، هو الذي أنزل القرآن لتكتمل به سيرتك، فما أسعد من جمع الله له بين: كمال الصورة، وجمال السيرة!

د. مصطفى البجاوي، مجالس صوتية في تفسير سورة الحجرات

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۝٦ أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْحَبُّ ۝٨﴾

١) ومن الطغيان طغيان العلم، فالمرء قد يزداد عنده العلم حتى تكسبه تلك الزيادة طغيانًا فيتعدى على غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشرع في العدل في اللفظ؛ لأن من أراد أن يقيم الأقوال فهو قاض، والقاضي يجب عليه أن يحكم بالعدل؛ لا أن يحكم بالهوى.

صالح آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية (٦٩٣/٢)

(١) الترمذي ح (٢٩١٥)، وأحمد ح (٦٧٩٩).

(٢) من أخطر أسباب طغيان الإنسان: غناه وإقبال الدنيا عليه مع نسيانه ربه ولقائه. تأمل قول ربك: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ (٨)﴾ فمتى اجتمعت هذه الأسباب على العبد، فقد أحاط به الهلاك من كل جانب إن لم يتداركه ربه برحمته وتوفيقه.

د. محمد القحطاني

﴿الرَّيِّعَلِمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤)﴾

(١) يا لها من آية تخلع القلب، أيها المتماذي في المعاصي، أيها المقيم على الذنب العظيم، أيها الناسي لرب الناس: إِنَّ اللَّهَ يَرَى!

د. عبدالمحسن المطيري

(٢) آية تهز الوجدان، وتفعل في النفس ما لا تفعله سلطات الدنيا كلها، إنها تضبط النوازع، وتكبح الجماح، وتدعو إلى إحسان العمل، وكمال المراقبة، فما أجمل أن يستحضر كل أحد هذه الآية إذا امتدت عينه إلى خيانه، أو يده إلى حرام، أو سارت قدمه إلى سوء، وما أروع أن تكون هذه الآية نصب أعيننا إذا أردنا القيام بما أنيط بنا من عمل^(١).

د. محمد الحمد

﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

العلم النافع إنما هو العلم المقرب إلى الله، الباعث على مراقبة الله، أما ترى سورة العلم (سورة العلق) بدأت بالوسيلة: ﴿أَقْرَأْ﴾، وختمت بالغاية: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾، وبينهما جاء الدواء لكل أنواع الجهل: ﴿الرَّيِّعَلِمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق: ١٤).

د. عصام العويد

(١) من الآثار الحسنة لهذه الرسالة التي وصلتنا من الإخوة المشتركين، أن أحدهم قال: كنت أتهاون، بل لا أبالي بإطلاق بصري، وخاصة في وجه الخادمة التي عندنا، وأزعم أن هذا صعب، ولا يمكن، فلما قرأت هذه الرسالة سهل عليّ غض البصر، فتركْتُ إطلاق البصر، فجزاكم الله خيرًا.



سورة القدر على قصرها، إلا أنها تضمنت تعظيم هذه الليلة من عدة أوجه، منها:

- ١- نزول القرآن فيها.
 - ٢- أنه تكرر فيها اسم الليلة ثلاث مرات، وفخم شأنها بالسؤال عنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾.
 - ٣- مجيء ﴿أمر﴾، ﴿سَلَّمَ﴾ بصيغة التنكير التي تدل على التعظيم.
 - ٤- التنصيص على نزول الروح (وهو جبريل) مع أنه من جملة الملائكة.
- التحرير والتنوير، تفسير سورة القدر (بتصرف)

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾

(١) عظم القرآن من ثلاثة أوجه:

- ١- أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غيره.
- ٢- أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة، والاستغناء عن التنبيه عليه.
- ٣- الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه.

الزمخشري، الكشاف (٧٨٠/٤)

(٢) كم طارت نفوس الصالحين شوقاً لقيام هذه الليلة التي عظم الله قدرها! أليست هي التي نزل فيها أشرف كلام؟ وجعلها الله خيراً من ألف شهر؟ وفيها تنزل ملائكة الله؟ تا الله إن المتاجر فيها مع الله هو الراجح.. أليس من يجرم فضلها محروم؟

د. عمر المقبل

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾

(١) إذا كانت ساعات الليل - في هذه الليالي - نحواً من (١٠ ساعات)، فإن هذا يعني أن الساعة الواحدة تعادل أكثر من (٨ سنوات)، وأن الثانية الواحدة فقط تعادل نحواً من (٥٠ يوماً)، فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على المتخلفين عن ركب المشمرين!

د. عمر المقبل

(٢) كم من شرف عظيم تميزت به هذه الليلة؟ شرف المنزل فيها، وشرف الزمان، وشرف العبادة، وشرف المتنزلين، وشرف العطاء بلا حدود، ومسك ذلك: ﴿سَلَّمْهُمُ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على من تخلف عن ركب المشمرين!

أ.د. ناصر العمر

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾﴾

(١) هل تدري كم تساوي ألف شهر في مقياس الساعات؟ إنها تعادل ٧٢٠,٠٠٠ ساعة، أي أكثر من ٤٣,٢٠٠,٠٠٠ دقيقة، أي أن دقيقة من دقائق ليلة القدر في ليلينا هذه = ٧٠,٢٤٤ دقيقة في غيرها! فيا حسرة على المفرطين!

قال ابن الجوزي: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ والله ما يغلو في طلبها عشر، لا والله ولا شهر، لا والله ولا دهر!

التبصرة (١٠٦/٢)

علق العلامة السعدي على كلامه قائلاً: وصدق ﷺ، فلو أنفق الإنسان عمره في طلبها لما قدرها حق قدرها!

شرح السعدي لعمدة الأحكام (٦٦٩/٢)

(٢) سباق الزمن مع ليلة القدر:

لو عرضت على أحدنا المساهمة في صفقة ربحها المضمون عشرة أضعاف، لركض إليها ركضاً! فكيف يفرط أحدنا بصفقة الربح فيها مضاعف ألف مرة؟! ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ إن هذا هو الغبن العظيم.

د. عمر المقبل

﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾

﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ نزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة؛ ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء، كان ذلك دليلاً على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة، كالمكان الذي فيه صور محرمة.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٢٧١)

﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

(١) استدل بعضهم على أن ليلة القدر هي (ليلة ٢٧) بأن كلمة ﴿هِيَ﴾ في سورة القدر تعد الكلمة (رقم ٢٧)، وهذا خطأ؛ ولو كان لما خفي على نبي الأمة وأصحابه وسلفه، وليس هو بمعهود العرب، ويخالف أدلة أخرى، وقد انتقده بعض العلماء كابن حزم.

ابن حزم، المحلى (٣٥/٧)

(٢) ذكرت ليلة القدر في سورة القدر خمس مرات، واشتملت على خمس فضائل: إنزال القرآن، وأنها خير من ألف شهر، وأن الملائكة والروح (جبريل) تنزل فيها، وفيها يفرق كل أمر، وأنها سلام هي حتى مطلع الفجر، فهل نقدرها حق قدرها، ونعظمها كما عظم الله شأنها؟

د. محمد الربيعة

(٣) خصَّ الله تعالى ليلة القدر بالتسمية، وأفردها بسورة كاملة، وذكر فيها خمس فضائل لها، ألا يستحق ذلك منا أن نفردها أيضًا بعبادتنا، فنتفرغ من أشغالنا وأسواقنا وهو العيد؟ هي ليلة، فاحذر أن تتحسّر، فقريبًا ﴿مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.



﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾

قال أبو هريرة ؓ: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك! واقروا إن شئتم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

الدر المنثور (٥٨٩/٨)



﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾

قال: محمد بن كعب القرظي: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ(إذا زلزلت، والقارعة) لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأفكر، أحب إلي من أن أهد القرآن ليلتي هذا، أو قال: أنثره نثرًا.
حلية الأولياء (٢١٤/٣)

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾

١) قال أبو الدرداء: ﴿فلا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله؛ فإن الله يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾﴾
الدر المنثور (٥٩٧/٨)

٢) إياك أن تستصغر ذرات الطاعات؛ فالتضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلاً، بل الاستغفار باللسان أيضًا حسنة؛ إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم، أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾﴾

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٤٨/٤) (بتصرف يسير)

٣) اندرجت المصالح كلها، دقها وجلها، قليلها وكبيرها، جليلها وخطيرها، في هاتين الآيتين: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ و ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: ٩٠).

العز بن عبد السلام، القواعد الصغرى (٢٠١)

٤) إذا كان الزارع يتعب نفسه في الحرث والبذر؛ أملاً بيوم الحصاد، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، فازرعوا فيها من الصالحات؛ لتحصدوا ثمرتها حسنات يوم يقوم الحساب. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾﴾

الطنطاوي، نور وهداية (٩)

سورة العاديات

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾

أقسم الله على شدة جحود الإنسان بالعاديات ضبحًا، ومناسبة ذلك تذكير الجاحد بأن الخيل لا ينسى فضل مالكة عليه، فيورد نفسه المهالك لأجله؛ تقديرًا لنعمة المنعم، فلا تكن البهيمة خيرًا وأوفى منك أيها الإنسان.

د. محمد الحضيري

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾

(١) قال قتادة والحسن: الكفور للنعمة.

الدر المنثور (٦٠٥/١٥)

وفي هذا تسلية للمرء إذا وجد قلة الوفاء من الخلق، فإذا كان جنس الإنسان كنودًا جحودًا لربه وهو الذي أوجده وأمدّه، وما به من نعمة فهي من الله؛ فكيف لا يكون فيه شيء من ذلك الجحود مع سائر الخلق وهم نظراؤه وأقرانه؟^(١)

(٢) قال الفضيل بن عياض: الكنود: الذي تُنسيه سيئته واحدة حسناتٍ كثيرة، ويعامل الله على عقد عوض.

المحرر الوجيز (٤٨٦/٥)

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ ﴿١﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾

(١) مناسبة الآيتين لبعضهما أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما تكنه فيها، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٢٩٨-٢٩٩)

(٢) آه للمرأى من يوم: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (٣٦٦)

(١) أرسل أحد الإخوة وهو إمام مسجد يقول: جاءت هذه الرسالة في اليوم نفسه الذي شكاني فيه أحد جماعة مسجدي بشكوى كيدية أنني أطيل الصلاة -مخالفًا إجماع جماعة المسجد- وليس هذا هو الشديد على نفسي، بل الأشد أن هذا الذي شكاني هو شخص أحسنني إليه كثيرًا، فجاءت هذه الرسالة سلوة عظيمة، وبردًا على قلبي، وهذه -والله- من بركات القرآن الكريم.

سورة القارعة

سورة القارعة تحذرك من الأعمال التي تحسف بالموازين يوم القيامة: كالرياء والغيبة والنميمة. فإنك قد تأتي بأعمال صالحة تحبطها مثل تلك الأعمال.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾﴾

١) إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال، كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القرعة في الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها؟! فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه!

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢ / ٢٦٧

٢) لو تصوّرت هذا المشهد، يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصورت أمراً عظيماً لا نظير له!

ابن عثيمين، تفسير جزء عم، ص ٣٠١

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾

في تدبري للقرآن وجدت أن تضمين شيء معنى شيء آخر يجمع له المعنيين.. ف ﴿رَاضِيَةٍ﴾ بمعنى مرضية تجمع للعيشة رضاها هي، ورضا عايشها بها.

د. صالح العايد



﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾

(١) قال حمزة الكناني: خَرَجْتُ حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق؛ فداخلي لذلك من الفرح غير قليل، وأُعجبت بذلك، فرأيت يحيى بن معين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خَرَجْتُ حديثًا من مئتي طريق! فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخل هذه تحت: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾.

سير أعلام النبلاء (١٨٠/١٦)

(٢) ثقافة «التكاثر» في عدد المصلين، والمشاهدين، والحاضرين، والحافظين والمشاركين... والتي نقلت الكثرة والقلة من كونها «نَبْضًا» إلى كونها «معياريًا» للنجاح والفشل، وقلبت «المتبوع» إلى «تابع»؛ جاءت: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾؛ لتعري حقيقة هذه «اللهاية» والتي سيتلوها (علم اليقين)، فلقد تكرر لفظ (العلم) و(الرؤية) في التكاثر ست مرات!

د. عصام العويد

(٣) قال ميمون بن مهران: كنت جالسًا عند عمر بن عبدالعزيز فقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾، فبكي، ثم قال يا ميمون! ما أرى المقابر إلا زيارة؛ ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله في الجنة أو النار!

الرقعة والبكاء لابن أبي الدنيا (٨٢)

(٤) ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ إذا كانت الإقامة في القبر مجرد زيارة مع أنها قد تمتد آلاف السنين؛ فبم نصف إقامتنا في الدنيا التي لا تتجاوز عدد سنين؟ تأمل ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ۝١١٣﴾ المؤمنون: ١١٣، فيا طول حسرة المفرطين!

أ.د. ناصر العمر

﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٨)

(١) يا من تتقلب في النعم، انتبه!

﴿ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٨) هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونيعم الآخرة؛ وسؤال الكافر تقرير أن قابل نعم الدنيا بالكفر والمعصية.

الماوردي، النكت والعيون (٣٣٢/٦)

(٢) لما اشتغل الكفار بالتكاثر بنعيم الدنيا ولذاتها عن طاعة الله وشكره؛ سألمهم عن هذا النعيم يوم القيامة؛ ليبين لهم أن ما ظنوه سبباً لسعادتهم هو من أعظم أسباب شقائهم في الآخرة.

الرازي، مفاتيح الغيب (٧٧/٣٢)

(٣) ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٨) قال ابن تيمية رحمته: أي: عن الشكر على النعيم فيطالب العبد بأداء شكر الله على النعيم؛ فإن الله تعالى لا يعاقب على ما أباح وإنما يعاقب على ترك ما أمر وفعل محذور.

الآداب الشرعية لابن مفلح (١٩٨/٣)



﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

(١) سورة العصر على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بجزايفه والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه شافيًا من كل داء هاديًا إلى كل خير.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٥٧)

(٢) الله قد أقسم بالعصر (الذي هو الزمان) على أن الإنسان لفي خسر، إشارة إلى أن هذه الخسارة تأتي حتمًا مع الزمان، وليست خسارة مال يعوّض ولا خسارة حبيب يُنسى، إنها خسارة الحياة نفسها.

الطنطاوي، نور وهداية (٢٥)

(٣) تدبر سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ثم استثنى من الخسران من اتصف بصفات أربع، فهم الراجحون، وليس من تلك الصفات تحقق نتائج ما يتووصون به من الحق، وإنما الغاية توأصيتهم بذلك، وصرهم على ما يصيبهم. وفقه هذه الحقيقة للانتصار من أعظم عوامل الشبات والاطراد والتفاوت.

أ.د. ناصر العمر

(٤) أمران متلازمان: ﴿وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ لا بد من التواصي بالحق والصبر؛ فالتواصي بالحق بدون الصبر كما يفعله الذي يعبد الله على حرف، والتواصي بالصبر بدون الحق كقول الذين قالوا: ﴿أَن أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ﴾ (ص:٦) كلاهما موجب للخسران.

ابن تيمية، تفسير ابن تيمية (٧/١٨٢)

سورة الهَمزة

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ (٣)

فيها تصوير لشدة حبه للمال، حين يظن أن لا حياة له بلا مال؛ فلذلك يحفظه من النقصان ليبقى حيًّا، ومن كان كذلك استحق الوعيد بالويل في أول السورة؛ لأنه بهذا عبْدُ للمال على الحقيقة، وفي الحديث الصحيح: «تَعَسَّ عبْدُ الدِّينَارِ»^(١).

الرازي، مفاتيح الغيب (٨٨/٣٢)

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (٦) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

(١) الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرزائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (٦) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾.

الغزالي، الإحياء (٤٩/٣)

(٢) ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ لما كانت أفئدتهم محل الاعتقادات الباطلة، ومنطلق الهمز واللمز للمؤمنين، كان جزاؤها التحطيم والإحراق بنار الله الموقدة. وهذا هو الدواء الشافي تجاه كتب ومحفوظات أهل الأهواء بإتلافها وإحراقها وتأديب حاملها؛ حماية للأمة من شرها وشرهم.

أ.د. ناصر العمر

(٣) ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨) أي: مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج - عيادًا بالله! - تأمل لو أن إنسانًا كان في حجرة أو في سيارة، ثم اتقدت النيران فيها، وليس له مهرب ولا مخرج، ما حاله؟ حسرة عظيمة لا يمكن أن يماثلها حسرة! والله تعالى أخبرنا بهذا لا لمجرد تلاوته، بل لنحذر من هذه الأوصاف الذميمة الواردة في هذه السورة (سورة الهَمزة).

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣١٧)

(١) البخاري ح (٢٨٨٧).

سورة الفيل

هذه السورة رُدُّ على الملحدِين؛ كيف؟ لأن الملحدِين ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق -وسائر الأشياء التي عذب الله تعالى بها الأمم- أَعذارًا ضعيفة، أما هذه الواقعة، فلا تجرى فيها تلك الأَعذار؛ لأنه ليس في شيء من الطَّبائع والحيل أن تُقِيلَ طيرٌ معها حجارة، فتقصد قومًا دون قوم فتقتلهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٩٢/٣٢)

﴿الَّذِينَ تَرَكَوْا فَعَلَّ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

(١) إذا تدبَّرت سياق قصة أصحاب الفيل أدركت أنّ من أعظم الحِكم في تولي الله الدفاع عن بيته ألا تكون للمشركين يدٌ على بيته، ولا سابقة في حمايته، بحميتهم الجاهلية، حتى إذا ما دعاهم النبي ﷺ لم يكن لهم سبب للاعتزاز بحماية بيت الله؛ ولذا استفهم التعجب الذي بدئت به السورة: ﴿الَّذِينَ تَرَكَوْا فَعَلَّ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٩٨٠/٦) (بتصرف)

(٢) لم يتكرَّر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل كبقية القصص لوجهين:

١- أنّ هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

٢- أن لا يتخذ من المشركين غرورًا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله

تعالى: ﴿أَجْعَلُمُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (الحج: ١٩).

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٧٨/٣٠)

(٣) ما الحكمة من إهلاك أصحاب الفيل، وعدم إهلاك من يقصد الكعبة في آخر الزمان؟ «لأنّ قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول ﷺ التي يكون فيها تعظيم البيت، أما في آخر الزمان؛ فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه إلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره، حينئذ يسלט الله عليهم من يهدمه؛ حتى لا يبقى على وجه الأرض».

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٢٠)

٤) قف متدبراً لهذه الآية: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْنَا رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ففيها تبيكت لكفار مكة، وإيماء إلى عجز آلهتهم عن الدفاع عن الكعبة عندما جاء أبرهة لهدمها، فالذي حماها هو ربك وليست أربابهم، فأى آلهة تلك التي لا تدافع عن البيت العظيم، بل ولا عن نفسها ومن يعبدها! فالأجدر أن يقال لهم ولها كما قال إبراهيم: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٧).

أ.د. ناصر العمر

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْنَا رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

هذا منهج إلهي مطرد، وسنة ربانية جارية تجاه كل جبار ومفسد في الأرض. تدبر هذه الآيات وأمثالها تدرك حقيقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٨١)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨).

فلم الانهزام أمام الباطل؟ ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

أ.د. ناصر العمر

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾

١) كم في هذه السورة من دلالة على قدرة الله وعظمته؟ طيور صغيرة ألقّت حجارة بحجم الحمصة على رجال، وأفيال عظيمة، فصارت إلى ما قاله الله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ أي: كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتت.

د. عمر المقبل

٢) تأمل هذا الأسلوب البديع: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فلم يقل: «كروث الدواب»؛ لتعلم حسن الخطاب وأدب الألفاظ، وهو منهج مطرد في القرآن، كما في قصة امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾ (يوسف: ٢٤)، فلنتدبر هذه الآيات وأمثالها ولنلتزم بها؛ لنكون من أولئك الذين ﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤).

أ.د. ناصر العمر



﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾

(١) ألف الله قريشًا بنعم شقّي، فحبس عنهم الفيل، وعطف عليهم قلوب الناس، وفتح لهم التجارة، وأطعمهم من جوع، وأمنهم من خوف، ومع ذلك لم يستجب أكثرهم أول الأمر؛ فلا يتعجب الداعية إذا عرض الناس عن الله مع نعمه عليهم.

ابن الجوزي، زاد المسير (٣١٤/٨)

(٢) ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ ما سرُّ تقديم الله تعالى تأليفه قريشًا على الأمر بعبادته؟ قال أهل العلم: إنما قدم للاهتمام به، إذ هو من أسباب أمرهم بعبادة الله، وشكره على نعمه الكثيرة عليهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٨٦/٣٠)

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

(١) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، ولم يقل: فليعبدوا الله؛ لما يومئ إليه لفظ: ﴿رَبِّ﴾ من استحقاقه الأفراد بالعبادة دون شريك. وأضيف ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿هَذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش: ٣) دون أن يقال: (ربهم) للإيماء إلى أن البيت هو أصل نعمة الإيلاف بأن أمر إبراهيم ببناء البيت الحرام، فكان سببًا لرفعة شأنهم بين العرب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٩٢/٣٠)

(٢) تأمل كيف ربط بين السبب والمسبب في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ وهذا ظاهر في أول آية في المصحف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والمعنى: أنه سبحانه مستحق للحمد؛ لأنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم، وقرّر هذا في أول نداء في المصحف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ثم بيّن السبب بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (البقرة: ٢١).

عطية سالم، تنمة أضواء البيان (١١١/٩)

٣) قال تعالى في سورة النمل: ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٩١)، وقال هنا: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾؛ لأن السياق هنا لبيان عظمة البيت، بينما في «النمل» المقام مقام بيان عموم ملكه؛ لئلا يدعي المشركون أنه رب البلدة فقط.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٢٢)

٤) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣) ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ الكريم يأسره المعروف، ويشكر الإحسان، ولذا قرن سبحانه الأمر بعبادته بذكره لنعمه؛ لتنقاد لذلك نفوس عباده.

د. عبدالله السكاكر



﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾

١) هذا إيذانٌ بأنَّ الإيمانَ بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة؛ حتى يصير ذلك لها خلقًا إذا شئت عليه، فزكت وانسقت إلى الخير بدون كلفة، ولا احتياج إلى أمر، ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات حتى إذا اختلى بنفسه، وأمن الرقباء، جاء بالفحشاء والأعمال النكراء!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٩٦/٣٠)

٢) الإيمان باليوم الآخر ليس اعتقادًا مجردًا، بل يحمل صاحبه على إطعام اليتيم والمسكين، كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨)، وماذا يرجون؟ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٩-١٠).

عطية سالم، تكملة أضواء البيان (١١٤/٩)

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾

(١) سمّاهم مصليين، لكنهم ساهون عن فعلها، أو عن وقتها، أو عن أدائها بأركانها وشروطها، أو عن الخشوع وتدبر معانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، من أتصف بشيء من ذلك، فله قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٨١/٤)

(٢) اعلم أرشدك الله لطاعته أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال القلب على الله تعالى فيها، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة (١)

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾﴾

جمع هؤلاء: تكديبًا بالبعث وانتقاصًا لحقوق ضعفة الخلق وتفريطًا في الصلاة وشغفًا بالدنيا جعلتهم يتعلقون بحقير الأواني.. وهم -مع هذا- يراءون، ولو فتّشت، لوجدت أن أقل الناس عملاً مثمرًا لهم نصيب وافر من هذه الصفات أو بعضها.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يمنعون الناس منافع ما عندهم، من القليل والكثير، وإذا أريد بالماعون الإناء، فهم لما هو أعظم منه أشد منعًا.

جامع البيان للطبري (٦٦٥/٢٤) (بتصرف)



١) أبانت سورة الكوثر - مع اختصارها - عن حقيقة الخير الكثير الذي لا يتحقق إلا بأمرين:

١- تتابع العطاء.

٢- دفع المنغصات.

فالعاقل لا ينشغل في دينه أو دنياه بطلب الأول دون الثاني.

د. عصام العويد

٢) تدبر ترتيب سورة الكوثر، تجد التسلسل العجيب!

إذا أعطاك الله خيراً عظيماً - وأعظمه هذا الدين - وسخر لك دعوة الناس إليه وتعليمهم إياه، فتفرغ لعبادة ربك العبادة الشاملة، ولا تلتفت إلى ما يكيده خصومك لك من أذى حسي ومعنوي، ولا تقلق بسبب ذلك؛ فعاقبتهم خسار ووبار ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣).

أ.د. ناصر العمر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١

١) دلت الآية على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفراً وإن نال منه بعض أمته شيئاً كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه والافتداء به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٣٠/١٦)

٢) لا يُزهد في الدنيا شيء مثل تذكر نعيم الله تعالى، فأى شيء في الدنيا يُستعاض به عن الكوثر؟

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ٢

١) ومن فوائد الالتفات - أي من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب - في الآية أنها دالة على أن ربك مستحق لذلك، وأنت جدير بأن تعبدته وتنحدر له.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٣٣/١٦)

(٢) لما ذكر الله منته على نبيه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، أمره بشكرها، فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، وهو دليل على أن من أعظم صور الشكر: العمل -عمل القلب وعمل الجوارح- ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (سبأ: ١٣).

(٣) ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ① ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، النحر أفضل من الصدقة التي في يوم الفطر، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ أن يشكر نعمته عليه بإعطائه الكوثر، بالصلاة له والنحر، كما شرع ذلك لإبراهيم خليله ﷺ عند أمره بذبح ولده، وافتدائه بذبح عظيم.

ابن رجب، فتح الباري (١٦١/١)

(٤) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ إنما خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦)

(٥) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ولم يقل: فصل لنا؛ لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٠٣/٣٠)

(٦) لما كانت الصلاة والنحر أكثر العبادات التي يصر فيها المشركون لأوثانهم، حُصِّتا بالذكر في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، وأبرز مقصودهما وغايتهما: ﴿لِرَبِّكَ﴾، ولذا لم يقل: فصلّ وانحر؛ ليستقر المعنى وهو: فصل لربك، وانحر لربك، وحده لا شريك له، مراغمًا المشركين الذين جعلوا صلاتهم ونحهم لغير الله.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٧٤/٣٠) (بتصرف)

(٧) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ أي: تقرب إليه بالنحر، والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم، لكنه ذكر النحر؛ لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين؛ ولهذا أهدى النبي ﷺ في حجته مائة بعير، ونحر منها ٦٣ بيده، وأعطى علي بن أبي طالب الباقي فنحرها.

ابن عثيمين، تفسير القرآن (٢/٤٦)

﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

(١) وصفه بكونه شائئاً، كأنه - تعالى - يقول: هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنه يبغضك، والمبغض إذا عجز عن الإيذاء، فحينئذ يحترق قلبه غيظاً وحسداً؛ فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول المحنة لذلك العدو.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧/٢٥٢)

(٢) من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شائئٌ لما جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه! ويشغل بقول فلان وفلان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٧)

(٣) من شأنه ﷺ بغض ما جاء به، وقد علق ابن تيمية على هذه الآية فقال: الحذر الحذر أيها الرجل، من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله.

ابن تيمية، دقائق التفسير (٦/٣١٢)

(٤) ولم يقل: إن شأنك أبتَر، بل أبرز الضمير (هو) لإفادة الحصر، فكأنه لا مقطوع ولا مذموم سواه. وإذا كان شأنه ﷺ داخلاً في الآية دخولاً أولياً، فإن شأنه سنته والداعين إليها له من ذلك نصيب بقدر بُغضه وكرهه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٠٥)

سورة الكافرون

١) معرفة العلاقة بين كثير من السور المتتابعة في المصحف له أثر في التدبر، فسورة النصر بعد الكافرون يفيد بأن النصر ثمرة من ثمار الثبات على المبادئ دون أي تنازل ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦).

وسورة قريش بعد الفيل فإهلاك من أراد بالكعبة شرًا ونجاة قريش نعمة كبرى تقتضي أن ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش: ٣) لا أن يعبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع. أ.د. ناصر العمر

٢) سورتا الكافرون والإخلاص وردت قراءتهما مقترنتين في مواضع: مثل ركعتي الفجر، وجاءت فيهما فضائل، مثل كون الإخلاص تعدل ثلث القرآن.. فكان تدبرهما حقًا على كل قارئ.

﴿قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ﴾

فيها تصريح بكفرهم وتسميتهم بتسمية الله لهم، وبعضهم يتخاذل؛ فلا يستطيع أن يسميهم إلا لقب (الآخر).

متدبر

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾

١) كان نبينا ﷺ يقرن بين سورة الكافرون والإخلاص في مواضع، ففي سورة الإخلاص: التوحيد القولي العلمي، وفي سورة الكافرون: التوحيد القصدي العملي: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، وبهذا يتميز من يعبد الله ممن يعبد غيره، وإن كان كلاهما يقر بأن الله رب كل شيء.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (٣/٣٩٤)

٢) ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في حالي هذه، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (الكافرون: ٤) في المستقبل، فيه من قوة العبارة والثقة ما يقطع محاولاتهم بأن يتنازل عند دينه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٦٩٠)

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣)

نزلت في أشخاص معينين، أي: لم تعبدوا الله في الحاضر، ولن تعبدوه في المستقبل، وهذا من علامات النبوة وصدق الوحي، فقد مات جميع هؤلاء على كفرهم دون أن يعبدوا الله.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (٤) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٥) ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٦)

(١) لا تلفيق ولا ترقيع، فالمادة الأولى: الصفاء وتوحيد المنهج، وإلا فلن يعجز نبينا ﷺ عن جمع العرب بفكرة اقتصادية، أو أدبية، أو فكرية، أو حزب شعبي، أو طموح أرضي.

د. عائض القرني

(٢) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون:٣)، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (التوبة:٧٧)، ﴿لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ (التوبة:٨٣)، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (النساء:١٣٧)، عند تأمل هذه الآيات وأمثالها تجد أنها تتفق على حلول سخط الله بأقوام عصوه، فحال بين قلوبهم وبين الهداية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال:٢٤)؛ فلنستجب له قبل فوات الأوان.

أ.د. ناصر العمر

(٣) كنت في الهند ومعني صديقي فدخلنا سوقًا شعبيًا كبيرًا ينتشر فيه بيع الأصنام، بدأت أتأمل في هذا المنظر، وإذ بلساني ينطق: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكُفْرُوت﴾ (١) ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى نهاية السورة، وكأني لأول مرة أقرأها، ولم أزل أرددها وكأني أحدثهم، حتى خرجنا من هذا السوق، أما صديقي فهو مستمر في البكاء من عظمة هذا الموقف.

متدبر



(١) فسّر بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنه من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه - يعني: نصلي ونستغفره -، وهو معنى مليح صحيح، وثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩٢/٤)

(٢) وجه استنباط ابن عباس من أن سورة النصر فيها إشارة إلى أجل النبي صلى الله عليه وسلم: أن حياته فاضلة، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار - في هذه الحال - إشارة إلى أن أجله قد انتهى؛ لذا كان صلى الله عليه وسلم يكثر من التسييح والحمد في صلاته. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦)

(٣) رسالة للدعاة الذين يقبضون ثمن نجاحهم!

فسّر عمر وابن عباس رضي الله عنهما سورة النصر بأجل النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أسرار ذلك - والله أعلم -: أن الانتصار تعقبه غنائم جمّة؛ فحتى لا يتعجل شيئاً من غنيمة الدنيا المتحققة تلقائياً، توفاه قبل أن يتنعم بشيء من مكاسب الانتصار النبوية.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾

(١) عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثّر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يتأول القرآن^(١)، والمعنى: أنه يفعل ما أمره القرآن به، وهذا من التدبر العملي.

(٢) ﴿ فَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ ﴾ جمع بين التسييح والاستغفار؛ إذ في الاستغفار محو الذنوب، وفي التسييح طلب الكمال.

د. عبد المحسن المطيري

(٣) كم بين قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَلْمِزُكَ لَتَأْتِيَكَ مِنْ تَحْتِ الْوُجُوهِ الْمَوَالِكُ ۝٣٠ ﴾ (الشعراء: ٣)، وقوله: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝١٠٦ ﴾؟ إنها سنوات قليلة لا تساوي شيئاً في أعمار الأجيال.

متدبرة

(١) أخرجه البخاري ح (٧٨٤)، ومسلم ح (٤٨٤).



﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾

فيها أن الأنساب لا عبرة بها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم، كما قال تعالى: ﴿بِنِسَاءِ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٠).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٦٠٢)

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾

قيلت هذه الآية لَمَّا ادَّعى أبو لهب أنه سيفتدي من العذاب بماله وولده، كما قال ابن عمه: ﴿لَأُوتِينَكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم: ٧٧)، ف قيل له: ﴿وَنَرْتُهُ، مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا﴾ (مريم: ٨٠)، فسبحان الله! تأمل كيف تشابهت قلوب أعداء الرسل في اغترارهم بأموالهم وأولادهم.

متدبر

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾

في هذه السورة دليل على النبوة، فإنه نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد: ٣)، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لا ظاهرًا ولا باطنًا، ولا سرًّا ولا علنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٥١٧)

وقد كان تأمل هذا المعنى سببًا في إسلام أحد العلماء الأمريكان.

﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ ﴾

(١) فيه عبرة لكل متعاونين على الإثم، أو على إثم ما، أو عدوان ما.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٦٠٣)

(٢) إنها المرأة حين تعين زوجها على كفره وعناده؛ ولذا ستكون عونًا عليه في عذابه في نار جهنم! قارن هذا مجال خديجة، فإنها لما هيأت بيتًا هادئًا هانئًا لزوجها ﷺ، بُشّرت ببيتٍ في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب، فما أعظم أثر المرأة في حياة زوجها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥١٥/٨) (بتصرف)

(٣) ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت تحمل الحطب والشوك فتضعه في طريق النبي ﷺ، فلما حصل لأبي لهب وعيدٌ مقتبس من كنيته، جعل لامرأته وعيدًا اقتبس لفظه من فعلها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦٠٥/٣٠) (بتصرف)

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

(١) روي أنّ أمّ جميل - امرأة أبي لهب - باعت «عقدًا» لها ثمنه ١٠٠٠٠ درهم أنفقتها في الباطل، فكان الجزء ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ في جيدها؛ أي: في نفس موضع العقد، فالذي يهدي نار السجائر للناس من حوله أما فكر لحظة في نوع الهدية التي يتلقاها فمه يوم القيامة!؟

د. عصام العويد

(٢) تأمل في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ إذ جعل لامرأة أبي لهب وعيدًا موافقًا لفعلها في الدنيا، حيث ستحمل ما يوقد به على زوجها الذي أطاعته في الصد عن الدين وأذية الدعاة إليه. ومن عظيم الخزي لهما أن جعل شدة عذاب الزوج على يد أحب الناس إليه، وأن جعلها سببًا لعذاب أعز الناس عليها.

د. محمد العواجي



١) حاول بعض الفصحاء والبلغاء في الأندلس أن ينظم شيئاً يشبه القرآن، فنظر في سورة (الإخلاص)؛ ليحذو على مثالها وينسج -بزعمه- على منوالها، قال: فاعترتني خشية ورقة؛ حملتني على التوبة والإجابة.

الشفاء (٢٠٨/١)

٢) سورة الإخلاص ثلث القرآن كما صحَّ الحديث^(١)؛ لأنَّ علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على تقرير التوحيد تمام التقرير؛ فهي ثلث القرآن.

ابن جزي، التسهيل (٣٧١/٣)

٣) هل تحفظ سور الإخلاص والمعوذات حقاً؟ إن الذي لا يكابد منزلة الإخلاص، ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلق بمقام توحيد الله في كل شيء رغباً ورهباً؛ فليس يحافظ حقاً لسورة الإخلاص! وإن الذي لا يذوق طعم الأمان عند الدخول في حمى «المعوذتين»، لا يكون قد اكتسب سورتي الفلق والناس!

د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها (مقالة)

٤) سورة الكافرون فيها توحيد العبادة، وسورة الصمد فيها توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتسميان سورتي الإخلاص؛ ولذا تشرع قراءتهما في أول اليوم في سنة الفجر وفي ركعتي الطواف، وفي آخر الوتر؛ تحقيقاً للتوحيد وتجديداً له.

د. محمد الخضير

٥) الحج كله توحيد!

ألا ترى أن الحاج يفتتح حجه بـ «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك» ويختتمه بركعتي طواف الوداع التي يقرأ فيهما بسورتي الإخلاص والتوحيد، وأفضل ما يقوله الواقفون بعرفة كلمة التوحيد، وهذا من أبلغ ما يكون في بيان علاقة الحج بالتوحيد.

د. محمد الخضير

(١) أخرج الحديث البخاري ح(٦٦٤٣)، ومسلم ح(٨١١)، وأبو داود ح(١٤٦١)، والترمذي ح(٢٨٩٦)، والنسائي ح(٩٩٥)، وابن ماجه ح(٣٧٨٧).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾

(١) ربما ظن بعضهم أنّ السياق أن يقول: (هو الله الأحد الصمد)، ولكنها فُصِّلت عن التي قبلها؛ لأنّ هذه الجملة مسوقة لتستقر في النفوس ولتعظم، فكانت جديرة بأن تكون كل جملة مستقلة بذاتها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٥٠/٣٠)

(٢) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: الذي يصمد إليه في الأمور، ويستقل بها، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤)؛ أي: لا مثل له.

جامع البيان للطبري (٦٩٢/٢٤-٦٩٤) (بتصرف)

فهل لنا أن يكون الله تعالى -الذي لا مثل له- أول من نلتفت إليه في كل حاجة نحتاجها، في شدّة، أو رخاء، أو رغبة، أو رهبة؟

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَدَّ ﴿٣﴾﴾

فيها ردٌّ على أكثر فرق الضلالة، وعلى رأسهم اليهود الذين يقولون: عزيز ابن الله، والنصارى الذين يقولون: المسيح ابن الله، وغيرهم من فرق الضلال.

السيوطي، الإكليل (٣٠٢)



اشتملت سورتا الفلق والناس على ثلاثة أصول للاستعاذة:

أ- نفس الاستعاذة. ب- المستعاذ به. ج- المستعاذ منه.

فبمعرفة ذلك تعرف شدة الضرورة إلى هاتين السورتين، وأن حاجة العبد إليهما أعظم من حاجته إلى النَّفْس والطعام والشراب واللباس.

ابن القيم، التفسير القيم (٢/٢٦٠)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾

(١) في الاستعاذة بهذه الصفة تفاعل، وتذكير بالنور بعد الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفرج بعد الانغلاق، والفلق كل ما يفلقه الله تعالى، كالنبات من الأرض، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك، وكله مما يوحي بالفرج المشرق العجيب.
أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (٩/٢١٤) (بتصرف)

(٢) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ والفلق هو: النور الذي يزيل الظلام ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام: ٩٦)، فهذا المطلع القوي يفيد التفاؤل عند مواجهة الأمور العظيمة، كهذه الشرور المذكورة في السورة. كما أنها تضمنت شرورًا تقع غالبًا في الليل، فقابلها بالنور الذي يفلقها ويزيل أثرها كما يزيل الصبح أثر الظلام.

أ.د. ناصر العمر

(٣) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ كثيرون يقرؤونها وهم يستحضرون في أذهانهم شرور غيرهم، بينما الواجب أن يستحضروا التعوذ من شرور أنفسهم ابتداءً، كما في خطبة الحاجة: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا»^(١)، وحديث: «أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشر كبه»^(٢)؛ فقدم شر نفسه على شر الشيطان.

أ.د. ناصر العمر

(١) رواه أبو داود ح (١٠٩٧)، والترمذي ح (١١٠٥)، والنسائي ح (٣٢٧٧)، وابن ماجه ح (١٨٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي ح (٣٣٩٢)، وأحمد ح (٦٣).

٤) ما أعظم الاستعاذة بهذه الصفة العظيمة (رب الفلق)، وما تشتمل عليه من قوَّةٍ وغلبةٍ وسلطانٍ على ظلمات الشرور والسحرة والحاسدين. وتأمل لفظة الفلق وما يقابلها من انغلاقٍ الليل، وانغلاق عقد السحرة، وانغلاق قلوب الحاسدين.

متدبر

٥) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ هل رأيت شيئاً يبعث الطمأنينة والأمن من الشرور مثل هذا؟ إنك لا تستعيز من شيء بأعظم من الذي خلقه.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾

١) ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ أي: الليل إذا دخل، ومن تأمل أنواع الشرور، وجد أكثرها في الليل، وفيه انتشار الشياطين، وأهل الغفلة والبطالة، فحريٌّ بالمسلم اغتنامه بالعبادة، وتجنب السهر فيما لا ينفع، وخصوصاً في الأسواق ونحوها.

عطية سالم، تنمة أضواء البيان (١٦٠/٩) (بتصرف)

٢) ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ غاسق هو الليل، وقد أمر الله بالاستعاذة من شر ما خلق، وإنما خص الليل؛ لأن أكثر المعاصي تقع في الليل، وأكثر السرقات في الليل، والهوام تخرج في الليل، والشياطين تنتشر في الليل، وهنا معنى لطيف ذكره العلماء: أن السحر أكثر ما يكون تأثيره على الإنسان في الليل.

د. عمر العيد، المعوذات (شريط)

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

١) اقتران الحسد بالسحر هنا يشير إلى وجود علاقة بين كلٍّ من السحر والحسد، وأقل ما يكون هو التأثير الخفي الذي يكون من الساحر بالسحر، ومن الحاسد بالحسد، مع الاشتراك في عموم الضرر، فكلاهما إيقاع ضرر في خفاء، وكلاهما منهجيٌّ عنه.

عطية سالم، تنمة أضواء البيان (٦٤٠/٩)

٢) العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد؛ ولهذا جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن؛ لأنه

أعم، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ العبد من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من شمول القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢/٢٣٣)

٣) اقترن الحاسد والساحر في السورة؛ لأنَّ مقصدهما الشر للناس، والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه؛ فهذا -والله أعلم- قرن في السورة بين شرّ الحاسد وشر الساحر؛ لأنَّ الاستعاذة من شرّ هذين تعم كلَّ شر يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد من شياطين الإنس والجن، والسحر من النوعين، وبقي قسم ينفرد به شياطين الجن وهو الوسوسة في القلب، فذكره في سورة الناس.

عطية سالم، تتمّة الأضواء (٩/١٦٢)

سورة الناس

١) ذكر الله تعالى في سورة الناس صفة الألوهية والربوبية والملك، كما ذكرها في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ (الفاتحة: ٢-٤)، ومن اللطائف: أنهما أول سورة وآخر سورة؛ فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بمعاني هذه الصفات.

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره (١١)

٢) عدد أحرف سورتي الفلق والناس (١٥٣) حرفاً فقط، وعدد أحرف سورتي هود ويوسف (١٤٧٨١) حرفاً، ومع هذا فالمعوذتان أفضل بنص الحديث الصحيح، كتاب ربنا كتاب معاني، ومع هذا ما زال بعضنا يركض في حفظه وتلاوته يستكثر الحسنات في غفلة عن المعاني العظيمة. د. عصام العويد

٣) في سورة الفلق يستعيد القارئ بصفة الربوبية مرة واحدة من أربعة أشياء، بينما يستعيد في سورة الناس بثلاث صفات لله ﷻ من شر شيء واحد - وهو الشيطان -، وما ذاك إلا لشدة خطر الشيطان، فهلاً استشعرنا عظمة صفات ربنا ونحن نستعيد به من عدونا؟ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٣٩/٨) (بتصرف)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ ﴾

من المعلوم أن الله رب جميع الخلائق، وإنما قال رب الناس مع أنه رب جميع مخلوقاته؛ للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم. الشوكاني، فتح القدير (٦٤٢/٥)

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنْ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾

١) قال قتادة: ﷺ: إن من الناس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

الدر المنثور (٨٠٩/١٥)

٢) قال العلامة ابن باديس: والسر في التعبير بـ ﴿يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ بدلاً من (قلوب الناس)؛ لأن القلب مجلى العقل، ومقر الإيمان، وقد يكون محصناً بالإيمان فلا يستطيع الوسواس أن يظَّهره، ولا يستطيع له نقباً.

تفسير ابن باديس (٣٨٤/١)

٣) ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بين الله تعالى نوع الموسوس، بأنهم من الجنة والناس؛ لأنه ربما غاب عن البال أنَّ مِنَ الوسواس ما هو شرٌّ من وسواس الشياطين، وهو وسوسة الناس، وهو أشدَّ خطراً، وهُم بالتعوُّذ منهم أجدر؛ لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضرِّ أدخل وأقدر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٥٦/٣٠)

٤) علَّق الموسوسة هنا بالصدر، الذي هو موضع القلب، وهو محل العقل والتقوى والصالح والفساد، فحرَّيُّ بالعبد أن يُطهِّر قلبه، وما تطهَّرت القلوبُ بمثل ذكر الله، وتدبر كتابه، والإخلاص له، والتوبة إليه.

عطية سالم، تنمة الأضواء (١٧٩/٩)



تأملات في

أسماء الله الحسنى^(١)



(١) (القيوم) ﷻ: الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، ولا قيام لغيره إلا به، وإذا ضمنت هذا الاسم إلى اسمه (الحي) تبين أن الحي جامع لصفات ذاته و(القيوم) جامع لصفات أفعاله، ومن آثار الإيمان به:

- التبرؤ من الحول والقوة والافتقار الدائم له سبحانه.

- الجمع بين الاسمين (الحي القيوم) له أثر خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات.

ينظر: سنن النسائي (١٣٠٠)

(٢) (الحميد) ﷻ، الذي حمد نفسه في أوسع دوائر الزمن: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ (القصص: ٧٠) وحمد نفسه في أوسع دوائر المكان: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الروم: ١٨) افتتح أول الخلق بحمد نفسه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١) وختم الخلق بحمد نفسه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥) إنه ربك الذي يرضى عنك إذا حمدته على لقمة تأكلها، أو شربة تشربها.

جامع البيان للطبري (٣٤٤/٢١) (بتصرف)

(١) قام بصياغة هذه الرسائل وإعدادها: د. عمر بن عبدالله المقبل مع الاستفادة من كتب كثيرة، أهمها كتابان:

١- فتح الرحيم، للعلامة ابن سعدي.

٢- والله الأسماء الحسنى، للشيخ عبدالعزيز الجليل.

٣) (النصير/خير الناصرين) ﷺ: الذي وعد عباده بالنصر في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيإعلاء كلمتهم ومنهجهم كما صنع دأود وسلمان ونبينا ﷺ، أو بانتقامه من أعدائه كما صنع بقوم نوح ويفرعون وجنوده.

جامع البيان للطبري (٦ / ١٢٦)، (١١ / ١٨٣) (بتصرف)

٤) ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد: ١٩) فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره؛ فالله الذي خلقنا ورزقنا -ونحن نرجو رحمته ونخاف سخطه- أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها.

قوام السنة الأصفهاني، الحجة في بيان المحجة (١٣٤/١)

٥) (الرؤوف) تباركت أسماؤه: المتصف بالرفقة، وهي أعلى معاني الرحمة التي شملت الخلق كلهم في الدنيا، ولن تشمل إلا بعضهم في الآخرة، قال القرطبي ﷺ: الرفقة لا ألم فيها بوجه من الوجوه، بخلاف الرحمة فقد تكون مؤلمة في الحال، وعاقبتها لذة، ألا ترى أن الله قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور: ٢) ولم يقل: رحمة؛ فإن ضرب العصاة على معصيتهم رحمة لهم لا رافة بهم.

الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١٧٣/١) (بتصرف)

٦) (الكبير) الذي صغر دون جلاله كل كبير، فلا شيء أعظم منه، وإذا أردت أن تعرف مكانة هذا الاسم من الشريعة، فتأمل حب الله تعالى لهذا الذكر العظيم: (الله أكبر) وكم هي المواطن التي شرع فيها الذكر؟ حتى سمي بعض النصارى - كما قال ابن تيمية- عيد المسلمين (عيد الله أكبر)؛ لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم أهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين، فلنكبر الله قولاً وعملاً.

ابن تيمية، الجواب الصحيح (٥ / ٢٣٢) (بتصرف)

(٧) (الله) ﷻ.. دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه؛ ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الأعراف: ١٨٠) ويقال: الرحمن والرحيم والعزیز والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ونحو ذلك، فعلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا تأله الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفضلاً.

ابن القيم، مدارج السالكين (٣٢/١)

(٨) إذا تتبعت اسم (الرب) في القرآن، وجدته قد ارتبط بخمسة أسماء من أسماء الله الحسنى فقط، وهي: (الرحمن، الرحيم، الغفور، الغفار، العزيز) وفي (مدارج السالكين) بيان لشيء من حكم هذا الارتباط.

مدارج السالكين (٣٥/١)

(٩) (الرحمن) من أعطى اسم الرحمن حقه، عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلاء، وإخراج الحب؛ فاقضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضاها لما تحصل به حياة الأبدان.

ابن القيم، مدارج السالكين (٨/١)

(١٠) (الأول) ﷻ، وقد فسره ﷻ بقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء»^(١) يقول ابن القيم ﷻ: فعبوديته باسمه الأول، تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، أي وسيلة كانت هناك وإنما هو عدم محض؟ وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟ فمنه سبحانه الإعداد ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزل اسمه الأول على هذا المعنى؛ أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة.

طريق الهجرتين (٢٠، ٢١)

(١) مسلم ح(٢٧١٣)، وأبو داود ح(٥٠٥١)، والترمذي ح(٣٤٠٠)، وابن ماجه ح(٣٨٣١)، وأحمد ح(٨٩٦٠).

(١١) (الآخر) ﷻ: وقد فسره ﷻ بقوله: «وأنت الآخر فليس بعدك شيء»^(١) فهو الباقي بعد فناء الخلق، «والتعلق بالآخر تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالتعلق به حقيق أن لا ينقطع، بخلاف المتعلق بغيره مما له آخر يفنى به، وهذا مما يوجب الاضطرار إلى عبودية الله، ودوام الافتقار إليه، فإليه تنتهي الأسباب، فليس وراء الله شيء يقصد أو يعبد».

طريق الهجرتين (٢٠-٢١) (بتصرف)

(١٢) (الظاهر) ﷻ: وقد فسره ﷻ بقوله: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(٢) فلا شيء أعلى منه، والتعبد بهذا الاسم «يجمع القلب على المعبود، ويجعل له رباً يقصده في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه، وعرف ربه باسمه الظاهر، استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه كل وقت إليه».

ابن القيم، طريق الهجرتين (٣٢)

(١٣) (الباطن) ﷻ: وقد فسره ﷻ بقوله: «وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(٣) فلا يخفى عليه شيء من بواطن الأمور وإن دقت، «فمن تيقن إحاطته بالعوالم، وقرب العبيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر، وأنه لا شيء بينه وبينها، فإنه سيعامل ربه بهذا المقتضى، ويطهر سيرته، ويزكي باطنه».

طريق الهجرتين (٢٦) (بتصرف)

(١٤) (الرحيم) ورد في (١٢٣ موضعاً)، أكثرها مقترن باسم الله (الغفور)، وهو أخص من (الرحمن) فالرحيم متعلق بالمرحوم، بخلاف الرحمن فهو متعلق بصفة الرحمة الواسعة، وليتضح هذا المعنى تأمل الآيتين التاليتين: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣)، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٧) فقد تعلق اسم الله (الرحيم) بالمرحومين - وهم المؤمنون - ولم يأت في النصوص أبداً قوله: (رحمن بهم)؛ لأن اسم الرحمن يشمل البر والفاجر والمسلم والكافر والإنسان والحيوان.

بدائع الفوائد (٢٤/١) (بتصرف)

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(١٥) حقيقة الإيمان: أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته؛ حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه وكلما نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٥)

(١٦) (الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٤٥)

(١٧) تربية الله تعالى لخلقه نوعان:

تربية عامة: فهي خلقه سبحانه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاءهم في الدنيا.

تربية خاصة: فهي تربيته لأوليائه بالإيمان، وتوفيقهم له، وتكميله لهم، ودفع الصوارف عنهم، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وتحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر؛ ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخله تحت ربوبيته الخاصة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٩، ٩٤٥)

(١٨) (الواحد/الأحد) الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، ومجد، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثل ولا نظير، فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وجلاله، وجماله، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، فيجب على العبيد توحيده: اعتقادًا، وقولًا، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرد بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٤٥)، بهجة قلوب الأبرار (١٦٥)

(١٩) (اللطيف) ﷻ الذي يوصل رحمته لخلقه بالطرق الخفية، فيلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم. وإذا أردت أن ترى شيئًا من آثار هذا الاسم العظيم، فتأمل خاتمة قصة يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ (يوسف: ١٠٠) أي: يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤٠٥) (بتصرف)

(٢٠) (الفتاح) ﷻ.. الذي يحكم بين عباده بشرعه..

الذي فتح لعباده جميع أبواب الخير: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ (فاطر: ٢).
 ألم تر كيف فتح لبعض عباده أبواباً من الرزق لا تخطر على البال؟ وفتح على قلوب آخرين،
 فملأها بالعلم الرباني، والحقائق الإيمانية؟
 وتاج ذلك كله: فتح القلب لمحبتته والإقبال عليه سبحانه، والفهم عنه وعن رسوله، نسأل
 الله الكريم من فضله.

السعدي، فتح الرحيم (٤٢)

(٢١) (الجبار) ﷻ.. الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر المريض والمبتلى، ويجبر جبراً خاصاً
 قلوب المنكسرين لجلاله، الخاضعين لكماله، الراجين لفضله ونواله، بما يفيضه على قلوبهم من
 المحبة وأنواع المعارف الربانية، والفتوحات الإلهية، والهداية والإرشاد والتوفيق والسداد.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (٢٦)

(٢٢) (الودود) ﷻ.. يتودد إلى خلقه بصفاته الجميلة، وآلائه الواسعة، الخفية والجليلة.. يجب أوليائه
 ويحبونه.

أرأيت كيف يشرّد العبد عن ربه فيتجرأ على حدوده، ويترك الواجبات، وربّه يستره، ويمده
 بالنعمة، ثم يقبض له من الأسباب ما يردّه إلى مولاه؟ فيتوب ثم يغفر له تلك الجرائم، بل ويعيد عليه
 حبه ووده؟ وهذا -والله أعلم- سر اقتران الودود بالغفور في قوله: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ (البروج: ١٤).

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (٤٩-٥٠) (بتصرف)

(٢٣) ما السر في اقتران اسم الله (القدوس) باسم (الملك) في القرآن والسنة؟! لعل السر في ذلك:
 أن من صفات هذا الملك أنه قدوس، وهذا إشارة إلى أنه سبحانه مع كونه ملكاً مدبراً متصرفاً
 في كل شيء، فهو قدوس منزّه عما يعتري الملوك من النقائص، التي أشهرها الاستبداد والظلم
 والاسترسال مع الهوى والمحابة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٠٧/٢٨)

(٢٤) من معاني (القدوس) ﷻ: ذو البركة والفضل، ومنه: ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ (المائدة: ٢١)
 أي: المباركة. ومن آثار «القدوس»: أن يكون أوليائه قديسين -أي مباركين- كما جاء في الإنجيل:
 أن النبي الخاتم يفتح مكة بعشرة آلاف من القديسين.

د. سلمان العودة، مع الله (٥٧-٥٩) (بتصرف)

(٢٥) (السلام) ﷺ: كثيرون يعلمون أن معنى (السلام) السالم في ذاته وأسمائه وصفاته من كل نقص وعيب، وأنه الذي يسلم عباده، ومع ذلك تتعجب ممن يرددون هذا الاسم ثم تتحول حياتهم إلى حرب لا تهدأ مع الأقربين والأبعدين، وعلى كافة المستويات: النفسية والسلوكية والفكرية والأسرية.

د. سلمان العودة، مع الله (٦١)

(٢٦) (الوارث) ﷺ: الباقي بعد فناء خلقه، والمسترد أملاكهم بعد موتهم، ومن أعظم آثار الإيمان بهذا الاسم:

١- الاجتهاد في العمل الصالح المؤدي للجنة التي لا يورثها الله إلا للمتقين.

٢- أن الباطل مهما انتفش، وإلى زهوق، وسيورث الله عباده المتقين أرضه؛ ليقام عليها حكم الله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

ولله الأسماء الحسنى (١٨٢-١٨٤) (بتصرف)

(٢٧) (المتكبر) ﷺ: المتعالي والمتكبر على عتاة خلقه إذا نازعه العظمة فيقصمهم، فمن فقه معنى هذا الاسم، أورثه ذلك:

- التواضع لله، والانكسار بين يديه.

- الانقياد للشرع، والإذعان للحق.

- كل متكبر جبار من الخلق فسيقصمه المتكبر ﷺ، وهذا يورث التواضع للعباد، وإلا فسيرى

المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطأهم الناس.

ولله الأسماء الحسنى (٢٢٧-٢٣٢)

(٢٨) (الكريم) ﷺ.. الذي يبدأ النعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء.. يقول الزجاجي ﷺ: «الكريم: الجواد، والعزيز، والصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها مما يوصف الله به ﷺ» اهـ.

ولله الأسماء الحسنى (٥٨٩)

(٢٩) لن تحتاج إلى عناء لتأمل شيئاً من معاني وآثار اسم الله: (الرحمن) فقط تأمل قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، (الأعراف: ١٥٦) فإيجادك، ورزقك، وصحتك، وتسخير المخلوقات لك، ولباسك، ونومك، وجوارحك، وغير ذلك، كلها من آثار هذا الاسم (الرحمن) ﷻ، فرحم الله عبداً ترجم شكره إلى عمل.

(٣٠) (المملك) ﷻ.. وليس في الوجود ملك ينفذ أمره في كل ما يريد إلا (المملك) سبحانه، فله النهي والتصرف بقوله وأمره، تمّ ملكه بكمال غناه عن خلقه، أما ملوك الأرض فلا يستغنون عن مستشارين وأعوان، تأمل: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ: ٢٢).
(٣١) من مظاهر كمال ملك (المملك) ﷻ:

- أنه هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، فلم يدم لأحد ملك ولن يدوم إلا ملكه سبحانه.

- أن أي ملك مهما اتسع ملكه لا يستطيع أن يملك نفسه ملكاً تاماً، ولقد عبر عن ذلك أحد زعماء أوروبا حين قال -بعد انتصاره في الحرب العالمية-: «ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا».

(٣٢) (القدوس) ﷻ: المتصف بالكمال، المنزه عن كل نقص وعيب، حتى ولو كان كمالاً في حق المخلوق، فالنوم -مثلاً- كمال في حق المخلوق لكنه نقص في حق الخالق؛ ولهذا ورد في الحديث الجمع بين «السبوح والقدوس» أي: أننا ننزه عن كل نقص، المطهر من كل ما لا يليق بجلاله.

(٣٣) من آثار الإيمان باسم الله (السلام):

- سلامة أقوال المؤمنين وأفعالهم من الفحش والبذاءة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

- ربنا سلام يحب السلام، وسيلقى أوليائه في جنته بالسلام، ورسول السلام يقول: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١).

(١) مسلم ح(٥٤)، وأبو داود ح(٥١٩٣)، والترمذي ح(٢٦٨٨)، وابن ماجه ح(٦٨).

(٣٤) (المؤمن) ﷻ: ومعنى هذا الاسم يدور على معان، منها:

- ١- المصدق لرسله وأنبيائه فيما بلغوا عنه، الذي يقيم لهم الشواهد على صدقهم.
- ٢- الذي أمن خلقه من أن يظلمهم. وهذا يروى عن ابن عباس^(١).
- ٣- الذي يؤمن خوف عبده الذي لجأ إليه بصدق في كشف كربته، ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر.

(٣٥) (الحي) ﷻ: وإذا قرن باسمه (القيوم) فهو الاسم الأعظم في قول بعض العلماء، ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

- التوكل الصادق: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨).
- تعظيم الله وإجلاله حينما يتذكر العبد كمال خالقه بكمال حياته، ويدرك نقصه وضعفه حين يعلم أن الخلق كلهم سيموتون، فسبحان الحي الذي لا يموت.

(٣٦) (العظيم) ﷻ: ألم يستوقفك كثرة ورود هذا الاسم في أدعية نبيك ﷺ؟ إن تأمل معناه ليورث في النفس:

- ١- خضوعًا واستكانةً وتذللًا لعظمة الله! تأمل في أركان وواجبات وأذكار الصلاة! فستجدها تدور على تعظيم العظيم.
- ٢- تعظيمًا لشعائر الله كالصلاة والحج وسائر الشعائر ولو كانت من السنن كالعيدين.
- ٣- تعظيمًا لحرمات الله وحدوده.

(٣٧) (العلي / الأعلى / المتعال) ﷻ: أسماء يفسر بعضها بعضًا ويستشعر المؤمن وهو يتدبر معانيها:

- علو الله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته.
- الخضوع والإخبات لهذا العلي العظيم.
- الحذر من العلو في الأرض بغير الحق.
- تنزيه الله تعالى عن كل ذم ألحقه به الظالمون، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٨٠.

(٣٨) (الحكيم) ﷻ.. أتقن كل شيء خلقه وشرعه.. فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى.. وفي أقدار الله أسرار وأسرار.. تأمل -مثلاً-: أين تربي موسى ﷺ؟ ثم كيف انتهت قصته مع فرعون؟ تدبرها وغيرها من القصص.. تجدها كلها ناطقة بحكمة أحكم الحاكمين.

(٣٩) (السميع) ﷻ.. الذي تمدح بسعة سمعه من فوق سبع سماوات لخبر امرأة جاءت تجادل في زوجها، وعائشة في ناحية الحجر لا تسمع!
السميع الذي أجاب دعوة يوسف: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٤) فيا كل مهموم! ويا كل مكروب! ربك يجب أن يسمع دعائك وشكواك.. فارفعها.. فإنما هي (كن) ويأتي الفرج.

(٤٠) (الرزاق) ﷻ.. هل رأيت نملة تسحب حبة إلى بيتها؟ أو طائراً يجوب الفضاء وفي فمه قطعة من طعام؟ أو جنينا في بطن أمه؟ من الذي رزقها كلها؟ أما إذا اطمأن قلبك بذكره، أو نزلت عليك سكينه عند مصيبة، أو أنعم عليك ربك بالرضا بمر القضاء.. فهذا رزق القلوب، وهو البحر الذي لا ساحل له!.

(٤١) (الوهاب) ﷻ: تأخر الولد عنه (٢٠ سنة)، فدعا ربه، فوهبه ولدًا.. يسرف على نفسه بالمعاصي، فيأوي إلى كنف الله، فيهبه منه رحمة تسكب السكينه والإيمان في قلبه.. يخاف من زيغ قلبه، فيتذكر أن الثبات على الحق من أعظم المنن، فيلهج بـ ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

(٤٢) (الغني) ﷻ.. هو لا يتذكر هذا الاسم عند رؤية أصحاب الملايين فحسب، بل هو يهتز حينما يرى ملايين الناس في عرفة ورمضان -في الحرمين- رافعي أيديهم يسألونه حاجاتهم بكل ذل وافتقار، وفيهم الملوك والتجار والفقراء، وكأنه يسمع نداء ربه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ (فاطر: ١٥) وحينما يتذكر أن أشرف الغني غنى القلب لم يملك إلا الانكسار بين يدي مولاة.

(٤٣) (الشهيد) ﷻ..

فهو أعظم شاهد على توحيدِهِ، وعلى بلاغِ رسلِهِ..
الشهيد.. الذي إذا تذكّر العبد شهادته عليه، استحيا منه أن يراه على معصيته..
ولو تدبرت هذه الآية جيداً؛ لازداد فهمك لمعنى اسم الشهيد:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾

﴿وَمَا تَلْتَلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ﴾

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: ٦١).

(٤٤) (الواسع) ﷻ..

هل تتذكر قول عائشة ؓ - في قصة المجادلة -: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات؟! لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ، وإني لفي ناحية البيت ما أسمع قولها»^(١).

ألم تتأمل سعة السماء؟

ألا ترى كم وسع الله عليك في رزق بدنك وقلبك؟

سبحانك ربنا! يا من شمل فضله الواسع جميع خلقه!

(٤٥) (المجيد) ﷻ.. عظيم الصفات، الذي تمجد بأفعاله، فمجده خلقه لعظمته.. يتذكر العبد هذا المعنى، وهو يقرأ في (الفاحة): ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاحة: ٤) وكأنه يسمع مولاه يجيبه: مجدي عبدني. يا الله! ما أعظمه من شرف أن نقف هذا الموقف؛ ليجيبنا الرب بهذا الجواب الذي يملأ القلب تعظيماً وحباً للحميد المجيد.

(٤٦) (الخبير) ﷻ: المحيط ببواطن الأشياء وخوافيها كما أحاط بظواهرها.. لقد وعظ الله عباده بهذا الاسم في مواضع عدة.. فوعظ المطلقين لأبصارهم في الحرام بهذا الاسم (النور: ٣٠)، ووعظ أصحاب الإرادات السيئة بهذا الاسم (النساء: ١٣٥)، فتفقد قلبك -يا عبد الله- فإنه موضع نظر الرب الخبير، وفتش عن إراداتك ونواياك.

(١) ابن ماجه ح (١٨٨).

(٤٧) (القوي) ﷻ: قلب بصرك في السماء التي فوقك! وتأمل في الزلازل والفيضانات! لو سألتها لأجابتك: هذا صنع القوي جل في علاه.

ترى.. كم مربك من سير الأقوياء بأبدانهم أو بسلطانهم؟ أين وكيف هم الآن؟ ولذا لما افتخرت عاد بقوتها، قيل لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥)؟!

(٤٨) (المتين) ﷻ: الذي تنهى في قوته وقدرته، فتكفل برزق جميع المخلوقات، وأوصله إليهم برًا وبحرًا وجوًّا، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله المتين ﷻ.

(٤٩) (العزیز) ﷻ: عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته، يشهد العبد العزة إذا تمسك بدينه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)، ويشهدها العبد حين يأتي القدر على خلاف مراده، ويشهدها في مقام تدلله بين يدي مولاه العزيز تبارك وتقدس.

(٥٠) (القاهر/ القهار) ﷻ: العالي على خلقه، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه كلها.. من فهم هذا الاسم حقًا، لم يلج من بوابة الشرك: ﴿أَرَبَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، بل تعلق قلبه بربه القهار، وتوكل عليه، وقطع العلائق بالأسباب المقهورة.

(٥١) (القدير/ المقتدر) ﷻ: أوجد المخلوقات، ودبرها وأحكمها بقدرته، يحيي ويميت، ويقلب الأحوال والقلوب بقدرته، لا يمنعه ولا يعجزه من فعل ما يريد شيء..

إذا هالك منظر السماء بغير عمد، أو تنوع المخلوقات في البر والبحر، أو رأيت آثار الزلازل والأعاصير، فتذكر قدرته.. فهنيئًا لمن أورثه هذا الاسم قوة تعلق بربه، وصدق توكل عليه.

(٥٢) (الخالق/ الخلاق) ﷻ.. هل تأملت في خلق الله لك؟

ألم تحاول أن تتخيل خلقك لو كان على غير هذه الصورة؟!

هل أجلت نظرك فيما حولك من مخلوقات؟ وهل تفكرت لحظة في ذلك التنوع العجيب في أصناف مخلوقات البحر؟ من الذي أبدع صنعها؟ من الذي أحسن خلقها؟

إنه ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤).

(٥٣) (الحافظ/ الحفيظ) ﴿يَحْفَظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّىٰ لَا تَزُولَ وَلَا تَنْدَثِرَ﴾ ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ﴾ ﴿حَفْظُهُمَا﴾ (البقرة: ٢٥٥)، ويحفظ أعمال عباده ويحصيها في كتاب: ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ (الكهف: ٤٩)، ويحفظ عبده من المهالك والمعاطب، وأعلى صور الحفظ التي نسال الله إياها: حفظه لأوليائه عما يضر إيمانهم، أو يزلزل يقينهم من الشبهات والفتن.

(٥٤) (الولي) ﴿الَّذِي تَوَلَّى شُؤُونَ خَلْقِهِ عَامَةً، وَتَوَلَّى خَوَاصَّ خَلْقِهِ، وَهُمْ أَوْلِيَآؤُهُ، فَهُوَ يَنْصُرُهُمْ وَيَتَوَلَّاهُمْ بِعُونِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ آثَارِ تَوَلِّيهِمْ أَنَّهُ﴾ ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٧٥٢)، فكيف نكون من أوليائه؟ الجواب في هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤) الذين: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤).

(٥٥) (الكافي) ﴿الَّذِي يَكْفِي عِبَادَهُ؛ فَيَرْزُقُهُمْ، وَيَحْفَظُهُمْ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْمَلَمَاتِ، الَّذِي يَكْفِي بِمَعُونَتِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَكْفِي مِنْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى﴾ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر: ٣٦) بالجمع كما في القراءة الأخرى، إنه الله الكافي الذي أجاب دعاء الغلام حين قال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»^(١)، فكفاه.

(٥٦) (المولى) ﴿نَاصِرِ أَوْلِيَآئِهِ، خَازِلِ أَعْدَائِهِ﴾ ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وهو تعالى مولى الخلق كلهم باعتبار كمال ملكه، وتمام قهره للخلق: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَانَهُمْ الْحَقِّ﴾ (الأنعام: ٦٢)، فاحرص أن تكون من أهل الولاية الأولى، فهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢)، واحذر أن تعادي أحداً منهم، فمن عادى ولياً لله، فقد آذَنَ رَبَّهُ بِالْحَرْبِ!

(١) مسلم ح(٣٠٥)، وأحمد ح(٢٣٩٣١)، والنسائي ح(١١٥٩٧).

(٥٧) (الوكيل) ﷻ: الذي تكفل بأرزاق خلقه وحاجاتهم، ومحياتهم ومماتهم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: ١٠٢) المدبر لشؤون خلقه، لا يشغله شيء عن شيء، المحيط بكل شيء علماً سبحانه وبجمده.

(٥٨) (الصدد) تقدست أسماؤه: السيد المطاع، الذي تصمد له الخلائق في أمورها، وينزل الخلق حوائجهم به، ولا أحد فوقه.. صمدت إليه القلوب رغبة ورهبة ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)، أحب أحد الصحابة سورة (الصدد) فأحبه الله، فتفقد حب هذه السورة ومعانيها في قلبك!

(٥٩) (الهادي) ﷻ: هدى خلقه، فعرفوه بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأقام منارات الهداية في طريق السائرين إليه وإلى الدار الآخرة، فأجل ما أعطي العبد أن يحقق الله دعاءه اليومي: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦).

الهادي.. الذي هدى البهائم وألهمها لتقوم بمصالحها وتتقي مهالكها، فسبحان من ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠).

(٦٠) (الحكم) خير الحاكمين ﷻ: الذي يقضي بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون بالقسط، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يجازي أحداً بأكثر من ذنبه، هو الحكم وإليه الحكم، لا يجد المؤمن في نفسه حرجاً من حكمه ﷻ - وإن خالف هواه-، بل لسان حاله -لو دُعي لغير حكمه- أن يقول: ﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ (الأنعام: ١١٤).

(٦١) (البر) ﷻ: اللطيف بعباده، يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم.. هل تفكرت في النعم التي تتقلب فيها؟ إنها جميعاً من آثار بره بك ﷻ.. أما بره بأوليائه فهو أعظم البر.. وأجل ثمرات ذلك أن يبلغهم دار السلام، ألم تسمع قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٨)؟

(٦٢) (الحليم) جل في علاه.. ألم تر كيف يسرف العبد على نفسه، وربّه يرخي عليه ستره،
ويجلم عنه؟!

فوالله لولا عفوّه ما ترك على ظهرها من دابة!
إنّ علم المؤمن بجلّم الله يغلق عليه باب اليأس من رحمة الله، كما أنه يجعله يحذر غضب
الحليم سبحانه!

(٦٣) (التواب) ﷻ.. جاء هذا الاسم على صيغة المبالغة؛ ليشمل تكرّر توبته على عباده، الذين
يتكرّر منهم الخطأ والذنب! فعجباً لمن يقنطه الشيطان من ذنوبه مهما عظمت وهو يعلم أن من
أسماء ربه: التواب الرحيم!

(٦٤) (الشاکر/الشکور) ﷻ: يزكو عنده القليل من العمل الصالح، ويعفو عن الزلل، ولا
يضيع أجر من أحسن عملاً، بل يضاعفه أضعافاً كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل
بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل.. أفلا يورثنا هذا حباً لربنا وحياء منه على تقصيرنا
في شكره قولاً وعملاً؟

(٦٥) (البصير) تقدس اسمه: الذي أحاط بصره بكل شيء، فيرى ديب النملة السوداء، على
الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى جميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في
أعضائها الدقيقة، ويرى نياط عروقها، ويرى ما هو أصغر وأدق من ذلك.. فهل يورثك هذا العلم
بعظيم بصره مراقبة له في شرك وعلنك؟

(٦٦) (القريب) ﷻ: فهو قريب من خلقه بعلمه وخبرته، وهو قريب من عابديه وسائليه ومجيبه،
وهذا القرب يقتضي محبتهم ونصرتهم وحسن وثوابهم..
فيا عبد الله! هذا ربك القريب يقول -وهو الغني-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٦) فأر الله من نفسك خيراً.

٦٧) (المجيب) جلا وعلا: الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، حتى ولو كان في حالة اضطراره مشرّكاً.. فكيف إذا كان الداعي مؤمناً موحداً؟ إن الله لا يخفى عليه شيء من أحوالنا، لكنه يحب -وهو الغني عنا- أن يسمع دعاءنا، وأن يظهر له اضطرارنا.

٦٨) (المحيط) جل في علاه: الذي أحاط بكل شيء: علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً، وهذا يورث العبد:
١ - خوفاً من الله وحياء منه.

٢ - الحذر من ظلم العباد والاعتداء عليهم؛ لأنه تعالى محيط به، فما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

٣ - عدم تضخيم قوة الأعداء مهما بلغت، مع الأخذ بأسباب دفع شرهم.

٦٩) (الحسيب) ﷻ: بمعنى الكافي عبده همومه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين، وهو الذي يحفظ أعمال عباده ويحاسبهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، الحاسب لعباده. فرحم الله عبداً حاسب نفسه قبل أن تحاسب، وتذكر لحظة يبهت فيها أهل الإجماع حين يوضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة!

٧٠) (المبين) ﷻ: الذي أبان لعباده الأدلة في الآفاق وفي الأنفس على وجوده ووحدانيته، وهو المبين -سبحانه- الذي أظهر الحق للخلق، وأبانه لهم على السنة رسله، وفي كتبه التي أعظمها القرآن الذي وصفه الله بأنه (مبين) و(تبيان) وكل هذا الذي يثمر في قلب المؤمن طمأنينة على قيام الحجة في الفطرة وفي الوحي المنزل.



القرآن غيرني



١) كنت متهاونة في أمر الصلاة، وأعيش في ضيق، وتمر بي أزمت ومشاكل لا طاقه لي بها، وأتمنى أن أجد حلاً.. وفي أحد الأيام سمعت قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥) فانتبهت وقلت لنفسي: إن ربي يأمرني أن أستعين بالصبر والصلاة، وأنا لا أزال مفرطة؛ فكانت نهاية التفریط في تعلقي بالصلاة.

٢) كنت فيما مضى غافلاً لاهياً لا أفكر إلا في مصالحي.. وذات مرة -وأنا أصلي- سمعت الإمام يتلو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٧٦) وكنت ممن يحفظون من كتاب الله لكنني مقصر في العمل، فخشع قلبي لها، ومن ذلك الحين بدأت حياتي تتغير، وبدأت أخشع في صلاتي، والله الحمد والمنة.

٣) أقرضت قريبة لي ٥٠٠٠ آلاف ريال، فلما تذكرت قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨٠)، ساحتها؛ فعوضني الله أن قويض لي أحد أقاربي، فسد عني أقساطاً بأكثر من ١٠٠,٠٠٠ ريال.

٤) هذه الآية غيرتني ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، فعندما تأملتها، قلت لنفسي: أنا لن أدخل الجنة حتى أنفق مما أحبه، كنت أحب النوم فصرت أترك منه جزءاً كبيراً وأقوم الليل، ولما أضعف، أتذكر الآية!

٥) تغيرت حياتي بسبب قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢) فقد كنت مقصرة، وأظن أن الالتزام صعب، فتدبرت هذه الآية، فأثرت في كثيرًا، وتفكرت ماذا سيصيني مقابل ما حصل للصحابة، وما هي الصعوبة التي أمامي؟ لا شيء! وأحسست أن الله شكر لي التغيير اليسير مني، ووفقني للالتزام بالشرع كله بإذنه تعالى.

٦) كنت يومًا أقرأ: ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٩٥) فاستوقفتني ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ وسألت نفسي: هل أوديت في سبيل الله؟ فحزنت، وخشيت ألا أنال حظًا من الآية، وعزمت أن أتحرك وأبذل لديني، وأتحمل التبعات؛ حتى أنال الجزاء الوارد في ختام الآية.

٧) بعد سلوكي طريق الاستقامة هجرني القريب، ولامني البعيد، وأحسست بالوحشة، بدأت بلوم نفسي لعلمي أخطأت الطريق، وفي يوم بلغ الأمر مبلغه، وأنا أقرأ حزبي من القرآن استوقفتني آية: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٧)؛ فعاد السكون إلى قلبي وأحسست ببرد اليقين.

٨) كنت واقعة في ذنب يشق علي تركه، وفي كل مرة ارتكبه يتملكني شعور بالضيق الشديد، وفي أحد الأيام فتحت المذيع؛ فإذا بقول الله ﷻ: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ (النساء: ١٠٨) يترتله أحد القراء بصوت مؤثر جدًا؛ فاقشعر جسدي، وكان ذلك اليوم الحد الفاصل بين المعصية والإنابة إلى الله.

٩) كنت أستغفر وأتوب باستمرار؛ فجاءني الشيطان قائلاً: كل هذا الاستغفار! ولا فرج ولا إجابة! فتركت وسأوسه، فقرأت رسالة عظيمة من ربي، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ (النساء: ١٤٧) فقلت: نعم! والله إن ربنا لغني عنا، وعن تعذيبنا! إنما هي ذنوبنا التي نسينا كثيرًا منها، فأدمت الاستغفار، والحمد لله.

١٠) حدث بيني وبين أحد إخوتي سوء تفاهم؛ فأرسل رسالة جوال تحمل: اتهامات باطلة، وظنوناً سيئة، وكلمات مؤلمة؛ فغضبت وكدت أن أدفع الإساءة بمثلها، فقرأت قول أحد ابني آدم: ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ (المائدة: ٢٨) الآية؛ فعلمت أن المؤمن يجب أن يجعل خوف الله نصب عينيه، ولا تغلبه حظوظ النفس، وتأخذه العزة بالإثم؛ فأثرت كظم غيظي، والعفو عنه، والإحسان إليه.

١١) من أعظم الأشياء التي كانت تصدني عن التوبة: تلبيس الشيطان عليّ في القنوط من رحمة الله، وأني صاحب ذنب لا يُغتفر؛ حتى قرأت: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه، والله غفورٌ رحيمٌ ﴿٧٦﴾ (المائدة: ٧٣) فإذا كان الله فتح باب التوبة لمن نسب له صاحبة والولد، فكيف بمن دونه!

١٢) حاولت -بعد عدة محاولات- الامتثال لقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)؛ فوجدت ما سرني، مع أنني لم أحسن إلا بالقليل، إلا أن رحمة الله كانت أسبق، فسبحانه جل في علاه.

١٣) ﴿يَذُرُّ الْأَمْرَ﴾ (يونس: ٣) كنت سابقاً أهتم في شؤون الحياة كثيراً، وأرهق نفسي بذلك، وعندما تفكرت في هذه الآية؛ أيقنت أن الله ﷻ هو المدبر المتصرف في خلقه، وأن على المؤمن أن يتوكل على الله، ويعمل بالأسباب.

١٤) إني أحدثت عن نفسي: لقد وجدت التوبة علاجاً لداء الضيق والهموم والغموم التي أورثتها الذنوب! هكذا أوحى لي هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨).

١٥) مما أثر في ذلك الخطاب المليء رقة وعطفًا، من ذلك الأب المكلوم، والمفجوع بفقد ولديه: ﴿يَبْنَئُ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧) أبعد كل هذا يناديهم بكلمة ولا لطف منها: (يا بني)!

أهذه رحمة أب بأبنائه الذين أخطؤوا عليه؟! فكيف هي إذن رحمة أرحم الراحمين!؟

(١٦) طفلة صغيرة (عمرها خمس سنوات) ضربها أخوها الذي يكبرها قليلاً، وحينما أرادت الأم أن تعاقب الابن؛ فوجئت بصغيرتها تقول: لقد ساحتته كما فعل يوسف وسامح إخوته! (وكانت الأم قد قصت عليها قصة يوسف قبل ذلك).

(١٧) كان لي موعد بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قوله تعالى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)؛ فتذكرت ما أنا فيه من الخير والنعيم .. واستحييت، فأحمد الله على التوبة.

(١٨) كنت كثيرة العصيان في أوقات الخلوة، وأشعر بالندم لحالي، وبعد فترة كنت مع رفقة صالحة، وتذكرت أمري، ودعوت الله أن يغفر لي، وأمسكت المصحف؛ فوقعت عيني على قوله: ﴿زَيْكُمُ أَكْبَرُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٥) فبكيت، وعزمت على تزكية نفسي؛ لتكون أهلاً للمغفرة.

(١٩) آية عشت معها، وأصبحت منهجاً في حياتي: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦) فإذا حدثتني نفسي -خصوصاً إذا كنت خالياً وعلى النت- أن أرى ما لا يرضيه، جاءت هذه الآية أمامي؛ لتردعي.

(٢٠) كان بيني وبين الصُّحبة الصالحة بعض المشاكل، حتى وسوس لي الشيطان تركهم، فقرأت قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (الكهف: ٢٨)؛ فكان ذلك أعظم مثبت لي معهم، وعلمت أنه «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(١).

(٢١) عالجت مشكلة ضعف الخشوع في صلاتي بتذكر هذه الآية: ﴿وَعَرِضُوعَلَى رَبِّكَ صَفًا﴾ (الكهف: ٤٨) فكلما تذكرت الوقوف بين يدي الله والعرض عليه -وأنا أصلي-، زاد خشوعي حينها؛ لأن صفة العرض في الصلاة تشبه صفة العرض يوم القيامة.

(١) الحاكم ح(٧٦٥).

(٢٢) كنت لا أعرف طريق المسجد! والحياة عندي عبث في عبث! فسمعت يوماً قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (الكهف: ١٢٤) فتأملت في حالي؛ فأحسست حقاً أن كل ما كنت فيه من لهو وعبث وضلال ليس إلا لهثاً وراء سعادة زائفة! معيشة ضنكاً؛ فأطفأت السيجارة، وأشعلت أنوار الإيمان، أسأل الله الثبات.

(٢٣) كادت الشهوة ترديني الهاوية -عياداً بالله-؛ حتى تدبرت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (الكهف: ١٣١) جعلت أردد وأتدبر: ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾؛ فصغرت في عيني الشهوة.

(٢٤) عندما أسمع أو أقرأ هاتين الآيتين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ ﴾ في الْخَيْرَاتِ ﴿ (الأنبياء: ٩٠)، و: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (الواقعة: ١٠-١٢)، أتساءل: كم سبقتنا إلى الرحمن من سابق، وتعب في مجاهدته نفسه، لكنه الآن صار من المقربين! فأعود إلى نفسي وأحترقها إذا تذكرت شديد تقصيرها، وأقول: يا ترى أين أنا؟!

(٢٥) وقع بيني وبين زوجة أخي سوء تفاهم، وهي التي أخطأت في حقي، وبدأت أدعوري كيف أتصرف؟ فوصلتني من جوال تدبر رسالة عن قوله تعالى: ﴿ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (المؤمنون: ٩٦) فعملت بها، والآن أمورنا أحسن.

(٢٦) هذه الآية: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٥) غيرت حياتي.. فأصبحت عباداتي وشؤون حياتي اليومية -مع زوجي وأبنائي ومع الصغير والكبير بل والقريب والبعيد- على أساس تعظيم شأن كل طاعة ومعروف وإحسان وبر، مهما صغر ولم يؤبه به، وكذا تعظيم المعصية أو الإثم والسيئة والأذى مهما قلل أو احتقر شأنها الآخرين، فصرت أنصح وأمر وأنكر بها.

(٢٧) كنت ممن أقوم ببعض المعاصي طاعة لزوجي مع أنها محرمة؛ تجنباً لغضبه، حتى قرأت ذات مرة الآية: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (النور: ٦٣)؛ فارتجف قلبي، وارتعدت فرائصي، وبكيت خوفاً، وعاهدت الله ألا أعصيه ولو غضب زوجي.

(٢٨) حفظت القرآن وعمري (١١ عامًا)، ثم ضيعت ما حفظت، ثم وقفت يومًا متدبرًا لهذه الآية: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠) ففقدت العزم مستعينا بالله؛ فراجعت القرآن وأتقنته، وحصلت على إجازتين في الإقراء، وأصبحت إمام وخطيب جامع.

(٢٩) كنت أصلي بالناس في صلاة التراويح، فلما قرأت في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَاذْكَرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١) تأثرت كثيرًا، وبكيت بكاء وجدت له طعمًا ولذة، وطال وقوفي عندها، وأنا تأمل كفاية القرآن، وما فيه من الرحمة والذكرى.

(٣٠) لقد تأثرت بآية في كتاب الله، وكانت سبيلي للهداية وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩) فقد كنت أرددها في نفسي وأنا ذاهبة للكلية وخارجة منها، وفي أغلب أحوالي، مع خوف واستشعار لهذه الآية، والحمد تغير حالي، واهتديت بفضل الله، وأصبحت حافظة لكتاب الله، نسأل الله الثبات.

(٣١) كانت لي قصة مع هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، فقد كنت طالبة بالتحفيظ وتدبرتها، وأثرت على سلوكي، فجاهدت؛ حتى بلغني ربي مستوى ومكانة عالية في قلوب الجميع، والله الحمد.

(٣٢) كنت معجبًا جدًا بالغرب وحضارته، وفي يوم من الأيام كانت جدتي معي في سيارتي، فأخذت أحدثها عن حضارة الغرب وتقدمهم، فتلت علي قوله تعالى من سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧)؛ فأيقنت أن لا شيء يعدل الإيمان.

(٣٣) كنت كغيري أقرأ القرآن بسرعة وهزيمة، وكان هي آخر السورة! وكنت أقرأ في الساعة الواحدة ثلاثة أجزاء، فلما استمعت إلى كلمات أحد مشايخي عن التدبر، وأثره في صلاح القلب، بدأت أدرب نفسي على ذلك، فصرت -والله الشاهد- لا أجد لذة للقراءة إلا بالتدبر؛ حتى إنني قد أبقى في الجزء الواحد نحو ثلاث ساعات، فأدركت شيئًا من معاني: ﴿يَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص: ٢٩).

(٣٤) أنا طالب علم، وذات مرة توقفتُ عند قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ۖ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩)، فبكيت كثيرا على ضياع ليال كثيرة في هذه الليالي الشاتية الطويلة، وأنا لم أشرف نفسي بالانتصاب قائما لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاء مفتاحا لبداية أرجو أن لا تتوقف؛ حتى ألقى ربي.

(٣٥) كلما أحاطني اليأس، وسكبت عيني أدمعي، وأقض الألم مضجعي، أتذكر هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠) راجية ما عند ربي من ثواب، ست سنوات من المرض! ها أنا أحتسب آلامها وأوجاعها؛ بما هو عند الله من ثواب، مستشعرة هذه الآية العظيمة.

(٣٦) آية تستوقفني كثيرا: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر:٢٤) يا له من مشهد فظيع من مشاهد المعذبين في جهنم! الأيدي مغلولة فلا يتهاى له أن يتقي النار إلا بوجهه! إنه مشهد يكفي لردع العصاة عن معصيته، لو تخيل أنه ربما يقع له.

(٣٧) جلست مرة مع شباب ممن انغمسوا في قراءات فكرية منحرفة، وسمعتهم يستشهدون لأفكارهم بمقولات الفيلسوف الفلاني والمفكر الفلاني؛ ممن لم يشموا رائحة الوحي! -والابتسامه تعلق وجوههم!- فقلت لهم: هذه الأفكار موجودة في القرآن، ثم تلوت الآيات، فتمعرت وجوههم، فتذكرت عندها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر:٤٥)! فكانت هذه من عوامل هدايتي الفكرية.

(٣٨) أشهد أن آية غيرت حياتي ..

كنت مولعا بسماع الأغاني الغربية، وذات مرة وأنا أسير بسيارتي ثم أقفلت المسجل؛ فإذا بقارئ في إذاعة القرآن يقرأ: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣)، فشعرت أن الله سبحانه يدعوني إلى التوبة، ومنذ ذلك الحين والأغاني من أبغض الأشياء إلى قلبي بفضل الله.

(٣٩) لي ابن صغير، عندما أعده بشيء ولا أنفذه، أو إذا شعر أنني أكذب؛ يذكرني: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠) أتريدون هذا المصير!؟

فما أجمل أن نجعل لأولادنا شعارات قرآنية نتحاكم إليها!

(٤٠) ثلاث سنين قضيتها في العلاجات والأطباء والأعشاب؛ لأرزق بطفل، وفي يوم ما وبعد أن قاربت الوصول إلى اليأس، كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧)؛ فقلت: إذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فهو قادر على أن يخلق جنيناً في رحمي، وما هي إلا أيام معدودات حتى حملت، وأنعم الله علي بطفلي الجميلة، فله الحمد والشكر.

(٤١) كلما قرأت هذه الآية: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧) أو سمعتها أو ذكرتها؛ أحس قلبي يتقطع، إذ لا أعلم من أي الفريقين سأكون؟ أسأل الله أن يجعلنا من الذين: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٤٢) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١) والله الذي لا إله غيره، لقد جربت الحالتين، فلمست الفرق الذي أثبتته هذه الآية؛ حين نَفَت التماثل بين حالة العاصي وحالة المؤمن.

(٤٣) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الجاثية: ٢١) هذه الآية كانت درساً لي، عندما قرأتها شعرت كأني المخاطبة. أريد الجنة، وأريد رؤية الله سبحانه! لكن أين العمل!؟ ومن لحظتها قررت الاجتهاد في العمل الصالح.

(٤٤) في ظل التقلبات والاضطرابات العالمية والإقليمية، ما قرأت هذه الآية إلا أضافت إلى نفسي نوعاً من الاطمئنان، وهي قول الحق تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفتح: ٤).

(٤٥) كنت أعاني من هم وضيق، فسمعت شرحاً لقصة موسى، ورأيت كيف أنه لما أحسن للفتاتين، وسقى لهما، ودعا ربه أتاه الفرج، وكانت عندنا مستخدمة بالمدرسة فقيرة؛ فأحسنت إليها، وطلبت من الله الإحسان؛ ففرج الله همي وشرح صدري، وصدق الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

(٤٦) يقع مني ندم كثير على أشياء كثيرة وقعت في الماضي، فتأتي هذه الآية: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ (الحديد: ٢٣)؛ لتكون بلسماً شافياً لقلبي.

(٤٧) كثيراً ما أشعر بتأنيب لِنفسي عند كسلي في القيام بما يجب من مثلي وأنا أقرأ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢) فكنت إذا قلت قولاً، ثم تكاسلت في فعله أهدب نفسي بهذه الآية، فأفعل هذا الأمر من غير تكاسل، والله الحمد.

(٤٨) كنت على أحد الأرصفة مع زملائي، وصدري أضيق من سَمِّ الخياط! فأتى أحد الدعاة -لا أعرفه من قبل- فوعظنا وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠) فتأملتها، ووقفت معها كثيراً، وكانت سبب رجوعي إلى الله.

(٤٩) ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ بُيُوتُ السَّرَائِرِ ﴾ (الطارق: ٩) كل إنسان ستظهر سريره وينكشف مخبؤه وسيظهر مستوره.. ياله من يوم.. حقاً لما تدبرت هذه الآية حركت مكان من الخوف عندي، رغم أنني أحفظها وأرردها. وصرت أتقي الله في خلوتي وفيما أحفظه في سريرتي.

(٥٠) تقول إحدى الأخوات: إن آية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد: ٤) أعطتني يقيناً أن هذه الدنيا ممر امتحان وعبر، وهنيئاً لمن صبر، وحمد ربه وشكره، وإنه لا تكتمل فرحة فيها ولا بد من نكد إما من: زوج، أولاد، جار، مرض، فقر؛ فارتحت ورضيت بما قسم لي ربي من الابتلاءات؛ لأن غايتي رضى الله.

٥١) يقول أحد الإخوة: «كنت قبل رمضان مدمناً على مشاهدة الأفلام، ومع رمضان تبت إلى الله تعالى، وكنت أجد لذة لتوبيتي وأنا أستمع للقرآن في التراويح والقيام، وبعد رمضان كلُّما وجدت من نفسي ضعفاً، ألجأ للقرآن، فأجد لذة أعظم وأطول وأعمق من تلك التي أجدها في الأفلام».

٥٢) تجربتي هذا العام في رمضان كانت مختلفة عن كلِّ الأعوام السابقة، وذلك بفضل الله، ثم بفضل خدمة تدبر، التي جعلتني أقرأ كثيراً من تفسير الآيات، فمن خلال قراءتي للتفسير شعرت بفرق رائع وأنا أتدبر معاني القرآن، وأصبح كتاب التفسير مقارناً لمصحفي.

٥٣) رمضان كان بدايتي الحقيقية مع التدبر، فبعد أن سمعت محاضرة لأحد المشايخ في إذاعة القرآن حول التدبر ركزت عليه، بحيث لا أنتقل من الآية حتى تؤثر في قلبي، فوجدت العجب العجاب، ووجدت حياة لقلبي، وتعلقاً بالله لم أجدها في حياتي (٣٧ سنة)، مع أنني مع الالتزام وطلب العلم منذ بضع عشرة سنة، فجعلت هذا ديدني في رمضان، فبدل أن كنت أقرأ في الساعة (٣ أجزاء)، صرت أقرأ الجزء في ساعة أو ساعتين.



لطائف القراءات (١)



(١) قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ في كلمة ﴿مَلِكٍ﴾ قراءتان:
﴿مَالِكٍ﴾ بالألف، و﴿مَلِكٍ﴾ بدون ألف:

فلفظ ﴿مَالِكٍ﴾ داخل تحت ﴿مَلِكٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ (آل عمران: ٢٦)،
وأما توجيه قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ أن المَلِكُ أخص من المالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالك غير مَلِكٍ،
ولا يكون المَلِكُ إلا مَالِكًا.
ابن خالويه، الحجة في القراءات (٦٢)

(٢) ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ (البقرة: ٣٦)، ففي كلمة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ قراءتان:
الأولى: بإثبات الألف والتخفيف (فَأَزَلَّهُمَا) ومعناها: من الزوال والانتقال عن الجنة.
والثانية: بحذف الألف مع التشديد: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، والمعنى: من الزلل والخطأ، ويحتمل أن
يكون المعنى: من (زَلَّ) عن المكان إذا تنحى، فتتحد القراءتان في المعنى.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٩٤)

(٣) ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥)، فيها قراءتان:
الأولى: (وَاتَّخَذُوا) بكسر الخاء، أي: أمر باتخاذ مصلى.
الثانية: (وَاتَّخَذُوا) بفتح الخاء، والمعنى: أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم ﷺ أنهم اتخذوا من
مقام أبيهم إبراهيم مصلى.

الطبري، جامع البيان (٥٢٢/٢-٥٢٤)

(١) قام بإعداد هذه الرسائل الشيخ: د. محمد بن عمر الجنابي، دكتوراه في القراءات القرآنية، مجاز بالقراءات العشر الكبرى
والصغرى، ومدير ملتقى الرسائل الجامعية بملتقى أهل التفسير.

٤) كلمة: ﴿كَبِيرٌ﴾ في قوله تعالى عن الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩)، فيها قراءتان:

- ١- (كبير) بالباء، أي: إثم عظيم.
- ٢- (كثير) بالثاء، والمعنى: أن الخمر تحدث مع شربها آثامًا كثيرة، وفي الوقت نفسه كبيرة، من قتل أو فحش وسب وعداوة وخيانة، أو تفريط في الفرائض أو غير ذلك. فسبحان من رحم عباده بتحريمها.

الطبري، جامع البيان (٦٧٨/٣)

٥) كلمة ﴿يَطْهُرَنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرَنَّ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، فيها قراءتان:

- ١- (يَطْهُرَنَّ) بسكون الطاء وضم الهاء، والمعنى: انقطاع دم الحيض.
- ٢- (يَطْطَهْرَنَّ) بتشديد الطاء والهاء، والمعنى: الاغتسال بعد انقطاع دم الحيض.

الطبري، جامع البيان (٧٣١/٣-٧٣٢)

وإذا ضمنت القراءتين إلى بعضهما تبين أنه لا يجوز إتيان الزوجة إلا بعد اغتسالها، لا بمجرد انقطاع حيضها.

وفي هذا ما يدل بوضوح على عناية الإسلام بالنظافة التامة.

٦) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أُغْرَفَ بِرَأْسِهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، ففي كلمة (عُرْفَةً) قراءتان:

- ١) (عُرْفَةً) بضم الغين.
 - ٢) (عَرَفَةً) بفتح الغين.
- وقد ذكر في معنى القراءتين أن ما كان باليد فهو (عَرَفَةً) بالفتح، وما كان بإناء فهو (عُرْفَةً) بالضم.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (٩٩)

(٧) ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، ففي (نُنشِرُهَا) قراءتان:

- ١- (نُنشِرُهَا) بالزاي، أي: نرفعها، من (النشر) وهو المرتفع من الأرض، والمعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض على جسم صاحبها ليحيى بعد موته.
- ٢- (نُنشِرُهَا) بالراء، من النشر وهو الإحياء، والمعنى: وانظر إلى عظام حمارك -التي ابيضت من مرور الزمان عليها- كيف نحيتها!

الطبري، جامع البيان (٦١٥/٤-٦١٧)

(٨) في كلمة (فَصُرْهُنَّ) من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّمَّنْ جُرَّةً﴾ (البقرة: ٢٦٠)، قراءتان:

- ١- (فَصُرْهُنَّ) بضم الصاد، أي أمْلهن واجمعهن، والعرب تقول: (صُر وجهك إلي) أي أقبل عليّ واجعل وجهك إليّ.
- ٢- (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد، أي قطعهن وشققهن ومزقهن.

الطبري، جامع البيان (٦٣٤/٤-٦٣٦) (بتصرف)

(٩) قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمَانٍ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ- وَكُتُبِهِ- وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ففي كلمة: (وَكُتُبِهِ) فيها قراءتان:

- ١- (وَكُتُبِهِ) جمع كتاب، وهي مناسبة للجمع قبلها وبعدها في (ملائكته) و(رسله).
- ٢- (وَكِتَابِهِ) ولهذه القراءة وجهان:

الأول: أن الكتاب هنا المراد به القرآن.

الثاني: أن المراد به جميع الكتب؛ لأن (كتاب) مفرد فإذا أضيف صار عامًا.

الطبري، جامع البيان (١٤٨/٥) (بتصرف)

(١٠) قال تعالى عن أم مريم: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ (آل عمران: ٣٦). ففي كلمة: ﴿وَضَعَتْ﴾ قراءتان:

- ١- (وَضَعَتْ) بفتح العين وسكون التاء، من إخبار الله تعالى عن أم مريم، والتاء فيها للتأنيث.
- ٢- (وَضَعَتْ) بسكون العين وضم التاء، حكاية عن أم مريم ما أخبرت به عن نفسها، ويؤيد هذه القراءة أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ (آل عمران: ٣٦)، كأنها أخبرت الله بأمر هو أعلم به منها، فتداركت ذلك بقولها: (والله أعلم بما وضعت).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٠٨)

(١١) ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، ففي كلمة: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ قراءتان:

- ١- (تُعَلِّمُونَ) بضم التاء، وفتح العين، وكسر اللام المشددة، من التعليم، وهذه القراءة أبلغ في المدح؛ لأن المعلم لا يكون معلمًا حتى يكون عالمًا بما يعلمه للناس.
- ٢- (تُعَلِّمُونَ) بفتح التاء وإسكان العين وفتح اللام، أي: بعلمكم الكتاب، وهي مناسبة لقوله: (تدرسون).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٢٢) (بتصرف)

(١٢) في كلمة ﴿فَرِحَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرِحٌ فَقَدِمَسَ الْقَوْمَ فَرِحٌ مِثْلَهُ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، قراءتان:

- ١- (فَرِحَ) بفتح القاف.
 - ٢- (فَرِحَ) بضم القاف.
- قال الفراء: كأن (الفَرِحَ) بالضم، ألم الجراحات، وكأن (الفَرِحَ) بالفتح، الجراح نفسها.
- معاني القرآن (٢٣٤/١)

(١٣) في كلمة (قَاتِل) من قوله تعالى: ﴿وَكَأَنَّ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْتُمْ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، قراءتان:

- ١- (قاتل) بفتح القاف وألف بعدها، وهي أبلغ في المدح من القراءة الأخرى؛ لأنها تشمل المقاتل والمقتول، كما قال تعالى: (وقاتلوا وقتلوا).
 - ٢- (قُتِلَ) بضم القاف وكسر التاء، أي وكم من نبي قتل قبل محمد ﷺ ومعه ريبون كثير فما وهنوا لقتل نبيهم وما ضعفوا، وفيها عتاب لمن أدبر عن القتال يوم أحد حين أشيع قتله ﷺ.
- ابن زنجلة، حجة القراءات (١٧٥)

(١٤) ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٩٥)، من القراءات المتواترة في هذه الآية:

- ١- ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ أي أنهم قاتلوا وهم أحياء ثم قتلوا.
 - ٢- ﴿وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا﴾ فإن قيل: كيف يقاتلون وقد قُتِلوا؟
- فالجواب: أن المعنى قُتِلَ بعضهم، وبقي الآخرون يُقَاتِلُونَ، وفي هذا إشارة -والله أعلم- إلى أنه لما كان مقصدهم واحدًا عُبر عن قتل بعضهم بقتل جميعهم.

ابن زنجلة، حجة القراءات (١٨٧) (بتصرف)

(١٥) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا صَرَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا..﴾ الآية النساء: ٩٤، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا﴾ في قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ قراءتان:

١- (فَتَبَيَّنُوا) من البيان، أي: استوضحوا.

٢- (فَتَبَيَّنُوا) من التثبت، أي: فتأنوا حتى تتيقنوا صحة الخبر.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٢٦)

هذا أمر بالتثبت في الجهاد والتعامل، فكم جنى التعجل على أهله من آفات! وكم ستضيق دائرة الشحناء والقطيعة لو امتثلنا هذا الأمر؟

(١٦) قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَفَضِهِمْ مَيِّثْفَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣).

قرئت ﴿قَلَسِيَةً﴾ على وجهين:

١- (قَلَسِيَةً) من قست تقسو، إذا كانت يابسة صلبة لا تعي الخير ولا تفعله، كقوله تعالى:

﴿قَوْلٌ لِلْقَلَسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ (الزمر: ٢٢).

٢- (قَلَسِيَةً) بدون ألف وبتشديد الياء، ومعناها: فاسدة عاتية لا خير فيها.. والمعنيان كلاهما

خطير على القلب.

نعوذ بالله من فساد القلوب وقسوتها.

(١٧) ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧) قرئت (يَقْضُ):

١- (يَقْضُ الْحَقُّ) بضم القاف والصاد، من القصص؛ لأن جميع ما أنبأ به فهو من أقاصيص الحق.

١- (يَقْضُ الْحَقُّ) بالضاد من القضاء، والمعنى: يقضي القضاء الحق، أو: يقضي بالحق، ويؤيد

هذه القراءة قوله في آخر الآية: (وهو خير الفاصلين)؛ لأن الفصل إنما يكون في القضاء.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٢٥٤)

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١١٩)، ففي (يضلون) قراءتان:

- ١- (يُضِلُّونَ) بضم الياء: أي مضلون لغيرهم.
- ٢- (يَضْلُونَ) بفتح الياء: أي ضالون في أنفسهم.

الطبري، جامع البيان (٥١٥/٩)

وفي كلا القراءتين تنبيه على خطر الهوى!

وإن كان الإضلال أكثر خطرًا؛ لأن المضل يتحمل إثمه وإثم من أضله.

والضال في نفسه قد يضل غيره من حيث لا يشعر، حين يكون ممن يقتدى به في ضلاله.

١٩) قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

(الأنعام: ٩٢)، في قوله (ولتنذر) قراءتان:

١- (وَلِتُنذِرَ) بالتاء، أي لتنذر أنت يا محمد أهل مكة، ويدل على هذه القراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ (النازعات: ٤٥).

٢- (وَلِيُنذِرَ) بالياء، أي لينذر الكتاب أهل مكة، ويدل على هذه القراءة قوله في أول الآية: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩٢).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٤٥)

٢٠) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩) كلمة (فرقوا)

فيها قراءتان:

١- (فَرَّقُوا) من التفريق، أي جعلوه فرقًا، ويدل على هذه القراءة قوله: (وكانوا شيعًا).

٢- (فَارَّقُوا) من المفارقة، أي تركوه وانصرفوا عنه.

والمعنيان متقاربان؛ لأنهم إذا فرقوا الدين فقد فارَّقوه.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٥٢)

(٢١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)،

ففي (طائف) قراءتان:

١- (طائف) بالألف: الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له، وأطلق هنا على الخاطر الذي يخطر في النفس ويبعث على فعل المنهي عنه، شبه ذلك الخاطر في مبدأ جولانه في النفس بحلول الطائف قبل أن يستقر.

٢- (طائف) بالياء، ومعناه: ما يتخيل في القلب، أو يرى في النوم مما يوسوسه الشيطان للإنسان.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٠٥)

(٢٢) في جملة (أولا يرون) من قوله تعالى: ﴿أَوَّلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة: ١٢٦)، قراءتان:

١- (أولا يرون) بالياء، أي أولا يرى المنافقون أنهم يفتنون، أي يمتحنون بالمرض وغيره في كل عام مرة أو مرتين.

٢- (أولا ترون) بالتاء، أي أنتم معشر المؤمنين أنهم يفتنون، يعني المنافقين.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٢٦)

(٢٣) قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُغُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ..﴾ (يونس: ٣٠)، في (تبلو) قراءتان:

١- (تَبْلُو) من البلاء، أي: الاختبار والمعنى: «ستلاقي كل نفس جزاء ما أسلفت من خير أو شر».

٢- (تَتَلُو) بتاءين، أي: تقرأ ما أسلفت، وقيل: تتبع كل نفس ما أسلفت.

الطبري، جامع البيان (١٧٣/١٢)

ومع اختلاف المعنيين إلا أن مؤداهما واحد، فماذا أعددت -رحمك الله- ليوم العرض على الله؟

(٢٤) ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (يونس: ٢٢)، ففي قوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ قراءتان:

- ١- (يُسَيِّرُكُمْ) من التسيير، أي: يجعلكم تسيرون فيهما.
- ٢- (يَنْشُرُكُمْ) بفتح الياء وسكون النون وضم الشين، من النشر بمعنى: التفريق، أي: يفرقكم في البر والبحر.

الأزهري، معاني القراءات (٤١/٢)

فهنيئًا لمن مشى في مناكب الأرض، أو ركب البحار متذكرًا فضل الله عليه بتيسير التنقل، وجعله فرصة لمزيد من شكر النعم.

(٢٥) أثنى الله تعالى على نبيه يوسف بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، وقد قرئت بفتح اللام: (المُخْلِصِينَ) وكسرها: (المُخْلِصِينَ)، فمن فتحها فمعناها: الذين أخلصهم الله لعبادته وكرامته، ومن كسرها فمعناها: الذين أخلصوا أنفسهم ودينهم لله.

قال ابن جرير: وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مخلص توحيد لله، ومن أخلص توحيد، فهو ممن أخلصه الله.

الطبري، جامع البيان، (٥٠/١٦)

(٢٦) في كلمة (آيات) من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ (يوسف: ٧)، كلمة (آيات) فيها قراءتان:

- ١- (آيات) على الجمع، وهي تدل على كثرتها وتنوعها، ففيها آيات للسائلين في شتى المجالات: الإيمانية، والعقدية، والسياسية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية.
- ٢- (آية) أي عبرة، فجعل أمر يوسف كله عبرة وآية.

ابن زنجلة، الحجة في القراءات (١٩٣) (بتصرف)

(٢٧) ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥)، في كلمة: ﴿سُكَّرَتْ﴾ قراءتان:

١- (سُكَّرَتْ) بتشديد الكاف، أي: سُدَّتْ وَعُطِّيت.

٢- (سُكَّرَتْ) بتخفيف الكاف: أي سَجِرَتْ وَحُبِسَتْ، فكأن المعنى: لا ينفذ نورها ولا تدرك الأشياء على حقيقتها فكأنها حبست.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٨٢)

فانظر إلى أثر إصرارهم على التعامي عن الحق والتمادي في الغي والضلال!

(٢٨) في كلمة (زَكِيَّة) من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿أَقْبَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ الكهف: ٧٤، قراءتان:

١- (زَكِيَّة) بغير ألف، قيل في معناها: أذنبت ثم تابت.

٢- (زَاكِيَّة) بالألف، وهي التي لم تذنّب قط.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٤٢٤)

(٢٩) في كلمة (لَأَهْبَ) من قوله تعالى في قصة مريم: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم: ١٩)، قراءتان:

١- (لَأَهْبَ) بالهمزة، على الحكاية، والمعنى: أنني رسول من عند الله أرسلني لأهب لك، فالفعل لله سبحانه، وجبريل يحيي عن الله.

٢- (لِيَهَبَ) بالياء، أي ليهب الله لك، ولم يكن جبريل الذي يهب بل الله يهب، والمعنى: أرسلني الله لِيَهَبَ لك.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٤٤٠)

(٣٠) ﴿وَتَنجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ (الشعراء: ١٤٩)، ففي كلمة: (فَارِهِينَ) قراءتان:

١- (فَارِهِينَ)، والفاره: الحاذق بالشيء، أي: حاذقون بنحتها.

٢- (فَرِهِينَ) أي يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً، من غير حاجة لسكانها.

الطبري، جامع البيان (٦٢١/١٧)

فكأن قراءة (فَرِهِينَ) ثمرة لقراءة (فَارِهِينَ) كعادة كثير من المجتمعات التي تصاب بالبطر والاستعلاء بعد التمكن المادي.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصفات: ١٢) قرئت:

- ١- (عَجِبْتَ) بفتح التاء، معناها: بل عجبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك.
- ٢- (عَجِبْتُ) بضم التاء، فيها إثبات صفة العَجَب - بفتح العين والحيم - لله تعالى على ما يليق به سبحانه، يقول الشنقيطي: «فهي إِذَا من آيات الصفات على هذه القراءة».

أضواء البيان (٣٠٨/٦)

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ (الزخرف: ١٩)،
قراءتان:

- ١- (عِبَاد) جمع عبد، وفي هذه القراءة تكذيب على من زعم أن الملائكة بنات الله.
 - ٢- (عِنْد) ظرف مكان، وفيه دلالة على رفع منزلتهم وقربهم.
- ابن زنجلة، حجة القراءات (٦٤٧)

فأفادتنا القراءتان: إثبات عبوديتهم، وعظيم منزلتهم.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (التكوير: ٢٤)، في كلمة (ضنين) قراءتان متواترتان:

- ١- (بضنين) بالضاد، معناه: البخيل، أي: لا يبخل بما آتاه الله من العلم والقرآن، ولكن يرشد ويعلم.
- ٢- (بظنين) بالظاء، معناه، المتهم، أي: ما هو على الغيب بمتهم، بل هو الثقة فيما يخبر عن الله تعالى.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٧٥٢)



قائمة المصادر والمراجع



- ١) إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان، د. صالح الفوزان، دار المسلم (الرياض)، ط ٢ (١٤١٤هـ).
- ٢) الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٣٩٤هـ).
- ٣) آثار ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، اعتنى به: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط ١ (١٣٨٨هـ).
- ٤) آثار محمد البشير الإبراهيمي، اعتنى به: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي (تونس)، ط ١ (١٩٩٧م).
- ٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق (الرياض)، ط ١ (١٤٠٨هـ).
- ٦) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٣ (١٤٢٤هـ).
- ٧) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، اعتنى به: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، (١٤٠٥هـ).
- ٨) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتنى به: أحمد شاكر، دار الأفاق الجديدة (بيروت).
- ٩) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة (بيروت).
- ١٠) أخبار لحفظ القرآن الكريم، أبو القاسم ابن عساكر علي بن الحسن، اعتنى به: خير الله الشريف، دار الفرائد (دمشق)، ط ١ (١٩٩٦م).

- ١١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى (الكويت)، ط١ (١٤٠٦هـ).
- ١٢) الإخلاص والنية، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: إياد خالد الطباع، دار البشائر ط١ (١٤١٣هـ).
- ١٣) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، اعتنى به: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض).
- ١٤) أخلاق أهل القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، اعتنى به: المكتب السلفي لتحقيق التراث، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ).
- ١٥) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة (بيروت)، ط٢ (١٣٩٩هـ).
- ١٦) الإخوان، أبو بكر ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، اعتنى به: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٩هـ).
- ١٧) آداب الحسن البصري، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: سليمان الحرش، دار الصديق (بيروت)، ط١ (١٤٢٦هـ).
- ١٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد شمس الدين المقدسي، دار عالم الكتب (بيروت).
- ١٩) الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر (بيروت).
- ٢٠) الأذكار، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، اعتنى به: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٤هـ).
- ٢١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- ٢٢) الاستقامة، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ (١٤٠٣هـ).
- ٢٣) أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى محمود بن حمزة بن نصر، اعتنى به: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.
- ٢٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الحكيني الشنقيطي، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٥هـ).
- ٢٥) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى (مصر).

- ٢٦) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، اعتنى به: أحمد صقر، دار المعارف (مصر)، طه ١٩٩٧م).
- ٢٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١١هـ).
- ٢٨) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي (بيروت) ومكتبة فرقد الخاني (الرياض)، ط ٢ (١٤٠٨هـ).
- ٢٩) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف (الرياض).
- ٣٠) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، اعتنى به: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب (بيروت)، ط ٧ (١٤١٩هـ).
- ٣١) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٤ (١٣٩٧هـ).
- ٣٢) الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٠١هـ).
- ٣٣) آل حم: غافر- فصلت (دراسة في أسرار البيان)، أ.د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٣٤) الأم، أبو عبد الله محمد - بن إدريس الشافعي، دار المعرفة (بيروت)، ط ١ (١٤١٠هـ).
- ٣٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، اعتنى به: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ١ (١٤١٨هـ).
- ٣٦) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم (المدينة النبوية)، طه ١٤٢٤هـ).
- ٣٧) أيها الولد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، اعتنى به: علي محيي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية (بيروت)، ط ٤ (١٤٣١هـ).
- ٣٨) بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، اعتنى به: د. محمود مطرجي، دار الفكر (بيروت).
- ٣٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة الفاسي، اعتنى به: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي (القاهرة)، ط ١ (١٤١٩هـ).

- ٤٠) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨هـ).
- ٤١) بدائع التفسير (الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية)، اعتنى به: يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٢ (١٤٣١هـ).
- ٤٢) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتاب العربي (بيروت).
- ٤٣) البدهيات في القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، السنة ٢٧ العددان ١٠٣ و ١٠٤ - ١٤١٦ / ١٤١٧هـ.
- ٤٤) برد الأكباد عند فقد الأولاد، ابن ناصر الدين محمد بن عبد الله، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١ (١٤١٨هـ).
- ٤٥) البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، اعتنى به: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، (١٤١٠هـ).
- ٤٦) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، اعتنى به: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١ (١٣٧٦هـ).
- ٤٧) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط٢ (١٤١٩هـ).
- ٤٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اعتنى به: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة)، (١٤١٦هـ).
- ٤٩) بلاغ الرسالة القرآنية (من أجل إبصار آيات الطريق)، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).
- ٥٠) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال (بيروت)، (١٤٢٣هـ).
- ٥١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٢ (١٤١٣هـ).
- ٥٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).
- ٥٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن، اعتنى به: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).
- ٥٤) تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، أبو الحسن علي بن عبد الله الأندلسي، اعتنى به: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (بيروت)، طه (١٤٠٣هـ).

- ٥٥) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، اعتنى به: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت).
- ٥٦) التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، عبد العزيز بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط ١ (١٤٢٣هـ).
- ٥٧) التبصرة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٠٦هـ).
- ٥٨) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع (دمشق)، ط ١ (١٤٠٣هـ).
- ٥٩) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد حامد الفقي، دار المعرفة (بيروت).
- ٦٠) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر (تونس)، (١٩٨٤م).
- ٦١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد بن عمر البَجِيرِي، دار الفكر، (١٤١٥هـ).
- ٦٢) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان (دمشق)، ط ١ (١٣٩١هـ).
- ٦٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد (الطائف) ودار البيان (دمشق)، ط ٢ (١٤٠٩هـ).
- ٦٤) التذكار في أفضل الأذكار، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٠٦هـ).
- ٦٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر (بيروت)، ط ٣ (١٤٣٣هـ).
- ٦٦) تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مكتبة الرشد (الرياض)، ط ١ (١٤٢٨هـ).
- ٦٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، اعتنى به: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج (الرياض)، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ٦٨) تراث أبي الحسن الخُرَازِيِّ المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد، اعتنى به: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط)، ط ١ (١٤١٨هـ).

- (٦٩) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، اعتنى به: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).
- (٧٠) تصنيف الناس بين الظن واليقين، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة (الرياض).
- (٧١) التعبير القرآني، د. فاضل بن صالح السامرائي، دار عمّار (عمّان)، ط٩ (١٤٣٥هـ).
- (٧٢) تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، اعتنى به: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز (المملكة العربية السعودية)، ط٣ (١٤١٩هـ).
- (٧٣) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، اعتنى به: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).
- (٧٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، اعتنى به: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة (الرياض)، ط١ (١٤٢٢هـ).
- (٧٥) تفسير ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة، اعتنى به: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية (تونس)، ط١ (١٩٨٦م).
- (٧٦) تفسير آل عمران، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٣ (١٤٣٥هـ).
- (٧٧) تفسير الإمام الشافعي، اعتنى به: د. أحمد بن مصطفى الفرّان، دار التدمرية (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢٧هـ).
- (٧٨) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، اعتنى به: د. محمد عبد العزيز بسيوني وآخرون، [(ج١: كلية الآداب - جامعة طنطا)، (ج٢-٣: دار الوطن (الرياض))، (ج٤-٥: جامعة أم القرى (مكة المكرمة))].
- (٧٩) تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، اعتنى به: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤١٨هـ).
- (٨٠) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧م).
- (٨١) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤٢٣هـ).
- (٨٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م).
- (٨٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير السخاوي)، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي، اعتنى به: موسى علي موسى مسعود و د. أشرف محمد عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات

- (القاهرة)، ط ١ (١٤٣٠هـ).
- ٨٤) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة (الرياض)، ط ٢ (١٤٢٠هـ).
- ٨٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ٨٦) تفسير القرآن الكريم: (الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد)، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ٨٧) التفسير القيم (تفسير ابن القيم للقرآن الكريم)، اعتنى به: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال (بيروت)، ط ١ (١٤١٠هـ).
- ٨٨) تفسير الكواشي (تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر)، موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشي، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية).
- ٨٩) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١ (١٣٦٥هـ).
- ٩٠) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، اعتنى به: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب (بيروت)، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ٩١) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، اعتنى به: د. محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).
- ٩٢) تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا (الرياض)، ط ٢ (١٤٢٣هـ).
- ٩٣) تفسير سورة الصافات، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط ١ (١٤٢٤هـ).
- ٩٤) تفسير سورة النساء، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ٢ (١٤٣٣هـ).
- ٩٥) تفسير سورة ص، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- ٩٦) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير)، اعتنى به: إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ١ (١٤٣٢هـ).
- ٩٧) تفسير عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، اعتنى به: د. محمود محمد

- عبد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١٩هـ).
- ٩٨ تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، اعتنى به: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث (بيروت)، ط ١ (١٤٢٣هـ).
- ٩٩ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، اعتنى به: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، (١٣٨٧هـ).
- ١٠٠ تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية.
- ١٠١ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني، اعتنى به: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١ (١٤٠٠هـ).
- ١٠٢ التواصل الأسري (كيف نحمي أسرنا من التفكك)، أ. د. عبد الكريم بكار، دار وجوه (الرياض)، ط ٣ (١٤٣٢هـ).
- ١٠٣ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١ (١٤٢٠هـ).
- ١٠٤ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- ١٠٥ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، اعتنى به: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي و د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- ١٠٦ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٧ (١٤٢٢هـ).
- ١٠٧ جامع المسائل لابن تيمية، اعتنى به: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- ١٠٨ جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، اعتنى به: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ١ (١٤١٤هـ).
- ١٠٩ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، اعتنى به: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط ٢ (١٣٨٤هـ).
- ١١٠ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: د.

- حمود الطحان، مكتبة المعارف (الرياض)، (١٤٠٣هـ).
- ١١١) جدد حياتك، محمد الغزالي السقاء، دار نهضة مصر، ط ١ .
- ١١٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة (الكويت)، ط ٢ (١٤٠٧هـ).
- ١١٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، اعتنى به: علي بن حسن و عبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة (الرياض)، ط ٢ (١٤١٩هـ).
- ١١٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة (المغرب)، ط ١ (١٤١٨هـ).
- ١١٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، اعتنى به: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ١ (١٤١٨هـ).
- ١١٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار المدني (القاهرة).
- ١١٧) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، دار صادر (بيروت).
- ١١٨) حديث القرآن عن القرآن، محمد بن عبد الرحمن الراوي، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط ١ (١٤١٥هـ).
- ١١٩) الحديقة، محب الدين الخطيب، اعتنى به: سليمان بن صالح الخراشي، دار العاصمة (الرياض) والمكتبة السلفية (القاهرة)، ط ٢ (١٤٣٢هـ).
- ١٢٠) حراسة الفضيلة، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة (الرياض)، ط ١١ (١٤٢٦هـ).
- ١٢١) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: مخلص محمد، دار طيبة (الرياض)، ط ١ (١٤٠٨هـ).
- ١٢٢) الحسنه والسيئة، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، دار الكتب العلمية (بيروت).
- ١٢٣) الحلم، ابن أبي الدنيا، اعتنى به: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط ١ (١٤١٣هـ).
- ١٢٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الفكر (بيروت)، ط ١ (١٤١٦هـ).
- ١٢٥) خلق المسلم، محمد الغزالي السقاء، دار نهضة مصر، ط ١ .
- ١٢٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر

(بيروت)، (١٩٩٣م).

١٢٧) درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢ (١٤١١هـ).

١٢٨) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، اعتنى به: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٢٩) دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١٠ (١٤١٨هـ).
١٣٠) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، جيلان بن خضر العروسي، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، (١٤١٠هـ).

١٣١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تیمیة (القاهرة)، ط١ (١٤١٧هـ).

١٣٢) دقائق التفسير (الجامع لتفسير ابن تیمیة)، اعتنى به: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن (دمشق)، ط٢ (١٤٠٤هـ).

١٣٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان البكري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة (بيروت)، ط٤ (١٤٢٥هـ).

١٣٤) الدّين، د. محمد بن عبد الله دراز، دار القلم (الكويت).

١٣٥) ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: مصطفى عبد الواحد.

١٣٦) ذيل طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

١٣٧) الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٣٩٥هـ).

١٣٨) الرد على المنطقيين، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، دار المعرفة (بيروت).

١٣٩) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط (الرياض)، ط١ (١٤٢٠هـ).

١٤٠) الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني (جدة).

١٤١) رسالة الحجاب (مطبوع مع رسالة في الدماء الطبيعية للنساء)، محمد بن صالح العثيمين.

١٤٢) رسالة في الدماء الطبيعية للنساء، محمد بن صالح العثيمين، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

- والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط ١ (١٤٢١هـ).
- ١٤٣ رسائل ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتنى به: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط ١ (١٩٨٣م).
- ١٤٤ الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، اعتنى به: صالح بن فوزان الفوزان ومحمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).
- ١٤٥ الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية (الهند - بومباي)، ط ١ (١٤١٠هـ).
- ١٤٦ الرقة والبكاء، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط ٣ (١٤١٩هـ).
- ١٤٧ ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط ١.
- ١٤٨ رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني، اعتنى به: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسيدي (مكة المكرمة)، ط ١ (١٤٢٩هـ).
- ١٤٩ روائع إقبال، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الفكر (دمشق)، ط ١ (١٣٧٩هـ).
- ١٥٠ روائع الطنطاوي، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: إبراهيم مضواح الألمي، دار المنارة (المملكة العربية السعودية - جدة)، ط ١ (١٤٢١هـ).
- ١٥١ روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر (بيروت).
- ١٥٢ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، اعتنى به: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١٥هـ).
- ١٥٣ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، اعتنى به: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ١ (١٤٢١هـ).
- ١٥٤ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٠٣هـ).
- ١٥٥ زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- ١٥٦ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مؤسسة الرسالة (بيروت) ومكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، ط ٢٧ (١٤٢٥هـ).
- ١٥٧ الزهد والرفائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، اعتنى به: حبيب الرحمن الأعظمي، دار

- الكتب العلمية (بيروت).
- ١٥٨) الزهد والورع والعبادة، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، اعتنى به: حماد سلامة ومحمد عويضة، مكتبة المنار (الأردن)، ط ١ (١٤٠٧هـ).
- ١٥٩) الزهد، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به: ياسر بن إبراهيم بن محمد وغنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة (مصر - حلوان)، ط ١ (١٤١٤هـ).
- ١٦٠) الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، اعتنى به: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٢٠هـ).
- ١٦١) زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي.
- ١٦٢) سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي السقاء، دار نهضة مصر، ط ١.
- ١٦٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق - الأميرية - (القاهرة)، (١٢٨٥هـ).
- ١٦٤) السنة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، اعتنى به: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية (الرياض)، ط ٢ (١٩٩٤م).
- ١٦٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٣ (١٤٠٥هـ).
- ١٦٦) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، اعتنى به: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (دمشق)، ط ٢ (١٤٠٣هـ).
- ١٦٧) شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط ١ (١٤٢٦هـ).
- ١٦٨) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، اعتنى به: شعيب الأرنؤوط ود. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١٠ (١٤١٧هـ).
- ١٦٩) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- ١٧٠) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط ١ (١٤٢٦هـ).
- ١٧١) شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، اعتنى به: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد (الرياض)، ط ٢ (١٤٢٣هـ).
- ١٧٢) شرح عمدة الأحكام، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: أنس بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل، دار النوادر (دمشق)، ط ١ (١٤٣٠هـ).

- ١٧٣) شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤١٥هـ).
- ١٧٤) شرح منظومة الآداب الشرعية، موسى بن أحمد الحجاوي، اعتنى به: نور الدين طالب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية).
- ١٧٥) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد (الرياض) والدار السلفية (الهند - بمبائي)، ط١ (١٤٢٣هـ).
- ١٧٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء (عمّان)، ط٢ (١٤٠٧هـ).
- ١٧٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة (بيروت)، (١٣٩٨هـ).
- ١٧٨) الشكر، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: بدر البدر، المكتب الإسلامي (الكويت)، ط٣ (١٤٠٠هـ).
- ١٧٩) الصارم المسلول، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، اعتنى به: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي (المملكة العربية السعودية).
- ١٨٠) صفة الصفة، أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، اعتنى به: أحمد بن علي، دار الحديث (القاهرة)، (١٤٢١هـ).
- ١٨١) الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).
- ١٨٢) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: حسن المساحي، دار القلم (دمشق)، ط١ (١٤٢٥هـ).
- ١٨٣) الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).
- ١٨٤) طريق المهجرتين وباب السعادتین، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار السلفية (القاهرة)، ط٢ (١٣٩٤هـ).
- ١٨٥) العاقبة في ذكر الموت، ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي، اعتنى به: خضر محمد خضر، دار الأقصى (الكويت)، ط١ (١٤٠٦هـ).
- ١٨٦) العبودية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، اعتنى به: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٧ (١٤٢٦هـ).

- ١٨٧) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار ابن كثير (دمشق) ومكتبة دار التراث (المدينة المنورة)، ط ٣ (١٤٠٩هـ).
- ١٨٨) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد (مكة المكرمة)، ط ٢ (١٤٢٦هـ).
- ١٨٩) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، اعتنى به: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي (بيروت).
- ١٩٠) العقيدة الواسطية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، اعتنى به: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف (الرياض)، ط ٢ (١٤٢٠هـ).
- ١٩١) العلم، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٢ (١٤٠٣هـ).
- ١٩٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، اعتنى به: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١٦هـ).
- ١٩٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت).
- ١٩٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية (المدينة النبوية)، ط ١ (١٤١٧هـ).
- ١٩٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، اعتنى به: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤١٢هـ).
- ١٩٦) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد الأنصاري، اعتنى به: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت)، ط ١ (١٤٠٣هـ).
- ١٩٧) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ٣.
- ١٩٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير (دمشق)، ودار الكلم الطيب (بيروت)، ط ١ (١٤١٤هـ).
- ١٩٩) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، اعتنى به: محمد حامد فقي،

مطبعة السنة المحمدية (القاهرة)، ط ٧ (١٣٧٧هـ).

٢٠٠) الفجور السياسي، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط ٢ (١٤٣٢هـ).

٢٠١) الفروع (ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرادوي)، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد شمس الدين المقدسي، اعتنى به: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١ (١٤٢٤هـ).

٢٠٢) فصول في الدعوة والإصلاح، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة (المملكة العربية السعودية - جدة)، ط ١ (٢٠٠٨م).

٢٠٣) فضائل القرآن، أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، اعتنى به: يوسف عثمان فضل الله جبريل، مكتبة الرشد (الرياض)، ط ١ (١٤٠٩هـ).

٢٠٤) فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم (دمشق)، ط ١ (١٤٢٧هـ).

٢٠٥) فهم القرآن ومعانيه، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، اعتنى به: حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر (بيروت)، ط ٢ (١٣٩٨هـ).

٢٠٦) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، ط ١ (١٤١٢هـ).

٢٠٧) الفوائد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٢ (١٣٣٩هـ).

٢٠٨) في العقلية الليبرالية، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، دار الحجاز (مصر - الإسكندرية)، ط ١ (١٤٣٢هـ).

٢٠٩) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق (بيروت)، ط ١٧ (١٤١٢هـ).

٢١٠) قاعدة في المحبة، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة).

٢١١) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض)، ط ١ (١٤١٢هـ).

٢١٢) قناديل الصلاة، د. فريد الأنصاري، دار القرويين (المغرب - الدار البيضاء)، ط ١ (١٤٢٠هـ).

٢١٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، اعتنى به: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة)، ط ١ (١٤١٤هـ).

٢١٤) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد (الرياض)، ط ١ (١٤٢٠هـ).

٢١٥) القواعد الصغرى (الفوائد في اختصار المقاصد)، العز بن عبد السلام، تحقيق: د. صالح بن عبد

العزیز بن إبراهيم آل منصور، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ١ (١٤١٧هـ).

- (٢١٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ٢ (١٤٢٤هـ).
- (٢١٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ٣ (١٤٠٧هـ).
- (٢١٨) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، اعتنى به: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء (مصر - المنصورة)، ط ١ (١٤١٠هـ).
- (٢١٩) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٤ (١٣٩٧هـ).
- (٢٢٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، الخازن علاء الدين علي بن محمد، اعتنى به: علاء الدين علي بن محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١٥هـ).
- (٢٢١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، اعتنى به: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤١٩هـ).
- (٢٢٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، دار ابن حزم، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- (٢٢٣) لطائف قرآنية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم (دمشق)، ط ١ (١٤١٢هـ).
- (٢٢٤) لمحات الأنوار وري الظمان لمعرفة ما ورد في ثواب قارئ القرآن، محمد بن عبد الواحد الغافقي، اعتنى به: د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، ط ١ (١٤١٨هـ).
- (٢٢٥) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل بن صالح السامرائي، دار عمّار (عمّان)، ط ٣ (١٤٢٣هـ).
- (٢٢٦) مآلات الخطاب المدني، إبراهيم بن عمر السكران، مركز الفكر المعاصر (الرياض)، ط ١ (١٤٣٥هـ).
- (٢٢٧) المتمنين، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط ١ (١٤١٨هـ).
- (٢٢٨) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير نصر الله بن محمد، اعتنى به: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت)، ط ١ (١٤٢٠هـ).
- (٢٢٩) مجالس القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط ٢ (١٤٣١هـ).
- (٢٣٠) مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، ط ١ (١٤٠٨هـ).
- (٢٣١) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين) ودار ابن حزم (بيروت)، ط ١ (١٤١٩هـ).

- (٢٣٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، اعتنى به: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة النبوية)، (١٤١٦هـ).
- (٢٣٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، اعتنى به: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- (٢٣٤) مجموع فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، اعتنى به: محمد بن سعد الشويعر.
- (٢٣٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن (الرياض) ودار الثريا (الرياض)، (١٤١٣هـ).
- (٢٣٦) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، اعتنى به: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).
- (٢٣٧) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).
- (٢٣٨) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.
- (٢٣٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، اعتنى به: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).
- (٢٤٠) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر (بيروت).
- (٢٤١) مختصر الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصره: ابن الموصل، اعتنى به: سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة)، ط١ (١٤٢٢هـ).
- (٢٤٢) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤١٨هـ).
- (٢٤٣) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، أصل الكتب الثلاثة للمؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، اختصرها: أحمد بن علي المقرئ، حديث أكاديمي (باكستان - فيصل آباد)، ط١ (١٤٠٨هـ).
- (٢٤٤) مختصر منهاج السنة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق (صنعاء)، ط٢ (١٤٢٦هـ).
- (٢٤٥) مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، اعتنى به: محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان (دمشق)، (١٣٩٨هـ).
- (٢٤٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٣ (١٤١٦هـ).

- (٢٤٧) المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي (الكويت).
- (٢٤٨) المرأة الاسفنجية، عبد الملك القاسم، دار القاسم (الرياض).
- (٢٤٩) مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار المنهاج (الرياض)، ط ١ (١٤٢٦هـ).
- (٢٥٠) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط ١.
- (٢٥١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، اعتنى به: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ١ (١٤١٠هـ).
- (٢٥٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، اعتنى به: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط ٣ (١٤١٧هـ).
- (٢٥٣) معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، اعتنى به: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، ط ١ (١٤٠٩هـ).
- (٢٥٤) معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: عبد المعطي أمين قلعي، جامعة الدراسات الإسلامية (باكستان) ودار الوعي (حلب) ودار قتيبة (دمشق)، ط ١ (١٤١٢هـ).
- (٢٥٥) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١ (١٤٠٤هـ).
- (٢٥٦) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ٣ (١٤٢٠هـ).
- (٢٥٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت).
- (٢٥٨) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، اعتنى به: صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط ١ (١٤١٢هـ).
- (٢٥٩) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، اعتنى به: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي (دمشق)، ط ١ (١٤٢٥هـ).
- (٢٦٠) مكارم الأخلاق، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط ١.
- (٢٦١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، اعتنى به: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية (بيروت).

- ٢٦٢) من أسرار التنزيل، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، اعتنى به: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم (مصر).
- ٢٦٣) من خلق القرآن، د. محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر، (١٣٩٩هـ).
- ٢٦٤) مناقب الإمام أحمد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ٢ (١٤٠٩هـ).
- ٢٦٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ٣.
- ٢٦٦) المنتقى من فرائد الفوائد، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، (١٤٢٤هـ).
- ٢٦٧) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١ (١٤١٧هـ).
- ٢٦٨) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عمر المقبل، دار الحضارة (الرياض)، ط ٢ (١٤٣٦هـ).
- ٢٦٩) موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين، اعتنى به: علي الرضا الحسيني، دار النوادر (دمشق)، ط ١ (١٤٣١هـ).
- ٢٧٠) ميراث الصمت والملكوت، عبد الله بن عبد العزيز الهدلق، ط ١ (١٤٣١هـ).
- ٢٧١) النبأ العظيم، د. محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، (١٤٢٦هـ).
- ٢٧٢) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي السقاء، دار نهضة مصر، ط ١.
- ٢٧٣) نظرات لغوية في القرآن الكريم، أ.د. صالح بن حسين العايد، دار كنوز إشبيليا (الرياض)، ط ٣ (١٤٢٥هـ).
- ٢٧٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).
- ٢٧٥) النفقة على العيال، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط ١ (١٤١٠هـ).
- ٢٧٦) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصاب، اعتنى به: علي بن غازي التويجري وآخرون، دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط ١ (١٤٢٤هـ).
- ٢٧٧) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي علي بن محمد، اعتنى به: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت).

- (٢٧٨) نور وهداية، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة (المملكة العربية السعودية - جدة)، ط ٢ (١٤٢٩هـ).
- (٢٧٩) نونية ابن القيم (الكافية الشافية)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مكتبة ابن تيمية (القاهرة)، ط ٢ (١٤١٧هـ).
- (٢٨٠) الهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح بن إبراهيم البليهي، ط ٢ (١٤٠٣هـ).
- (٢٨١) هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية (الرياض)، ط ٢ (١٤٢٢هـ).
- (٢٨٢) هكذا علمتني الحياة، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، ط ٤ (١٤١٨هـ).
- (٢٨٣) الوايل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة)، ط ٣ (١٩٩٩ م).
- (٢٨٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، اعتنى به: أحمد الأرناؤوط وتري مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت)، (١٤٢٠هـ).
- (٢٨٥) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١ (١٤٢١هـ).
- (٢٨٦) الوصية المباركة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، اعتنى به: أم عبد الله بنت محروس العسيلي، دار تيسير السنة، ط ١ (١٤١١هـ).
- (٢٨٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، اعتنى به: إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، ط ١ (١٩٩٤ م).



التصنيف الموضوعي^(١)



الموضوع	التدبريات
العقيدة	
الإيمان بالله	
توحيد الألوهية	
أهمية التوحيد	(٣/١١٠)، (١٣٩/١٥١)، (٢٠٠/٧١)، (٢٠١/٨٨)، (٢٧٢/٥٠)، (٣١٨/٢)، (٣٥٩/١١٤)، (٣٦٧/٩٠)، (٣٨٥/٤)، (٣٩٥/٦١)، (٣٩٧/٢)، (٤٨٩/٣)، (٥٤٠/١٦)، (٦٩٦/٥).
خطر الشرك	(١٠٩/١٥١)، (١٣٩/١٥١)، (٢٩١/٣٨)، (٣٠٩/٣٥)، (٣٥٩/١٤)، (٣٦٣/٣٠)، (٣٦٧/٩٠)، (٣٨١/٢٢)، (٣٩٢/٦١)، (٣٩٥/٦١)، (٣٩٦/٣)، (٦٥٢/٢)، (٦٥٨/٤)، (٦٦٤/١)، (٦٩٢/٣).

(١) تنبيهات لاستخدام الفهرس الموضوعي:

- العزوي إلى رقم الصفحة، ثم رقم الفائدة، أو رقم الآية، وأحياناً لأجل التمييز بين أرقام الفوائد يتم العزوي إلى رقم الصفحة ثم رقم الآية ثم رقم الفائدة (رقم الصفحة/رقم الفائدة) أو (رقم الصفحة/رقم الآية/رقم الفائدة) أو (رقم الصفحة/رقم الآية).
- عند وضع الرمز ﴿﴾ فهو للدلالة على التدبريات التي تكون في أول السورة وليس لها ارتباط بأرقام الآيات (رقم الصفحة/رقم الآية) أو (رقم الصفحة/رقم الفائدة).
- إذا تم العزوي إلى رقم الصفحة ثم رقم الآية فقط، فإن هذا يشمل جميع التدبريات المتعلقة بالآية (رقم الصفحة/رقم الآية).

الموضوع	التدبرات
النفاق	(٥٠/٨)، (٥١/١٢)، (٥٢/٣)، (١٣٤/١١٨)، (١٦٥/٧٣)، (١٦٦/٧٨)، (١٦٨/٢)، (١٧٥/١١٣)، (٢٣٧/٢)، (٢٤٥/٤٢)، (٢٤٧/٤٧)، (٢٥٠/١٩)، (٢٥١/٨٣)، (٢٥٨/١٢٥)، (٤٧٤/١٢)، (٥٤١/٣)، (٤٤٢٤١/٣)، (٥٤٢/٥)، (٥٤٨/٣)، (٥٧٨/١٣)، (٥٨٤/١٨)، (٦٠١/٤٤٢)، (٦٠٢/٥)، (٦٨٧/٧).
الرياء	(٤٢/٦)، (٢١٣/١)، (٢٥٤/١٨)، (٢٦٠/٥٥)، (٤٢٤/١٣)، (٤٣٦/٨٤)، (٤٥٣/١٢)، (٤٦٣/٤)، (٦٧٧/١٢)، (٦٧٩/٢)، (٦٨٧/٦).
توحيد الربوبية	(٢٥/١)، (٥٧/١)، (١١٠/٤)، (١٤٧/١٦)، (١٥٢/١)، (٦١٤/١)، (٦٧١/٥٤).
أسماء الله وما تضمنته من الصفات	
العليم	(١١١/٩)، (٢٦٥/٦)، (٣٦٩/٧)، (٣٨٨/١١)، (٤٨٨/١١)، (٥٢٢/٢٥)، (٦٢٨/١٨).
عالم الغيب	(١٩٩/٥٩)، (٢٥٢/٩٠)، (٤٦٨/٣٤)، (٦٢٨/٢٧).
الحكيم	(٥٨/٦٥)، (٢٣٧/٤٤)، (٥١٥/٩)، (٥٣٢/٤)، (٥٧٧/٤).
الرحمن والرحيم	(٤١/٣)، (٥٤/٧)، (١٤١/١)، (١٥٤/١)، (١٥٩/١٢)، (٢٢٢/٢)، (٢٣٧/١)، (٢٣٩/١٢)، (٢٥٤/١٣)، (٣٣٢/١١)، (٣٧٠/١)، (٤٦٤/١)، (٤٧٧/٣)، (٥١٠/٥)، (٥١٨/٣٥)، (٥٢٣/٦٨)، (٥٤٨/٦)، (٦١٢/٩).
السميع	(١٤٥/١).
الحفيظ	(٣٠٢/١)، (٣٠٣/٢)، (٣٢٥/١٦)، (٤٢٨/٥٣).
الرزاق	(٣١٣/١)، (٤٥٩/٩٠)، (٥٢٨/٢٢)، (٥٥٧/٢٣).

الموضوع	التدبريات
الحلاق	(١/٣١٩)، (٧١/٣٢٢)، (٢/٥٦٩)، (٤/٥٧٧)، (٤/٦٦٩)، (٦/٦٧١).
الهادي	(٥٠/٣٧١)، (٦٠/٤٥٩).
القريب	(٢/٨٣)، (٤/٨٤).
الملك	(٨/١١١)، (٢٥/٥٦٤).
العلي العظيم	(١١٠/١١١)، (١٨٨/١٩٥)، (٣٤٢/٣٩١)، (٧٤/٤٠١).
القدير	(٢/٢٦٧)، (٢٠/٣٧٠)، (٢٤١/٥٣٣)، (٥٣/٤٤٨)، (٥٠/٥٦٨)، (١/٦٨٤).
الجواد الكريم	(١/١٥٧/٧٤)، (١/١١٣)، (٥/١٢٥)، (١/٨٨/٣٨٥)، (٢٣/٥٧٠)، (١/١٠٧/٦١٧).
الحليم	(٢/٦٥٤)، (٢/١٤٥).
عدل الله	(١/١١٥)، (٣/١١٦)، (١/٣١١)، (٨٨/٣٢٣)، (٢/٥٧٢).
لطف الله بأوليائه	(٦/٢٣)، (١٦٦/٦٣)، (١٣٣/٧٨)، (٩٠٧/٩٣)، (٥/٤٧٣).
نصر الله لأوليائه	(٩/٣٥)، (٢/٥٧)، (١٢٣/١١٤)، (١٧/٢٣٣)، (٢/٣٩٩)، (٢/١١/٤٠٩)، (٤/٤٤٧)، (١/٤/٤٥٧)، (٣/١٠/٥٥٨).
كمال أسماء الله وصفاته	(٤/١٤٥)، (٨٨/٢٢٦)، (٤/٣٢٥)، (٢/١٤/٤٠٤)، (١٥/٥١٥)، (١٥/٥٦٩).
الإيمان بالكتب	
التمسك بكتاب الله والاستغناء به	(٧٥/٦٠)، (٢٤١/١٦٣)، (٧/١٦٧)، (٧٨/٢١٥)، (٢/٢١٨)، (٢/٢٢٤)، (١/١/٣٣٠)، (١٣٣/٣٧٦)، (١/٣٧٧)، (١٣٤/٣٧٩)، (٢٤١/٤٥٨)، (٤٢/٥٢٩).
مكانة القرآن	(٢/١٨٦)، (٢٦/١٩٦)، (١/٩/٣٣٠)، (٢/٣٣١)، (١٨/٥٠٧).

الموضوع	التدبريات
إعجاز القرآن	(٦/١٥)، (١٣/٢٤)، (٦-٤/٣٠)، (١٨/٣٢)، (٧/٦١)، (١١٣/١١٣)، (٤،٣/١٩٧)، (٢/٢١١)، (١/٢٦٨)، (٣،١/٢٧٢)، (٣/٣٦٢)، (٩/٤١٨)، (٥٥٩/٥٥٩)، (٣،٢/٥٦٦)، (١/٥٩٦)، (٣/٦٩٢)، (١/٦٩٦).
حفظ الله للقرآن	(١٨٦/١٨٦)، (٢،١/٣١٣)، (١٣٧/٣٢٧).
الإيمان بالرسول	(٢/٧١)، (١/١١٨)، (٣،٢/١٢٤)، (١/١٣٩)، (٤/١٤١)، (٣/١٦٤)، (٥/١٦٧)، (١٨٣/١٨٣)، (١٩٨/١٩٨)، (١/٢٠٩)، (١/٢٣٤)، (١/٢٤١)، (٢/٢٤٥)، (١/٢٧٧)، (١/٣٣٩)، (١١/٣٦٠)، (٢/٣٦٤)، (٢/٣٧٤)، (٣/٤٠٦)، (٥١/٤٠٦)، (١/٤٢١)، (١٣/٤٢١)، (٢/٤٣٦)، (١/٤٧٥)، (١/٤٧٥)، (٦،٥/٤٧٦)، (٤/٤٩٩)، (٤/٥١٤)، (٨٣/٥١٤)، (٢/٥٦٤)، (٢٧/٥٨٠)، (٧/٥٨٦)، (٤/٥٩٠)، (١١/٦١٠)، (٢/٦١٤)، (٤/٦٥٨)، (٢/٦٦٧)، (١/٦٨٨)، (١-٢/٦٩٠).
اتباع سنة النبي ﷺ	(٦٩/٦٩)، (١٣٧/١٣٧)، (٣،٢/٢٤٩)، (١١٥/١٧٢)، (٤/٦٦٨).
حقوق المصطفى ﷺ	(١/١٤٦)، (١/١٧٩)، (٦/٢٣٣)، (٢/٢٤١)، (١/٢٤٥)، (١/٣١٦)، (١/٣٦٩)، (١/٦٩٤).
نصرة الله لنبيه ﷺ	الإيمان باليوم الآخر
الموت	(٦٢/٦٢)، (١٥١/١٥١)، (٢/٢٠٦)، (٤/٤٨٦)، (٢/٤٩٦)، (٢،١/٥٥٤)، (١١/٥٥٤)، (١٣٧/٥٧٦)، (٨٣/٥٧٦)، (٢/٥٩٨)، (٢/٦٠٣)، (١١/٦٣٧)، (١١/٦٣٧).
القبر	(٣١٩/٣١٩)، (٣٣٨/٣٣٨)، (٣/٦٣٧)، (٤،٣/٦٧٩).

الموضوع	التدبريات
البعث	(١/٣١١) ، (١٥/٥٥٣) ، (٧/٥٦٥) ، (٢٢/٦٤٦) ، (٢/٦٦٩) ، (٢/٦٧٨) ، (٢/٦٨٦) .
الحساب	(٢/١١٨) ، (١٤/٣٣٢) ، (١٤/٣٥٠) ، (٢/٤٢٤) ، (٢٤/٤٩٧) ، (٥٦٨/٥٦٨) ، (١٣/٦٤٣) ، (٨/٦٤٨) ، (١/٦٨٠) .
القيامة	(٢٤١/٤٤١) ، (١/٣٦٤) ، (٣/٣٩٠) ، (١/٤٢٤) ، (١/٥٦٥) ، (١١/٥٧١) ، (١٤٢/٥٧٢) ، (٣/٥٧٣) ، (٨/٦١٢) ، (١/٦٣٩) ، (٢/٦٤٧) ، (٣/٦٤٨) ، (٣٣/٦٥٣) ، (١٣/٦٥٥) .
الجنة	(١٨/٢٥٥) ، (٢٤/٢٦٠) ، (٨٨/٣٥٨) ، (١٤٢/٣٦٠) ، (١٤٢/٤٧١) ، (١٤٢/٤٩٢) ، (٢٤/٤٩٧) ، (٢/٥٠٣) ، (٢٣/٦١٩) ، (١٤٢/٦٢١) ، (٢،٣/٦٣٧) ، (٢/٦٤٠) ، (١١/٦٤٠) ، (١٣/٦٤٠) ، (١٤-٢٢/٦٤١) ، (١/٦٥٢) .
النار	(٢٤/٥٢) ، (٤/١٤٦) ، (٥١/١٦٣) ، (٥١/٣١٢) ، (١/٣٥٩) ، (١١/٣٨٧) ، (٦٥/٤٣٠) ، (٢٠/٤٧١) ، (١٤٢/٤٨٦) ، (١٥/٥٣٩) ، (٢/٥٨١) ، (٢،٣/٦١٢) ، (١٢/٦٣٢) ، (١٣/٦٤٠) ، (٣٠/٦٤٤) ، (٢٤/٦٥٨) ، (٣/٦٨٢) .
الإيمان بالقدر	
الرضا بأقدار الله	(٣/١٠٢) ، (١٥١/١٤٠) ، (١٧/٢٦٧) ، (٣،١/٢٦٩) ، (٧١/٣٢٢) ، (٢/٣٢٦) ، (٣/٣٥٢) ، (١٤٢/٣٥٦) ، (٢/٣٦٦) ، (١٣/٣٧٨) ، (٤/٦٠٥) ، (٣٠/٦٤٢) .
الاعتراض على أقدار الله	(٩/٣٦) ، (٢/١٤٠) ، (٢/٤٨٢) ، (١/٦٠٤) ، (٣/٦٠٤) .
الفرق والأديان	(١٩/١٢٢) ، (٧٢/١٢٨) ، (٢/١٨٩) ، (٨٢/١٩٠) ، (٥٦/٢٣٨) ، (١٣/٤٣٥) ، (١٥/٤٣٦) ، (٥٣/٥٥٩) ، (٢/٥٨٨) ، (٨/٥٨٩) ، (٣،١/٥٩٠) ، (٧/٥٩٧) ، (٢/٦٥٨) ، (٣/٦٩٧) ، (٢/٦٩٤) .

الموضوع	التدبيرات
طرق أهل الضلال	(١٦/٢٤)، (٣٤٢/٥٥)، (٤٢/٥٥)، (٣٤٢/٥٥)، (١٦/٢٤)، (١٦/٢٤)، (١٦/٢٤).
جماعة المسلمين وإمامهم	(٣/٦٧)، (١/١٣٢)، (١٧/٢١٦)، (٢/٢٦١)، (٢/٢٧١)، (١١٩/٢٧٨)، (١٦/٣٧٢)، (١/٤٤٠)، (١/٤٥١)، (١/٦٥٠).
الولاء والبراء	(٩/٤٨)، (٢/١٥٠)، (٢/٧٠)، (١٣١/٧٠)، (١٢٨/١٢٣)، (١٠٥/١٢٧)، (١٦٨/١٢٨)، (٢/١٣٤)، (١/١٥٦)، (١/١٦٨)، (١/١٧١)، (٤/١٧٨)، (١٨٠/١٨٠)، (١٠٥/١٨٢)، (١/١٨٧)، (١/٢٠٣)، (١١٩/٢٥٧)، (١/٢٧٤)، (١٠٢/٣٥٠)، (٢/٣٤٨)، (٢/٣٤٦)، (١/٣٤٤)، (١/٣٣٨)، (٣/٣٥١)، (٣/٣٧٤)، (١/٤٢٥)، (١/٤٣٠)، (١/٤٩٩)، (٢٣/٥٨٥)، (٧/٥٩٣)، (٨/٥٩٣)، (٢/٦١٨)، (٢/٦٣١)، (٢/٦٨٩)، (٦/٦٩١)، (١/٦٩٢).
البدع والمحدثات	(٢٤١/٧٥)، (٢/١٢٤)، (٢/١٧٨)، (٧/١٧٩)، (٢/٢٠٣)، (٣/٢٣٦)، (٢١/٣٤٥)، (٢/٣٥٩)، (٢/٥٨٠).
الشريعة	
الطهارة	(١/٦٦)، (٦/٨٦)، (٢/٣٣٢)، (١٠٣/٣٣٢)، (٦/١٨٠).
الصلاة	(٧٥٥٣/٥٦)، (٨/٥٧)، (٢/٧٣)، (٣٤٢/١٠٦)، (١٦٢/١٦٢)، (١٧٠/١٧٠)، (٢٤١/١٧٤)، (١٢١/١٨٠)، (٢/٢٢٠)، (٢٤١/٢٤٧)، (١/٢٧٤)، (١/٢٧٤)، (١٠٢/٣٣٩)، (١/٣٧٨)، (١٠٣/٣٧٩)، (٣١/٤١٩)، (١٤٢/٤٥٧)، (٤/٤٥٨)، (٢/٤٧٠)، (٢/٥٣٦)، (١٥/٥٥٦)، (٢/٥٩٨)، (٣/٥٩٩)، (١١/٦٠٠)، (١٠٢/٦٤٢)، (١٨/٦٤٣)، (١/٦٥١)، (١/٦٨٧)، (٤/٦٨٩).

الموضوع	التدبريات
الصدقة والزكاة	(١/٢٢)، (٣/٤٩)، (١٥٨/٧٤)، (٤٥/١٠٦)، (٣٤٢/١١٤)، (٧١/١١٥)، (٢/١١٥)، (٩٣/١٣٠)، (١١٤/١٧٢)، (٣٤،٣٥/٢٤٣)، (٦/٢٤٨)، (١٥/٢٦٠)، (٣٨/٤٦٣)، (٣٨/٤٨٥)، (١/٤٩٤)، (١٨/٥٧٩)، (١١/٦٠٦)، (٣١/٦٢٢)، (٣/٦٣٢)، (٢/٦٣٨)، (٧-٣/٦٣٩)، (١٥/٦٥٧)، (١٨/٦٦٠)، (١٥/٦٦٢)، (١/٦٦٦).
الصيام وشهر رمضان	(٨/٢٣)، (٢٨/٢٦)، (٦-٣/٧٩)، (٤٤٣٤٨/٨٠)، (٤-١/٨١)، (١٢٤١٠/٨٢)، (١٥/٨٣)، (٨٤٧/٨٦)، (١٧/٨٨)، (٢٤١/١٨٨)، (٣/١٤٦)، (٢/٤٦/٢٤٦)، (٤/٣٠٢)، (٦/٤٠٧)، (١/٤٠٩)، (٦/٤٦٠)، (٢/٣٧/٤٩٢)، (٢/١٠/٥٠٥)، (٢/٥٠٩)، (٣/٥٣١)، (١٨/٥٨٠).
الاعتكاف	(٤٤٣/١٥/٦٦)، (١٠٤٩/٨٦)، (١٢٤١١/٨٧).
الحج	(٢٦/٣٤)، (٧/٣٥)، (١١٦/٩٠)، (١١٧/٩١)، (١١٨/٩٥)، (١١٩/٩٥)، (٣٤١/١٠/٩٦)، (٢٣/٩٧)، (٩٧/١٣٠)، (١/١٣٦/١٣٦)، (٢/١٣٩)، (٩٥/١٦٩)، (٣/١٤٢/١٧٤)، (١/١٧٧)، (٣/١٧٨)، (٩٤/١٩١)، (٩٧/١٩٢)، (١/٢٠١/٢٠١)، (١/٢٠١/٢٠١)، (٢/٢٩٦)، (٣٧/٣١٠)، (٢/١٢/٣٢٥)، (٤/١٧/٣٢٦)، (٤/٣٤٩)، (١٢/٣٨٧)، (١٢/٣٩٢)، (١٧/٣٩٣)، (١٨/٣٩٤)، (١٩،٢٠/٣٩٥)، (٣/٣٩٦)، (٣٥/٣٩٦)، (٣٦/٣٩٧)، (١٤٣٤٤/٣٩٨)، (٥٤٦/٣٩٩)، (٥٤٣/٤٠٢)، (٧/٤٧٦)، (٤٤/٥٥٦)، (٦/٦٠٠)، (٤/٦٨٩)، (٧/٦٩٠)، (٥/٦٩٦).
البيع	(١/١٥٢/٧٢)، (٢/١١/٣٤٤)، (٥٢/٣٧١)، (١٤٢/٦٣٢).
الربا	(٢٧٥/١١٥)، (٣٤١/١١٥)، (٢٤٤/١١٦)، (٢٧٩/١١٦)، (٢/٢٥٨)، (٢/٤٣٠)، (٣/٦٢٠)، (٣٦/٤٦٣).
النكاح	(١٤٣/٣٠٤)، (١٩/٤٥٢).

الموضوع	التدبرات
الطلاق	(١/١٠٤/٣٦)، (٤/١٠٦/٣٨)، (١/٣٤٣)، (١٥/٤٧٩)، (١/٦٠٧)، (١/٦٠٨)، (٢/٧/٦١٠).
الجهاد	(٢/٢٢)، (١٥٤/٧٣)، (٣٦/١٩٦)، (٣/١١/٢٥٥).
الرخصة والعزيمة	(١٤/٨٣)، (٦/٩٠)، (٧/٩٨)، (٢/٣٦/١١٩)، (١/٩١/٢٥٢).
التحايل على الشريعة	(١٥/٥٩)، (٨/٨٢)، (١١/٩١)، (٩/٩٨)، (٧/١٢٢)، (٤/٤٦٦).
الحكم بما أنزل الله	(٢/٧٨/٣٨)، (٦/١٦٧)، (٣/١/١٨٧)، (٣٦/١٨٩)، (٢/٢٧٤/٧)، (١/٢٩١)، (١١/٤٠٠)، (٢/٤١١).
الفتوى	(٣/٢٩١)، (٣٦/٣٢٨)، (٣/٢٣٤٦).
قواعد في الشريعة	(٢/٥٤)، (٣٨/٨٨)، (٣/٨٩)، (١/٣٦/١٧٥)، (٣/٢٤٤)، (٣٧/٢٩٢)، (٣٥٤/٣٧)، (٢/٤٠٢/٣٧)، (٣/٤١٧)، (٢/٥٤٩)، (٢/٥٨٦)، (٤/٥٩٢)، (٣/٥٩٨)، (١/٦٠١)، (١٦/٦٠٦)، (٢/٦٢٩).
القرآن وعلومه	
بلاغة القرآن	
التشبيه	(١/٧٠/٣٨)، (١٥/٣٤٩)، (٢٢/٤٩٠)، (١/٢٢/٦١٥)، (١٥/٦٣٤)، (١/١٦/٦٤١).
الإيجاز وجمع المعاني المتعددة	(١/٣٩)، (٢/٦٣/٣٧)، (١/٧٧/٣٧)، (١/٧٨/٣٧)، (٩/٩١)، (١/١٤٩)، (١٦٣/٥٨)، (١/١٧٧)، (١/١٨٠)، (٢/٣١/٢١١)، (٢/٢٧٣/٥١)، (٧/٢٨٣)، (٨/٣١٩)، (١٠٢/٣٢٤)، (٢/٣٦٦)، (١١/٣٧٦)، (٢/٤٤٠/٣٨)، (١/٧/٤٤٧)، (٧/٤٥٣)، (١/٤٦٩)، (٢/٦٤١)، (١/٦٨١)، (٣/٦٧٦)، (١/٥/٦٧٠).

الموضوع	التدبريات
العموم	(٨٥/٢١٦)، (٢/٥١/٢٧٣)، (٣٠/٣١٤)، (٨/٣١٩)، (٣٦/٣٤٨)، (٢/٥/٦٩٩).
التكرار	(١٣/١٩١)، (٢/١٧/٢٥٦)، (٥١/٣٢١)، (١٢/٤٨٣)، (١٨/٥٦٧)، (٢/٩/٥٧٠)، (١٢/١٣/٥٧٠)، (١٢/٦٣٧)، (١/٦٤٣).
التأكيد	(٨/٥٠)، (١/٧٨/٦٠)، (٨/٩١)، (٧/١٥٤)، (١٥/٢٠٩)، (١٢٢/٢١٨)، (١٢٢/٢١٩)، (٤١/٤٥٦).
التقديم والتأخير	(٢/١٥/٦٦)، (١٣/٧٧)، (٥/١١٠)، (٧/١٢٠)، (٦٦/١٦٥)، (٣/٢٥٥)، (٢/٣٢٨)، (٣/٣٤٩)، (٣/٢٧/٣٩٣)، (١٢/٤٩١)، (٤١/٥٢٦)، (١٥/٥٦٤)، (١/٤/٥٦٩)، (١/٥٧٣)، (١/٧٣/٥٧٤)، (٢/٥٩٦)، (٢/٦٤٧)، (١/٦٤٧)، (٢/٦٨٥).
دقة اختيار الألفاظ	(٣/٥٢)، (١/٥٤)، (١٦/٧٢)، (٣/٧٧)، (٢/١١٧)، (٥٢/١٢٧)، (٦/١٥٣)، (١٢/١٥٥)، (١٢/٢١٨)، (١٣/٢١٩)، (١٥٥/٢٢٢)، (١١/٢٣٢)، (٥٦/٢٣٨)، (١/٢٥٦)، (١/١٨٨/٢٥٦)، (١/٢٧١)، (٤/٢٨٣)، (٢/١٥/٢٨٦)، (١١/٣٠٧)، (٣/٣١٠)، (١/١٥/٣٣٥)، (١/٣٨٢)، (٢/٢/٣٨٩)، (٢/٤٧٩)، (١/٥٠/٥٠٣)، (٤/٥٥١)، (٦/٥٥٢)، (٤/٣٧/٥٥٥)، (١٢/٥٦٥)، (٢/١٥/٥٧٣)، (٧٠/٥٧٤)، (٨٣/٥٧٦)، (١٣/٥٧٨)، (١/٩/٥٨٧)، (١/٦٠٣)، (٤/٦١٤)، (١/٦٢١)، (١١/٦٣٦)، (٢/٦٤٦)، (٢/٦٤٩)، (١/٦٥٥)، (٢/٧٠٢)، (١/٦٦٥).

(١٥/٦٣)، (٧٥/٦٠)، (٥٤/٥٤)، (٢/٥٣)، (١٩/٥٢)، (٢/٧/٥١)
 (٢/١٨٨/٨٨)، (١/٨٥)، (١/٨٠)، (١/٧٨/٧٨)، (١/١٣٣/٦٩)، (٣/١٢٤/٦٦)
 (٧/١٤٩)، (١٥/١٢٧)، (٦٤٤/١٢٠)، (٣/١١٩/١١٩)، (١١٦/١١٦)، (١١٣/١١٣)
 (٧٥/١٦٥)، (١٥/١٦٤)، (١٣/١٥٧)، (٤٤٣/١٥٣)، (٣/١٥٠/١٥٠)
 (١/١٩٧)، (١٣/١٩٤)، (١/١٨٥)، (٥/١٧٩)، (١١٥/١٧١)، (٨٧/١٦٨)
 (١/٧٩/٢٢٦)، (٧٨/٢١٥)، (٤/٢١٤)، (٤٧/٢١٢)، (٧٨/٢٠٠)
 (٦/٢٨٣)، (١/٥٦/٢٧٣)، (١١/٢٦٦)، (٥١/٢٤٧)، (٢٦/٢٤٢)
 (٨/٢٨٧)، (٦-٤/٢٨٧)، (٢٤٣/٢٨٦)، (٣٤١/٢٨٤)، (٢٣/٢٨٢)
 (٢٥/٣٣٤)، (٣٤٢/٣٣٠)، (٢/٢٩٧)، (١/٣٠/٢٨٨)، (١٤٣/٢٨٨)
 (١/٣٦٧/٣٦٧)، (٤/٣٥٥)، (١/٣٤٧)، (٣/١١٠/٣٤٤)، (٢/٣٤٢)
 (١٩/٤٦٤)، (٢/٤٤٤)، (٣/١٨/٤٤٠)، (١٠/٤٣٩)، (٤/٤٣٠)، (٤/٤١٩)
 (٣/٦٣٨)، (١/١٠/٦١٧)، (١/٥٧٢)، (٢١/٥٥٨)، (١/٧/٥٢٨)
 (١/٦٤٩)، (١/٢/٦٨٨)، (٥/٦٨٩)، (٣/٤/٦٩٥)، (١/٦٩٧).

لطائف بيانية

(٧/١١١)، (٦٤٢/١١٠)، (٢/١٠٤/١٠٤)، (١٢/٩٩)، (١١/٩٨)، (٣/٦٨)
 (٣/٤٢٧)، (١٠/٤١٢)، (٤/٢٣٦)، (٣/١٩٣/١٩٣)، (١٨٤/١٨٤)، (٢/١٦٠)
 (٢/١٨/٥٢٣)، (٢٥/٥٢٢)، (١/٤٧٩)، (٤/٤٦٩)، (٧٢/٤٥٣)، (٣/٤٣٠)
 (١/٧٠١/٧٠١)، (١/١/٦٨٣)، (٥/٥٨١)، (٣/٥٧٤)، (١١/٥٧٠).

المناسبات في
الآيات

(١/١٨٨/٨٨)، (١٣/٨٧)، (١٣٦/٧٠)، (٢٤١/١٣٦/٦٧)، (٢/٢/٤٩)
 (٢/١٨٧)، (٢/١٣٦/١٣٦)، (٤٧/١٢٧)، (٢/١١٣)، (١/١٠٦)، (١/٩٥/٩٥)
 (١١/٣٥٢)، (٥٥/٣٥١)، (٣٦/٣٤٧)، (٢/٣١٩)، (١١/٢٢٨)، (١/٢٠٧)
 (١/٣٨٤/٣٨٤)، (٧٠/٣٨٣)، (٣٧/٣٨٢)، (١٢٢/٣٧٦)، (١/٣٥٤)
 (١/٧٧/٥٧٤)، (٥٥١/٥٥١)، (٢/٣٣/٤٢٩)، (١١/٤٢٨)، (٢/٤٢٢)
 (١/٥/٦٧٨)، (١/١٠/٦٧٧)، (١/٢٥/٦٢٣)، (٣/١١/٥٩١).

المناسبات بين
الآيات

الموضوع	التدبريات
المناسبات في السور	<p>(١٠٠/١٠٠)، (٥/١١٩)، (١٣١٠/١٢١)، (١/١٥٢)، (١/١٩٢)، (١/٣١٨)، (١/٣١٨)، (٢/٣٢٣)، (٢/٣٤٢)، (١/٣٦٨)، (١٢٢/٣٨٩)، (١/٤٠١)، (١/٤٠٣)، (١/٤١٨)، (٩/٤٣٢)، (٧٧/٤٣٢)، (١/٥٤٥)، (١/٥٥٦)، (٤٦/٥٦٩)، (٢/٥٧٠)، (٢/٥٨١)، (١/٦٠٧)، (١/٦٢١)، (٤/٦٤٧)، (١/٦٥٦)، (٢/٦٦٢)، (١٢/٦٦٧)، (٢/٦٧٠)، (٣/٦٨٦)، (١/٦٩١).</p>
قصص القرآن	<p>(١١/٢٤)، (١٢/٣١)، (٢٧/٣٤)، (١/١٨٣)، (١٢/٢١٠)، (١٢/٢١٠)، (١/٢٢٦)، (٧/٢٢٦)، (١٣/٢٧٨)، (٢/٢٧٩)، (٢١/٢٨١)، (١١/٣٠٠)، (٣٢/٣٤٧)، (١٥/٤٨٤)، (١/٥٣٧)، (١/٥٥٥)، (١/٥٦١)، (١٣/٥٦٦)، (٦/٥٩٤)، (٤/٦٢١)، (٢/٦٨٣)، (٤/٦٨٤).</p>
أمثال القرآن	<p>(١/٥١)، (٢١/٥٣)، (١٠/٥٩)، (٢/١٩٧)، (١/٢٦١)، (١١/٣٠٦)، (١٥/٣٠٧)، (١٠/٣٩٠)، (٣/٤٣٨)، (٤٢/٤٥٦)، (٣٣/٥٢٩)، (٣/٥٣٠)، (١/٥٣٩)، (٤/٥٩٢)، (٢/٦١٦)، (١٠/٦٣٤)، (١٠/٦٥٦).</p>
قواعد في نظم القرآن	<p>(١١١/٦٥)، (١١٥/٦٩)، (٦/٧٩)، (١١٧/١٤٣)، (١١/٢١١)، (٣/٢٢٦)، (١٧/٢٦٢)، (١/٢٦٨)، (١/٢٨٩)، (١/٣٢٨)، (١٣/٣٢٨)، (٢/٤٣٨)، (٥٨/٤٤٥)، (١/٥٤٣)، (١/٥٥٨)، (٣٣/٥٨١)، (٥/٥٨٨)، (١/٥٩٨)، (١/٦٧٨)، (٣/٦٦٨)، (٢/٦٨٥).</p>
القَسَم في القرآن	<p>(١٤،١٣/٢٩)، (١/٥٥١)، (١٣/٥٥٧)، (٢/٥٦١)، (٧٧/٥٧٤)، (١/٦١٧)، (٢/٦٨١).</p>
الوقف والابتداء	<p>(٧٨/١٢٩)، (٣/١٩٤).</p>

الموضوع	التدبريات
التربية في القرآن	
منهج التربية	(٢/٣٩)، (٨/٤٦)، (١٥٥/١٥٥)، (١/١٥٩)، (١١٤/١٧٢)، (٢٣/٣٦٢)، (١١/٤١١)، (٢/٤١٥)، (٣/٤٥١)، (٥/٤٧٢)، (٤/٤٩٣)، (٤/٥١٩)، (٤/٥٢٠).
أصول وقواعد في التربية	(١/٦٢)، (١/١٠٤)، (١٤/١٦٩)، (١/٢٣٠)، (١٦/٢٤٠)، (٢/٢٤٦)، (٢/٢٨٩)، (٢/٢٨٩)، (١/٣٤٦).
تربية الأبناء	(١/٦٥)، (٢/٦٩)، (١/١٠٥)، (٤،٣/١٢٥)، (١/٢٧٩)، (٢/٢٦٣)، (٥/٣٥٧)، (١٤،٢/٣٤٩)، (١٥/٣٢١)، (٣/٣٠٣)، (٦/٢٩٤)، (٣-١/٣٦٥)، (١٤،٢/٤٢١)، (٣/٤٤٠)، (٥/٤٩٧)، (١٣/٤٩٨)، (٢/٥٢٦)، (٣/٥٣٦)، (٣/٥٦٢)، (١٤/٦٠٥)، (١/٦١١)، (٣/٦١٢).
المرأة والحياة الزوجية	(١٥/٢٤)، (٤-٢/٨٥)، (٢/١٠٤)، (٢/١٠٥)، (٣،٢/١٥٢)، (٤/١٥٣)، (٣،٢/١٥٦)، (٣٤/١٦٠)، (١٣/١٧٣)، (١٨٥/٢٢٧)، (١٥/٣١٢)، (١/٣٢٢)، (٧/٣٦٢)، (٢/٣٦٣)، (٧٧/٣٧٥)، (٣/٣٧٧)، (١/٣٨٥)، (١/٣٨٦)، (٣/٤٣٢)، (١/٤٤٢)، (٤٤/٤٤٤)، (١/٤٥٠)، (٢/٤٥١)، (٢/٤٥٢)، (١/٤٦٢)، (٢/٤٧٧)، (٣٥/٤٧٨)، (٥٩/٤٨١)، (٤٨/٤٩٧)، (٤/٥١٩)، (٣٧/٥٢٤)، (٢/٥٥٧)، (٥٦/٥٧١)، (٣٧/٥٧٣)، (١٤/٦٠٥)، (٢/٦٠٧)، (١/٦٠٧)، (٣/٦١١)، (١٥/٦١٢)، (١٤،٢/٦١٣)، (٢/٦٩٥).
تدبر القرآن	

الموضوع	التدبريات
كيفية التدبر والنماذج في ذلك	(٦/١٢)، (١١/١٦)، (١٩/١٧)، (٢٤-٢٠/١٨)، (٥/٨١)، (٣/٨٤)، (١/١٥١)، (٢/١٦١)، (١/١٦٥)، (٢/٢٢٩)، (٢/٢٤١)، (١/٣٤٥)، (١٥/٤٢٣)، (٤/٥٠١)، (٢/٢٢١)، (٢/٢٢١)، (٢/٢٢١)، (٢/٢٢١)، (٢/٢٢١)، (٢/٢٢١)، (١/٦٧٥)، (١/٦٠٠)، (٤/٦٣٠)، (١/٦٥٢)، (١/٦٧٥)، (٢٤٣/٦٩٣).
ضوابط التدبر	(١/٢٠)، (٢/٢٩)، (١/٤٠)، (١/٦٧٥).
موانع التدبر	(٨/١٥)، (٢/١٩)، (٤/٤٩)، (١/٢٤٠)، (١/٢٧٧)، (٣/٣٥٩)، (١/٤٢٠)، (٥/٥١٥)، (١/٥٤٠)، (١/٥٥٣)، (٧٨/٥٧٥)، (١/٦٣٦)، (١/٦٤٨).
الترغيب في التدبر	(١١٤٩٧،٥٠/٨)، (١٤،١٣/٩)، (٥،٤٤،٢/١٢)، (٩/١٦)، (٢/٢١)، (٩/٢٣)، (٧/٣٠)، (١/٦٨)، (١١/١٢١)، (٣/١٤٥)، (٢/١٤٨)، (٣،٢/١٦٧)، (١/٢٠٢)، (١٢/٢٠٣)، (٢/٢٠٥)، (١٥٢/٢٠٨)، (٣/٢٢٣)، (٢/٢٣٠)، (٥،٤/٢٣١)، (٣،٤/٣٤٠)، (٢/٣٦٨)، (٤/٣٦٨)، (٦٨/٤٠٨)، (١/٤١٨)، (١١/٥٠٠)، (٤/٥٠٧)، (٥٢/٥٢٦)، (١،٤/٥٦٦)، (٦/٥٦٧)، (٥٥/٥٦٨)، (١/٥٩١)، (٣/٦٣١)، (١/٦٦٠)، (١/٦٧٠).
ذم عدم التدبر	(٣،٢/٧)، (١٦/٩)، (١٩/١٠)، (١٨/١٣)، (٨/٢١)، (٩/٢٢)، (١٠/٣٠)، (١٤/٣١)، (٢٩/٥٣)، (٧٨/٦٠)، (١١٩/١١٩)، (١/١٥١)، (٢/١٦٦)، (٢/١٦٦)، (١/١٦٦)، (١/١٧٦)، (١/١٧٨)، (٣/٢٢٦)، (٦/٢٣١)، (١١/٢٣٣)، (١/٢٧٦)، (١/٣٤١)، (١/٣٦٨)، (١/٤٢٦)، (١/٤٣١)، (٧٣/٤٣١)، (١/٥٠٠)، (١/٥٣٧)، (٢/٥٤٠)، (٢/٥٦٢)، (٣٧/٥٦٢)، (٤/٥٤١)، (٢/٥٧٩)، (٣/٥٩١)، (٣/٥٩٢)، (٢/٥٩٤)، (١،٤/٥٩٧)، (١١/٦٥٣)، (١٨/٦٢٧).

الموضوع	التدبيرات
الأمور المساعدة على التدبير	(١٩٤/١٣)، (٥/١٥)، (١٣٤١٢٤١٠/١٦)، (١٧/١٧)، (٢٥/١٨)
	(٢٩٤٢٨/١٩)، (١٩/٣٢)، (١٠/٣٦)، (١٥/٣٧)، (٥/٤٠)، (١٣٧/١٣٧)
	(١٥٧/١٥٧)، (٣/١٩٣)، (١٩٤/١٩٤)، (٣/١٩٤)، (٢/٢٠٢)
	(١/٢٤٠)، (٧/٢٨٠)، (١/٢٩٣)، (١٥/٣٢١)، (٢/٣٢٧)
	(٢/٢٣٤)، (٣/٣٤١)، (٣/٣٨٠)، (٢/٤٢٠)، (١٤/٤٣٧)، (١٤/٤٧٥)
	(٢/٥٠٦)، (١/٥٠٦)، (١٥/٥٣٢)، (٢/٦٢٩)، (٣٠/٦٣٠)
	(١/٦٣٠)، (١/٦٩١)
	(١/٦٣٠)
	(١/٦٣٠)
	(١/٦٣٠)

الآداب	
الأدب مع الله تعالى	(٢/٤٧)، (١٧٨/٦٨)، (٢/١٩٣)، (٢/١١١)، (٣٤٤/٣٥٧)، (٨/٤٣٥)
الأدب مع النبي	(١٤٢/٥٤٥)
الأدب مع كتاب الله	
الحياة مع القرآن	(١٨١٧/٩)، (٣/١٣)، (٧/١٤)، (١٦٤١٥/١٧)، (١/٢٠)، (٢/٢١)، (١١/٢٨)
	(٩/٣٠)، (١٣/٣١)، (١٧/٣٢)، (٤٤٢٤١/٣٤)، (٣/٧٤)، (١٥٦/٧٤)
	(١٣٣/١٣٣)، (١٤٢/١٤٢)، (١٥/٢٣٩)، (١/٢٦٣)، (١٧/٢٧٠)
	(١١/٣٢٧)، (٤٤٦/٣٣١)، (١/٣٦١)، (٣٣/٣٦٩)، (٢/٣٨٥)
	(١/٣٩٧)، (١٨/٤١٦)، (١٧/٤٢٣)، (٢/٤٦١)، (٢/٤٦٥)، (٥٢/٥٢٦)
	(١/٥٢٧)، (٣/٥٤١)، (٥/٥٤٦)، (١٨/٥٦٤)، (١/٥٨١)
	(٦/٦٥٣)، (٣/٦٦٥)، (٣/٦٩٦)
	(٦/٦٥٣)
	(٣/٦٦٥)
	(٣/٦٩٦)

التدبر	الموضوع
<p>(٣/١٥)، (١٨،١٧/١٧)، (٦/٢٠)، (٥/٢١)، (٥/٢٣)، (٢٥/٢٦)، (١٠/٢٨)، (١٦،١٥/٣١)، (٢٦/٣٤)، (٢/٣١٢)، (١/٣١٥)، (١/٣٢٣)، (٢/٣٤٠)، (٢/٣٦٨)، (٢/٤٢٢)، (٢/٤٢٦)، (٣/٥٠٧)، (١/٥٠٧)، (٢/٥١٦)، (١/٥٢٠)، (١/٥٦٢)، (٢/٥٧٥)، (١/٦١٩)، (١/٦٤٣)، (٣/٦٦٦)، (١/٦٧٣).</p>	<p>تعظيم القرآن</p>
<p>(٢/١٤)، (١٠/١٦)، (٢٦/١٩)، (١٤/٣٧)، (٢/٤١)، (١٣٣/١٣٣)، (٢/١٩٣)، (٢/٢٢٩)، (٣/٣٠٨)، (٢/٤٢٩)، (١٤/٥٣٤)، (٢/٥٦٨)، (٢/٦٣٠)، (١/٦٣١)، (٢/٦٣١).</p>	<p>قيام الليل بالقرآن</p>
<p>(٧/١٥)، (٦،٣،٢،١/٢٧)، (١٢/٢٨)، (١٢-١٣/٢٩)، (١١/٣١)، (٢١/٣٢)، (٨،٥/٣٥)، (١٢/٣٦)، (١٦/٣٧)، (١/٤١)، (١٣/٤٤)، (١/٥١)، (١/١١٨)، (٢/١٤٢)، (١/١٨٩)، (١٣/١٩١)، (١١/٢١٢)، (١٠/٢٦٨)، (١٠/٢٨٦)، (١٠/٣٠٤)، (١٣/٣٠٧)، (١٣/٣٦٥)، (١/٣٨٠)، (٤/٤١٣)، (٤/٤٣٨)، (١٣/٤٤٦)، (١٣/٤٧٣)، (١٥/٤٩٦)، (١/٥٠٧)، (١١/٥١٦)، (١١/٥٣٣)، (٣/٥٣٤)، (٣/٥٣٥)، (١٧/٥٣٥)، (١١/٥٣٧)، (٣٧/٥٦٢)، (٢/٥٩١)، (١/٦٢٩)، (١٢/٦٦١)، (١٤/٦٦٤)، (١/٦٦٧).</p>	<p>التأثر بالقرآن</p>
<p>(١٥/٩)، (٧،٦/١٢)، (١/١٣)، (٦/١٤)، (١٤/١٧)، (٥/٢٠)، (٧/٢٧)، (٦/٣٥)، (٤/٣٩)، (١/١٩٣)، (١٦/٣٤١)، (١/٣٧٤)، (٢،٣/٣٧٥)، (١٧/٤٣١)، (٤/٦٢٩)، (٢،٣/٦٣٦)، (١/٦٧٦).</p>	<p>التأني في قراءة القرآن</p>
<p>(١٢،٦/٨)، (٢١/١٠)، (١٤/٣٧)، (٢/٧٣)، (٢/٧٣)، (١١/٨٢)، (١٢/١٢١)، (٣/١٣٦)، (٢/١٤٧)، (١٧/١٦٢)، (٣/٤٢٦)، (١/٤٥٩)، (١/٤٧٨)، (٣/٥١٨)، (٤/٥٢٥)، (١/٥٢٩)، (٧٨/٥٣٠)، (١١/٥٣٣)، (٨/٥٧٥)، (٧/٥٨٣)، (٣،٤/٥٩٧)، (٦/٦٤٣)، (١/٦٩٣)، (١/٦٩٣).</p>	<p>العمل بالقرآن</p>

الموضوع	التدبريات
كان خلقه القرآن	(٣/١٣)، (٤/٢١)، (٨/٣٠)، (٢٠/٣٢)، (٢/٩٦/٤٠٩)، (٨٤/٤٩٨)
الرجوع إلى القرآن وتعاهد القرآن	(١٠٠٨/٨)، (٣/١٢)، (٨٤٢/١٤)، (٢٧/١٩)، (٣/٢٠)، (٧٤٦/٢١)، (١٤/٢٤)، (٤/٢٧)، (١٣/٣١)، (١٣/٣٦)، (١٧/٣٧)، (٤/٨١)، (٧/٨٢)، (٢٠١/١٦٣)، (٣/١٧٦)، (٢٢/٢٦٠)، (٣/٣٠٢)، (٨٩/٣٢٣)، (١/٣٢٥)، (٣/٣٣١)، (٢/٣٦٨)، (٢/٣٧٧)، (٢/٤٠٥)، (٤/٤٢٦)، (١٨/٥٠٠)، (٤/٦٣٢)، (٤٤/٥٢٠).
بر الوالدين	(٩٤/٢٩٩)، (١/٢٩٩)، (٣-١/٣٣٣)، (٣٨/٣٣٤)، (٤٥/٣٦٤)، (٣/٦٠٦)، (١٤/٤٦٧).
حق المسلم على المسلم	(٨٤/٢٥٢)، (٣٠/٢٧١)، (٦/٥١١)، (٢/٥٤٧)، (٦/٥٤٨).
غض البصر	(١/٣١/٢٠٣)، (٣٠/٤١٦)، (٧/٤١٨)، (٤٨/٤٩٧).
صلة الرحم	(٤/١٥٢)، (٢/١/٢٣٠)، (١١/٣٠٣).
النصيحة	(٢٠/١٠)، (٢٥/٣٣)، (١/٢/٤٤٩)، (٣/٤٩٥)، (٢/٦٢٥).
آداب عامة	(١١١/١٣٥)، (٨/١٥٤)، (١/١٦١)، (٨١/١٦٨)، (٨٥/٣١٥)، (٢/٣٢/٣٥٢)، (٤/٣١/٣٥٣)، (٧٦/٣٥٦)، (٣٥/٣٥٨)، (٣/٣٨٨/٢٧٥)، (١/٣٦/٤٠٩)، (٢/٣٥/٤١٢)، (٢/٤٣٢)، (٣/٤٤١)، (١/٤٨٠)، (١/٥١١)، (١/٥١٩)، (١٤/٥٤٨)، (٣/٥٤٩)، (١٧/٥٦٣)، (٢/٥٧٨)، (٦/٦١٠)، (١/٣/٦١١)، (٢/١/٦٥١).

التدريبات	الموضوع
<p>(١٨٦/٤٢)، (١٢٣/٥٣)، (١١٣/٦٣)، (١٠٣/٧٣)، (٦٥/٨٣)، (٦١/٩٣)، (٢٩٩/٣)، (٢٩٥/٤٨)، (٢٩٥/٥٢)، (٢٩٢/٦٥)، (٢٤٦/٧٣)، (٢٢١/٨٢)، (٣١٤/٩٣)، (٣١٦/١٠١)، (٣-١/٣٣٦)، (٣٦٧/١٠٢)، (٤٠٨/١١٠)، (٤١٢/١٢٠)، (٤٣٨/١٣٢)، (٤٤٨/١٤١)، (٤٥١/١٥٢)، (٤٦٧/١٦١)، (٤٧٣/١٧٠)، (٤٧٧/١٧٦)، (٤٨٠/١٨٥)، (٤٨١/١٧٦)، (٥٥٠/١٣٠)، (٥٥٤/١٨٥)، (٥٨٣/٤)، (٦١٨/٣)، (٦٤٤/٣٥)، (٦٥٨/١١)، (٦٦٦/١)، (٦٧١/١)، (٦٨٤/٢).</p>	<p>آداب الكلام</p>
<p>(٩٣/٦)، (١٢٨/٦٦)، (٣٤٨/٤٢)، (٤٢٠/٤١)، (٥٠٠/٣٣)، (٥٢٨/٤٧)، (٥٣٢/٣٦).</p>	<p>آداب الحوار</p>
<p>(١/٧)، (٢٣/٢٦)، (١٠/٤٨)، (١/٥٥)، (٤٤/٥٥)، (٤/١١٨)، (١٢٠/٥)، (١٢٩/٧٦)، (١٤٤/٨٨)، (١٤٧/٩٧)، (١٤٨/٣)، (١٥٣/١)، (١٦٢/٤٤)، (١٦٢/٣٧)، (١٧٩/٢)، (١٨١/٢٠)، (١٨٨/١٣)، (٢١٢/٣٣)، (٢٢٤/٧٦)، (٢٢٥/٦٥)، (٢٣٠/٣)، (٢٥٧/١)، (٣٣٨/١)، (٣٤١/١٢٠)، (٣٥١/٦٠)، (٣٥٣/٦٥)، (٣٥٤/٦٨)، (٣٥٤/٦٩)، (٣٥٧/٦)، (٣٦٣/٧٣)، (٣٧٤/١)، (٣٧٥/٢٣)، (٣٩٤/٢٠)، (٤٢٨/٢)، (٤٤١/٢)، (٤٤٣/٣٦)، (٤٤٩/٢٢)، (٤٥١/٢٦)، (٤٥٤/٨٠)، (٤٦٩/٢)، (٤٧٥/٢)، (٤٩٠/٢)، (٥٠٦/١٨)، (٥٣٩/٢)، (٥٤٤/٣)، (٥٤٥/٣)، (٥٤٦/٥)، (٥٤٦/١)، (٥٧٨/١٠)، (٥٨٣/٥)، (٥٨٤/٨)، (٥٨٤/١٠)، (٦٠٩/١٠)، (٦٣٠/١)، (٦٣٦/١)، (٦٥٦/١)، (٦٧٢/١)، (٦٧١/١)، (٦٦٦/٢).</p>	<p>آداب العلم والتعليم</p>

الموضوع	التدبرات
الأخلاق	
الأخلاق الحميدة	
العفو	(٤/١٣٧)، (٣/١٨١)، (٢/٢٩٨)، (٢/٢٩٩)، (٢/٣١٥)، (١/٤١٥)، (٢/٥١٠)، (٢/٥١٨)، (٢/٥٢٥)، (٢/٥٢٦).
الأناة	(٢/١٨٤)، (٥/٣٤٥)، (١/٣٦٣)، (١/٥١٥).
التواضع	(٢/٢٧٢)، (٢/٣٢٠)، (٤/٣٧٥)، (١/٤٥٠)، (٢/٥٣٦).
الحلم	(١/٢٧٣)، (٣/٢٧٥)، (٣/٢٩٤)، (١/٤٩٥).
سلامة الصدر	(٢٥/٣٣)، (٣/٥٨٨)، (٦٤٨/٥٨٩)، (٤/٥٩٠)، (١/٦٤١).
الصبر	(٢/٥٥)، (١/٧٤)، (١/١٠١)، (١/١٠٨)، (١/٢٩٥)، (١/٢٩٦)، (١/٣٠٥)، (١/٣٠٦)، (٣/٣١١)، (١/٣٢٩)، (١/٣٨٤)، (٢/٤٢٧)، (١/٤٣٢)، (١/٤٦٥)، (١/٤٦٧)، (٢/٥٠٣)، (١/٥٠٥)، (١/٥٥٦)، (١/٥٦٢)، (١/٦٢٣)، (١/٦٣١)، (١/٦٤٠)، (١/٦٤٥)، (١/٦٦٢).
الصّدق	(٤/١٥)، (٢/٢٤٠)، (٢/٢٥٧)، (١/٢٦٠)، (١/٣٣٤)، (٤/٣٦٥)، (١/٥٤٠)، (٢/٥٨٧).
العدل	(٣/١١٢)، (١/٢٩٥)، (١/٣٨٢)، (١/٥٢٥)، (١/٥٦٩).
العفة	(٣/١٥٩)، (٢/٢٨٢)، (٢/٥٢٩)، (٢/٥٧١).
القناعة	(١/٣٢٦)، (١/٥٢٣)، (٢/٦٦٥).
الورع	(٤/٣٤٥)، (٢/٤٠٤).

الموضوع	التدبرات
الأخلاق الذميمة	
الحسد	(٢/١٦٦/٦٤)، (٣/٢٧٩)، (١١/٢٩٨)، (٥/٣٧٩)، (٢/٣٢/٥٢٨)، (٣/٥٨٧)، (٥١/٦٢٠)، (١/٦٩٠)، (٥/٧٠٠).
الحيانة	(٢٧/٢٦)، (٢٨/٢٣٤).
السخرية والاستهزاء	(١١/٥٤٨-٣)، (١/٦٨٢).
الكبر	(١٧/٢٥)، (١٣/٥١)، (٣٤/٥٣)، (١/٥٧)، (٢//٦٥)، (٢٦/١٠٠)، (٢/٣١/١٢٩)، (١/١٥٨)، (١٣/٢١٨)، (١/١٦٣/٢٢٠)، (٢٢/٢٧٠)، (٥١/٢٧٢)، (٣٧/٣٤٨)، (٣٥/٤٣٣)، (٥٦/٥٧/٥١٣).
الكذب	(٢٤/١٩٥)، (٢/١١/٥٤٣).
الظلم	(٨٥/١٦٨)، (١١/١٧١)، (٥٢/١٩٩)، (١٣/٢٤١)، (٧/٢٤٤)، (١٠/٢٨٠)، (٢،٣/٣١١)، (٥٩/٣٥١)، (٤٢/٥٢٥).
العُجب	(٤/٢٢)، (١٢٧/٦٧)، (٣/٧٦)، (١٣/٨٣)، (٣/١٦٩/٩٦)، (٤/١١٩)، (٢/١٥٠)، (٣،٢/١٥٩)، (١/٣٢٧)، (٣/١٦/٤٠٦)، (٤/٤٠٧)، (٧٨/٤٥٤)، (٣٣/٤٦٨)، (٦/٦٣٣)، (١/٢٤/٦٣٦)، (١/٢/٦٧٩).
سوء الظن	(١/٥١١)، (١،٣،٤/٥٤٩)، (٦/٥٥٠).
العجز	(٤٤/٢٤٥).
الغيبَة	(٥/٥٥٠).
الفحش	(٣/٢٢).
الغش	(١٦/٢٤).

الرفائق والسلوك

(١٢/٤٣)، (١/١٩٨/٩٥)، (٢/٣٠/٩٦)، (٣/١١٠)، (١/١١٣)، (١٥١/١٣٩)،
 (٣٥/١٦١)، (٢٧/١٨٣)، (٢٣/٢٣٣)، (١/٢٢/٢٥٣)، (١٧/٢٥٤)،
 (١٢٣/٢٧٨)، (٨-٥/٢٨٥)، (٢/٢٦/٣٢٥)، (١١/٣٩٠)، (٢/٣٧/٣٩٨)،
 (١٣/٤٠١)، (٢/١٧/٤٧١)، (١/٤٨٥)، (١/٤٨٧)، (٢/٥٠٥)، (٢٥/٥١٤)،
 (٧/٥٣٨)، (٢/٦١٤)، (٧/٦١٨).

الإخلاص

(٣/٣٩)، (٧٤٤/٤٢)، (١٥٤١٤/٤٤)، (٨/٤٨)، (١٣/٥٢)، (١١/٥٥)،
 (٢/٧٤/٦٠)، (١/١٥٣/٧٣)، (٢/٢٨٥/١١٨)، (١/٣٥/١٢٤)، (٢/٢٨/١٢٥)،
 (٤٣/١٢٦)، (١٥٧/١٣٩)، (١/١٥٧/١٧٥)، (٣/٢٠٩)، (١/٢٥/٢٢٩)،
 (١٤/٢٥٩)، (٩/٢٨٣)، (٣٢/٣١٤)، (٢٤٣/٣١٦)، (٥٤٦/٣١٧)،
 (٢٨/٣٢٢)، (٢٥/٣٣٨)، (٢/٣٦١)، (٣/٣٨٦)، (٥/٣٩١)، (٣/٥١/٤٠٦)،
 (٢/٧٢/٤٣١)، (١/٦/٤٤٧)، (٣/٤٥/٤٥٧)، (٣/٤٧٠)، (٢١/٤٧٦)،
 (٣٤٢/٤٨٨)، (١٤٢/٤٨٩)، (١/٥١٣)، (٢/٣١/٥١٧)، (٣/٥٤٤)،
 (٢/٥٥٣)، (١/٥٥٧)، (٥٠/٥٥٩)، (٥١/٥٦٠)، (٢/٥٦١)، (١٢/٦١٣)،
 (١٥/٦٢٨)، (١/٦٣٨)، (١/٦٥٩)، (٢/٦٧٦)، (١/٦٧٧).

العبودية

(٣/٢/٤٩)، (١٦-١٤/٨٧)، (١٤٤١٢/٩٤)، (٨/٩٨)، (١١٥/١٣٣)،
 (١/١/٢٣٠)، (٦/٣١٧)، (٢/٣٥/٣٩٦)، (٣/٣٩٨)، (٧/٣٩٩)،
 (٣/٣٧/٣٩٨)، (٤/٤٠٦)، (٣/٥٢٧)، (٧/٥٣٨)، (٢١/٥٤٠)،
 (٣/٥٤٦)، (٣/٥٥٠)، (١٦/٥٧١)، (٦-٢/٦٠٨)، (٧٤٩١٢/٦٠٩)،
 (١/٦٩٤).

التقوى

الموضوع	التدبريات
الفوز والفلاح	<p>(٥/٥٠)، (٣/٥٦)، (١٥/١٣٣)، (١/١٣٧)، (٣٥/١٦١)، (٢/٣٥٥)، (٢/٤٦٣)، (٥/٤٦٣)، (٣٢/٤٠٣)، (٢/٤٠٣)، (٨/٤١٨)، (٣/٤٣٦)، (١/٤٣٧)، (٢/٤٣٧)، (١/٤٧١)، (٣/٤٧٩)، (١/٤٨٥)، (٢/٤٩٥)، (١/٥٧٨)، (٤/٥٨٧)، (١/٥٩٤)، (١٦/٦٢١)، (٢/٦٦٣).</p>
محبة الله تعالى ورسوله ﷺ	<p>(١/١٤)، (١٨/١٧)، (٦/٥٦)، (٣٢/٦١)، (٥٤٤/٧٦)، (١/١٢٣)، (٣/١٢٤)، (٣١/١٣٥)، (١٨/١٨١)، (٥٥/١٨٨)، (١/٢٢١)، (١/٢٣٣)، (٣/٢٤٥)، (٣٤٢/٢٤٩)، (١/٢٦٠)، (٢٥/٢٦٠)، (١/٢٧٣)، (٧٨/٢٧٣)، (٣٠٨/٣٠٨)، (٣/٣٢٥)، (٢/٣٤٤)، (٣/٣٩٣)، (٣/٤٥٥)، (١/٤٧٠)، (٢/٥٧٧)، (١/٥٨٥)، (٢/٦١٧)، (٢٤٣/٦٣٧)، (١/٦٦٤).</p>
الترغيب والترهيب	<p>(٣/٤٠)، (٣٧/١٨٤)، (١٨/١٩٢)، (٧/٢١٦)، (١٦/٢٢٤)، (٤/٢٦٣)، (١/٢٨٩)، (١/٣٠١)، (٢/٣٨٣)، (٨/٣٨٧)، (٣/٥٠٨)، (٢/٦٥٠)، (١١/٦٥٧).</p>
الخوف	<p>(١٧/٢٥)، (٢/١٧٢)، (١٥/١٩٥)، (١١/٢١٦)، (١٤/٢٤١)، (١٢/٢٧٦)، (٣/٣١٣)، (١/٣٣٦)، (٢٤٣/٣٣٧)، (٦/٣٣٧)، (٢/٣٣٩)، (٢/٣٥٩)، (٢/٣٧٣)، (٨٢/٣٧٣)، (٧/٣٨٦)، (٣/٣٩٠)، (١/٤٠٥)، (١٤٢/٤٠٦)، (٥/٤٠٧)، (١/٤١٣)، (٢٥/٤٣٠)، (٨٢/٤٣٥)، (٥/٤٣٨)، (١/٤٧٨)، (٣/٤٧٩)، (١١/٥١٣)، (١/٥٤٥)، (١/٥٥٩)، (٧/٥٦١)، (١٣/٥٨٩)، (٤٩/٦٢٠)، (١٨/٦٢٤)، (١/٦٣٩)، (٣٠/٦٤٤)، (٧/٦٦٢)، (١/٦٩٤).</p>
الرجاء	<p>(١٨/١٠٢)، (١/١١٧)، (٢/١٧٠)، (٥٤/١٩٩)، (١٧/٢٠٧)، (١١/٢١٦)، (١/٢٢٢)، (١/٢٢٢)، (١٥٦/٢٢٢)، (٣/٤٠٩)، (٢٦/٤٢٥)، (٢/٤٧٨)، (١٢/٤٩١)، (١٤٢/٥٠٨)، (٢/٥١٧)، (٢/٥٩٩)، (٣/٦١٣).</p>

الموضوع	التدبرات
محاسبة النفس	<p>(٢٠/٢٥)، (٣/١٤٣)، (١٧٨/١٤٤)، (١٣١/١٧٣)، (٣/٢٤٦)، (٢/١٣/٢٥١)، (٢/٢٥٣)، (٢/١٣/٢٥٣)، (٦/٢٦٤)، (٢/١٣/٢٥٣)، (٣/٣٥٠)، (٢/٣٦٤)، (١/٣٦٦)، (٣/١٣/٤٠٦)، (٢/٤١٣)، (١/١٣/٤٢٤)، (٢/٤٢٥)، (١/٤٣٧)، (٣/٤٩٤)، (٥/٥٠٩)، (٢/٥١١)، (٢/٥١٢)، (١/٥٢٣)، (٢/٥٣٦)، (٢/١٨/٥٤٣)، (١٧/٥٥٠)، (٣/١٧/٥٧٤)، (١٨/٥٩٠)، (١/٦٢٧)، (٢/٦٣٥)، (١/١٥/٦٣٥)، (٣/١٥/٦٣٦)، (٢،٣/٦٥٥)، (١٢/٦٦١).</p>
التوبة	<p>(٤/٢٢)، (١٦/٧٥)، (١/١٠٣)، (١٥٥/١٤٠)، (١/١٥٥)، (٢/١٧/١٥٦)، (٢/٢٢٩)، (٢/١٣/٢٥٣)، (٢/١١٢/٢٥٦)، (٢/١١٧/٢٥٦)، (٢/١١٨/٢٥٦)، (١/٣/٢٦٨)، (٢/٨٨/٢٩٨)، (١/٣٠٨)، (١٨/٣٨١)، (٨/٤١٨)، (٢/٤٤٥)، (٣/٤٨٦)، (٤/٥٠٩)، (١/٥١٠)، (٥/٥٤٩)، (٢/٥٥٥)، (١٩/٦١٨)، (٣٣/٦١٩)، (٣،٢/٦٥٤).</p>
الاستغفار	<p>(٤/٢٢)، (٥/٢٧)، (٢/١٩١/٩٦)، (٤/١١٩)، (١٧/١٢٢)، (١٣٥/١٣٧)، (١٣/١٧٠)، (٢/١٧١)، (٥-٣/٢٣٦)، (١/٣/٢٦٨)، (١٦/٤٤٨)، (١/٣٢/٥٥٤)، (١٣/٦٢٥).</p>
المراقبة	<p>(١٦/٣١٠)، (٢/٢٥/٣٩٢)، (٢/١٩/٤٣٧)، (٢/١٨/٥٥٤)، (١٤/٦٧٢).</p>
التسليم	<p>(١/٥٩)، (٢/٦٢)، (٣/١١٩/١١٩)، (١٥/١٦٤)، (٤/١٦٧)، (١٧/١٧٦)، (٤،٣/٢٠٤)، (١/١٩/٢٢٨)، (٦/٢٣١)، (١٣/٣٧٨)، (٢/٧/٤٤٨)، (١/١٩/٤٧٤)، (١٠/٤٨٣)، (٦/٥٥٢)، (١/١٩/٦٦١).</p>

الموضوع

التدبريات

(٢٢/٢٥)، (٢٢/٣٣)، (١٢/٣٦)، (٥/٤٢)، (٩/٤٣)، (٤/٤٧)، (٢/٤٩)،
 (٤/١٨٥)، (٤٣/٢١٢)، (١١٦/٢٢٧)، (٢١/٢٣٣)، (٥٨/٢٤٨)، (٦١/٢٤٩)،
 (٣/٢٥٣)، (٤/٢٧٥)، (٣/٢٩٠)، (٢/٢٩٣)، (٣٠/٣٤٣)، (١/٣٦٥)،
 (٥/٤٠٧)، (٣٣/٤٠٧)، (١/٤١٣)، (٢/٤١٤)، (١/٤١٥)، (٣/٤١٩)،
 (١/٤٢٩)، (٣/٤٣١)، (١/٤٣٦)، (٨٩/٤٣٦)، (٣/٤٤٢)،
 (٣/٤٩٣)، (٢/٤٩٤)، (١/٥٢٣)، (١٧/٥٥٤)، (٦/٥٧٧)، (١/٥٧٩)،
 (١٨/٥٨٤)، (٢/٥٩١)، (٢/٥٩٢)، (٥/٥٩٧)، (٢/٦١٤)، (٢/٦٣٥)،
 (١٠/٦٦٣)، (١/٦٧٦)، (٣/٦٩٨)، (٤/٧٠٢).

تزكية النفوس

(٥٤٤/٤٥)، (٥/٤٧)، (٣٨/٥٤)، (١٣/٨٣)، (٣/١١٢)، (١/١٢٨)،
 (١١/١٣٠)، (١٩/٢٣٥)، (٦/٤١٩)، (٩/٤٢٣)، (١٧/٥٥٠)، (٢/٦٢٧)،
 (٣٠/٦٤٣)، (٥٠/٦٤٣).

الهدى

(٦٦/٦٢)، (١/٦٤)، (١٦/٧٣)، (٤/٧٣)، (١١١/٨٩)، ([٢٥٧]/١١٢)، (٤/١١٦)،
 (٢٤/١٢٣)، (٣/١٧٤)، (٣/١٨٥)، (١/١٨٩)، (٣/١٩٣)، (٢٤/١٩٥)،
 (١٢/٢٠٠)، (١٢٢/٢٠٥)، (١٠٠/٢٠٦)، (١٤٨/٢٠٧)، (١٥١/٢٢٠)،
 (٣/٢٢٧)، (١٧٦/٢٤٤)، (٦/٢٤٤)، (٨٥/٢٥٢)، (١١/٢٥٥)، (١/٢٦١)،
 (١/٢٦٢)، (١٨/٢٧٦)، (١/٣٠٢)، (٧/٣٤٢)، (٤/٣٦٣)، (٧١/٣٧٢)،
 (٤/٣٧٧)، (٤/٣٧٧)، (٤/٣٨٠)، (٥/٣٩١)، (٣٤/٤٠٥)،
 (٢/٤١٠)، (٥١/٤٥٣)، (٣٢/٤٥٥)، (٢/٤٦١)، (٨/٤٨٧)، (٤٢/٤٩٣)،
 (٦/٤٩٩)، (٢/٥٠٨)، (٢٥/٥١٦)، (٢/٥٦٣)، (٣/٥٦٤)،
 (٢/٥٩٧)، (٧/٦٠٢)، (٣-١/٦٣٣)، (٢/٦٤٣)، (٢/٦٧٧)،
 (٢/٦٩٢)، (٢/٦٨٠).

الضلال

الموضوع	التدبيرات
خطوات الشیطان	(١٦٨/٧٦)، (٢/٢١٠)، (٤،٣/٢١١)، (٢/٧٨/٢٧٣)، (٥/٢٨٣)، (١٤/٣٣٨)، (١/٧٥/٣٧٢)، (١/٢١/٤١٤)، (٢٩/٤٢٥)، (٢٠/٤٨٤)، (٥٠٠/٤٨٧)، (٥/٥٠٠)، (١٣/٥٠٤)، (١٥/٥١٦)، (٢/٥١٩)، (٢/٦٥٧)، (٣/٧٠١).
اتباع الهوى واتباع الشهوات	(٤/٢٠)، (١٥/٧١)، (٤/٢٢٥)، (١/٢٧٩)، (٢/٢٩٠)، (١/٣١٠)، (٧٢/٣١٥)، (٦/٣٤٧)، (٥٩/٣٦٦)، (١٣٧/٣٧٧)، (٣/٤٠٠)، (٥٠/٤٥٢)، (٢،٣/٤٦٦)، (١/٤٧٧)، (١/٤٨٢)، (١٣/٥٣٤)، (٢/٥٥١)، (٢٢/٥٦٣)، (٢/١٤/٥٧٨)، (٣/٦٤٠)، (٥/٦٤٤).
جزاء البعد عن الله	(١٠/٥٠)، (١/١١٥)، (٢/١٥٧/١٥١)، (٥١/١٨٧)، (٧/١٩٤)، (٢/١١/٢٠٣)، (٤/٢٢٥)، (٣،٢/٢٢٧)، (١٥/٢٥٨)، (٣١/٢٧١)، (٣٠/٣٠٤)، (٤/٣٩١)، (٢٩/٥٣٢)، (٣/٥٤٠)، (١/١٤/٥٧٨)، (١٦/٦١٨)، (٢/٦٤٣)، (٣/١٥/٦٥٢)، (٣/٦٨٣)، (٢/٦٩٢)، (٥/٦٩٥).
شؤم المعصية	(١١/٧٥)، (١/١٣٢)، (١/١٧٢)، (١/١٥٥/١٧٥)، (٢/١١٢/١٧٦)، (٢٤١/١٨١)، (٣/١٨٤)، (١/٢١٤)، (١٣٠/٢١٧)، (١/٥١/٢٣٨)، (٥٢/٢٣٨)، (٣/٢٧٤)، (٩/٢٨٥)، (١/٢٩٧)، (٤-٢/٥٢٤)، (٢/٤٥٩)، (١/٤٨٨)، (١٣/٥٩٣)، (٢٥/٦٢٦)، (١،٢/١٤/٦٥١)، (٣/١٤/٦٥٢)، (٢/١٤/٦٦١).
الزهد وذم الدنيا	(١١/١٠٠)، (١/١٣٨)، (١/١٢/٢١٧)، (١٢/٢١٧)، (٣/٢٢٥)، (٢٥/٢٦٢)، (٩/٢٦٤)، (٤٨/٣١٤)، (١٨٨/٣١٥)، (١/١٣/٣٣٢)، (٧/٣٤٢)، (٤-٢/٣٧٨)، (١٧٨/٤٣٧)، (٢/٤٤٣)، (٢/٤٥٠)، (٢/٤٦١)، (٢/٥٢٢)، (٢/٥٧٩)، (٢٢/٥٨٠)، (٥،٤/١١/٦٠٠)، (٢،٣/١٦/٦٤٥)، (١/٢٧٩/٦٥٦)، (١/٦٥٧)، (٢/٦٦٠)، (١/٢٤/٦٦١)، (٣/٦٨٢)، (٢/٦٨٨).

التدبريات	الموضوع
<p>،(٣/٢٦٣)،(١٢/٢٥٩)،(١/١٥٧/٢٢٢)،(٢/١٩٦)،(١/١٧٢)،(٢/٣٥/١٢٤) ،(٥٤٦/٣٤٧)،(٤/٣٤٦)،(١/٣٤٠)،(٤/٣٣٧)،(٣/٣٢٦)،(٣١/٣١٤) ،(١١/٥٣٨)،(٢٤٣/٥٣٧)،(٣/٥٠٦)،(١/١٥٠/٤٩٥)،(٤٤/٤٦٤) ،(٣/٦٤٩)،(١٠/٦١٩)،(١/١٠٠/٥٩٨)،(٦/٥٨٢)،(٥٥/٥٦٠) .(٢/٣/٦٦٧)</p>	الغفلة
<p>،(٢/١٤٨)،(١١/١٢٦)،(٣/٩٥)،(٨/٨٢)،(٣/٧٣)،(١٧/٦٧)،(٣/٧) ،(٣/٢٥٩)،(٣/٢٣١)،(١/٢/٢٣٠)،(٢/١٥٠/٢٢٩)،(٤/٢١٣)،(٧/١٩٥) ،(٢/١٤/٣٧٣)،(٤٤/٣٣٥)،(١/١/٣٣٠)،(٢/١١/٣١٦)،(٢/٥/٣٠٥) ،(١٤/٤٩٨)،(١٤/٤٧٠)،(٢/٤١٠)،(٢/٨٨/٣٨٤)،(٢٠/٣٨١) .(٢/٣/٦٩٣)،(٢٤٣/٦٠٣)،(٢/٥٢٧)،(٣٣/٥٠٢)،(١/٤٩٩)</p>	الذكر
<p>،(٧-٥/٨٤)،(١/٨٣)،(١/٧٦)،(٢/١٤/٦٦)،(٦/٤٦)،(٢٠١/٤٤)،(١/٧) ،(١/١٥٠/١٥٠)،(٨/١٤٩)،(٥/١٤٨)،(٦/١٢٦)،(١/١١/١٠٢)،(٢١/٩٧) ،(١٢/٢٣٢)،(١/١٥٣/٢٢٠)،(٣٤٢/٢١٤)،(٥٥/٢١٣)،(٣/٣٢/١٦٠) ،(٣/٣٣٤)،(٣/٣٦١)،(٣٨/٣٤٠)،(٣/٢٩٦)،(١١/٢٦٦)،(٣/٢٣٤) ،(٧٧/٤٣٢)،(٥/٣٨٦)،(٣/١١٨/٣٨٤)،(١/٣٨٤)،(٥/٣٧٠)،(٢/٣٦٩) ،(٦/٥١٤)،(٣/٥١٠)،(٣٥/٥٠٢)،(٨٢/٤٥٤)،(٣٤٤/٤٥٠)،(٢/٤٥٠) .(٣/٦٩٣)،(٤/٥٨٩)،(١/٥٣٦)،(١٦/٥٢٢)</p>	الدعاء
<p>،(١٤/٣٤٣)،(١/١٨٨/٣٢٦)،(٨/٢٨٣)،(١/٢٨١)،(١/١٦٥)،(١٩/٢٥) ،(٥٥/٤٢٨)،(٢/٤١٩)،(٧٣/٤٠١)،(٢/٣٨/٣٨٤)،(٨٢/٣٦٦) ،(٢/١٧/٥٢٣)،(١٩/٥٢١)،(١٠٣٤٤/٣٦/٥١٩)،(٢/٢٤/٤٧١)،(٤٥/٤٣٣) .(١/٦/٧٠١)،(٥/٦٩٩)،(٢/٦٩٧)</p>	الاعتصام بالله

الموضوع	التدبرات
التوكل والاستعانة بالله	(١٢/٢٤)، (١١٠١٠/٤٣)، (٨١/٢٦٦)، (٩٩/٣٢٧)، (١/٣٥٢)، (٨٢/٣٦٦)، (١/٣٩٣)، (١٥/٤٣٣)، (٥٢/٤٣٤)، (٢/٤٣٤)، (٢/٥٨٦)، (٢/٥٩٩)، (٢/٦١٥)، (١٦/٦١٦).
الخشوع	(١/٣/٤٠٣)، (٣٤٤/٣٩٧).
التفكير	(٢/١٤٧)، (٦٤٤١/١٤٨)، (٢٠٢/٢٠٢)، (٣/٢٥٩)، (١٥٠/٣٠٠)، (٣٠١/٣٠١)، (٢، ٤، ٤، ٤)، (٣/٣٠٩)، (١/٣١٩)، (١٦/٣٢٠)، (٧٨/٣٢٢)، (١/٤٠٠)، (١/٤٠٤)، (١٤٠/٤٢٠)، (٤٤/٤٦٢)، (٢٠/٤٦٥)، (٢/٤٨٥)، (٢٠٣/٤٩٦)، (٧/٤٩٦)، (٢/٥٠٤)، (٥/٥٣٣)، (٥/٥٣٨)، (١٣/٥٥٣)، (٣/٦٦٠)، (٦/٥٥٧)، (٤/٦٣٥)، (٢١/٦٤٦)، (٣/٦٥٠)، (٥/٦٦٠)، (١/٦٧٠).
الحمد والشكر	(٥/٧٣)، (١/٤٠)، (١٢٤٩/٨٢)، (٣/١١٧)، (٣/١٣٥)، (٤٨/١٦٣)، (١/١٧٨)، (١٦٥/٢١٥)، (٧/٢٦٤)، (١٠/٢٨٤)، (٣/٢٩١)، (٢/٣٠٢)، (٥/٣٠٥)، (١١/٣٠٦)، (١٤٢/٣٠٨)، (٤/٣٠٩)، (٧٨/٣٢٠)، (١٦/٣٢٨)، (١١/٤٤٦)، (١١/٤٨٣)، (١٢/٤٨٤)، (١٨/٤٦١)، (٣/٤٩١)، (١/٤٠٣)، (٣/٥٢٧)، (٤/٥٩٩)، (٣/٦١٦)، (١/٦٣٥)، (٣/٦٣٨)، (٢/٦٦٢)، (١/٦٧٧)، (٣/٦٨٠)، (١/٦٨٥)، (٤/٦٨٦)، (٢٤٣/٦٨٩).
المسابقة والمسارعة في الخيرات	(٢٤١/٧٢)، (٤٤/١٢٧)، (١٣٦/١٣٦)، (١/١٤٢)، (١/١٤٦)، (٤/٣٨٦)، (١٧/١٦٩)، (١/١٩٦)، (٢/٢٣٨)، (٤/٢٤٤)، (٨٤/٣٧٣)، (٤/٤٨٦)، (٢/٤٠٧)، (٢/٤٠٩)، (٢/٤٣٣)، (٥١/٤٤٩)، (٣/٤٦٨)، (٤/٤٨٦)، (٣/٤٩١)، (١/٤٩٢)، (١/٦٠٤)، (٩/٦٢٢)، (٢٢/٦٣٤)، (٣٧/٦٧٦).

الموضوع	التدبريات
الإحسان	(١/٨٩)، (١/١٠٥)، (١/١٥٠)، (١/١٦١)، (٢/١٧٧)، (٢/٢١٤)، (٢/٢٥٢)، (٢/٣/٢٦٩)، (٢/٢٨٢)، (١/٢٩٨)، (٣/٣٢٤)، (٣/٣٤٧)، (١/٣٦٧)، (١/٤٤٨)، (١/٤٩٧)، (١/٥١٨).
اليقين	(١١/٦٤)، (٤/١١٤)، (٢/١٦٦)، (٢/١٧٥)، (٧٧/١٩٠)، (٣٣/٢٦٠)، (١٤/٢٦٦)، (١٣/٢٩٩)، (٢/٣٠١)، (١/٣٠٣)، (٧١/٣٧٢)، (٣/٤٣٤)، (١/٤٤٦)، (١/٤٥٩)، (٢/٤٧٤)، (١٨/٤٧٥)، (١١/٥٢١)، (١/٥٥٢)، (١/٦٣٤).
البصيرة	(٤/٢٢)، (٢/٥٠)، (١/٥٨)، (١/١١٤)، (١/١٥٠)، (١/٢٢٧)، (١/٢٢٨)، (١/٢٣١)، (٢/٢٣٥)، (٢/٢٤٨)، (١٣/٢٦١)، (١٧/٢٨١)، (١٣/٢٩٩)، (١٣/٣١٥)، (٢/٤٠٠)، (٢/٤٢٧)، (٢/٤٣٨)، (٢/٤٤٢)، (٢/٤٤٥)، (١/٤٦٧)، (١/٥١٢)، (٣/٥٤١)، (٢/٥٤٦)، (٢/٦٢٣)، (٤/٦٥٢)، (١٥/٦٦٠)، (١/٦٧٧)، (٢/٦٧٩).
الثبات	(١/٤٦)، (٣/٤٧)، (٧/٤٨)، (١٥٦/٧٥)، (١/١٠٧)، (٤/١٠٨)، (٢/١٤٧)، (٢/١٨٢)، (١/١٨٣)، (١٥/١٩٥)، (٣٣/١٩٦)، (١/٢٦٥)، (١/٢٦٦)، (٢/٢٦٩)، (٣/٢٨٤)، (١٧/٣٠٧)، (٢٣/٤٢٧)، (٣/٤٦٣)، (١/٥١٧)، (١/٥٨٤)، (٢/٦٠٤)، (٣/٦٨١).
مجاهدة النفس	(٢/٨٠)، (٢/١٠١)، (٢/١٣٨)، (٤/١٤٦)، (١/١٥١)، (١٣٩/١٧٣)، (٣/٢٠٨)، (٤/٢٤٦)، (١/٢٥١)، (١/٢٥٨)، (١/٤٠٢)، (١٧/٤٥٦)، (٣/٤٥٩)، (٣/٤٦٠)، (٤/٤٧٢)، (٤/٥٣٤)، (٥/٥٦٦)، (١٢/٦١٥)، (١/٦١٥)، (١/٦٢٢)، (١/٦٤٤)، (٤/٦٤٥)، (١/٦٤٥)، (١/٦٦٨).

الموضوع	التدبيرات
هدايات في السير إلى الله والدار الآخرة	(٣/٤٤)، (٩٠٧/٤٦)، (٤٦/٤٨)، (٩/٥٧)، (٢/٥٨)، (١/١٣٢/٦٢)
	(٣/١٧٧)، (٢/٧٧)، (١٠/٩٨)، (٣/١٠٧)، (٥/١٥٨)، (٣/١٧٧)
	(٢/١٨٢)، (١/١١٦/٢٠٤)، (٣/٢٠٦)، (٢/١٥٨/٢٠٨)، (١٥٢/٢٠٨)، (٢/٢٢٦)
	(١/١٦/٢٤٦)، (١/٢٥٤)، (٢١/٢٧٠)، (٢/١٨٨/٢٧٣)، (٢/٢٧٦)
	(٢/٢٧٧)، (٢/٢٩٣)، (٢/٣٠٤)، (٧/٣٠٦)، (١٥/٣١٤)، (٤/٣١٧)
	(٢/٣٣٢)، (٢/٣٣٣)، (٣٦/٣٣٤)، (٨٤/٣٤١)، (١١٥/٣٧٥)
	(١٧/٤٤٩)، (١٥/٤٥٣)، (٥/٤٦٠)، (٣/٤٧٢)، (٢١/٤٧٧)، (٢٢/٥٢٢)
	(١/١٨/٥٤٣)، (١٦/٥٥٣)، (٤٤/٥٦٤)، (٣/٥٦٥)، (٣/٥٨٢)
	(١٠/٥٨٢)، (١/٥٨٨)، (١١/٦٠٩)، (١٠٢/٦٣٢)، (٥/٦٥٢)، (٧/٦٦٣)
	(٢/٦٧٠)، (٢/٦٧٢)، (١/٦٨٦)، (١٠٢/٦٨٨)، (٣/٦٩٩)
(٣/٧٠٢)	

الدعوة	التدبيرات
أصول وقواعد في الدعوة	(٢١/٢٦)، (١/٣٩)، (١٠/٥٤)، (١/١٣٢/٦٢)، (٣/١٥٨/١٤١)، (٢/١٨٥)
	(٢/١١٦/٢٠٤)، (٣/٢١٨)، (١٥/٢٢٣)، (٢/١١٩/٢٢٨)، (١١/٢٦١)
	(٥٠/٢٧٢)، (٥/٢٧٥)، (٣٧/٢٩٠)، (٢/٣٠٠)، (٤/٣٠٤)، (٤/٣٠٥)
	(٢/١٥/٣١٦)، (٢٣/٣٢٩)، (٥/٣٣١)، (٤/٣٣٦)، (٣٧/٣٤٨)
	(٨٣/٣٥٧)، (١/٣٥٩/٣٥٩)، (٢٤٣/٣٧٠)، (٣/٣٧١)، (٢/٣٧٩)
	(١٥/٤٠٤)، (١٦/٤٠٨)، (٣/٤٢٨)، (٧٣/٤٣٥)، (٣٢/٤٥٢)، (١٧/٤٦٧)
	(٣/٤٨٨)، (٣/٤٩٥)، (١١/٥٠٣)، (٣/٥٥٨)، (١/٥٩١/٥٩١)، (١/٥٩٤)
	(٢/٦٢٥)، (١/٦٥٦)، (٣/٤٤/٦٨١)، (١/٦٨٥)، (٣/٦٩٣)
	(٣/٦٩٣)

الموضوع	التدبريات
صفات الداعية	(٢٤/٢٦)، (٢/٦٨)، (٣/٩٦)، (٢٨/١٠٠)، (١٣٢/١٣٢)، (١١٤/١٣٣)، (٢/١٤٩)، (١٣٢/١٤٩)، (٢/١١٦)، (٢/٢٠٤)، (١/١٧٠)، (٢/٢٢٤)، (٢/٢٢٨)، (١/٢٦٥)، (١/٢٦٦)، (٧/٣٠٩)، (٣٦/٣٠٩)، (١٤٢/٧)، (١١/٣٦١)، (١/٣٦٩)، (٤/٤٤١)، (٤/٤٤١)، (١/٤٤٨)، (٣/٤٤٩)، (٢/٤٦٥)، (١٥/٤٧٠)، (٢١/٤٩٥)، (٣/٤٩٥)، (١/٥٠٤)، (٣/٥٩٦)، (١/٦٣١).
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	(٥٥/٥٨)، (٢/١٣٢)، (١٧٣/١٧٣)، (٣/١٨٣)، (٧٩/١٩٠)، (٨٣/٢١٥)، (١٦٥/٢٢٣)، (٢٥/٢٣٤)، (٢/٢٥٠)، (١٧/٢٧٧)، (٤٠/٣٠٤)، (١/٣٢٩)، (٣/٣٥٥)، (٢/٣٥٦)، (٨٥/٣٧٤)، (١٢/٣٨٨)، (١٧/٤٠١)، (٤/٤٣١)، (١/٥٠٠)، (١٥/٥٩٥)، (١/٦٥٦).
قضايا متفرقة	(٢/٧١)، (٣٣/١٢٤)، (٣٧/١٥٨)، (٢/١٥٩)، (٢/٢٠٤)، (٢/٢١٠)، (٤٤٣/٢١١)، (١/٢٥٨)، (٣٨/٣٠٨)، (٥/٣٣٧)، (٧/٣٣٨)، (١/٤١١)، (٣/٤١٣)، (٤/٤١٤)، (٢/٤١٥)، (١٤٢/٤١٧)، (٢/٤٢١)، (٤٤/٤٤٤)، (٤/٤٧٥)، (٢/٤٨٠)، (٣/٤٨١)، (٤٤/٥٠٠)، (٤/٥٣٠)، (١/٥٠٧).
علو الدين	(٢/١٣٣)، (٣٧/١٣٧)، (٦/١٧٩)، (٢١/١٨٨)، (٣٣/٢٤٢)، (١/٣٩٩)، (٢١/٤٨٥)، (٣٥/٥٤٢)، (٧/٥٩٥)، (٣/٦٠١)، (٢/٦١٩)، (٢/٦٤٨).
كمال الدين	(١٤٤/٧١)، (٢/٧٨)، (٦/١٦٧)، (١/١٧٥)، (٤/١٧٨)، (١/١٨٦)، (٣/١٨٧)، (١٤٥/٢٠٦)، (٢/٢٠٩)، (٢/٢٧٤)، (٢٨/٣٠٨)، (١/٣١١)، (١٦/٣٢٠)، (٢/٣٣١)، (٦/٤١٧)، (١/٤٣٠)، (١/٤٦٨)، (٢/٦٢٤)، (١١/٦١٠)، (٥/٥٩٩)، (١/٥٤٩)، (٢١/٥٠٠).

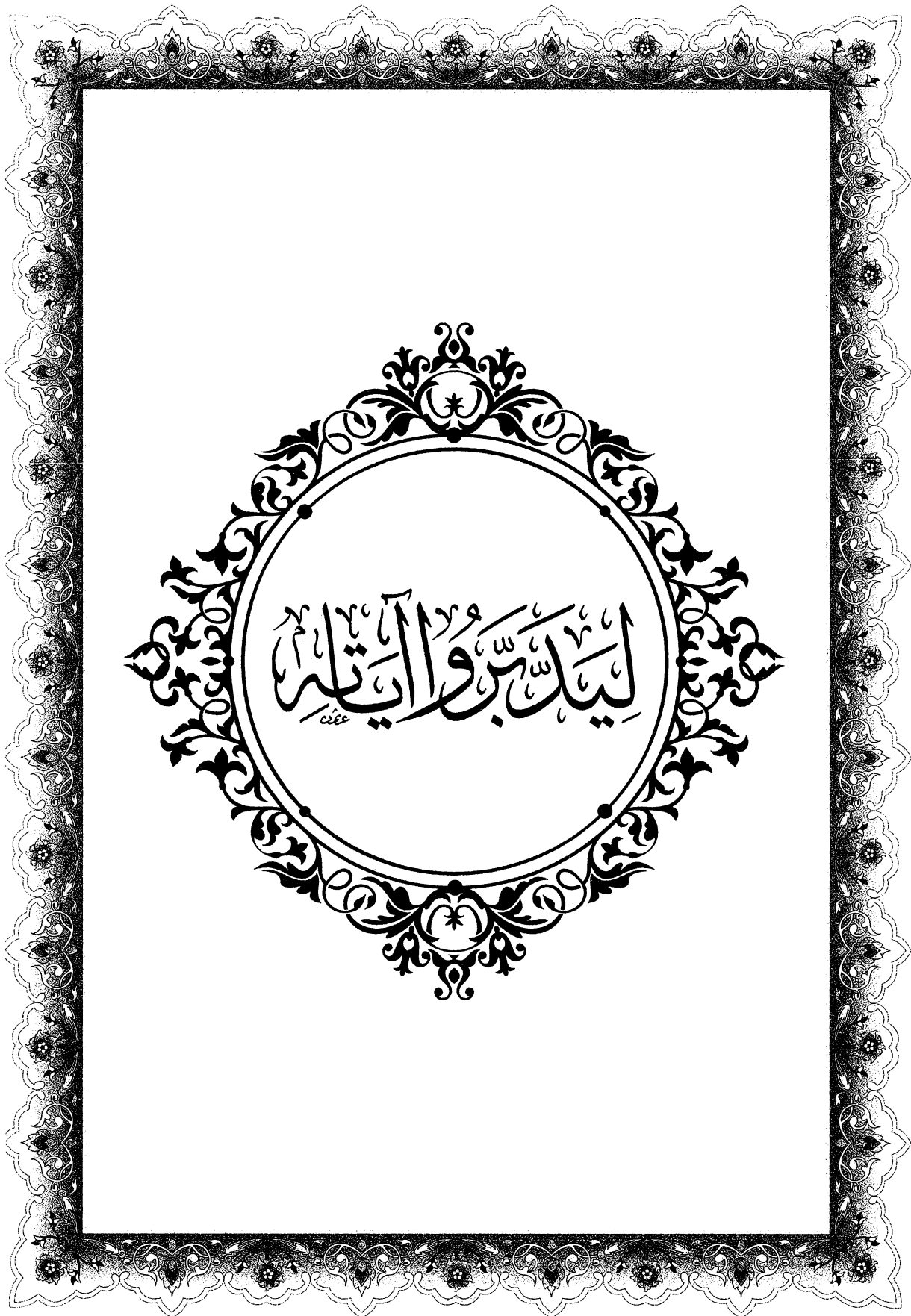
الموضوع	التدبيرات
الوسطية	(١٨/٥٩)، (١٣٠/٥٥)، (٥٩٣/٧)، (٣/٦٠٠).
السماحة	(٢/٢٢٣)، (٢٨٠/١٢)، (٢/٧٨/٤٠٢).
نصرة الأمة	(٢٦/٢٦)، (٩/٣٥)، (٢/٨٩)، (٨/١٢٠)، (٧٠٦/٢١)، (٢/١٠٧)، (٢/١٣٠/١٣٥)، (٢٤١/١٣٣/١٣٥)، (٣/١٣٨)، (١/١٦٤/١٣٨)، (٣/١٥١)، (٢/١٥٣)، (٢/١٥٥/١٧٥)، (٢/١٨٨)، (٥١/١٨٨)، (٨١/٢٠١)، (١٢٥/٢٠٥)، (٢/٢١٨)، (١٣١/٢١٩)، (٤١/٢٣٧)، (١/٢٤/٢٣٨)، (٢/٢٣٩)، (٢/٢٥٥/٢٥٥)، (٢/٢٥٧)، (٢/٢٥٩)، (١٢/٢٥٩)، (٢/٢٦١)، (٢/٢٦٥)، (٢/٢٧٦)، (١٧/٢٧٧)، (٢/٢٨٨)، (٢/٣٠/٢٩٤)، (٤/٢٩٧)، (١/٣٠٠)، (٣٥/٣٠٤)، (١/٣٦١)، (٩٨/٣٦٧)، (٤١/٣٧١)، (٦١/٣٧٢)، (٥٥/٣٨٣)، (١٥/٣٨٨)، (٣٨/٣٩٩)، (٨/٤٢٣)، (٣١/٤٢٦)، (٥٢/٣٢٧)، (٢/٤٣٤)، (١/١٨/٤٣٩)، (٦/٤٤٧)، (٦/٤٤٨)، (٢/٩/٤٤٨)، (٢٤٣/٦/٤٥١)، (٢/٤٥٢)، (٤١/٤٦٤)، (٦/٤٧٢)، (٤/٤٧٥)، (٥/٤٧٦)، (٣/٤٧٨)، (٢/٣٣/٤٧٨)، (٣/٤٨٤)، (٢/٤٩٩)، (٢/٤٩٩)، (٣/٥١٢)، (٥/٥١٢)، (٢/٥١٨)، (١/٣/٥٢٩)، (٣٨/٥٤٤)، (٢٣/٥٤٤)، (١٥/٥٨٠)، (٤/٥٨٧)، (٨/٦٠٢)، (٣/٦٢٠)، (٢/٦٣٤)، (٢٥/٦٥٤)، (١/٦/٦٦٨).
مصائب الأمة	(٩/٣٥)، (١/١٤٠)، (٣/١٤١/١٥٦)، (١/١٤٢/١٦٥)، (١/١٥٩/٢١)، (١/١٧٠)، (١/٢٩٣/٣٥١)، (٥٩/٣٥١)، (٢/٣٨٨)، (٢٥/٤٠١)، (١/٤١٢/١١)، (١/٤٢٠)، (٤١/٤٦٣)، (١/٥٢٣/٢٨)، (٤/٥٣٨)، (٢/٦/٦٦٨).
الفساد	(١/١١٤/٦٥)، (١/٢٦٦/٩١)، (٢/٤١٢/١١)، (٥/٤١٤)، (٤٨/٤٤٥)، (١٦/٤٤٩)، (٤١/٤٦٣)، (١٨/٤٨١)، (٢٧/٥١١)، (٤/٦٢٠)، (٤/٦٥٤)، (١٤/٦٦٣)، (٢/٦٨٢)، (٢/٦٨٤).

الموضوع	التدبريات
الفتن والابتلاء	(١٧٨/١٤٤)، (٢/١٣٨)، (٢/١١٢)، (٥-٣/١٠١)، (٢/٧٤)، (١٦٤/١٦٤)، (١٣٣/١٧٢)، (٤٢/١٩٧)، (٤٣، ٤٥/١٩٨)، (٥/٢٣٦)، (١/٢٣٨)، (١/٢٦٧)، (١/٢٥٦)، (٤١/٢٤٧)، (١/٢٨٦)، (١١٣/٣٠٠)، (٣١/٣٠٣)، (٣٥/٣٨١)، (١٣/٤٠٨)، (٣/٤٥٥)، (٢/٤٦١)، (٢/٥١٣)، (٢/٥٤٢)، (٢٧/٥٦٧)، (٢/٦٠٠)، (٢/٦٠٥).
الحكمة وحسن التدبير	(١/١٠٤)، (١/١٠٧)، (١٣٩/١٧٣)، (١/٢١٧)، (٣/٢٢١)، (١/٢٥٠)، (١٨/٢٧٤)، (١/٢٧٥)، (٣/٢٧٩)، (١/٢٨٩)، (١/٢٩٠)، (١/٢٩٢)، (١/٢٩٣)، (١/٢٩٤)، (١/٢٩٦)، (١٣/٢٩٨)، (٣/٣٤٤)، (١/٣٦٢)، (٤/٣٧٠)، (٦٥/٣٧٢)، (٨٠/٣٨٣)، (٣/٤٥١)، (١/٤٥١)، (١٢/٦١٥).
علو الهمة	(١/٢٥٥)، (١٤٢/٤٣١)، (٢/٥٣٦).
الاستشارة	(٥/١٤١)، (٦/١٤٢)، (١٤٢/٤٤٢)، (٣٣/٥٢٤).
التفاؤل وحسن الظن بالله	(١٧٤/١٤٣)، (١/١٨٢)، (٨/٢٦٤)، (٢/٢٩١)، (٢/٢٩٦)، (٤٦٦/٢٩٧)، (٤/٣٣٣)، (٤٧/٤٤٤)، (١٢/٤٨٩)، (١٧/٤٩٨)، (١/٥١٢)، (٢٣/٥١٥)، (١/٥٢٣)، (١/٦١٠)، (٣٣/٦١٩)، (١٤٢/٦٩٨)، (٥/٦٩٩).
الرؤى	(٤٣/٢٩١)، (٤٤/٢٩٢).
الصحة الصالحة	(٢٠١/٣٤٦)، (١١/٤٣٦)، (١/٥٢٩)، (٤٥٥/٥٣٠)، (٢/٦٦١).
الصحة السيئة	(١٩٩/١٩٩)، (١٣/٢١٠)، (٣/٣٤٦)، (١٤/٣٥٨)، (٢/٥٢٩)، (٣٤٤/٥٣٠)، (٥٩/٥٦٠).

الموضوع	التدبيرات
الأخوة	(٢/٧٨/٧٨)، (١٥١/٢٢١)، (١/٧١/٢٤٩)، (٥٣/٣٦٤)، (١٦/٤١٠)، (٢/٣٠/٤٤٠)، (١/٣٥/٤٥٢)، (٣٢/٤٥٦)، (٣٣/٥٠٠)، (٦/٥١١)، (١/٥١٨)، (١/٣٧/٥٢٩)، (٢/٥٤٤)، (١٠/٥٤٧)، (١١/٥٨٢)، (٢،٣/٥٨٣)، (٢/١/٥٨٧)، (٣/٥٨٨)، (٧-٥/٥٨٩)، (٢/٥٩٠).
الفضائل	
فضل الإسلام وأهله	(١/٧٠)، (٢/٧٩)، (١١/١٣٠)، (١٣/٣٤٣)، (٢/٣٦/٣٦٧)، (٤/٥١٠)، (٤/٢/٥٩٦)، (٤/٦٣٤)، (٢/٦٥٩)، (٧/٦٧٥).
فضل الصلاة	(٣٨/١٢٦)، (١٢/١٨٠).
فضل الصيام وشهر رمضان	(٢٨/٢٦)، (١١/٣٦)، (١٢/٨٢)، (١٦،١٥/٨٣).
فضل ليلة القدر	(٥/٨٦)، (١/٣٩٦)، (١،٢،٤/٥٣١)، (٢/٦٧٣)، (٢/٦٧٣)، (٢،٣/٦٧٥)، (٢،٣،٤/٦٧٣).
فضل الحج	(٢/٢٩٦)، (٢/٣٩٤)، (٥/٣٩٥).
فضل عشر ذي الحجة	(١/٢٠١)، (١/٢٤٣)، (٦/٣٩٥)، (٣،٤/٦٥٩).
فضل العلم	(١/١٢٢)، (١/١٧٩)، (١٣/٢٠١)، (٣،١/٢٠٥)، (٣/٢٥٧)، (٢/٥٧/٢٦٣)، (٢/٣٥٢/٣٥٢)، (٢/٤٢٤)، (٤/٤٣٢)، (١٥/٤٣٩)، (١/٤٤١)، (١/٤٤٣)، (١/٤٦٥)، (١/٤٩٠)، (١/٥٦٩)، (١/٥٨٣)، (٨/٥٨٤)، (١/٦٣٠)، (٢/٦٧٠).

الموضوع	التدبريات
فضل القرآن	(١/١٠)، (٢٤/٣٣)، (٢/٤٠)، (١/١١٠)، (١٤٢/١٤٢)، (٣/١٤٩)، (١/١٧٦)، (١/٢٠٢)، (١/٢٢٩)، (١/٣١٤)، (٢/٢٦٣)، (٩/٢٦٤)، (١/٣٦٨)، (٢/٣٨٥)، (٢/٤٩١)، (١/٥٦٨)، (٣/٥٧٥)، (٤/٥٩٦)، (٣/٦٧١).
فضل تدبر القرآن	(٤/١٠)، (١-٥/١١)، (٢،٣/١٣)، (٥/١٤)، (٣/٢١)، (٩/٢٨)، (١/٢٩)، (٢٣/٣٣)، (٤/٢٣١)، (٣/٤٥٨)، (٥/٥٦٨)، (٨/٦٠٩).
فضائل الآيات والسور	(٩/١٢١)، (٩/٣٦٨)، (١/٤٠١)، (٢/٤١١)، (٣/٤١٩)، (٢/٤٤٧)، (٤/٤٦٩)، (١/٥٥١)، (١/٥٧٢)، (١/٥٨١)، (١/٦٢٩)، (٢/٦٣٣)، (٢/٦٦٥)، (١/٦٦٩)، (١/٦٧٣)، (١/٦٧٨)، (١/٦٨١)، (١/٦٨٣)، (٢/٦٩١)، (٢،٤/٦٩٦)، (١/٦٩٨)، (١،٢/٧٠١).
فضائل الأنبياء	(١/٢٨٤)، (١١/٢٨٦)، (٣٦/٢٩٠)، (٥٦/٤٨٠)، (١/٥٠٩)، (٧/٥٤٧)، (١٧/٥٦٣)، (٢/٥٦٣)، (٤/٦١١).
فضائل الصحابة	(١٣/١٣١)، (٤/٢٤٥)، (١٣/٣٨٧)، (٦،٧/٤١٤)، (١٥/٤١٦)، (١/٤٣٤)، (١٣/٥٢١)، (١،٤/٥٤٤)، (١/٥٨٦)، (١،٣/٥٨٧)، (٢/٥٨٨)، (٢/٥٩٦)، (٢،٣/٦٦٤).
فضائل الصالحين	(١/١٢٥)، (٢/٣٢٠)، (٢/٣٦٢)، (١/٣٦٧)، (١٢/٦١٣).





لَيْسَ بِرِوَايَةٍ
وَأَيْتَانِ
عَنْ

الفهرس



الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
كلمات في التدبر	٧

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
١	الفاحة	٣٩
٢	البقرة	٤٩
٣	آل عمران	١٢٢
٤	النساء	١٥٢
٥	المائدة	١٧٧
٦	الأنعام	١٩٤
٧	الأعراف	٢١٠
٨	الأنفال	٢٣٠
٩	التوبة	٢٤١
١٠	يونس	٢٥٩
١١	هود	٢٦٨

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
١٢	يوسف	٢٧٩
١٣	الرعد	٣٠١
١٤	إبراهيم	٣٠٥
١٥	الحجر	٣١٣
١٦	التحل	٣١٨
١٧	الإسراء	٣٣٠
١٨	الكهف	٣٤٢
١٩	مريم	٣٦١
٢٠	طه	٣٦٨
٢١	الأنبياء	٣٨٠
٢٢	الحج	٣٨٩
٢٣	المؤمنون	٤٠٣
٢٤	النور	٤١١
٢٥	الفرقان	٤٢٢
٢٦	الشعراء	٤٣٣
٢٧	النمل	٤٣٩
٢٨	القصص	٤٤٧
٢٩	العنكبوت	٤٥٥

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٣٠	الروم	٤٦١
٣١	لقمان	٤٦٦
٣٢	السجدة	٤٦٩
٣٣	الأحزاب	٤٧٣
٣٤	سبأ	٤٨٣
٣٥	فاطر	٤٨٧
٣٦	يس	٤٩٤
٣٧	الصفات	٤٩٧
٣٨	ص	٤٩٩
٣٩	الزمر	٥٠٥
٤٠	غافر	٥١٠
٤١	فصلت	٥١٥
٤٢	الشورى	٥٢١
٤٣	الزخرف	٥٢٧
٤٤	الدخان	٥٣١
٤٥	الجاثية	٥٣٣
٤٦	الأحقاف	٥٣٦
٤٧	محمد	٥٣٨

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٤٨	الفتح	٥٤٣
٤٩	الحجرات	٥٤٥
٥٠	ق	٥٥١
٥١	الذاريات	٥٥٧
٥٢	الطور	٥٦١
٥٣	النجم	٥٦٣
٥٤	القمر	٥٦٥
٥٥	الرحمن	٥٦٩
٥٦	الواقعة	٥٧٢
٥٧	الحديد	٥٧٧
٥٨	المجادلة	٥٨١
٥٩	الحشر	٥٨٦
٦٠	المتحنة	٥٩٣
٦١	الصف	٥٩٤
٦٢	الجمعة	٥٩٦
٦٣	المنافقون	٦٠١
٦٤	التغابن	٦٠٤
٦٥	الطلاق	٦٠٧

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٦٦	التحریم	٦١١
٦٧	الملك	٦١٤
٦٨	القلم	٦١٧
٦٩	الحاقة	٦٢١
٧٠	المعارج	٦٢٣
٧١	نوح	٦٢٥
٧٢	الجن	٦٢٧
٧٣	المزمل	٦٢٩
٧٤	المدثر	٦٣٣
٧٥	القيامة	٦٣٥
٧٦	الإنسان	٦٣٨
٧٧	المرسلات	٦٤٣
٧٨	النبأ	٦٤٤
٧٩	النازعات	٦٤٤
٨٠	عبس	٦٤٦
٨١	التكوير	٦٤٨
٨٢	الانفطار	٦٤٩
٨٣	المطففين	٦٥١

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٨٤	الانشقاق	٦٥٣
٨٥	البروج	٦٥٤
٨٦	الطارق	٦٥٥
٨٧	الأعلى	٦٥٦
٨٨	الغاشية	٦٥٨
٨٩	الفجر	٦٥٩
٩٠	البلد	٦٦٢
٩١	الشمس	٦٦٣
٩٢	الليل	٦٦٣
٩٣	الضحى	٦٦٥
٩٤	الشرح	٦٦٧
٩٥	التين	٦٦٩
٩٦	العلق	٦٧٠
٩٧	القدر	٦٧٣
٩٨	البينة	٦٧٥
٩٩	الزلزلة	٦٧٦
١٠٠	العاديات	٦٧٧
١٠١	القارعة	٦٧٨
١٠٢	التكاثف	٦٧٩

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
١٠٣	العصر	٦٨١
١٠٤	الهمزة	٦٨٢
١٠٥	الفيل	٦٨٣
١٠٦	قريش	٦٨٥
١٠٧	الماعون	٦٨٦
١٠٨	الكوثر	٦٨٨
١٠٩	الكافرون	٦٩١
١١٠	النصر	٦٩٣
١١١	المسد	٦٩٤
١١٢	الإخلاص	٦٩٦
١١٣	الفلق	٦٩٨
١١٤	الناس	٧٠١

الموضوع	الصفحة
تأملات في أسماء الله الحسنى	٧٠٣
القرآن غيرني	٧١٩
لطائف القراءات	٧٢٩
قائمة المصادر والمراجع	٧٣٩
التصنيف الموضوعي	٧٥٩
الفهرس	٧٩٣

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ



9 786035 064019

SR: 30